St. Clements University

Malik AL -Ashter: His Biography and Islamic Civilization History

In Era

An PhD. these in the history of Islamic civilization
1432 A.H   2010 A.D

Prepared by :
Najah Abaid Hasson Seel

Supervised by :
D. Ali Hussein All

ABSTRACTS

Title of this research is (Malik AL-Ashter : his biography and Islamic civilization history). The researcher was prepared it to St .Clements University to obtain doctorate degree

In this research the preliminary explains the definition tribe of Malik AL-Ashter (AL-Nagah) berore and after Islam This tribe was named (AL-Nagah) lineage to their forefather (AL-Nagah) its name is Jeser . He deserted from AL-Hejaz to Yemen because it is bespoken for revenge .

The historians differed un his forefather . Is he Adnani or Kahtani. The researcher proved in consulting to prove the Adnan 's lineage .

The first chapter from the research speaks about self-disciplines life of Malik AL-Ashter in three parts, in the first part $_5$ speaks about adducting of his birth , his name , his lineage and his surname . Part two speaks about Malik AL-Ashter 's, and part three about movings of Malik AL-Ashter and the adnouns that is distinguished him .

However , in the chapter two the researcher explains Malik AL-Ashter 's life from prophetical mission to caliphate Othman Bin Affan (from the mission 23 Hijri). It is on three parts , the first part, how Malik

AL-Ashter join to Islam in the prophet reign Mohammed .

In the part two , attitude of Malik AL-Ashter in Abi Baker AL-Sdeek , in the part three , speaks about Malik AL-Ashter 's role and his courage in the Islamic conquests in Sham and Iraq .

Chapter three , speaks about Malik AL-Ashter from Othman Bin Affan 's caliphate to the end of the battle of Saffen (23-73 Hiji \ 643-653). It is contains three parts , in the part one , the attitude of Malik AL-Ashter in caliphate of Othman Bin Affan includes , devotion of AL-Amsar and attitude of Malik AL-Ashter from kufa 's rule . Battle of Yeaom AL-Dar and killing of caliph Othman Bin Affan and what is the role of Malik AL-Ashter in these events .

In the part two , caliphate Imam Ali Bin Abi Talib and Malik AL-Ashter from devotion Imam Ali Bin Abi Talib and he is the first who cleaved to him and the battle of AL-Gamel and the role of Malik AL-Ashter and the reason and the results of the battle of AL-Gamel.

In the part three , includes many matters like making Imam Ali AL-Kufa capital to Islamic state instead of the city with Malik AL-Ashter 's company because Kufa is his home , and negotiations peace between Imam Ali in side and Moawea Bin Abi Sophean in other side .

When this negotiations were failed the battle of Saffen was happened and appeared the role of Malik AL-Ashter in this battle , its reasons and results.

In chapter four , from the end of Saffen battle to the killing of Malik AL-Ashter (37-39 Hijri \ 657-659) .

in this chapter, three parts, in the first part role of Malik AL-Ashter on Mousel and his important works in this region.

Part two , speaks about Malik AL-Ashter 's literature and his pomes, science his teachers. In part three , role on Egypt and how he was killed and the position of his grave .

The title of chapter five is the Islamic civilization in Malik AL-Ashter 's era . It consist of three parts , in the first part , the researcher speaks about utmost authority to Islamic state and the administration includes :

I- prophecy 2- caliphate 3- ministry

4- emirate 5- AL-Hejabaa 6- army

7- police - . 8- councils

Part two about economic and financial life .

a- financial plans , includes :

1- tribe 2- almsgiving *t*

3- spoils

b- agriculture c- trade

d- industry e-up building

In the part three , the intellective and judicial side .

-a- intellective [3] includes :

1- The Koran 2- Prophetic

3- the book of the reign from Imam Ali to Malik AL-Ashter

-b- The judicial side [5] includes :

1 - the judicial 2- AL-Hesba 3- injustice

Thus . the conclusion , results , and resources . So this research was completed its chapter and parts in Malik AL-Ashter 's biography and Islamic civilization in his eria .

جامعـة ســانت كـليمينتـــس

St. Clements University

مـكـتـــب

كــــركـــــوك



(مالك الأشتر : سيرته والحضارة الاسلامية في عصره)

إعداد الطالب

نجاح عبيد حسون

قدمت هذه الأطروحة الى مجلس جامعة St. Clements العالمية استكمالا لمتطلبات نيل درجة الدكتوراه تخصص في فلسفة تاريخ الحضارة الاسلامية

إشراف

أ. م. د. علي حسين علي

1431هـ **2010 م**

((لَقَد كانَ في قِصَصِهِم عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْباب ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى ولكِنْ تَصْدِيق الذي بينَ يديهِ وتفضيلِ كلِ شيء وهدى ورحمَةٌ لقَومٍ يُؤمِنون))

سورة يوسف : الاية 11

إقرار المشرف

أشهد بان إعداد هذه الأطروحة الموسومة (
مالك الاشتر : سيرته والحضارة الاسلامية في عصره)

جـــرت تحـــت إشـــرافي فـــي قســـم تـــاريخ الحضـــارة الاســـلامية – جامعـــة ســـانت كليمينـــتس وهـــي جـــزء مـــن متطلبـــات نيـــل درجـــة الـــدكتوراه فـــي فلســـفة تـــاريخ الحضـــارة الاســـلامية ولاجله وقعت /2/2010.

التوقيع :

الاسم : أ.م.د. علي حسين علي

التاريخ : / /2010

الاهداء

يهدي الباحث هذا الجهد الى :-

* سـيد الانـام محمـد (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) ، ومـا يسـعد الباحـث ان الانتهـاء مـن الاطروحـة جـاء متوافقا مع ميلاده الاغر .

* والديه الكريمين وبالاخص التي حملته وهنا على وهن .

* الدكتور نزار الربيعي لتشجيعه ودعمه المادي والمعنوي .
* الدكتور حسين علي حسين المشرف على الاطروحة ..
* زوجته واولاده زينة ، نورا ، وسام ، زينب وملاك .
* الاستاذ غازي اسود مدير مكتب الجامعة في كركوك وكادر جامعة سانت كليمينتس في كركوك.
* الاستاذ حبيب عزيز شوكت لجهوده في طباعة الاطروحة وتجاوزه كثيرا من الاخطاء المطبعية
.

الباحث

شكر وعرفان

في السنة النبوية الشريفة حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): (من لم يشكر الناس لم يشكره الله) سنن الترمذي رقم 1955

الواجب يقتضي من الباحث تقديم الشكر والامتنان لمن أسهم وكان له الأثر في إظهار هذه الأطروحة .

* الأستاذ الدكتور نزار الربيعي قدم الكثير ولا يزال فبارك الله فيه .
* الدكتور حسين علي حسين المشرف على هذه الاطروحة وبصماته الواضحة عليه .
* والده الذي وضعه على بداية الطريق وتشجيع الوالدة الرؤوم .
* الأستاذ كاظم الذي فتح للباحث مكتبته ليقتبس من معين مصادرها .
* كادر المكتبة المركزية في كركوك وخاصة الاخ يلماز ..

* السادة لجنة المناقشة لتجشمهم عناء السفر والحضور للمناقشة فبارك الله فيهم

* الاستاذ غازي اسود مدير مكتب الجامعة في كركوك .

* كل الذين شجعوا وباركوا وساندوا الباحث في انجاز بحثه .

الباحث

أ

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

المقدمه :

الحمد لله على نعماته ونحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونستهدي به ونعوذ به من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلا هادٍ له . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه أجمعين وبعد :

هذه الدراسة أطروحة للدكتوراه وهي صفحات من التاريخ الأسلامي تتناول سيره احد رجال الأسلام من القرن الأول الهجري وما قبله هو (مالك بن الحارث الأشتر) لأظهار صوره جليه لما غمض من شخصيته وما التبس على الكثير من الكتاب والقراء على السواء .

ان الأمم الراقية والمتقدمة تفتخر بأمجادها ورموزها التاريخية ، وتطرز اسمائهم في اقباس من التمجيد وتكتب عنهم البحوث وتضع لهم التماثيل وكأنهم يعيشون معهم في مجريات العصور ، ليستمدوا من أفكارهم العظات والعبر والتحفز نحو العلى والتقدم ، ويبنون حضارتهم فوق التراكمات الأزلية لما تبقى من امجادهم كالبنان من النور الأيدي الخالد .

وتاريخ الأمة الأسلاميه حافل بسير العظماء والعلماء والأبطال الذين يجب استحضارهم في محاوله جادة لأستذكار الماضي واستنباط العبر والدروس منه وذلك من اجل فهم الحاضر على حقيقته وشحذ الهمم وتجاوز الأخطاء استعداداً للمستقبل واللحاق بما سبق من الأمم من التقدم والحضارة والتكنولوجية .

من هذا المنطلق تأتي اهمية دراسة الموضوع في هذه الأطروحة ولملمت المعلومات والبيانات المتناثرة في ثنايا المصادر التاريخية الأساسية وما كتبه المتأخرون ، ومما يقتضي انتزاع اليراع من الاغماد وتسيطره على القرطاس وعرضه ودراسته .

لقد قام الباحث باتباع المنهج التاريخي في سياق البحث وحسب متطلبات هذا المنهج من التحليل والاستقراء والاستنباط والملاحظة العلمية ويهدف الى ان يطلع الجيل الحالي على ماهية هكذا شخصيات للاقتداء بما يصلح من اعمالهم ويتجنب ما يراه لا يصلح .

ويعرض الباحث ايضا الحضارة الاسلامية في عصر مالك الاشتر لغرض الاطلاع على كانت عليه الدولة الاسلامية في هذه الفترة القصيرة من حياته في عصر صدر الاسلام ولكنها النواة الاولى لحضارة الاسلام .

والأطلاع على شخصية مالك الأشتر كنموذج من عصر الأسلام لك يعرفه الكثير او تم التشويش على شخصيته لأغراض شتى منها السياسية والأجتماعيه والفكرية وغيرها .

ويجد الباحث نفسهُ منقاداً الى دراسة سيره عصره وعصر مالك الأشتر من التاريخ الأسلامي والحضارة الأسلاميه بعد ان صار مقتنعاً بأن الدراسات الحديثة واقلام الكتاب المحدثين قد أشاحت بوجهها عن سبر اغوا هكذا شخصيات وبالتالي فلقد عمد جاهداً الى اظهار الحقائق كما هي مستقاة من

المصادر الأولية ذات الأطلاع بتاريخ تلك الفترة رغم ندرتها .

ولا يدعى الباحث السبق في هذا البحث سوى القيام بجميع مفرداته من بطون الكتب والمصادر لبيان مفاهيمه الأساسية وتحليل مشكلته وترتيبها بصورة جديدة ومفيدة قدر الامكان.

ومما تجدر الأشارة اليه انه لا تخلو ايه دراسة اكاديمية من جملة من المصاعب والمعوقات التي مثلت العقبة الكؤود في طريقها ولا تشد دراستنا عن هذا السياق ويمكن اجمال مشاكل هذه الدراسة بأنه لا توجد دراسة مستقلة افردت لهذه الشخصية بذاتها . وبالتالي تطلب الامر جهداً ووقتاً اضافياً للملمه نصوصها واخراجها بالشكل الحالي ، فضلاً عن الوضع الراهن الذي يعيشه البلد والذي القى بظلاله وترك بصماته على تعثرها .

هذا ولقد باتت هذه المعوقات القاسم المشترك لمجمل الباحثين والدارسين المحليين الى جانب الاخطاء اللغوية والطباعية التي تضاف الى ماسبق لضيق الوقت ولسرعة الأداء .

لقد افادت الدراسة واعتمدت على جملة من المصادر الأولية التي مثلت قوامها ونال قصب السبق فيها كتاب الله العزيز القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وكتاب الواقدي (ت 207هـ / 823م) صاحب السير والروايات التي استقى الباحث كثيراً من روايته ، ويأتي في الأهمية تاريخ ابن خباط (ت 240م / 854م) صاحب النقولات الموثوقه في هذا السياق فضلاً عن تاريخ اليعقوبي (ت 282هـ / 895م) والمسعودي (346هـ) في تاريخه مروج الذهب والتنبه والأشراف ، وانتهل الباحث من معين الروايات شيخ المؤرخين الطبري (310هـ/ 923م) في تاريخه رغم تناقض بعض رواياته واخذ من ابن الأثير (630هـ /1234م) وتاريخه الكامل ورأى انه قد انتهج بعض الحيادية غير انه نقل روايات سيف من تاريخ الطبري ، وكذلك وثق من تاريخ ابن كثير (774هـ/ 1237م) المسمى البداية والنهاية شيء من الروايات المنقوله عن للطبري ويعض افكاره الشخصية .

وفي جمله المصادر الأخرى التي تتولى في الاهمية كالأصفهاني (356هـ/ 967م) في كتابه الأغاني فضلاً عن البلاذري (279هـ / 894م) في كتابه فتوح البلدان والدينوري (289هـ /901م) في كتابه الامامه والسياسة والحموي (626هـ) في لسان العرب والرازي (666هـ/ 1245م) في مختار الصحاح وغير ذلك من المصادر الأساسية التي استقصى الباحث منها معين معارفه وعرضها ونقد البعض منها . هذا الى جانب العديد من المراجع الحديثة التي اعتمدت عليها الدراسة واستكمالاً للمعنى واسيفاءً للفكرة والتي اضاءت وعززت له بعض المسائل والمتعلقات بسيرة مالك الأشتر ولا يسع الباحث ان يذكرها هنا بالتخصيص لكثرتها .

قسمت الدراسة الى مقدمة وتمهيد وخمس فصول ثم ذيلت بخاتمه تضمنت ابرز الاستنتاجات المستخلصة منها ، ثم قائمه المصادر والمراجع والملاحق وملخص باللغة الأنكليزيه ، فضلاً عن الأوراق التمهيدية في بداية الدراسة .

يتضمن الفصل الأول من الدراسة حياة مالك الأشتر الذاتية بثلاث مباحث ، فالمبحث الأول يظهر

الباحث تقريب سنه ولادته ونسبه والقابه وكنيته ، اما المبحث الثاني يتكلم عن نشأته والثالث عن تنقلاته والصفات التي يتميز بها .

ودرس الفصل الثاني سيره مالك الأشتر من البعثة النبوية الى خلافه عثمان رضي الله عنه وهو على ثلاثة مباحث ايضاً يتكلم المبحث الأول منه عن كيفيه اسلام مالك الأشتر في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والمبحث الثاني يتحدث عن موقف مالك الأشتر في خلافه ابي بكر الصديق رضي الله عنه ويظهر المبحث الثالث دور مالك الاشتر في الفتوحات الأسلاميه في الشام والعراق .

ويعالج الفصل الثالث ما قام به مالك الأشتر من خلافه عثمان رضي الله عنه الى نهاية معركة صفين (23-37هـ/ 643-657م) وهو يتألف من ثلاثه مباحث كالسابق يتبين في المبحث الأول موقف الأشتر في خلافه عثمان رضي الله عنه في ثلاثه محاور خلافه عثمان رضي الله عنه ، والولاة والوضع في الأمصار ، والمحور الثالث وقعه الدار وموقف الأشتر منها ، اما في المبحث الثاني فيتجلي لنا بوضوح موقف الأشتر ابان خلافه الأمام علي عليه السلام ومبايعته ووقعه الجمل والأسباب والنتائج ، بينما ينتقل المبحث الثالث الى وقعه صفين ودور الأشتر فيها والاسباب والنتائج .

وتطرق الفصل الرابع من نهاية معركة صفين الى مقتل الأشتر(37-39هـ /657-659م) وفيه ثلاث مباحث ايضاً ، ففي المبحث الأول امارة مالك الأشتر على الموصل وأهم الأعمال التي قام بها في هذه الولاية ويبرز لنا في المبحث الثاني أداب الأشتر واسفاره وعلومه وشيوخه ، والمبحث الثالث يتكلم عن امارته على مصر وكيفيه وفاته وموضع قبره .

ومثل الفصل الخامس والأخير مسك الختام وعنوانه الحضارة الأسلاميه في عصر مالك الأشتر ، ويشتمل على ثلاثة مباحث كالمنهجية المتخذة ، فالمبحث الأول يتكلم عن السلطه العليا للدوله الأسلامية ، والأدارة ويدرس النبوة والخلافه والوزارة والأماره والحجابه والجيش والشرطة والدواوين .

اما المبحث الثاني فيتناول الحياة الأقتصادية والمالية منها النضم المالية ، الخراج والزكاة والعشر والغنائم ، وكذلك الزراعة والتجارة والصناعة والبناء والتعمير وفي المبحث الثالث الجانب الفكري والقضائي ويتم فيه عرض وشرح كتاب العهد الذي كتبه الأمام علي كرم الله وجهه الى مالك الأشتر ، وكذلك القضاء والحسبه والمظالم .

وهكذا تكون الدراسة قد استكملت فصولها ومباحثها ، والباحث لا يدعي احاطةً او كمالاً بجميع ثنايا البحث فالكمال لله وحده ولكن حسبه انه بذل جهداً وسعى فان وفق فهو ما يصبو اليه وان اخطأ فالعصمة والكمال لله وحده ((ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا)) سورة البقرة : الآيه 286 .

التمـهيـــــــد :

قبيلــة الأشــتر (النخــع) بين الجاهليــة والإســـلام

لقد دأب* العرب في ترسيخ مفهوم الأنساب حتى صار من العلوم المتميزة والأمور المطلوبة لما له من المساس في حياتهم وتنظيم أحكامهم سواء أكان في الجاهلية او الإسلام وقد رتبوا نظاماً لهذا الغرض وفرقوا بين الأنساب المتأصلة والناقلة وصنفوا قواعداً مهمة لهم له .

وقد احتفظوا لأنفسهم بسلسلة من النسب تتصل بالشعب بدءاً من الفخذ والبطن فالقبيلة ثم الشعب ومنهم من يتصل نسبه بعدنان ثم اسماعيل ابن ابراهيم عليه السلام ومنهم من يتصل بقحطان ابن سام ابن نوح وهناك من ينسب قحطان الى ابراهيم الخليل عليه السلام وقسموا العرب الى عاربة وهم عرب اليمن والمستعربة وهم عرب الحجاز وبذلك كانت هناك تقسيمات ونظريات وأراء قد اتفقوا على بعضها واختلفوا على بعضها الأخر .

وبرز من النسابين في الجاهلية والإسلام أجيالا من الأفذاذ وكأنهم المرجع فيما لو اختلف القوم على ذلك فمنهم الجاهلي والمخضرم ومن ولد في الإسلام ففي الجاهلية أمثال ورقة ابن نوفل ولقيط الأيادي وغيرهم والمخضرم منهم ابو بكر الصديق (رضي الله عنهم) وعقيل بن ابي طالب وعبد الله بن العباس (رضي الله عنهم) وكذلك دغفل بن حنظلة النسايه الذي يضرب به المثل والذي ناظر ابا بكر الصديق رضي الله عنه وزيد النميري والنحاز بن اوس عبد البر والنسائي وابن حزم وامثالهم.

وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، من ابرز النساين الجاهلية وعصر صدر الاسلام ، وكانت لديه حصيلة فكرية وثراء عقلي منقطع النظير رضي الله عنه.

وكذلك عقيل بن ابي طالب كان نسابة يحكم في اختلاف من اختلف في نساية اليه ، حتى صار علماً من اعلام النسابين رضي الله عته ، ويسأل عن اختلاف القبائل وانسابها وجذورها وما اختلف

---

* دأب : دأب في عمله جد وتعب ، ينظر الرازي : مختار الصحاح ، ص196، الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح ، (ط 1، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1401 – 1981) ، ص 961.

فيها .

ولقد اخذ الاسلام في بدايته الاخذ بيد الضعفاء وتحريرالارقاء والحاق الادعياء وعدم تكريس مفاهيم ارق والعبودية والولاء لكل بدلاً من الجزء وهو القبيلة .

وكان في الجاهلية الولاء للقبيلة والعصبية المقيتة لها فكان مبدأ (وأنصر اخاك ظالماً او مظلوماً) وعندما اشرقت شمس الاسلام اسقطت زيف العصبية ونزع القبلية وصار الولاء الاول للاسلام قال تعالى ((يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم))[1] .

وبذلك اصبحت القبيلة هي وسيلة وليس غاية لغرض التقارب والتعارف وصارت النصرة للاسلام بالحق وليس بالباطل وان (انصر اخاك ظالما او مظلوماً) هو ارشاده الى الطريق القويم .

ان عملية الهدم والبناء التي اقرها الاسلام الابقاء على الصفات والاخلاق الحميدة ودثر ونبذ الصفات والاخلاق السيئة أي الاخذ بما يصلح وما لا يصلح وتعيق التأجيل مكارم الأخلاق وتطويرها بما يتماشى مع مبادئ الاسلام .

وبهذا انصهرت القبائل في بوتقة الاسلام تنظف ما طرأ في كنفها من الجهل والتخلف والانغلاق الى الانفتاح والتفاعل ودرء الباطل من عادات سادت ثم بادت كوأد البنات والغزو لمجرد الثأر والغنائم والزواج بالمحرمات والتعصب المقيت وبذلك صار سلما ن الفارسي وبلال الحبشي وعمار بن ياسر أجلاء الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم وقد تميزوا على بعض سادة قريش من الكفار الذين اكل الحقد افئدتهم او ناهضوا الأسلام بكل عنفوان وقوة او من الذين أسلموا متأخرين بعد ان يأسوا من العناد والمكابرة ومنهم من حسن اسلامة ومنهم من بقي في ذهنه من اجناس الجاهلية وخبائثها فهؤلاء هم المنافقون .

والعصبية هي التعصب لقوم دون الاخرين والتفاخر والتغني بالقبيلة بدلاً من الامه وكأن القبيلة هي الامة وبذلك شاع الولاء التام للقبيلة .

والفرد الشجاع له اهمية كبيرة في القبيلة فهو البطل وهو الذي يقود شباب القبيلة نحو الغزو والقتال .

ولقد كانت الاساطير قد نسجت حولهُ وكذلك الروايات والتفاخر والتعظيم كزيد الهلالي الذي كتبت عنه الروايات ومزج فيها الخيال والحقيقة .

وكذلك من الابطال الذين رويت عنهم الروايات ومزجت فيها من الخيال والحقيقة والخرافات والذي تثبت وجوده بجدارة كونه من قبيلة عبس وان لونه وبطفرة وراثية كان اسوداً وقد قاد قبيلته نحو النصر .

ولقد اعترفت به القبيلة بعد ان حقق لها الانتصارات تلو الانتصارات ورفع من شأنها بين القبائل

1.(13-12) سورة الحجرات : الآيات)

الاخرى . ولقد اعاد الى امه سمعتها وعزها وشرفها من خلال بطولاته المذكورة في الملاحم .

وبذلك فان للقبائل مبادئ مهمة في تثبيت الانساب ومنها قبيلة النخع التي لها جذورها المهمة واصولها عند النسابين.

ولقد اكد الكثير من الفقهاء والعلماء بأن العصبية هي ام المشاكل الاجتماعية وذات عوامل سيكلوجية واجتماعية سلبية تؤذي الى عزلة مجموعة معينه ، في العصبية انغلاق وتعالي عن المجتمع ؛ بينما الدعوة الاسلامية هي دعوة اممية وانسانية وبذلك فان اجثاث العصبية هو المعيار الحقيقي للمفاهيم الاسلامية .

وبهذا ما تناوله رشيد الجميلي في كتابه تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدولة الاسلامية في انتقاده للعصبية القبلية والدعوة الى اجتثاثها.

وفي ما قاله الجميلي ((وكان أثر الاسلام واضحاً في نبذ العرب للعصبية القبلية فدعاهم الى اجتثاث جذورها وازالة شرورها ...))[1] .

قبيلــــــة النخـــــــع :

وفي الحديث بالتعريف بقبيلة النخع والتي هي من القبائل العربية العريقة ولها مآثر وبصمات ومواقع مهمة في الفتوحات الأسلامية وتراثاً جماً فيما قبل الاسلام ، وقيل الكلام عن هذه القبيلة لابد للباحث ان يلفت النظر الى ماهية القبيلة لغوياً .

قال الرازي في مختار الصحاح بالتعريف بالقبيلة ((القبيل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى مثل الروم والفرنج والعرب ، والجمع قبيل ... والقبيلة واحدة قبائل ، العرب هم بنوا أب واحد ...))[2].

واما تعريفة (للنخع) بشكل خاص فهو يقول ((...النخاعة بالظم النخاعة و(نَخعَ) فلان أي رمى بنخاعته و(النُخاع) بضم النون وفتحها وكسرها الخيط الأبيض الذي في جوف القفاز يقال ذبحة (فخنقه) أي جاوز منتهى الذبح الى النخاع))[3] .

وما قاله ابن منظور في لسان العرب عن قبيلة النخع ((النُخاع ، النَخاع ، والنِخاع))عرق ابيض داخل العنق... والنخع: انتخع فلان من ارضه : يعدها ، والنخع قبيلة من الأزد وقيل النخع النخع قبيلة من اليمن رهط ابراهيم النخعي))[4].

وقبيلة النخع كبيرة ذات عز وشرف أخذت أسمها من (النخع) واسمه جسر وهو جدها .

ولقد جاء في نهاية الأرب ((بنو النخع حي من كهلان من القحطانيه غلب عليهم أسم أبيهم فقيل لهم النخع وأسمه جسر بن عمرو ابن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب عريب بن زيد بن

---

1) الجميلي ، رشيد : تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدولة الاسلامية ، (ط 1 ، نشر جامعة بغداد ، بيروت ، 1972) ، ص343

2) الرازي : مختار الصحاح ، ص 520

3) المصدر نفسه ، ص651

4) ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين بن مكرم بن علي : لسان العرب ، (ط 1 ، دار صادر ، بيروت 1990) ، ص60

كهلان قال ابو عبيدة : سمي النخع لأنه أنتخع عن قومه أي أبعد عنهم ...))[1] .

ويعدد القلقشندي افخاذ النخع[2] ويتفق معه السويدي كالآتي: ((بنو خزيمة بطن من النخع ...منهم الأشتر النخعي الذي ولاه أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه مصر وكتب له بذلك عهداً وهو من أبلغ العهود وقد اوردته في كتابي صبح الاعشى في الكلام على عهود الخلفاء والملوك))[3] .

ويمضي القلقشندي بالاتفاق مع السويدي بتعداد بطون النخع بالقول ((بنو جسر بطن من النخع من القحطانية...وهم رهط الأشتر النخعي الذي ولاه علي رضي الله عنه مصر... وأصل النخع في اللغة العظيم من الأبل))[4] .

ويمضي القلقشندي بالقول ((وبنو بكر أيضاً بطن من النخع من القحطانية وهم بنو بكر بن عوف من النخع قال ابو عبيدة : وهم الذين يقال لهم : بكر النخع ومنهم يزيد بن علقمه أبنا قيس بن عبد الله بن عقلمة بن سلامان بن كميل بن بكر ابن عوف))[5] .

ويواصل في صفحة اخرى القلقشندي بالقول ((وبنو حارثة بطن من النخع من كهلان من القحطانية... وهم رهط ابراهيم بن يزيد النخعي والحجاج بن ارطأه))[6]

وهم غير بنو حارثة الذين هم من مزيقباء من القحطانية وهم بنو حارثة من عمرو مزيقباء .

وولد حارثة المذكور ربيعة وهو لحى وافصي وعدي وكعب قال في العبر : وكانت منازلهم عند خروجهم من اليمن بمر الظهران وهم في ما يقال خزاعة .

وكذلك بنو حارثة بطن من الاوس من الازد من القحطانية وهم بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو التبت وبنو حارثة ايضاً بطن من العرب .

وكذلك اورد القلقشندي في كتابه نهاية الارب ، والذي افرد فيه لقبيلة النخع حسن بطونها وافخاذها ، بحسب الحروف وكذلك عدد الرجال المشهورين لكل فخذ منهم الرؤساء والقادة والفقهاء والشعراء والادباء وغيرهم .

وكذلك ((بنو سعد بطن من النخع... كان له من الولد قيس بطن ، صهبان بطن ، وهبيل بطن ، وجسر بطن ، وحذيمة بطن ، وحارثة بطن))[7].

وايضاً ((بنو عامر بطن من النخع وهم بنو عامر بن سعد بن مالك بن النخع))[8] وكذلك ((بنو عداء بطن من النخع وهم بنو عداء بن الحارث بن عمرو بن جسم بن كعب بن قيس بن سعد بن مالك

---

(1) القلقشندي ، أبي العباس احمد : نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، (ط 1، الشركة العربية للنشر والاعلام ، القاهرة ، 1959م) ، ص 76 .

(2) المصدر نفسه ، ص 208.

(3) المصدر نفسه ، ص 208 ؛ ينظر، السويدي ، شهاب الدين بن العباس ؛ سبائك الذهب في معرفة انساب قبائل العرب (ط 1 ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دون تاريخ) ، ص 31 .

(4) القلقشندي ؛ نهاية الارب ص 213.

(5) المصدر نفسه ، ص 178 .

(6) المصدر نفسه ، ص 223.

(7) القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص 284.

(8) المصدر نفسه ، ص 329 .

بن النخع))[1].

ثم ((بنو وهبيل بطن من النخع من القحطانية وهم بنو وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع ومنهم شريك بن عبد الله))[2].

اما السويدي فيضيف ((بنو صهبان بن سعد منهم كميل بن زياد الذي قتله الحجاج))[3] .

وكذلك السيويطي في باب حرف النون يقول ((النخعي بفتحتين الى قبيلة النخع من مذحج))[4] .

وبهذا فان السيوطي يوافق القلقشندي في نسبة النخع (جسر) الى مذحج ويعدد سلسلة النخع فيقول النخع واسمه جسر بن عمرو بن عله بن جلد بن مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .

وهو يخالف في من ينسب النخع الى إياد بن معد بن نزار بن عدنان وبهذا فان السيوطي يعتبر قبيلة النخع من من المتأصلة في قبيلة مذحج القحطانية ومظاربهم في اليمن وتأصلهم هذا يجعلهم من القبائل .

ومن هذا فانهم يتفاخرون بقبيلة مذحج ، ويعتبرون هذه القبيلة هي الام لهم والنخع فرع منها .

واعتبروا بيشة من اليمن هي الموطن الذي استقروا فيه وتكاثروا وصاروا اجيالاً واخذوا عاداتهم وتقاليدهم من سكان هذه المنطقة وصار النخع الذي انتخع من قومه وابعد الى بيشة في اعلى اليمن من فروع مذحج الذي ينتسب اليهم بالخؤوله وليس بالاعمام وهو ما التبس على كثير من النسابين منهم القدامى والمعاصرين .

غير ان النسابين الذين اكدوا بان قبيلة النخع تنتسب الى العدنانية فانهم مضوا في حجتهم التي تقصوا فيها الحقائق وليس المظاهر .

واما البلاذري فأنه ينسب النخع الى إياد بن معد بن نزار بن عدنان وذلك في قصة أوردها في انساب الاشراف لأبن عباس بقوله ؛ ((كان النخع وثقيف بن إِياد بن نزار بن مثقف بن قسي بن منبه بن التبت بن افصي بن دعمي بن إِياد ، والنخع بن عمرو بن الطمثان بن عوذه منات بن يقدم بن افصي بن دعمي بن إِياد ...)) .

ويضيف البلاذري بالقول ؛ ((فخرج [ثقيف والنخع] ، ومعهما عنز لبون يشربان لبنها فعرض لهما مصدق ملك اليمن فأراد أخذها فقالا: انما نعيش بدرها ، فرمى احدهما المصدق فقتلهُ فقال احدهما لصاحبه : انهُ لا تحملني واياك ارض فأما النخع فمضى الى بيشه فأقام بها ونزل قسي موضع قريب من الطائف...))[5] .

---

1) المصدر نفسه ، ص 351 .
2) المصدر نفسه ، ص 447 .
3) السويدي : سبائك الذهب ، ص 31.
4) السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن : لب الألباب في تحرير الأنساب ، (ط 1 ، دار صياد ، بيروت ، دون تاريخ.
5) البلاذري ، احمد بن يحيى : انساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد ، (ط 1 ، دار المعارف ، مصر ، دون تاريخ) ، ج 1 ، ص 27

اما ابن الوردي فينسب النخع الى مذحج بقوله : ((... ومن بطون مذحج النخع ومنهم الأشتر النخعي واسمهُ مالك بن الحارث صاحب رسول الله صلى الله علية وسلم))[1] . وما جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه ((... مذحج وهو بن ادد ...وادد جد النخع))[2] .

وبهذا فان الامور عند البلاذري في انساب الاشراف قد اختلفت في هذا المجرى فلقد نسب النخع الى إِياد في الاصل فهو كما قال سابقاً النخع من إِياد وليس من مذحج.

وبذلك تكون قبيلة النخع من القبائل العدنانية اصالةً وليس من القبائل القحطانية في الاصل ؛ انما هم وردوا اليهم بالرواية المشار اليها انفه ، ولذلك فانه يختلف عن من نسب النخع ويتفق مع الذين نسبوا النخع الى العدنانية.

اما ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد فانه يتفق مع من ينسب النخع الى مذحج في الاصاله فيقول ؛ ان النخع ينصل بمذحج بجده ادد الذي هو والد مذحج .

ولقد تغنى شعراء قبيلة النخع بمذحج واخذوا منهم لهجتهم في اللغة العربية التي يتكلمون بها ويتميزون بمفرداتها .

وكذلك فان خيولهم كانت متميزة ورماحهم الدقاق وخيولهم العتاق ، كما وصفوا بذلك عندما قدموا على ابي بكر الصديق رضي الله عنه واشتركوا في حروب الردة وارسلهم رضي الله عنه في الفتوحات الاسلامية .

وكانت لهم مواقف عظيمة ومشهورة سواء اكان من الرجال والنساء ولقد عرفوا بالشجاعة الفائقة والاخلاص والوفاء .

وما قاله ابن حزم ((بنو جسر وهو النخع بن عامر ولد النخع بن عامر بن علة ابن مالك وعوف وهو المشر من بطونهم ...))[3] ، واخذ ابن حزم بعدد بطون النخع كما جاء سابقاً عند السويدي والقلقشندي الى ان يقول : ((...ومنهم ابراهيم بن الأشتر ، واسمه مالك بن الحارث بن خديجة بن سعد بن مالك بن نخع...))[4] .

غير ان ابن حزم جعل اسم عمرو (عامر) وهو والد جسر (النخع) والمتفق عليه اسمه (عمرو) ، ولقد تم التصحيح من قبل المحقق في الهامش بقوله ((النخع ابن عامر كذا وقع لأبن حزم ويشهد به توافق النسخ جميعها وقوله في العنوان وهؤلاء بنو جسر أخيه ويعني به أخا مسيلمة بن

---

1) ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر : تاريخ ابن الوردي ، (ط 2 ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 1389هـ ، 1969م) ، ج 1، ص 120 .

2) ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد : العقد الفريد ،(ط 1، المكتبة التجارية ، مصر ، 1353هـ - 1935م) ، ج2 ، ص 257.

3) ابن حزم ، أبي محمد علي بن احمد بن سعيد : جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، (ط 1 ، دار ، القاهرة ، 1382-1962) ، ص 414 .

4) المصدر نفسه ، ص414

عامر بن عمرو بن علة وهو سهو من ابن حزم ... وهو (النخع بن عمرو وبن عله)[1] .

ولقد ترجم ابن خلكان الى الفقيه ابراهيم بن يزيد النخعي بقوله ((ابراهيم النخعي أحد الأئمة المشاهير ...ونسبته الى النخع ، بفتح النون والخاء المعجمه وبعدها عين مهملة ، وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن ، واسم النخع جسر بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد وانما قيل له النخع لأنه أنتخع من قومه أي أبعد عنهم وخرج منهم خلق كثير وقيل في نسبه غير هذا ، وهذا هو الصحيح نقلته من جمهرة النسب لابن الكلبي))[2] ، وقوله عبارة (وقيل في نسبه غير هذا) هو ما نسب النخع الى إياد بن معد بن نزار بن عدنان .

وفي العودة الى ابن حزم حيث انه جعل النخع من مذحج في الاصاله واخذ يعدد بطون النخع كما جاء في نهاية الارب للقلقشندي وهو يورد اسم ارطأه بن كعب بن سراحيل بن كعب بن سلامان بن عامر بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع .

وقد وفد هذا (أي ارطأه) على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فعقد له لواء شهد به القادسية فقتل ، فأخذه اخوهُ دريد وابن عمة الحجاج بن ارطأه بن نورين بن هبيره بن شرحبيل بن كعب بن سلامان .

وقال ابن حزم ايضاً منهم القاضي شريك بن عبد الله بن شريك واسمه الحارث بن اوس بن الحارث بن الاذهل بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع [3]

ومنهم القاضي حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن عمرو بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن يشم بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع .

وبهذا فان حزم يوافق من نسب النخع الى مذحج ويخالف من نسبهم الى إياد بن معد بن نزار بن عدنان .

وجاء في تراجم الاعلام ترجمة ابراهيم بن الأشتر ((... والنخعي نسب الى النخع (بفتحَتيَن) قبيلة باليمن من مذحج...)[4] .وبذلك فأن المبرد في الكامل يذكر بان النخع متأصل في إياد اما في كتاب نسب عدنان وقحطان فيأصله في مذحج .

واما الشعر السابق الذي جاء في الكامل فلقد ذكره ابن أبي الحديد في نهج البلاغة مما يؤيد ما ذكر من أن النخع من إياد. [5]

ولقد اورد الأصفهاني في كتاب الاغاني [6] من قصة فيها ان النخع وثقيف من إياد حيث ان

1.) المصدر نفسه ، ص 415

2.) ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين احمد بن أبي بكر : وفيات الاعيان وابناء الزمان ،(ط 1 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1367- 1948) ، ج 1 ، ص 6.

3.) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص 415

4.) خير الدين زركلي : قاموس تراجم الأعلام لأشهر الرجال والنساء ، (ط 3 ، بيروت ، 1389- 1969) ، ج1، ص53

5.) ابن ابي الحديد ، عبد الحميد هبه الدين بن محمد : نهج البلاغة ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، (ط 1، بيروت ، دار الفكر ، دون تاريخ)، ج 3 ، ص416

6.) الاصفهاني ، ابو الفرح علي بن الحسين : الأغاني ، (ط 1، دار الثقافة ، بيروت ،1983)، ج4 ، ص74

النخع بن عمرو بن الطمثان بن عبد مناه بن يقدم بن أفصي بن دعمي ابن إياد وان ثقيف قيس بن منبه بن التبت بن يقدم بن افصي بن دعمي ابن إياد ، وهو يتفق في ذلك مع البلاذري في الرواية التي أوردها سابقاً حيث ان النخع هاجر الى بيشة في اليمن (*).

وبذلك فان خير الدين زركلي في قاموس تراجم الاعلام لأشهر الرجال والنساء، فلقد ترجم الى ابراهيم بن الاشتر والى ابيه ولقد اوضح بان قبيلة النخع من مذحج وموطنهم اليمن .

والطبري في رواية بان النخع هو من مذحج ثم يعدد سلسة حسب ما تقدم . ولكنه يأتي في رواية اخرى وهذه هي عادته ينسبهم الى إياد حسب رواية ما ذكر من التقاء مالك الاشتر في معركة اليرموك مع العلج الرومي في مبارزته وقال له خذها وانا الغلام الايادي . حيث ان الاشتر عاد الى نسبة المتأصل في إياد ولكنه لم ينكر مذحج في الولاء فهو تغنى بها في كثير من مواقفه كما جاء فيه وقعة صفين .

والاصفهاني من المؤيدين وبقوه الى ان النخع اسمه (جسر) ولكنه سمي بالنخع لانتخاعة عن قومه إياد والتحاقة باليمن ببيشة ، وانتسابه الى مذحج بالولاء والخؤولة وذلك لكونه مطلوب بثأر مصدق الملك وخوفه على نفسه من القتل .

وبما ان منطقة (بيشة) هي تقع بوادي غناء كثير الشجر والمزارع فلقد استطاع (جسر) الذي سمي النخع فيما بعد ان يكون له مأوى ورزق وتتابع اولاده واحفاده فيما بعد .

وجاء في انساب القبائل العراقية وغيرها للقزويني ((النخع قبيلة باليمن رهط مالك الاشتر وابنه ابراهيم النخعي وهو نخع في بن عمرو بن عله بن جلد ابن خالد بن ادد وهو من منجح))[1] .

أما المبرد في نسب عدنان وقحطان ينسب النخع الى سعد العشيرة من مذجح بقوله ((النخع هو جسر بن عمرو بن عله من بطون سعد العشيرة))[2] ، غير ان المبرد في كتابة الكامل فانه يذكر شعراً لاخت مالك الاشتر تذكر فيه بأن قبيلتها (النخع) من إياد بن نزار بن معد بن عدنان وهو ماروٰاهُ ابو البقضان وكان متعصباً تقول فيه

ونصحب مذحجاً بأخاء صدق — وان ننسب فنحن ذري إياد [3]

وفي ابيات شعر ليحيى بن نوفل يهجوا فيها العريان بن الهيثم النخعي وكان العريان قد تزوج من ولد هاني بن قبيصه وكانت عند الوليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها العريان فيقول ابن نوفل فيه :

أعريان ما يدري أمرء سيل عنكموا — أمن مذحج تدعون أم لإيادِ

فان قلتموه من مذحج ان مذحجـــاً — لبيض وجوه غير جد جعادِ

---

*) بيشه : بالهاء اسم قرية في وادٍ كثير الاهل من بلاد اليمن ، الحموي م.ن ، ج 2.

1) القزويني ابي جعفر محمد المهدي بن الحسين : انساب القبائل العراقية وغيرها ، تحقيق ، عبد المولى الطيريحي ،(ط 2 ، مطبعة النبراس، من النجف الأشرف ، 1412- 1991) ، ص 131.

2) المبرد ، ابي العباس محمد بن يزيد : نسب عدنان وقحطان (ط 1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1354- 1936) ، ص 39 .

3) المبرد ، ابي العباس محمد بن فريد : الكامل ، تحقيق ، محمد ابو الفضل والسيد شحاذه ، (ط 1 ، مصر ، دار النهضة ، دون تاريخ) ، ج4 ، ص 203 .

وانهم صغار الهامِ حدل كأنمـــــا وجوهكموا مظلية بســـوادِ

فان قلتم الحي اليمانون اصلـــــنا وناصرنا في كل يوم جـــلادِ

ويقول المبرد قول الشاعر أمن مذجح تدعون أم لإيادِ فبنو مذجح بنو مالك بن يزيد ابن عريب بن كهلان بن سبأ بن يشعب بن جهرب بن قحطان ، وإياد بن نزار بن معد بن عدنان [1]

والذي يمكن الاطمئنان اليه هو ان الحموي ساق هذه الرواية في معجم البلدان واكد هجرة (النخع) والذي اسمه جسر الى بيشه في اليمن من قصة مطولة من باب الطائف وهذا يدل على ان النخع (جسر) هو ليس متأصلاً في مذجح وبلاد اليمن[2]

ويأتي البكري ليلقي شهادته في هذا المضمار في كتابه معجم ما استعجم ليؤكد بأن النخع من إياد بالاصاله وفي مذحج بالناقله والولاء حيث يولي فيقول ((تيامنت النخع وهو جسر بن عمرو بن الطمثان ابن عورة مناه بن يقدم بن امضي بن دعمي بن إياد بن نزار فنزلت بيشه وما والاها من البلاد واقاموا بها مضاروا من مذحج في ديارهم وانتسبوا اليهم فقالوا : النخع بن عله بن جلد بن مالك بن ادد ابن يزيد وثبتوا على ذلك الا طائفةً فهم يقرون بنسبهم ويعرفون اصلهم ...))[3] .

واستشهد البكري يقول لقيط بن يعمر الايادي كشاهد وهو يحرض قبيلة إياد على كسرى ويعيبهم بتركهم النخع في بيشه باليمن قائلاً :

ولا يدع بعضكم بعضاً لنائبه كما تركتم بأعلى بيشه النخعا

وهذا تأكيد لا يقبل الشك من قبل البكري بأنتساب النخع الى إياد .

واما ما ذكره هشام عن الكلبي عن ابي صالح قال : ذكر ثقيف والنخع عند ابي العباس فقال : ان ثقيف والنخع ابنا خاله وانهما خرجا للصيد ومعهما غنيمة لهما فيها شاة معها جدي لها فعرض لهما مصدق لبعض ملوك اليمن فاراد اخذ الشاة ذات الجدي فقالا لهُ خذ منها ما شات فقال : هذه الشاة الحلوب التي اريدها قالا : انما نعيش ويعيش جدها منها فخذ غيرها .

ولكن مصدق الملك اباه الا اخذ الشاة قال ابن العباس فنظر احدهما الى صاحبة ان اقتله فاشار احدهما الى صاحبة والله ما تحملنا ارض واحدة فأما ان تغرب واشرق واما ان تشرق واتغرب .

فقال قسي وهو ثقيف فانا اغرب وقال النخع واسمه جسر فاني اشرق قال ابن عباس فمضى النخع حتى نزل في اغلى بيشة باليمن فلما كثر ولده تحول الى الدثنيه الى اخر القصة . وهذه القصة تطابق القصة التي اوردها الاصفهاني في الاغاني السابقة .

وهذا يدل على رحيل (جسر) الذي سمي فيما بعد بالنخع الذي ابعد عن قومه وذلك بسبب قتل مصدق الملك والخوف من القصاص فالتحق باليمن واعتبر فيما بعد هو وذريته بطن من بطون مذحج .

ثم يأتي البلاذري ليدلو بدلوه في هذا المضمار ويقف امام محكمة التاريخ معلناً بكل وضوح

---

1) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 109.

2) الحموي ، ياقوت شهاب الدين ابن ابي عبد الله : معجم البلدان ، تحقيق ، (ط 1 ، دار صياد ، بيروت ، 1995م) ، ج 6 ، ص210

3) البكري ، عبد الله بن عبد العزيز بن مصعب : معجم ما استعجم ، (ط 1، القاهرة ، 1949) ، ج 1 ، ص 63.

متفقاً مع بعض من سبق ذكره في كتابه انساب الاشراف حيث يذكر قصه خروج النخع (جسر) وثقيف الى الصيد وقتلهما لطليعة ملك اليمن الذي اراد سلب الشاه الحلوب منهما وقول احدهما للآخر اما تشرق او تغرب والعكس فذهب (جسر) الى بيشه في اليمن ولذلك الى إياد ، وان ثقيف ذهب الى الطائف ، مما يؤيد بأن النخع هو ينسب الى إياد اصاله والى مذجح بالولاء[1]

أما المؤرخ النسابة السمعاني فلم تفوته هذه القبيلة ليحدد موقع من نسبها بقوله ((النخع بفتح النون والخاء المعجمة بعدها العين المهملة هذه النسبة الى النخع ، وهي قبيلة نزلت الكوفة وهو جسر بن عمرو بن عله بن جلد ابن مالك بن ادد))[2] .

والسمعاني هنا يذكر نزول قبيلة النخع في الكوفة عند تمصيرها في سنه (17)هـ ، ولم يوضح السمعاني عن كيفيه سكن قبيلة النخع في الكوفة وما هي الاسباب التي ادت الى سكنهم بل انه يشير الى ذلك فقط .

والواقع ان هذه القبيلة (النخع) اختطت لها في الكوفة عند تمصيرها بعد معركة القادسية حيث ان سعداً بن ابي الوقاص طلب من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخاذ قيروان ومركزاً لجيشه فأمره ان يتخذ موضعاً حيث ما تعيش الابل لان العرب يوافقون ذلك فاتخذ الكوفة مقراً للجيش .

وتم تمصير الكوفة لانها على اطراف الصحراء من الناحية الغربية والفرات من الناحية الشرقية وتؤذي الى المدينة المنورة حيث لا يوجد بينهما وبين مقر الخلافه حاجز من جبل او ماء .

وصارت هذه القبيلة النخع مع مذحج في اليمن في الجهة الشرقية من مسجد الكوفة وهي من مؤسسي هذه المدينة التي صارت حاضرة الدولة الاسلامية فيما بعد .

حيث اختطت الكوفة على اساس الجانب الشرقي والجانب الغربي واجريت القرعة فكانت الجهة الشرقية لاهل اليمن والجهة الغربية لمضر وان الجهة الشرقية هي احسن من الغربية لقربها من نهر الفرات ووجود بساتين النخيل وارض السواد .

هذا وان النخع صاروا من ضمن الجهة الشرقية واختطوا منازلهم فيها وان مسجد الكوفة وقصر الاماره في المنتصف .

واما من يعتبر هذه القبيلة متأصلة في مذحج ، اين عبد ربه في العقد الفريد ، والسمعاني ، والقلقشندي ، وابن قتيبة في المعارف ، وابن خلدون والطبري في رواية وابن حزم وابن الوردي وأخرين .

ولقد تكاثرت ذرية جسر (النخع) في بيشة في اليمن وانتسبوا الى مذحج بالولاء على ما ظهر من شهادة من ادلى بذلك في المصادر الاساسية الانفه الذكر وصاهروا مذحجاً وصاروا منهم ، وتعلقوا بهم غير انهم لا ينكرون اصلهم ، فلقد قال مالك الاشتر عند مبارزته للرومي في معركة اليرموك على

---

1. البلاذري ، احمد بن يحيى : انساب الاشراف ، (ط 1 ، دار المعارف ، مصر ، دون تاريخ) ، ج 1 ، ص27 .
2. السمعاني ، ابي سعيد عبد الكريم بن محمد بن ابي المظفر : الانساب ، (ط 1 ، لندن ن 1912م ، ج 5 ، ص 473 .

رواية الطبري ((خذها وأنا الغلام الايادي))[1] .

موطن قبيلة النخع في الجاهلية والاسلام :

وبهذا فأن موطن النخع في الجاهلية في اعلى بيشه في بلاد اليمن فهي مساقط رؤوسهم ، ومنبت جذورهم ، ومنها انتشروا ، وفيها تكاثروا فكانت صولاتهم في الجاهلية .

ولقد نزلت هذه القبيلة في الكوفة بعد تمصيرها كما سبق واشترك افرادها في معركة القادسية بعد اليرموك ، اما كيفية نزول قبيلة والاشتراك في الفتوحات الاسلامية ، فلقد تحدث الطبري في اشتراك قبيلة النخع في معركة القادسية بقوله ((واهل اليمن ألفان وثلاثمائة ومنهم النخع ابن عمرو وجميعهم يؤمئذٍ اربعة الاف ، مقاتلتهم وذراريهم ونساؤهم واتاهم عمر في معسكرهم فأرادهم جميعاً الى العراق فأبوا الا الشام وابا الا العراق فمسح نصفهم فامضاهم الى نحو العراق وامضى النصف الاخر نحو الشام))[2].

شهادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بن نخع بالشرف :

ويذكر الطبري حول شهادة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقبيلة النخع بالشرف ((ان عمر أتاهم في معسكرهم فقال : ان الشرف فيكم يا معشر النخع لمتربع سيروا مع سعد فنزعوا الشام وابى الا العراق ، وابوا الا الشام فسرح بعضهم الى العراق))[3] .

وهذه شهادة كبيرة بالشرف الى قبيلة النخع شهد لهم فيها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو العالم بالانساب والمقوم لهم بذلك وشهادته لهم محل اعتزاز لهذه القبيلة .

والظاهر هنا ان النخع تم ارسالهم الى الفتوحات الاسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانهم قدموا على عهد الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه مع اهل اليمن تحت راية مذحج ولهذا قال الازدي في فتوح الشام ((وجاءت فيها قيس بن عميرة المرادي ومعه جمع عظيم من قومه فيهم الحجاج بن عبد يغوث))[4] . والنخع من ضمنهم واشتركوا في الفتوحات الاسلامية في الشام والعراق وغيرها .

الأسس التي وضعت العرب عليها انسابها :

لقد وضعت العرب الأسس التالية التي بنت عليها انسابها في الآصاله او الولاء وغير ذلك كالآتي :

(1) الولادة : وهي الأصل حيث ينسب الولد الى ابيه وهو الشرعي حيث يثبت في الحقوق وترتيب

1.) الطبري : تاريخ الطبري ، ج 4 ، ص 385
2.) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص385
3.) الطبري : تاريخ الطبري ، ج 2 ، ص385
4.) الازدي : محمد بن عبد الله : تاريخ فتوح الشام ، تحقيق ، عبد المنعم عبد الله (ط 1 ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1971) ، ص16

احكام الوراثة واحكام الاولياء في النكاح فيقدم بعضهم على بعض وفي المحرمات من النساء وما يجري على ذلك في احكام اخرى .

(2) الحلف : وهو ان ينتقل الشخص من قبيلة الآصلية الى اخرى لأسباب شتى منها طلباً للرزق او بسبب جريان دم او نفياً لأمر ما فينسب الى القبيلة التي تأويه بالنقل وليس بالاصل ويتزوج فيهم فيصير وذريته جزاءاً منهم وامثال ذلك خثعم وبجيلة فأنهم من العدنانية ، انتسبوا الى اليمن وكذلك النخع من ينسبهم الى إياد .

1- الرق والعبودية : وهو ان يأسر الشخص فيباع ويعتق فينسب الى القبيلة التي تم عتقه فيها.

2- الأدعاء : وهو ان ينتمي الشخص الى قبيلة معينه بالتبني فيقال فلان دعي القبيلة الفلانية ، وتاره يكون حليفاً لهذه القبيلة بالادعاء فيقال حليفهم .

ولقد جاء في نهاية الارب ((اذا كان الرجل في قبيلة ثم دخل في قبيلة اخرى جاز ان ينتسب الى القبيلة الاولى وان ينتسب الى القبيلة التي دخل فيها وا ينتسب الى القبيلتين معاً ...))[1].

ومن ذلك يستنتج الباحث ان قسماً من قبيلة النخع اشترك في فتوحات الشام وقسماً منهم في وقفة القادسية ، والظاهر انهم اجتمعوا اخيراً في العراق بعد ان ارسلهم ابو عبيدة بن الجراح مهدداً الى جيش سعد بن ابي وقاص وقائدهم وزعيمهم الاشتر النخعي ولابد ان معيته معه لأنهم بأمرته في قصه سوف يأتي ذكرها ومما يؤيد اشتراك النخع في القادسية رواية الطبري ((لم يكن من قبائل العرب احد اكثر أمرأه يوم القادسية من بجيله والنخع سبعمائه امرأه فارعة ،... وكانت النخع تسمى اصهار المهاجرين ...))[2].

ومما قاله الطبري عن من شهد القادسية قال : ((فلقد رأيت غلاماً من النخع يسوق ستين او ثمانين رجلاً من ابناء الأصرار فقلت : لقد اذل الله ابناء الاصرار))[3] .

وبهذا يستنتج الباحث مما تقدم بأن قبيلة النخع :

انها من اياد وهي متأصله فيهم وتأمله في مذحج عند من يرى ذلك من المصادر الأولية وغيرها وهو تصحيح قد توصل اليه الباحث ان صح ذلك .

اما من يرى غير ذلك من المصادر الأساسية وغيرها فأن قبيلة النخع متأصله في مذحج وهو ما عليه في الظاهر .

ان مساكن النخع في الجاهلية في بيشه من اعلى اليمن .

ان اغلب المصادر الأساسية ممن يذكر ان النخع من مذحج متأصله يقول ان النخع (جسر) قد انتخع عن قومه أي ابعد عنهم ، ولكنه لم يوضح للقارئ من هم قومه الذين ابعد عنهم ولماذا ؟ وهذا

---

1) القلقشندي : نهاية الارب ، ص21 .
2) الطبري : تاريخ الطبري ، ج2 ، ص408.
3) الطبري : تاريخ الطبري ، ج 2 ، ص205.

دليل على ان النخع هو لقب لقب به لأنتخاعه عن قومه الأصلين وهم اياد وانتسابه الى قومه بالولاء وهم مذحج .

ان من ينسب النخع الى اياد اورد حجته الدامغه وعلى ذلك فأنهم من اياد .

ان قبيلة النخع سكنت الكوفه بعد تمصيرها سنه 17هـ .

هذا ما يضعه الباحث وما توصل اليه للأطلاع على سفر هذه القبيلة العربية وما انجبته من الرجال الأفذاذ الذين أغنوا تاريخ الدوله الأسلامية بكفاءة وجدارة منقطعة النظير .

الفصل الأول

السيرة الذاتية لمــــالك الأشـــــتر

عندما يولد المرء يكون قد أخذ لهُ أسماً وموقعاً في الحياة ، وتتوضح ملامحه الأساسية ، حسب قوانين الوراثة ، وتظهر له شخصية مميزة ، وضعت عليها بصمات الجنيات الوراثية اسرارها الإلهية الأزلية في كينونتها قال تعالى ((هو اعلم بكم بان انشأكم من الارض واذا انتم أجنه في بطون امهاتكم))[1] .

---

[1]) سورة النجم : الآية 32.

وما بين الولادة والوفاه مسيره ، تقتضيها ، النشأة الأولى ، هي مزيج من الوراثة ، والاكتساب ، وما تعطيه من العادات والتقاليد ، وما يأخذ المرء من محيطه ، فهو يولد على الفطرة وجعل الله له نظام كامل في جميع جوانب الحياة قال تعالى ((أيحسب الأنسان ان يترك سدى))[(1)] .

اذن هي انطباعات المجتمع في بدايتها الأسرة ، وما تتركه من بصمات على حياة الفرد ايجاباً او سلباً او كليهما ، ومالك الأشتر ، كأي انسان من البشر ولد على الفطرة ، واكتسب حياة أسرته وما عليه من التقاليد السائدة والتربية البدائية ، ونشأ كأي عربي يعيش في بدايته بأخلاقيات ما قبل الأسلام ثم ينفتح قلبه للأسلام ، فيتنور بمفاهيم الأسلام التي هي الأنقلاب الفعلي على الحياة السائدة.

وتبقى هداية الله سبحانه وتعالى للبشر فهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء قال تعالى ((ومن أتبع هداي فلا يضل ولا يشقى))[(2)] .

ويقدم الباحث سيره مالك الأشتر كأحد رجال الأسلام ، ماله وما عليه كنمط من سلوكيات عصر صدر الأسلام ، بكل موضوعية وشفافية لا شيء سوى لأطلاع الجيل الحاضر بمأثر الأجداد وسيرهم وما أشْكلَ عبر التاريخ من مضاربات سياسية او طائفية او قومية او مذهبية ، وهذا ما يبتعد الباحث عنه ويحث الجيل الجديد بعدم التعصب والانغلاق والأطلاع على الحقيقة .

وينقسم الفصل الأول الى ثلاثة مباحث ، المبحث الأول ، ولادة مالك الأشتر وأسمه ونسبه والقابه وكنيته .

والمبحث الثاني نشأته قبل الأسلام ، ويتكلم المبحث الثالث عن تنقلاته والصفات التي تميز بها.

المبحث الأول

مالك الأشتر : ولادته واسمه ونسبه والقابه وكنيته

أ - ولادته :

ان العرب في الجاهلية لم يكن يعنيهم تثبيت تواريخ لميلادهم او وفياتهم حيث لم يكن هناك تدوين ؛ انما توجد مناسبات قد يشار اليها في هذا المضمار ، ومالك الأشتر ، لم يكن قد اشتهرت سمعته قبل الأسلام ، حتى يذكر مولده في مناسبة معينه كحرب البسوس او عام الفيل او غير ذلك ، ولكن هناك ومضات ، واشارات ، للتحديد التقريبي لولادته لقد كانت ولادته قبل الأسلام لأسباب عديدة منها

---

(1) سورة القيامة : الآية 38.

(2) سورة طه : الآية ، 123.

ففي معركة الجمل يذكر ذلك في شعره على انه شيخاً غير متماسك الأعضاء فعندما قدم على عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها بعد معركة الجمل عتبت عليه في مصارعته لأبن اختها ، اسماء عبد الله بن الزبير فقال في شعر له :

فنجاه مني في أكله وشبابه وانـي شيخ لم اكن متماسكا

في ابيات له سوف يذكرها الباحث في وقعه الجمل ، وبما ان عبد الله بن الزبير كان عمره أنذاك ست وعشرين سنه لأنه ولد في سنه الهجرة النبوية الشريفة الى المدينة المنورة ، وحرب الجمل وقعت في سنة ستة وثلاثون للهجرة ، فلابد ان يكون مولد الأشتر قبل البعثة النبوية بأكثر من عشرين سنة ، حتى يبلغ من العمر ما يضاف الى من سنة البعثة الى حرب الجمل فيكون ما يقارب السبعين حتى يكون غير متماسك الأعضاء .

وما ذكرهُ أسامة بن منقذ في كتابه لباب الأداب بأن مالك الأشتر بارز أبي مسيكمه وكان مالك معروفاً عنده ، وهو زعيم قومه ولا يبارز الا من ذوي الأسنان ودارت بينهما محاورة تدل على ان مالك من الرجال المعروفين أنذاك . وسوف تذكر هذه القصة في مناسبتها .

يستدل الباحث من ذلك حول تقريب ولادة مالك الأشتر :

ان ولادته قبل البعثة النبوية الشريفة .

انه ولد قبل عقدين من البعثة على اقل تقدير .

ان مالكاً كان معروفاً ومشهوراً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ان مالكاً كان مخضرم وانه ادرك الجاهلية والأسلام .

ب ـ نســـــــــبه :

مالك الأشتر ينسب الى جده النخع وأسمهُ (جسر) كما ذكر الباحث ذلك في التمهيد ، وكما جاء في جمهره انساب العرب لأبن حزم ((مالك بن الحارث ابن عبد يغوث بن سلمه بن ربيعة بن الحارث بن خزيمة بن سعد ابن مالك بن النخع))[1].

ويتبع المرزباني ابن حزم في معجم الشعراء في سلسلة النسب فصحح (سلمه) الى (مسلمه) الجد الرابع واسقط الحارث الثاني [2] .

اما ابن سعد في الطبقات فلقد اورد سلسلة النسب مع تسمية الجد الرابع (مسلمه) بدلاً من

---

1) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ؛ ص415.

2) المرزباني : معجم الشعراء ، ص266.

(سلمه)[1] ، وابن أبي الحديد في نهج البلاغة فلقد ذكر (مسلمه) الجد الرابع لمالك وصحح جذيمه الى خزيمه الجد السادس والحقَ النخع الى مالك بن أدد [2].

غير ان العسقلاني في الاصابه اورد اسم (سلمه) بدلاً من (مسلمه) الجد الرابع واسقط (سعد) الجد الثامن وصحح الحارث الى الحرث والد مالك [3] ، والطبري في تاريخه يذكر (مسلمه) بدلاً من سلمه [4] .

والأزدي في الأشتقاق فاورد النسب ((الاشتر ، هو مالك بن الحارث ابن عبد يغوث بن مسلمه بن ربيعة بن الحارث بن جذيمه ....))[5] .

وفي تهذيب التهذيب للعسقلاني ((مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمه بن ربيعه ابن الحارث بن جذيمه بن مالك بن النخع النخعي الكوفي المعروف بالأشتر أدرك الجاهلية ...))[6] .

وهذا ما توصل اليه الباحث من نسب مالك الأشتر من خلال المصادر الأولية الأساسية التاريخية حيث ان هناك بعض الأختلافات في التسمية قد يكون مردها الى اخطاء في النسخ او الطباعة او النقل .

غير ان هناك اتفاق حول (النخع) من حيث ان اسمه جسر وليس اسمه النخع الذي هو لقب له لأنتخاعه عن قومه أي الأبتعاد عنهم .

واضافه (الكوفي) كلقب ثاني بعد النخعي الى مالك الأشتر هو لسكنه الكوفه واعتبارها موطنه الثاني والذي استقر فيها هو وعائلته بعد حروب التحرير في القادسية وذلك في سنه (17 هـ) .

ج ـ اسمهُ وكنيته وألقابه

أولاً : أسمهُ :

الأسم الكامل له هو المالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمه الى جده النخع ، كما مر سابقاً وهذا الاسم مشهور عند العرب سواء العدنانية او القحطانية ومنهم مالك بن النضر ، ومالك بن ربيعه ومالك بن ادد وغيرهم .

ولعل هذا الاسم له مدلولات قد يأتي من الملك او التملك وما الملك الا لله قال تعالى ((قل مالك الملك ....الآيه)) .

ولقد اشتهر مالك (بالأشتر) حتى كاد ان يطغى على اسمهُ الحقيقي ولا يعرف الا به وقصته مع عبد الله بن الزبير معروفه في عدم معرفه الناس بمالك عند استغاثته بهم ولو انه نادى

1.) ابن سعد ، محمد بن سعيد : الطبقات الكبرى ، تحقيق علي محمد عمر ، (ط 1 مكتبه الخانجي ، القاهرة ، 2001م) ، ج8 ، ص 332
2.) ابن ابي الحديد : نهج البلاغة ، ج 15 / 74
3.) العسقلاني : الاصابه ، ص 482
4.) الطبري : تاريخ الطبري ، ص3 / 295
5.) الأزدي : الاشتقاق ، ص 404
6.) العسقلاني : تهذيب التهذيب ، (ط 1 ، دار اخبار التراث ، بيروت ، 1413هـ – 1993م) ، ج5 ، ص354

عليه بالأشتر لقتله الناس .

ثانياً : كنيته :

ان لمالك كنيه واحده وهو ابو ابراهيم ، وابراهيم هذا هو ابراهيم ابن مالك الأشتر والمشهور (بأبن الاشتر) ولقد تناول الباحث سيرته في رساله الماجستير الموسومه (ابراهيم بن الاشتر : دراسه في سيرته)[1] .

ومن حق مالك ان يكنى بأبي ابراهيم لما له من مواقف معروفه وشجاعة وبساله منقطعة النظير ، قال في حقه ابن خلدون ((هو ابراهيم ابن الاشتر سيد النخع وفارسها وقتل مع مصعب بن الزبير سنه اثنين وسبعين))[2] . ويناديه البعض بأبي ابراهيم احتراماً وتبجيلا له كونه اميراً وقائداً.

ثالثاً : ألقابه :

لقب مالك بالأشتر وكبش العراق

أ- لقب بالأشتر :

اما لقب الاشتر فلقد جاء في كتاب الاشتقاق للأزدي ((الشتر انشقاق جفن العين ، وبه سمي الأشتر النخعي))[3] . وذلك ما اورده الأزدي بخصوص مالك بن الحارث ، اما كيفيه شتر عينه فهناك روايتان ، الأولى ان عينه شترت في حروب الرده في عهد الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنهُ ، في جهاده عن الأسلام عندما ضربه ابو مسيكمه على رأسه في قصه سوف تذكر في حينها وهذا ما ذكرهُ فريق من المصادر الاساسية اما الفريق الآخر فيذكر ان عينه شترت في وقعه اليرموك ، عند مبارزته لرجل مشرك من الروم وقتله وما قاله المرزباني ((ضربه رجل من اياد يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قيحاً الى عينه فشترته ...))[4] .

ولقد وافق المرزباني المؤرخ العسقلاني في الأصابه ، وتهذيب التهذيب في ان عين مالك شترت في اليرموك .

اما الأزدي فيورد قصه شتر عين مالك في فتوح الشام بشئ من التفصيل (في كتابه فتوح الشام للازدي) .

اما ابن قتيبه في كتابه المعارف فيقول ((الأشتر النخعي ذهبت عينه يوم اليرموك))[5] .

وبذلك يستنتج الباحث بأن عين الأشتر فقئت في حروب الردة ولربما صافحت السيف مرةً اخرى في وقعه اليرموك .

1.) حسون ، نجاح عبيد ، ابراهيم بن الأشتر : دراسه في سيرته ، رساله ماجستير مقدمه الى جامعه سانت كليمنس ، غير منشورة ، 2006 م .
2.) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : العبر ، (ط 1 ، دار الكتب اللبنانية ، بيروت ، 1966م) ، ج1 ، ص81 .
3.) الأزدي ، ابي بكر بن الحسين بن دريد : الأشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، (ط2، مكتبه المثنى ، بغداد ، 1439هـ – 1979م) ، ص 297.
4.) المرزباني ، ابي عبد الله محمد بن عمران بن موسى : معجم الشعراء ، تحقيق عبد الستار احمد ، (ط2 ، دار احياء الكتب العربية، لبنان ، 1379هـ – 196م) ، ص263
5.) ابن قتيبه : المعارف ، ص586 .

ان عين مالك شترت في حروب الردة حسب قصه اسامه بن منقذ في كتابه لباب الأداب .

ان عين مالك صافحت السيف مرةً اخرى في وقعه اليرموك جهاداً في سبيل الاسلام وهو ما اتفقت عليه اغلب المصادر الاساسية .

وانه حصل على لقب الأشتر الذي غلب على اسمه وطغى عليه .

ب – لقب كبش العراق

الكبش في اللغة : قال الرازي في مختار الصحاح ((الكبش واحد ، والاكباش جمع وكبش القوم سيدهم))[1] .

اما كيفية لقب مالك بالكبش والمناسبة في ذلك فلقد لقب به في وقعة صفين حيث اورد ذلك نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين قال نصر نادى رجلُ من اهل الشام بشعر في سواد الليل سمعه الناس في قصيدة منها :

ثلاثه رهط هموا أهلها

وان يسكتوا تخمد الوقده

سعيد بن قيس وكبش العرا

ق وذاك المسود من كنده

وكبش العراق الأشتر والمسود من كنده هو الأشعث بن قيس وما قاله شاعر وقعه صفين النجاشي وكان شاعر أهل العراق في حينها ، عندما رد الأشتر أهل الشام على أعقابهم يقول النجاشي :

دعونا له الكبش كبش العراق [2]

وقد خالط العسكر العسكر

فرد اللواء على عقبـــــــــــــه

وحاز بحضوتها الأشتر

ولقد جاء هذا الشعر أيضاً عند الدينوري في كتابه الأخبار الطوال [3]

1.) الرازي : مختار الصحاح ، ص562 .
2.) المنقري ، نصر بن مزاحم : وقعه صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، (ط2 ، المؤسسه العربية الحديثة ، القاهرة 1382هـ) ص 260 .
3.) الدينوري : الاخبار الطوال ، تحقيق ، عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال ، (ط1 ، دار نشر اقتاب ، طهران ، دون تاريخ)،ص 147.

المبـحث الثـــــــاني

نشأه مالك الأشتر قبل الاسلام

ان الأشتر نشأ في بلاد قومه في مقاطعه بيشه الواقعه في اعلى اليمن وهي بلاد ذات خصب ونخيل واشجار وعيون ماء .

قال الرازي في كتاب مختار الصحاح ((اليمن بلاد للعرب والنسبه اليهم يمني ويمانٍ مخففة والألف عوض من ياء النسب فلا يجتمعان ، قال سيبويه : وبعضهم يقول يماني بالتشديد وقوم يمانية ويمانون مثل ثمانية وثمانون وأمرأه يمانية أيضاً ، وأيمن الرجل ويمن تيمناً ويأمن اذا أتى اليمن))[1]

وموقع اليمن كما جاء في كتاب الدولة الأموية لمحمد الخضري ((واما اليمن فهو ما كان جنوبي نجد الى ساحل بحر الهند ويمتد شرقاً الى حضرموت والبحر وعمان وفيه التهائم والنجد))[2]

ويتكلم الخضري عن جو اليمن ومناخها فيقول : ((اما جو اليمن وهواؤها معتدل في فصلي

) الرازي : مختار الصحاح ، ص1744

) الخضري ، محمد الخضري : الدولة الأموية ، تحقيق ابراهيم امين احمد ، (ط 1 ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، دون تاريخ) ، ص 2.15

الشتاء والخريف اما الربيع ففيه المطر الكثير والرطوبة التي تستمر زمناً طويلاً ويشتد به الحر في فصل الصيف))[1]

وفي اليمن وديان كثيرة منها ما يصب في البحر واعظم الوديان وادي زبيد ووادي ميزاب اليمن الشرقي ويصب فيه كثير من الوديان ويفضي الى سد مأرب[2]

وفي اليمن ومنطقة بيشه على وجه الخصوص ، درج مالك ، ونشأ ، وتربى تربية عربية أصيلة فأخذ الفصاحة من بدو الصحراء ، وتعلم الفروسية وتدرب منازلة الأبطال فصال وجال ، ثم انه قال الشعر ، وارتجل الخطابة .

وبذلك فأنه أدرك الجاهلية قبل الأسلام لابد أن يكون يافعاً عندما دخل في دين الأسلام ، فلقد جاء في تهذيب التهذيب للعسقلاني بعد أن أورد نسب مالك بقوله أنهُ مالك المعروف بالاشتر ادرك الجاهلية [3] وفي الاصابة ان له ادراك وكان رئيس قومه [4] .

وبذلك فأن مالك ادرك الجاهلية والأسلام ، ولقد هاجر في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع قومه الى المدينة المنورة ليشارك في الفتوحات الأسلامية ويرسم على وجهه علامة هي من أسمى علامات الجهاد وبها حصل على لقب (الأشتر) والذي طغى على أسمه ولم يعرف ألا به ففي وقعة صفين عند هزيمة ميمنة العراق قال : أيها الناس ألي أنا مالك فلم يأتيه ألا القليل واستدرك قائلاً : ألي أيها الناس أنا الأشتر لأنه كان مقنعاً بالحديد من أعلى رأسه ألى أخمص قدميه وأنه بالأشتر أعرف منه بمالك فألتف حوله الجيش ورد الميمنة وعندما تصارع مع أبن الزبير قال أبن تغري في كتابه النجوم الزاهرة ((وكان الأشتر شجاعاً مقداماً وقصته مع أبن الزبير مشهورة وقول ابن الزبير بسببه .

أقتلاني ومالكاً وأقتلا مالكاً معي

حتى صار هذا البيت مثلاً))[5]

فلم يلتفت الناس الى أسم مالك لكثرة ما أطلق على غيره فلو أنه قال أقتلوني والأشتر لتزاحم عليهما الناس .

وبهذا فان للأشتر حياتان الاولى ماقبل الاسلام وهي تكاد أن تكون مجهولة ألا ماندر منها ؛ انما يعرف من خلال قبيلته النخع واما الناحية الثانية فهي مفصلة تماماً الا ما ندر منها .

1.) المصدر نفسه ، نفس المكان
2.) المصدر نفسه ، نفس المكان.
3.) العسقلاني : تهذيب التهذيب ، 5/ 354 .
4.) العسقلاني : الأصابه ، 3/482.
5.) ابن تغري ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له محمد حسين شمس الدين ، (ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1413هـ – 1992م) ، ج1 ، ص 138.

المبحث الثالث

تنقلات مالك الأشتر والصفات التي تميز بها

كان مالك الأشتر قبل الاسلام شبه مجهول شأنه شأن الكثير حيث لم يظهر صيته بعد ، اما لصغر سنه او ان العرب انذاك لم يكن لديهم التدوين[1] والاهتمام بسير الرجال عدى ما حفظ وهذا يمحى بأندثار أهله وحفاظه غير ان هناك شذرات تدل على اقتباس من تنقلات واعمال الاشتر لابد للباحث العلمي ان يستدل منها بالاستقراء والتحليل والملاحظة العلمية والاستنباط .

فيذكر الواقدي ان مالكاً الاشتر شهد مواقع الامام علي عليه السلام عندما كان اميراً على اليمن وانه قدم مهاجراً مع قومه الى المدينة نزل في دار الامام علي كرم الله وجهه فيقول : ((... جاء جمع من اليمن وعليهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي رضي الله عنه يريد الشام فلما لبثوا حتى اقبل مالك بن الأشتر النخعي [مالك الأشتر] رضي الله عنه فنزل عند الامام علي رضي الله عنه بأهله وكان مالك يحب سيدنا علياً ، وقد شهد معه الوقائع وخاض المعامع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد عزم الخروج مع الناس الى الشام)) [2]

ان تحليل هذا النص يدل ويكشف عن تقريب تاريخ اسلام الأشتر وما سوف يتم بحثه في

---

(1) الربيعي ، نزار كريم جواد : الوثائق العربية في ارشيفات اوربا ، (ط 1 ، مكتبه الرجاء ، بغداد ، 1430هـ – 2009م) ، ص 66.

(2) الواقدي ، ابي عبد الله بن عمر : فتوح الشام ، (ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، دون تاريخ) ، ج1 ، ص 68.

مناسبته اما في هذا التحليل فيستقرء منه تنقلاته مما يدل على انهُ ازمع بالهجرة من بلاده ومسقط رأسه البيشه في اليمن الى المدينة المنورة في عهد الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه .

كما ان للأشتر مكانه مرموقه عند الأمام علي كرم الله وجهه ومواقف له مشهوده تدل على صحبه له سابقه قبل خلافه الأمام علي كرم الله وجهه .

وعلى ما يبدو ان مالكاً قد نبغ ونضج بما فيه الكفايه لكي يتولى زعامه قومه وقيادته في الفتوحات الأسلامية في الشام وله مواقف معروفه في هذه الفتوحات وذلك قبل اشتراكه في الفتوحات الأسلاميه في العراق ، ولقد نقلت المصادر التاريخية الأساسية مواقفه وشجاعته في هذه الفتوحات .

ولقد انتقل مالك الأشتر بأهله الى الشام والتحق بمن سبقه في الجهاد لكي يؤدي رسالته الجهاديه ويكمل ما التزم به من المبادئ التي آمن بها .

وما مر بنا سابقاً انه اشترك في حروب الردة جهاداً في سبيل الاسلام وقتله لأبي مسيكمه المرتد وشتر عينه فيمن يرى ذلك من من المصادر الاساسية ومنهم اسامه بن منقذ في كتابه لباب الاداب.

ولقد نزل الاشتر في دار الامام علي كرم الله وجهه ، وهذا دليل على انه قد تعرف على الامام علي وله معه صحبه سابقة ومحبة وأواصر قويه .

والواقدي هنا يجزم على ان مالكاً يحب الامام علي كرم الله وجهه قبل خلافته ونزل في داره مع اهله وهو دليل قوي بأن الأمام علي تعرف على مالك وأهله في اليمن والمعرفه هنا عائليه وصميميه .

وسوف يحلل الباحث البعض منها في سياق البحث القادم بشيء من التفصيل .

وينتقل مالك الى الشام حاملاً معه رسالته وأمنيته في الجهاد وجراحه ان صحت مبارزته لأبي مسيكمه ، ويلتقي هناك بأبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنهما وله معهما مواقف وصحبه ويشارك في الفتوحات الاسلامية بكل قوه وشجاعة فائقة وله في هذا المضمار جولات وصولات.

وبعد الفتوحات الاسلامية الباهرة في الشام ينتقل مالك الى العراق بعد ان ارسله ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه مع مجموعة الى العراق مدداً لسعد بن ابي وقاص في وقعة القادسية ومما قاله الدينوري في كتابه الأخبار الطوال ((... ان عمر رضي الله عنه كتب الى ابي عبيدة بن الجراح وهو بالشام ان يمد سعداً بالخيل فأمده بقيس بن هبيرة المرادي في ألف فارس وكان في القوم هاشم بن عتبه بن ابي وقاص وكانت عينه فقئت يوم اليرموك وفيهم الأشعث بن قيس والاشتر النخعي فساروا حتى قدموا على سعد في القادسية))[1]

هذا ولقد توطن مالك في الكوفه بعد تمصيرها سنه 17هـ مع قبيلة النخع واختطوا من الجانب الشرقي من المسجد الكبير الذي بناه سعد بن ابي وقاص وبهذا لقب الأشتر النخعي الكوفي فيما بعد

---

1) الدينوري : الاخبار الطوال ، ص 130 .

وكما سبق وله مأثر سوف نقف عندها في البحث وتنقلاته من الكوفه الى الشام ثم المدينة وكذلك ولايته على الجزيرة الفراتية ومصر .

شخصية الاشتر والصفات التي تميز بها

الشخصية في اللغة ما قاله الرازي في الصحاح ((الشخص سواد الأنسان وغيره تراه من بعيد وجمعه في القله (أشخص) وفي الكثرة (شخوص) و (اشخاص)))[1]

والشخصية هي مجموعة من الصفات البدنية والعقلية وهي نموذج لا يتكرر او يتشابه مع بعض حتى ولو بقدر معين والدليل هو اختلاف بصمات الابهام وخطط اليد قال نيوتن ((تقنعني الابهام بحقيقة وجود الله)) [2]

وتلك شخصية ادم الذي خلقه الله بيده وعلمه الاسماء كلها قال تعالى : ((وعلم ادم الاسماء كلها)) [3].

والشخصية القوية الأسره هي شخصية الرسول محمد علية الصلاة والسلام ففي السيرة النبوية لابن هشام والذي قال لعمه ابو طالب ((... والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر لم اتركه حتى يظهره الله او اهلك دونه ...))[4]

وشخصية مالك الاشتر شخصية الرجل الشجاع الذي يفرض نفسه في كل موقف وهو الذي لم ترد له رايه او ينكسر له جيش ولقد ابدى في فتوحات الشام والعراق من بطوله فريده ، وفقد بسبب مبادئه النبيله اعز ما يملك وهو عينه والجود بالنفس اغلى غاية الجودة .

ومالك بن الحارث الأشتر كان من ذوي الصفات البدنية التي هي من صفات الأبطال الشجعان وكان يدخل الرهبه في صفوف الأعداء بغنائه الذي يقطر حماسةً وقامته المديده .

ومثل هذه الشخصية كانت الفتوحات الأسلامية في الشام والعراق بحاجه الى امثالها ، لتعزيز المواقف ومواصله الفتوحات وادخال الرهبه في صفوف الاعداء الذين كانوا يتحاشون مبارزته ويخافون من مجرد صوته .

شجاعة الأشتر

واما تعريف الشجاعة في اللغة : ((الشجاعة شدة القلب عند البأس وقد شجع الرجل من باب ظرف فهو (شجاع) وقوم (شجعه ، و (شجعان ...)[5]

وشخصية الأشتر متميزة سوف يتم الأطلاع على ماهيتها من خلال البحث واهم صفاته

---

1. الرازي : مختار الصحاح ، ص **331**
2. أ. ب مفرج : اعرف نفسك والاخرين ، (ط **1** ، مكتبة البستان ، الأشرفيه ، دون تاريخ ، ص **106**)
3 سورة البقرة : الآيه **31**

4. أبن هشام ، محمد ابن عبد الملك ، تحقيق احمد جاد ، (ط **1** ، دار الغد الجديد ، القاهرة ، **2003**م) ، ج**1**، ص **207**
5 الرازي : مختار الصحاح ، ص **330**

الشجاعة المفرطة التي امتاز بها وصارت من اساسيات شخصيتة وشهد له بها الأعداء قبل الأصدقاء وسوف يورد الباحث جزءاً من شهادتهم على ذلك .

وما قاله ابن ابي الحديد في نهج البلاغة لشهادة كبيرة له في الشجاعة حيث يقول (لله در ام قامت عن الأشتر لو ان انساناً يقسم ان الله ما خلق في العرب ولا في العجم احداً أشجع منه الا استاذه علي بن ابي طالب لما خشيت عليه الأثم ...))[1]

وما قال ابن عبد ربه في العقد الفريد ((قال عبد الله بن الزبير التقيتُ مع الأشتر يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني خمساً او ستاً ثم اخذ برجلي فألقاني في الخندق وقال والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو))[2]

والبلاذري في انساب الاشراف يقول ((... واقتتل مالك الأشتر وعبد الله بن الزبير فأختلفا ضربتين ثم تعانقا حتى خرا الى الأرض يعتركان فحجز بينهما اصحابهما وكان عبد الله بن الزبير يقول حين اعتنقا : أقتلوني ومالكاً ، وكان الأشتر يقول اقتلوني وعبد الله ، ان ابن الزبير لو قال اقتلوني والأشتر ، وان الأشتر لو قال اقتلوني وابن الزبير لقتلا جميعاً وان الأشتر يقول ما سرني بإمساكه على ان يقول الأشتر حمر النعم وسواها))[3] .

وهذا غيض من فيض في شجاعته مالك الأشتر التي صارت مضرب الأمثال فيما سوى يظهر لاحقاً ، وأية شجاعه هذه التي يؤكد ابن ابي الحديد (ت 655هـ) بأنه لو اقسم أي ادى القسم من اراد ذلك بأن ليس لشجاعته مثيلاً في عصره سوى الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما كان عليه أي تبعيه شرعيه لأنه قد قال الحق في شخصيته .

وسوف يورد الباحث شواهد على ذلك فيما يأتي ومنها كيف ان السيده عائشه ام المؤمنين رضي الله عنها قد جزعت وحزنت عندما سمعت بأن مالك الأشتر قد بارز ابن اختها اسماء واعطت جائزه لمن بشرها بسلامته .

ثم يضيف صاحب انساب الأشراف البلاذري بقوله ((قيل لعائشة هذا الأشتر يعارك عبد الله فقالت : والأثكل اسماء ووهبت لمن بشرها بسلامته مالاً))[4]

ولقد شهد الأزدي في كتابه فتوح الشام بشجاعة الأشتر بقوله ((ان الأشتر كان من جلداء الرجال ومن أشدائهم وأهل القوة منهم والنخوة وانه قتل في يوم اليرموك قبل ان ينهزموا احد عشر رجلاً من بطارقتهم وقتل منهم ثلاثة مبارزة)) .[5]

وما قاله العسقلاني في كتابه الاصابه ((... شهد [الأشتر] الجمل وصفين وابدى يومئذٍ عن

1.) ابن ابي الحديد : نهج البلاغة ، 1/ 185
2.) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، 1/ 63
3.) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر : انساب الاشراف ، تحقيق سهيل بركات ، (ط 1 ، دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ ، ج 3 ، ص 39
4.) البلاذري ، المصدر السابق ص 39
5.) الأزدي : فتوح الشام ، ص 210

شجاعة مفرطة ...)). [1]

وما قاله ابن ابي الحديد أيضاً في شجاعة الأشتر ((والأشتر هو الذي عانق عبد الله بن الزبير يوم الجمل فاصطرعا على ظهر فرسيهما حتى وقفا على الأرض فجعل عبد الله بن الزبير يصرخ من تحته اقتلوني ومالكاً فلم يعلم من الذي يعنيه لشده الأختلاط وثوران النقع ...)) [2]

ومن شجاعه الأشتر قتله للعلج الرومي في الشام والذي لم يستطع احد ان يبارزه وهو واثق من نفسه بباس شديد وقوة قلب واطمئنان وايمان بالله لا يتزعزع .

اما اعادته الى ميمنه اهل العراق عند هزيمتهم في وقعه صفين فهي شجاعه وتأثير في الناس الذين اعادهم وهذا يدل على قياده حازمه وثقه كبيره من الجيش بشخصيته .

وقوله لأمام علي عليه السلام عندما انشق عليه الجيش في وقعه صفين وصار على قاب قوسين او ادنى من النصر (اقلب الصف على الصف تصرع القوم) وهي شجاعه قلما مثيلها سوف يذكرها الباحث في وقعه صفين من مصادرها الأوليه .

هذا وسوف يتم الأطلاع على مواقف مهمة من شجاعتة في الفصول اللاحقة من الفتوحات الاسلامية والحروب الداخلية وبهذا يتضح ان شجاعة مالك الأشتر قد اتفقت عليها المصادر الاولية الاساسية دونما استثناء وهو مالم تتفق على صفة اخرى فيه لأن ذلك واضح وبين وهو لا يمكن اخفاءه من قبل من قدح به او عاداه .

اما صفاته الشخصية الأخرى فلقد كان مديد القامه وهو من الجسامة والضخامة بأنه يركب الفرس وقدماه تخطان الأرض لفرط طوله ، مما يرهب الرجال والفرسان ، قال ابن حبيب في كتابه المحبر من كان يركب الفرس من الرجال الطوال فتخط ابهاماه في الأرض وعددهم فقال : ((جذيمة بن علقمة بن فراس ... وزيد الخيل بن مهلهل الطائي وعدي بن حاتم الطائي ومالك الأشتر بن الحارث النخعي...)) [3] وهم من السادة الطوال .

وكان مالك الأشتر فقئت عينه في حروب الردة او اليرموك او كلاهما وهو من العوران الاشراف ولقد عدد ابن حبيب في كتابه المحبر وهو يعدد العوران الأشراف والأشتر منهم قائلاً ((ابو سفيان بن حرب يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم عمي فيما بعد (أميه) بن عبد شمس ثم عمي (المغيرة) بن شعبه الثقفي يوم الحديبية (الاشعث) ابن قيس الكندي يوم اليرموك (هاشم بن عتبه) بن ابي وقاص يوم اليرموك ... (مالك الاشتر) النخعي يوم اليرموك)) [4]

اما صفات الأشتر في لباس الحرب فلقد اورد ذلك نصر ابن مزاحم في وقعة صفين بالقول ((عن الحر بن الصباح النخعي ان الأشتر كان يومئذ [في صفين] يقاتل على فرس له وفي يده صفيحة

) العسقلاني : الأصابه ، 1/ 1482

[2]) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، 15/ 76.

) ابن حبيب ، ابن جعفر بن عمرو : المجر ، رواية ابي سعيد السكري ، (ط 1 ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، دون تاريخ) ، 3 ص 223.

) المصدر نفسه ، ص 302 ، 4.303

يمانية اذا طأطأها خلت فيها ماء منصباً فإذا رفعها كاد يغشى البصر شعائها ويضرب بسيفه قدماً وهو يقول :الغمرات ثم ينجلينا [1]

ويحمل الأشتر الرمح ويقاتل به ويحمل القوس ولم يقاتل به ، هذه هي شخصية الأشتر الفذه وشجاعته المفرطة كما اوردتها المصادر الاساسية بكل حيادية وموضوعية سواء منها التي له او التي عليه.

الفصل الثاني

مالك الأشتر من البعثة النبوية إلى خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

(من البعثة – 23هـ)

مما لاشك فيه أن الجزيرة العربية أفاقت على حدث من الأهمية ، بحيث غير مجرى حياتهم الرتيبة التقليدية رأساً على عقب ، فكانت البعثة النبوية الشريفة بمثابة الثورة العارمة على التقاليد البالية وكأنها التصحيح الجذري لكل ما علق في الذهن من تراكمات وبصمات وراثية ومكتسبة وكأنها المنهج الأزلي والديدن السرمدي الذي عنه لا يحيدون وبدينه يؤمنون ، فإلهتهم الأصنام وسياستهم الغزو والثأر والأوهام والانتقام والربا والجشع ، يأكلون السحت الحرام ، والقوي منهم يقهر الضعيف ويقيم الحدَّ على الفقير ويعفون منه الشريف. حتى بعث الله فيهم من يخرجهم من الظلمات إلى النور ويقهر الطاغوت ويطعن الجبروت بسيف الحق والعدالة ، ونهض الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بهم نحو الأفق الأعلى والسمو العظيم ، فكان رحمة للناس كافة ، قال تعالى: ((قُلْ يا أيها الناسُ إنّي رسولُ الله إليكم جميعاً))[2] .

فالرسول الكريم جاء بأصول وقواعد أساسية من حيث المكان والزمان ، حيث أنه أرسل إلى كافة البشر بدعوة عالمية ، وهو ليس لقومه فقط وإنما لكافة الأقوام في جميع أرجاء المعمورة ، لا يقطعه بحر ولا يغرقه محيط ، هذا من ناحية المكان. أما من الناحية الزمانية فإن هذه الرسالة مشرعة من قبل الله تعالى إلى آخر الزمان ، وهو خاتم الأديان جميعاً ، قال تعالى: ((اليومَ أكملتُ لكم دينَكم

1.) المنقري : وقعه صفين ، ص 254 .
2.) سورة الأعراف: الآية (158).

وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا))[1].

وبهذا فإن دعوة الحق جاءت من مكة فرددت صداها جبال ووديان وصحراء الجزيرة العربية قبل البشر ، ودخلت في أعماق الكون كتشريع سماوي طال انتظاره. فمالك الأشتر كفرد من هذا الموج الهائل من الموجودات في عصره أن يتفحص هذا السيل العارم من المبادئ ، بعد أن رأى سيل العرم وطفحه على سد مأرب ، فليس أمام سيل الإسلام سدٌّ يقف في وجهه أو مبدأ يصمد أمام صحته ، فهو دعاء إلهي قد هيأه الله على يد خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه واله وسلم).

المبحث الأول

كيفية إسلام مالك الأشتر في عهد الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

لم تتحدث المصادر الأساسية الأولية عن كيفية وتأريخ إسلام مالك الأشتر غير ذكر بأنه أدرك الجاهلية والإسلام. فلقد جاء في معجم الشعراء للمرزباني ((مالك بن الحارث بن عبد يفوث ، فارس ، شاعر ، أدرك الجاهلية والإسلام))[2].

فمالك الأشتر إذن مخضرم من الجاهلية والإسلام ، والظاهر أنه أسلم في حياة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، وحسُن إسلامه. ويمكن تقريب ذلك بما يستنتج من الأحداث وإسلام أهل اليمن عامة ، وقبيلة ومنها النخع خاصة. وأن مالكاً الأشتر قد أسلم مع قومه ، فالمصادر الأساسية لم تذكر أفراد القبيلة بأسمائهم إلا البارزين منهم آنذاك ، ومالك لم يكن من البارزين في ذلك الوقت.

ومالك قد أدرك صاحب الرسالة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، وقد جاء في الإصابة للعسقلاني ((هو مالك بن الحارث الأشتر النخعي الكوفي ، أدرك رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ....))[3]. فهو أدرك عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ولكنه لم يتشرف ويوفق بمقابلته شخصياً كما يبدو ، إنما سمع حديثه والانتهال من معين الإسلام مع قومه ، حيث أن مالكاً لم يكن قد ظهر صيته بعد ، ولم يكن من ذوي الأسنان والشهرة حتى تذكره المصادر التأريخية الأولية ، وتـُعنى بكيفية إسلامه ، ولكن الإشارة إلى أنه أسلم مع قومه في حياة الرسول محمد (صلى

---

1) سورة المائدة: الآية (3)
2) المرزباني: معجم الشعراء ، ص 91
3) العسقلاني: الإصابة ، 3\459

الله عليه واله وسلم).

جاء في الإصابة للعسقلاني في اسم مالك ((القسم الثالث من كان في عهد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، ويمكن أن يسمع منه ولم ينقل أنه سمع منه ، سواء أكان رجلاً أو مراهقاً أو مميزاً))[(1)].

وذكر العسقلاني مالك الأشتر تحت رقم (8341) ممن يشملهم التعريف السابق.

وفود اليمن:

ففي سنة تسع للهجرة جاءت الوفود إلى الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ومنها وفود اليمن ، وفيهم قبيلة مذحج ومنها النخع ، ولقد ذكر ابن هشام في عنوان ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح ، قال ((قال ابن اسحق لما فتح رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ، خرجت إليه وفود العرب من كل وجه))[(2)].

وبصدد وفود اليمن منهم قدوم عمرو بن معد يكرب في إناس من زبيد ، حيث قال ابن هشام ((وقدم على الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) عمرو بن معد يكرب في إناس من زبيد فأسلم ، وكان عمرو قد قال لقيس بن المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : يا قيس إنك سيد قومك وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قريش يُقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول أنه نبي))[(3)]. ثم أردف ابن هشام ((..... فانطلق بنا إليه نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عليك ، وإن لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفّه رأيه فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وصدقه وآمن به))[(4)].

ثم جاء بعد ذلك وفد كندة يتقدمهم الأشعث بن قيس وكذلك خروج وفد الأزد ، قال ابن سحق ((وقدم على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) صرد بن عبدالله الأزدي فأسلم وحسُن إسلامه في وفد من الأزد ، فأمره رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) على قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان من أهل الشرك من قبل اليمن))[(5)].

وكذلك قدوم رسول ملك حمير وكتابة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بكتاب يعلمهم فيه أصول الدين في الإسلام ، وقد أرسل (صلى الله عليه واله وسلم) معاذ بن جبل إلى اليمن وإسلام بني الحارث على يد خالد بن الوليد[(6)].

وفي هذه السنة سنة عشرة للهجرة وفيها إسلام همدان على يد علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ، قال ابن خلدون في تأريخ اليمن ((وفيها {أي سنة عشرة للهجرة} كان إسلام همدان وقادتهم على يد علي بن أبي طالب ووادي نجران ، وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعث خالد

) العسقلاني: الإصابة ، 3\482.1

) إبن هشام ، إبن محمد عبدالملك المعاقري: السيرة النبوية ، تحقيق أحمد جمال ، (ط1 ، دار العهد الجديد ، المنصورة ، 1424هـ)2001م) ؛ 2 ج2 ، ص157.

) ابن هشام: المصدر السابق 2\177.3

) المصدر نفسه 2\177.4

) المصدر نفسه 2\180.5

) المصدر نفسه 2\180.6

بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فمكث ستة أشهر لا يجيبونه ، فبعث عليه الصلاة والسلام علياً بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالد ..... وقرأ عليهم كتاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم وكتب بذلك إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فسجد لله شكراً ثم قال السلام على همدان ثلاث مرات))[1].

وفي إسلام مذحج يقول بن هشام إن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) استعمل (فروة) بعد إسلامه ونزوله على أسعد بن عبادة وتعلمه القرآن أنه أمره على مراد وزبيد ومذحج كلها[2]. ومما يؤكد وفود مذحج ومنها النخع ما قاله ابن هشام في السنة العشرة وهو قدوم وفد من مذحج في خمسة عشر رجلاً وأهدوا إلى الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)مائة وسق من خيبر جارية عليهم فأسلموا وتعلموا القرآن وانصرفوا ، وقدم نفر منهم إلى رسول الله وتوفي وأوصى لهم بمائة فرس من صدقات جارية عليهم من الكتيبة[3].

ومن هذا يستنتج أن أهل اليمن عامة ومذحج وبطونها بما فيها النخع خاصة قد أسلموا على عهد الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في السنة التاسعة أو العاشرة للهجرة ، ولابد أن يكون مالك الأشتر من جملة من أسلم ، وألا كيف يكون خارج السرب ، وبهذا يمكن بالاستنتاج تحديد سنة إسلامه في السنة التاسعة أو العاشرة للهجرة وهو تقريب تاريخ إسلامه.

ويبدو أن هناك معرفة وصحبة بين الإمام علي كرم الله وجهه ومالك الأشتر في اليمن عندما عين الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) علياً كرم الله وجهه أميراً وقاضياً على اليمن ، حيث يقول ((لقد احتاج اليمنيون بعد انتشار الإسلام في بلادهم من يفقههم في أمور دينهم ويعلمهم ويقضي بينهم بحكم الله عز وجل فبعث رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عدداً من الصحابة إلى أرجاء اليمن منهم : معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري وكان من أفضلهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)))[4].

وبهذا يتبين من بالتحليل أن علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه أمضى ردحاً من الزمن في اليمن ، حيث تعرف على الكثير منهم وقضى في أمور كثيرة ولابد أنه التقى بمالك بن الحارث الذي نزل في داره عند قدومه إلى المدينة في عهد الخليفة الصديق (رضي الله عنه) ، ولابد أن مالكاً قد تعرف على الإمام علي وأخذ منه تعاليم الدين الإسلامي في القرآن والسنة النبوية ، وهو قول الواقدي الذي سبق ذكره أن مالكاً شهد مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الوقائع وخاض المعامع على عهد الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)[5].

وأن عبارة "وقد شهد معه الوقائع وخاض المعامع على عهد الرسول محمد (صلى الله عليه

---

(1) ابن خلدون: تأريخ اليمن ، ص240 – 241.
(2) المصدر نفسه ص242) 243.
(3) ابن خلدون: تأريخ اليمن ، ص246.
(4) الصلابي : سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ص140.
(5) الواقدي: فتوح الشام 1\68.

واله وسلم)" تفتح الباب على مصراعيه ، فرواية الواقدي هذه تقطع كل شك في أن إسلام مالك الأشتر كان على عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وأنه صحب الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في ذلك العهد. ومن يصحب الإمام علي كرم الله وجهه لابد وأنه قرأ القرآن وسمع السنة النبوية وتفقه في الدين الإسلامي ، ولابد أنه انتهل من المعين الصافي ، أما كيفية هذه الصحبة وما هي الوقائع التي شهدها مالك مع الإمام علي كرم الله وجهه في حياة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فلقد سكت عن ذكرها الواقدي ولم يوضح ذلك. ومما قال ابن الوردي المتوفى سنة 749هـ في تاريخه في كلام له سبق ذكره ((.... الأشتر النخعي وأسمه مالك بن الحارث صاحب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)))[(1)].

إن الربط بين كلام الواقدي في اصطحاب الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر وهو في اليمن وحضوره وقائعه آنذاك يدل على إسلامه على يد الإمام علي ، وهو ما أكدته الوقائع اللاحقة. أما كيفية أنه صاحب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فلد وجد الباحث هذه العبارة عند الواقدي أيضاً في كتابه فتوح الشام بذكر هذه الصحبة فيقول ((مالك الأشتر صاحب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)))[(2)].

ومن ذلك يستنتج الباحث ما يلي في تقريب إسلام الأشتر

أن مالكاً الأشتر أدرك الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وأسلم في عهده.

أن له صحبة سابقة مع الإمام علي كرم الله وجهه عندما كان أميراً وقاضياً على اليمن وشهد معه الوقائع بشهادة الواقدي.أن مالكاً الأشتر نزل مع أهله في دار الإمام علي كرم الله وجهه في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وهذا دليل على أن هناك علاقة وثيقة بينهما ، وما قاله ابن الوردي أن مالكاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ويؤيده بذلك الواقدي ، بينما تقبره المصادر الأخرى بأنه تابعي وأسلم على عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وحسُن إسلامه غير أنه لم يتشرف بلقائه ولم تكن له صحبة ، فهل أن هذه الصحبة الذي ذكرها ابن الوردي والواقدي هي حسب معايير المصاحبة من الرؤية والسماع المباشر ، وأنه حضر مع وفد قبيلته إلى المدينة وواجه النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، أم لأنه صاحب الإمام علي (عليه السلام) في حياة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم).وهذا ما لم يتوصل الباحث إلى إثباته كما أنه لم ينفه ، والظاهر أنه أدرك الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وأسلم في حياته المباركة.توصل الباحث إلى أن إسلام مالك الأشتر مع إسلام قومه النخع في سنة 9هـ أو 10هـ .

) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي ، ص1.120

) الواقدي: فتوح الشام ، 1\268

المبحث الثاني

دور مالك الأشتر في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

(11 – 13هـ / 632 – 634م)

توفي الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بعد عودته من حجة الوداع ومرضه بالحمى في (يوم الاثنين 12 ربيع الأول عام 11هـ / 7 حزيران عام 632م) ، وهو في الثالثة والستين من العمر بعد أن بلغ رسالته وأدى أمانته ودُفن عليه الصلاة والسلام في بيته في حجرة عائشة[1].

لقد صعقت الأمة الإسلامية بأفول هذا الكوكب الأرضي من حياتها وارتفاعه إلى الرفيق الأعلى ، وبعد أن ملأ شبه الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها بمبادئ السماء السامية ونزول الدستور الإلهي الخالد القرآن الكريم على صدره الشريف.

ولقد ارتجّت المدينة المنورة والأمصار وبدأ الحزن والوجوم على الصحابة والمسلمين كافة لهول نبأ وفاة نبيهم ، ووقف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو في أقصى حالات الصدمة وهو يرفع صوته متألماً ويقول ((إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قد توفي وأن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل أنه مات))[2] ، ثم أخذ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقسم بأن الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) سوف يرجع ووالله يرجعن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله عليه الصلاة والسلام مات[3] .

وبذلك فإن عمر بن الخطاب(رضى الله عنه) لم يستوعب النبأ الجلل ولم يصدق أن محمداً

---

1) ابن هشام: السيرة النبوية ، ص230 وما بعدها ؛ الطبري: 200/3 ؛ ينظر السهيلي ، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ، الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، (ط1 ، مكتبة الأزهرية ، القاهرة ، دون تأريخ) ، ج3 ، ص270.

2) ابن هشام: السيرة النبوية ، 75/6/3 ؛ البلاذري: أنساب الأشراف ، 566/2.

3) الطبري: تاريخ الطبري / 442/2 ؛ ابن الأثير: الكامل / 323/2 ؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ص114 ؛ ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي: سيرة عمر بن الخطاب ، (ط1 ، الدار القومية ، القاهرة ، دون تأريخ) ، ص34.

(صلى الله عليه واله وسلم) الذي ملأ الدنيا بقيم السماء وغيّر المناهج الراسخة في الأذهان إلى مفاهيم الإسلام الخالدة والباقية ما بقي الليل والنهار سرمدياً أبداً.

ويدخل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى بيت الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وهو مسجى فيكشف عن وجهه وقبله بين عينيه ثم قال بأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميتاً ! أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصبك بعدها موتة أبداً[1].

ثم خرج أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمد قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا الآية ((وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من قبلهِ الرسُلُ أفإن مات أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلبُ على عقبيهِ فلن يضرَّ اللهَ شيئاً وسيجزي اللهُ الشاكرين))[2].

ويقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها حتى دُهشت ووقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قد مات.ومن حق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن يندهش ويصاب بالذهول شأنه شأن الكثير من الصحابة والمسلمين ، لأنهم قد تفاجئوا بأن هذا السد العظيم والسور المنيع يختفي بين ليلة وضحاها ، ولكن هي إرادة الله فليس من خلود هناك إلا له سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة.

وبوفاة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ماجت الجزيرة العربية وهاجت برجالها ونسائها ، فمنهم من ثبت على إيمانه وإسلامه وهو المؤمن المسلم والمؤمنة المسلمة ومنهم من ارتدَّ وكفر بعد إيمان ، فحق قتاله ، ومنهم من وفى بعهده ومنهم من خان العهد ، وهذا هو الامتحان العسير وبيان المعدن الأصيل.

وعُقد المؤتمر الاستثنائي في سقيفة بني ساعدة ، وكان الاختلاف على أشده بين الأوس والخزرج ، غير أنهم اتفقوا على زعيم الخزرج سعد بن عبادة كمرشح لهم لتولي أمر المسلمين[3].

أما المهاجرين فكانت طائفة منهم مهتمة بتجهيز ودفن الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، وطائفة أخرى لاتزال الصدمة تملأ نفوسهم ولم تفكر طائفة باختيار خلفية والرسول لم يُدفن بعد[4].

فتدارك الأمر أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) ويخطب أبو بكر (رضي الله عنه) في الأنصار وبيّن لهم خطورة الموقف ، وتقدم المهاجرون وأن الأئمة من قريش ثم يبايع عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) ثم الأنصار وهكذا تنتهي هذه الأزمة الحرجة بانتخاب الخليفة الأول للمسلمين وهو أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فهو خليفة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في الصلاة ومؤنسه في الغار

---

(1) شحاذه ، نزيه: التاريخ الإسلامي ، (ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1320هـ) ، ص135.

(2) سورة آل عمران: الآية 114 ؛ سيرة ابن هشام 75/6/3)76.

(3) الطبري: تاريخ الطبري ، 200/3.

(4) شاكر ، محمود: التأريخ الإسلامي ، الخلفاء الراشدون ، (ط1 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1991) ، ص49)51.

وصاحبه في الهجرة ، فضلاً عن شديد إيمانه وتضحيته في سبيل الله [1].

ويتولى الخلافة أبو بكر الصديق (11-23هـ) وهو عبدالله بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي يلتقي مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في مرة[2].

وهو أول خليفة يستلم أمر المسلمين بعد نبيهم (صلى الله عليه واله وسلم) ثم حصل الهياج في شبه الجزيرة العربية من الردة وظهور أنبياء السوء الكذابين ، ومنهم من رفض دفع الزكاة ومنهم قبائل أسد وغطفان وطيء والذين امتنعوا عن ذلك [3] . وظهر أبو مسيلمة الكذاب وارتداد الأشعث بن قيس في اليمن ، ولم يقتصر ادعاء النبوة على الرجال بل تعداه إلى النساء ، فتلك سجاح تدعي النبوة ثم يلزمها الأمر أن تتزوج بأبي مسيلمة الكذاب ليقترن بكذابين بدلاً من كذاب واحد.

ويتصدى أبو بكر الصديق لهذا السيل الجارف من الارتداد بصلابة وقوة منقطعة النظير ، فلقد بعث أسامة بن زيد إلى الروم بعد الخطب جلل ، وجسامة الموقف وقاتل أهل الردة ومانعي الزكاة وقال ((والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة من المال ، و الله لو منعوني عقالا كانوا يأدونه إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لقاتلتم على منعه[4].

وصحابة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أجمعوا على عدم قتال المرتدين آخذين بقول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولون لا إله إلا الله فإذا قالوها ، فقد حُرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[5].

ولقد عزم الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على قتال المرتدين وقال لا أفرق بين الصلاة والزكاة ولو لم أجد أحداً يقاتلهم وحدي ، وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ما هو إلا رأيت أخاً قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، وقد قال الله تعالى ((فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم))[6].

وهكذا تتجلى عظمة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في اتخاذ القرارات الصعبة أما الأحداث الجسام فلقد كان لقراره القتال وحده فعل السحر في نفوس الصحابة ، فتحلقوا حوله وعاهدوه على القتال[7].

والبحث في موضوع قتال أهل الردة قد تناولته المصادر الأساسية بالتفصيل كتاريخ الطبري (متوفى 310هـ) والكامل لابن الأثير (متوفى 630هـ) وابن كثير في البداية والنهاية (متوفى 770هـ) وغير ذاك من المصادر الأولية. والذي يهم هو شخصية مثار البحث مالك الأشتر ودوره في عهد

---

(1) الطبري: تأريخ الطبري ، ص 210 وما بعدها.

(2) السيوطي ، جلال الدين: تأريخ الخلفاء ، تحقيق محمود رياض الجلبي ، (ط6 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1435هـ/2004م) ، ص32.

(3) اليعقوبي: ص128 ؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد ، 4/89 ؛ البلاذري: أنساب الأشراف ، ص99.

(4) البخاري ، أبو عبدالله بن محمد: صحيح البخاري ، (ط1 ، المكتبة العصرية ، لبنان ، 1417هـ) ، ج4 ، 2274 ؛ البلاذري: الفتوح ، ص99.

(5) صحيح البخاري ، 1/143 ؛ ابن سعد: الطبقات 1/193 ؛ ينظر ، فروخ عمر: تأريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، (ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1972م) ، ص99.

(6) سورة التوبة: الآية 5.

(7) صحيح البخاري: 4/2162

الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في حروب الردة ، وما مر بنا عن رواية الواقدي (متوفى 207هـ) بأن مالكاً الأشتر نزل في دار سيدنا علي بن أبي طالب (عليه السلام) أبان خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) مسلطاً الضوء على ما قام به مالك الأشتر خلال هذه الحقبة الزمنية وبالتحديد من (11-13هـ).

لقد جاء في لباب الآداب لأسامة بن منقذ يذكر فيه دور مالك الأشتر في حروب الردة ، وأنه قد أبدى من شجاعة مفرطة مجاهداً من أجل الإسلام وقتال المرتدين. حيث يقول إن مالكاً لقب بالأشتر وذلك لضربة بالسيف أصابته على رأسه في قتال بني حنيفة حين ارتدوا وساق ابن منقذ ، القصة بعد أبيات من الشعر لمالك الأشتر بقوله ((وإنما سمي مالك بن الحارث (الأشتر) بضربة أصابته في قتال بني حنيفة حين ارتدوا وذلك : أنه حين تواقف الفئتنان (المسلمون والمرتدون) دعا أبو مسيكمة الأيادي فخرج اليه [مالك] فقال له ويحك يا أبا مسيكمة بعد الإسلام والتوحيد ارتددت ورجعت الى الكفر ؟ فقال: يا مالك ، إياك عني إنهم يحرمون الخمر ولا صبر عنها ! قال: [مالك] فهل لك في المبارزة ؟ قال : نعم ، فالتقيا فتطاعنا بالرماح ، ثم رمياها وصارا الى السيوف ، فضربه أبو مسيكمة فشق رأسه حتى شتر عينه ، فعاد [مالك] معتنقاً رقبة فرسه ، فاجتمع حوله أصحابه يبكون.

ثم يواصل أسامة بن منقذ روايته هذه بالقول: ((فقال [مالك] لأحدهم [أحد أصحابه] أدخل أصبعك في فمي ، فعضها مالك فالتوى الرجل من شدة العضة! فقال [مالك] لا بأس على صاحبكم ، إذا سلمت الأضراس سلم الرأس ثم قال : احشوها سويقاً ثم شدوها بعمامة ، ثم قال هاتوا فرسي ، قالوا الى أين قال الى أبي مسيكمة فركب ودعا أبا مسيكمة ، فخرج اليهم كالسهم)). ويستدرك أسامة بن منقذ حديثه هذا حول مبارزة مالك الى أبي مسيكمة المرتد قائلاً: ((يا مالك [وأبو مسيكمة] فضربه مالك فقطعه الى السرج ، وعاد وبقي مغمى عليه عدة أيام(رضي الله عنه) وبهذه الضربة سمي (الأشتر)[1].

وبهذه الرواية التي أوردها أسامة بن منقذ في كتابه لباب الآداب ، فقد ظهر للباحث أن مالكاً الأشتر كانت له أهمية وشخصية معروفة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، فهو يبارز الشجعان ومعروف من قبل الرؤساء ، حتى أن أبا مسيكمة زعيم بني حنيفة يخاطبه معرفة الند للند وهو على معرفة مسبقة به بقوله: يا مالك ، إنهم يحرمون الخمر ، الى آخر المخاطبة ، ثم يقبل بمبارزته ولا يقبل في المبارزة آنذاك إلا من ذوي الشرف والأسنان والشجاعة والفرسان[2].

ويتبين من سير البحث أن لمالك صحبة ومعرفة قريبة من الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، بل ومعرفة قوية يشهد له بالشجاعة والإقدام والكفاءة ، ولعله قد بهر بشجاعته لقتله زعيم بني حنيفة الشجاع المرتد وصولاته في حروب الردة بجانب أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ورواية الواقدي التالية تؤكد ذلك:

بعد اجتماع الناس في المدينة لأجل خروجهم في الفتوحات الإسلامية كتب أبو بكر الصديق

) ابن منقذ ، أسامة: لباب الآداب ، تحقيق أحمد محمد شاكر،(ط ، منشورات مكتبة السنة ، القاهرة ، 1987) ، ص178-1188

) نفس المصدر ، ص 189 .2

(رضي الله عنه) كتاباً الى خالد بن الوليد (رضي الله عنه) ، يقول الواقدي ((واجتمع بالمدينة نحو تسعة آلاف ، فلما تم أمرهم كتب أبو بكر (رضي الله عنه) كتاباً الى خالد بن الوليد يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين ، أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي على نبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وأوصيكم وآمركم بتقوى الله في السر والعلانية.....)) ويواصل الواقدي سرد كتاب الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) الى خالد بن الوليد ((... وقد فرحت بما جاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين وأخبرك أن تنزل الى دمشق الى أن يأذن الله بفتحها على يدك ، فإذا تم لك ذلك فسر الى حمص وأنطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته))[1].

ويقدم الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في كتابه هذا مالك الأشتر بشهادة قاطعة له بالكفاءة ((.... وقد تقدم اليك أبطال اليمن وأبطال مكة ويكفيك ابن معد يكرب الزبيدي ومالك الأشتر ، وأنزل على المدينة العظمى أنطاكية فإن بها الملك هرقل فإن صالحك فصالحه وإن حاربك فحاربه ، ولا تدخل الدروب ، وأقول هذا وأن الأجل قد قرب ، ثم كتب كل نفس ذائقة الموت ثم ختم الكتاب وطواه وسلمه الى عبدالرحمن....))[2].

إن هذا الكتاب يؤكد بما لا يقبل الشك بأن مالكاً الأشتر كانت له صحبة أكيدة مع الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) وهو ما يتفق مع رواية أسامة بن منقذ السالفة الذكر ، وأن شجاعة مالك الأشتر كانت فائقة بحيث أن الخليفة الصديق (رضي الله عنه) بقول في كتابه المرسل الى خالد بن الوليد ((يكفيك ابن معد يكرب ومالك الأشتر)) ومعنى يكفيك هي شهادة موثقة بالكفاية وهو بالمد والكفيء حيث يقول الرازي في مختار الصحاح ((الكفيء بالمد النظير ، وكذا (الكفء) و(الكفوء) يكون الفاء والكفاءة بوزن فُعُل .... والمصدر (الكفاءة) بالفتح والمد......))[3].

وهذا بالفعل ما حصل بالشهادة لمالك الأشتر بالإسم مع شخص أخر هو ابن معد يكرب من دون جميع الأبطال بالكفاءة والشجاعة والبطولة ، وهي شهادة متميزة له لأن الخلفية أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) عالم في الأنساب وخبير بالرجال وإلا كيف يقدمه على الأبطال من شجعان اليمن والحجاز وما أكثرهم ، إن دل ذلك على شيء إنما يدل على معرفة الخليفة الصديق لمالك الأشتر عن قرب ورؤية صادقة لتلك المعرفة.

---

(1) الواقدي: فتوح الشام ، 169-68/1
(2) المصدر نفسه 269/1
(3) الرازي: مختار الصحاح ، ص3572

يستنتج الباحث من سيرة الأشتر في عهد الخلفية أبي بكر الصديق ما يلي:

أولاً: إن هناك صحبة لمالك الأشتر مع الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أثبتته الوقائع السابقة.

ثانياً: إن مالكاً الأشتر اشترك في معارك الردة مع المسلمين وكانت له جولات وصولات في ذلك ومن ضمنها قتله لأبي مسيكمة المرتد زعيم بني حنيفة.

ثالثاً: إن مالكاً هاجر من اليمن الى المدينة في عهد الخليفة الصديق (رضي الله عنه).

رابعاً: نزوله وأهله في دار الإمام علي (عليه السلام) ، وهذا دليل على معرفة مسبقة بينهما.

خامساً: شهادة الخلفية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لمالك بالكفاءة والشجاعة وتقديمه على غيره.

سادساً: إن مالكاً كان في مقدمة المتوجهين الى الجهاد في الفتوحات الإسلامية في الشام أولاً والعراق ثانياً.

ويلملم مالك الأشتر جراحاته ، ويقدم خدماته الجلى للإسلام ويتوجه شطر الشام لا يلويه ألم من جراح أو فراق لمسقط رأس ، فالمبادئ بحاجة الى تضحية وهذه تحتاج الى عزيمة ومثابرة وإرادة ، وكل ذلك قد توفر في شخصية مالك الأشتر.

إذن يلبي مالك الأشتر النداء ويكون عند حسن ظن ولي الأمر فيه ، فتأبط الوصايا والصلبة بإرادة صلبة من حديد ويطوي الصحارى وما يليها من بلاد الشام حتى يلتحق بالمجاهدين هناك ليكون مثالاً في العقيدة والبطولة.

وفي معرض الحديث عن قدوم أهل اليمن على أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ما يقوله الأزدي في كتابه فتوح الشام ((... فقدمت حمير على أبي بكر ومعها نساؤها وأولادها ففرح أبو بكر بمقدمهم ، فلما رآهم أبو بكر (رضي الله عنه) قال : عباد الله ألم نكن نتحدث ، فتقول: إذا أقبلت حمير تحمل أولادها ومعها نساؤها نصر الله المسلم وخذل المشرك ، فابشروا أيها المسلمون قد جاءكم النصر))[1].

وما قاله المسعودي حول وفود أهل اليمن على الخلفية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ((وقدم عليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل والذهب وبرود الوشي المثقل بالذهب والتيجان ، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ، ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم)).

والباحث يظهر دور مالك الأشتر مثار البحث في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في فتوح الشام والشجاعة المفرطة التي قدمها ، ثم يكمل دوره في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي

---

[1]) الأزدي، محمد بن عبدالله : فتوح الشام ، تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر ، (ط1 ، مؤسسة سبل العرب ، 1970) ، ص10.

الله عنه) (13-23هـ/634-64م) ، هذا وسوف يكتمل البحث عن دور مالك الأشتر في مناسبة دوره في الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق.

إن مالكاً الأشتر التحق بالركب المقدس كقائد يشار اليه بالبنان وليس كمقاتل عادي بعد أن تأبط جملة من الوصايا وكتاب الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، والذي عينه قائداً بقوله في كتابه الى خالد بن الوليد يكفيك مالك الأشتر ، وهو يعني منحه امتيازاً خاصاً وصفه في الصف الأول لكفاءته وشجاعته الفائقة.

والحقيقة يجب أن يثار السؤال التالي: هل أن مالكاً الأشتر التحق بالشام أبان أمرة خالد بن الوليد على جيوش المسلمين ؟ أم في أمرة أبي عبيدة بن الجراح؟ والظاهر أنه التحق الى الشام في أمرة خالد بن الوليد للجيش ، لأن الفرضية تقول (إرسال معد يكرب ومالك الأشتر ومعهم رسالة الخليفة والتي تؤكد كفاءتهما) وعلى ضوء هذه الفرضية ، يعني أن مالكاً قد التحق الى الشام عند مزاولة خالد بن الوليد مهامه كائد عام للجيوش الإسلامية في الشام، بعد توجهه من العراق الى الشام. وما يفرز هذا الافتراض هو التحاق مالك الأشتر وما سطره من روائع البطولات وحصوله على الامتيازات ، وما تؤكده المصادر الأولية فقدانه لعينه في معركة اليرموك و ضربة أخرى لعينه بعد معركة الردة مع أبي مسيكمة.

ولقد تم تعيين خالد بن الوليد كقائد عام للقوات الإسلامية المسلحة في الشام من قبل الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وأمره لأبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) بالانصياع له ، وما قاله الواقدي في كتابه فتوح الشام كتب أبو بكر (رضي الله عنه) الى خالد بن الوليد: ((بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عتيق بن أبي قحافة الى خالد بن الوليد سلام عليك ، أما بعد: فأني أحمد الله الذي لا إله هو ، وأصلي على نبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وإني قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم.....))[1] ، الى أن يقول في كتابه هذا الى خالد بن الوليد حول تأميره على أبي عبيدة بالقول ((..... وقد جعلتك الأمير على أبي عبيدة ومن معه وبعث الكتاب الى عبدالرحمن .....))[2] ويكتمل كلام الواقدي حيث يقول: ((ارتحل [خالد] ليلاً ..... وكتب كتاباً الى أبي عبيدة يخبره بعزله وسيره الى الشام ، وقد ولاني أبو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من مكانك حتى أخرج عليك والسلام.....))[3].

وعند وصول خالد بن الوليد الى الشام استلم مهام القيادة من ابي عبيدة بن الجراح وأذعن الأخير لأمر القيادة المركزية وقال سمعاً وطاعة لله ولرسوله ولخليفة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم). وهكذا استلم خالد بن الوليد القيادة ولقد حدثت معارك مهمة ، وتم فتح دمشق في (28 ذي

---

(1) الواقدي: فتوح الشام ، 24/1(125
(2) المصدر نفسه ، 225/1
(3) المصدر نفسه ، 327/1

القعدة عام 13هـ / 23 كانون الثاني عام 635م)[1]. وفتح دمشق في (15 رجب عام 14هـ/ 3 أيلول عام 635م)[2] ، وبعلبك* في (15 ربيع الأول عام 15هـ/ 6 أيار عام 636م)[3] وحمص في (21 ربيع الآخر عام 15هـ/ أول شهر حزيران عام 636م)[4].**

هذا ولقد أورد الواقدي في كتاب فتوح الشام هذه المعارك وقال أنها قبل معركة اليرموك الحاسمة ، وبعد وصول خال بن الوليد الى الشام وقد اشترك مالك الأشتر في هذه المعارك وسجل اسمه في هذه الفتوحات الإسلامية. حيث يقول الواقدي وذلك بعد فتح دمشق وانهزام الروم وبكائهم على ما خسروا في الوقائع ((فبكت الروم بكاءً شديداً وسار خالد حتى أتي دمشق وكان المسلمون أبو عبيدة قد ايأس من خالد ومن معه ، فهم في أعظم القلق والأياس إذ قدم عليهم خالد (رضي الله عنه) والمسلمون ، فخرجوا الى لقائه وهنئوه بالسلامة وسلم المسلمون بعضهم على بعض ، ووجد خالد في دمشق عمرو بن معد يكرب الزبيدي ومالك بن الأشتر النخعي (مالك الأشتر النخعي) ومن كان معهما وأقبل خالد الى جانب أبي عبيدة.....))[5] .

والظاهر أن هذا اللقاء بين خالد بن الوليد ومالك الأشتر هو بعد استلام الأول كتاب الخليفة أبي بكر الصديق وليس اللقاء الأول ، فاللقاء الثاني بينهما هو تسليم رسالة الخليفة وبقى الأشتر كأحد الأمراء.

وإن إشارة الواقدي الى لقاء خالد بالأشتر في دمشق وذكره مع عمرو بن معد هو التأكيد نعلى أهمية مالك وتأكيد بتنفيذ أوامر الخليفة ابو بكر الصديق (رضى الله عنه) ومنحه مكانة مرموقة في الجيش مما عزز إمكانيته القيادية في فتوح الشام.

وتشاء الأقدار أن يمرض الخلفية أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) والمعارك الطاحنة في أوجها ، فيلتحق برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كما جاء في تأريخ الطبري ((ومرض أبو بكر (رضي الله عنه) في جمادي الأولى وتوفي للنصف من جمادي الآخرة قبل الفتح [معركة اليرموك] بعشر ليال))[6] .

وما ذكره المحب الطبري في الرياض النضرة حول وفاة الصديق (رضي الله عنه) ((توفي أبو بكر (رضي الله عنه) ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاثة عشر ، ذكره في الصفوة ..... وقال ابن إسحق توفي يوم الجمعة لتسع بقين من الشهر المذكور))[7].

ويترك أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) القيادة لخلفه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

) البلاذري: الفتوح ، ص1122
) الطبري: تأريخ الطبري ، 2441/3
) الأزدي: فتوح الشام ، ص3144
) الطبري: مصدر سابق ، 4599/3
) الواقدي: فتوح الشام ، 591/1
*** بعلبك: مدينة قديمة شهيرة في سوريا ، من 136/10**
**** حمص: مدينة جميلة قديمة واقعة في مستوى من الأرض من بلاد الشام ، م)ن 178/10**
) الطبري: تأريخ الطبري ، 6311/2
) المحب الطبري ، أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب: الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة ، (ط1 ، دار المنار ، القاهرة ، 1421هـ) 7 2000م) ، ص174

ليواصل المسيرة الجهادية ويتابع سير معركة اليرموك الفاصلة ، وما هو دور مالك الأشتر في هذا العهد.

المبحث الثالث

دور مالك الأشتر في الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق

في عهد الخلفية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

(13-23هـ / 634-644م)

وقبل الدخول في معركة اليرموك عبأ الجيشان قواتهما وحسب عقيدتهما العسكرية ، فلقد

جاء في تأريخ الطبري إن الروم عبأت جيوشها حيث لم ترَ تعبئة مثلها ، وكذلك فعل المسلمون ((فخرجت الروم في تعبئة لم يرَ الراؤون مثلها قط ، وخرج خالد في تعبئة لم تتبعها العرب قبل ذلك ، خرج في ستة وثلاثين كردوساً الى الأربعين.....))[1].

ثم أخذ الطبري في تأريخه بعدد الكراديس وأمرائها ، وحتى القضاة والقصاص فلقد عين أبا الدرداء قاضياً ، والقصاص أبا سفيان بن حرب ، وكان على الطلائع وقبات بن أيشم وعلى الأقباض عبدالله بن مسعود[2].

وسوف يذكر الباحث دور مالك الأشتر في وقعة اليرموك وما كان من أخبارها.

وقعة اليرموك 13هـ جمادي الثاني

حدثت وقعة اليرموك في جمادي الثاني عام 13هـ حين أمر خالد بن الوليد وهو لا يزال أمير الجيش عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو فأنشب القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا. وفيما الحرب مستعر أوارها والاشتباك قائم ، جاء البريد من المدينة بوفاة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وخلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعزل خالد وتأمير أبي عبيدة بن الجراح قائداً عاماً للجيش على قول الطبري ((فشب القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان ، فإنهم على ذلك ، إذ قدم البريد من المدينة ، بسرعة الخيول وسألوه الخبر ...... فأبلغوه خالداً فأخبره خبر أبي بكر وتأمير أبي عبيدة وأسره اليه وأخبره بالذي أخبره الجند ..... وأخذ الكتاب وخاف إن هو أظهر ذلك بنشره الجند....))[3].

ويتضح من كلام الطبري هذا وما عند غيره من المصادر هو عزل خالد بن الوليد وتأمير أبي عبيدة بن الجراح الجيش ، ولقد أسرَّ الاثنان ذلك عن الجند خوفاً من التأثير على نفسيتهم ومعنوياتهم وهم في غمرة القتال[4]. والظاهر أن هناك في المصادر الأساسية اختلافاً في تأريخ وقعة اليرموك ، فمنهم من يقول حدثت في 13هـ ، ومنهم من يدعي بأنها حدثت في سنة 15هـ.

مما يقوله ابن كثير في البداية والنهاية في أن وقعة اليرموك حدثت في سنة 13هـ وكذلك الطبري في رواية سبق ذكرها ، أما ابن عساكر فيقول حدثت في سنة 15هـ كما جاء في البداية والنهاية ، حيث يقول ابن كثير ((.....وأما الحافظ بن عساكر فإنه يقول حدثت في سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق...))[5]. وفي رواية البلاذري في الفتوح حدثت المعركة في (شهر رجب عام 15هـ/شهر آب عام 636م) ، وأيده الطبري في رواية أخرى[6].

ويرى الباحث أن وقعة اليرموك حدثت سنة (13هـ) وذلك لأن وفاة أبي بكر الصديق

---

1) الطبري: تأريخ الطبري ، 312/2 ؛ الواقدي: فتوح الشام ، ص160 ؛ الأزدي: فتوح الشام ، ص217
2) الطبري: تأريخ الطبري ، 312/2
3) ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن عبدالواحد الشيباني: الكامل في التأريخ ، (ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1398هـ/1978م) ، ج2 ، ص412
4) ابن سعد: الطبقات ، 284/7
5) ابن كثير ، اسماعيل بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية ، تحقيق محمد بيومي ، (ط1 ، مكتبة الإيمان ، المنورة ، دون تأريخ) ، ج 7 ، ص5 ؛ ينظر ابن الأثير: الكامل ، 581/2 ؛ الطبري: مصدر سابق ، 311/2
6) البلاذري: الفتوح ، ص140)143 ؛ الطبري: تأريخ الطبري ، 394/3

(رضي الله عنه) كانت في هذه السنة ، وتولي الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعزله لخالد بأبي عبيدة والمعركة لاتزال قائمة ، وبقي خالد في الأمرة الى نهاية المعركة خوفاً على زعزعة معنويات الجند ، وهذا هو الصحيح. والباحث هنا يظهر دور مالك الأشتر في وقعة اليرموك ، والذي هو مثار البحث ، حيث جاء في تأريخ الطبري قوله ((كتب لي السري عن سيف عن يزيد بن جهيش قال: كان الأشتر قد شهد اليرموك ولم يشهد القادسية ، فخرج يومئذ رجل من الروم فقال: من يبارز؟ فخرج اليه الأشتر فاختلفا ضربتين ، فقال: [الأشترِ] للرومي خذها وأنا الغلام الأيادي ، فقال الرومي: أكثر الله في قومي مثلك أما والله لو أنك من قومي لآزرت الروم فأما الآن فلا أعينهم))[1].

وهذه شهادة قيمة لدور مالك الأشتر في وقعة اليرموك غير أن هناك تناقضاً في رواية أخرى للطبري يقول فيها اشتراك مالك الأشتر في وقعة القادسية ، وهو ما أجمعت عليه المصادر الأساسية مع هذه الرواية الثانية والتي سوف ينقلها الباحث في وقعة القادسية.

إصابة الأشتر في اليرموك

لقد اشترك مالك الأشتر في وقعة اليرموك ، فأبدى شجاعة فائقة ، فلقد جاء في كتاب الإصابة للعسقلاني أن الأشتر شهد اليرموك فذهبت عينه وهو ما أورده ابن قتيبة في المعارف وابن الاثير وغيرهم من المصادر الأساسية الأولية وهو دليل على أن مالكاً الأشتر قد شهد وقعة اليرموك بإجماع المصادر الأولية وله فيها مواقف مشرفة[2].

وإن أصابت مالك الأشتر في هذه الوقعة أو التي قبلها في حروب الردة لهو الدليل القوي بأنه لايزال بقوته وإصراره واندفاعه في الجهاد.

دور مالك الأشتر في فتوح الشام بعد اليرموك

وبعد أن انتهت وقعة اليرموك الحاسمة لصالح المسلمين وانهزام الروم شرَّ هزيمة ، تبعهم المسلمون ينكلون بهم وقد انحسروا وانهزموا ، ويذكر الباحث دور مالك الأشتر في هذه الفتوحات ، فلقد جاء عن ابن الأعثم في فتح (أمد وميافارقين)[3]

بقوله: ((ثم أرسل عياض [الأمير عياض بن غنْم] مالك الأشتر النخعي وأعطاه ألف فارس وأرسله الى ناحية أمد وميافارقين ، وحين وصل مالك مع الجيش الى أمر تبين له أن القلعة حصينة ، ولما اقترب من أمر وعاين بنفسه قوة الحصن ، أمر الجيش بأن يكبروا معاً تكبيرة واحدة بأعلى صوت فخاف أهل

---

1) الطبري: تأريخ الطبري ، 1314/3

2) العسقلاني: الإصابة 482/3 ؛ ابن حبيب : المحبر ، ص303 ؛ ابن قتيبة ، أبي عبدالله بن مسلم: المعارف ، تحقيق ثروة عكاشة ، (ط1 ، الشريف الرضي ، إيران ، قم ، 1451هـ) ، ص586 ؛ ينظر ، الواقدي: فتح الشام ، ص325

3) ميافارقين و أمد : أشهر مدينة بدياربكر سميت ميافارقين لأن أول من بناها فارقين وهو الحلاق بالفارسية يقال له يارجين ، الحموي : معجم البلدان ، 214/8

أمر وتزلزلت أقدامهم وظنوا أن المسلمين يبلغون عشرة آلاف وأنهم لا قبل لهم بحربهم ، فأرسلوا [أهل الحصن] شخصاً الى الأشتر فأجابهم الأشتر الى الصلح.....)) ثم يواصل ابن الأعثم كلامه عن فتح ميافارقين وأمر بقوله ((..... وقرروا [أهل الحصن] أن يدفعوا خمسة آلاف دينار نقداً وعلى كل رجل أربعة آلاف جزية ورضي حاكم البلد بهذا الصلح وفتحوا الأبواب ودخلها المسلمون صباح يوم الجمعة ، فطافوا بها ساعة ثم خرجوا على بوابة البلدة))(1).

والباحث يضع هذا النص يستقرئ منه مدى الروح القيادية لمالك الأشتر وطريقته في إرهاب العدو ، وإيهامه لهم بكثرة المسلمين بالتكبير ، وهي طريقة ذكية وإسلامية لإرهاب العدو ،والنص واضح وبيّن. وسوف يتم تناول سيرة مالك الأشتر في فتوح الشام بالتتابع وحسب ما جاء في فتوح الشام للواقدي ، ثم يكمله بغيره من المصادر الأساسية مع المراعاة في ذلك بالاختصار إن أمكن ذلك.

وما قاله الواقدي في فتح قلعة بعلبك ((...... ونظر أبو عبيدة الى شدة حرب الروم وصبرهم على قتال المسلمين فحمل عليهم بالخيل العربية وأحاط بالروم من كل جانب ، وكان من جملة خيله عمرو بن معد يكرب الزبيدي وعبدالرحمن وبن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وربيعة بن عامر ومالك الأشتر فلله درهم فلقد قاتلوا قتالاً شديداً وأبلوا بلاءً حسناً .....))(2). وهذا النص يدل على اشتراك مالك الأشتر كقائد في فتح قلعة بعلبك ، ولقد أبلى بلاءً حسناً مع أقرانه المذكورين ، وأورد الواقدي أيضاً دور مالك الأشتر في فتح الرستن على يد القائد أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) ولقد عدد الواقدي الأبطال ومن ضمنهم مالك الأشتر3 . ومما قاله الواقدي حول دور مالك الأشتر في اليرموك ، حيث تعاون الأشتر مع ضرار بن الأزور في قتل العلج الذي اسمه جرجيس ، حيث أن مالكاً الأشتر كان من الخطاط إذا ركب الجواد تسحب رجلاه على الأرض ، وقد نادى على العلج الذي برز اليه ضرار ، يا عدو الله يا عابد الصليب الى الرجل النجيب ناصر محمد الحبيب ، ثم طعن جواده حيث لم يجد للطعنة مكاناً لما عليه من الحديد ، وتسمّر العلج على الجواد الذي لم يستطع الحركة لأنه متسمّر على ظهر الجواد وشد عليه ضرار فضربه على رأسه فشطره نصفين وأخذ سلبه ، فقال له مالك ما هذا يا ضرار تشاركني صيدي ، فقال: أنا شريكك وإنما أنا صاحب السلب وهو لي ، فقال مالك: أنا قتلت جواده فقال ضرار: رب ساع لقاعد أكل غير حامل فتبسم مالك ، وقال خذ صيدك هناك يا ضرار ، ولقد طرح ضرار السلب في رحل مالك وقال له هو سلبك ، الى آخر الرواية.

وهذا يدل على مشاركة الأشتر الجدية وتعاونه الفعال مع البطل ضرار بن الأزور في قتل العلج الرومي والمحاورة التي دارت بينهما(4) .

ويذكر الواقدي أيضاً أن مالكاً لقب بالأشتر لضربة بعامود الحديد على رأسه من قبل ماهان

---

1) ابن الأعثم ، أبو محمد أحمد الكوفي: كتاب الفتوح ، (ط1 ، دار المعارف ، الهند ، 1968م) ، ج1 ، ص258 ؛ البلاذري: فتوح البلدان ، ص47-48

2) الواقدي: فتوح الشام ، 135/1 ؛ ينظر البلاذري: فتوح البلدان ، ص47- 248

3) المصدر السابق ، 151/1

4) الواقدي: فتوح الشام ، 224/1

الرومي ، وهو أن ماهان حزّ بنفسه قتل مالك وضرار للعلج ، فخرج يطلب المبارزة وكان كأنه جبل ، فصاح خالد: هذا والله ماهان ، هذا صاحب القوم ، فبرز اليه غلام من الأولى فقتله ماهان ، يقول الواقدي ((وكان أول من برز اليه مالك النخعي الأشتر (رضي الله عنه) وساواه في الميدان ، فابتدر مالك ماهان بالكلام ، فقال: أيها العلج الأغلف لا تغتر بمن قتلته ، إنما اشتاق صاحبنا الى لقاء ربه فإن أردت مجاراتنا الى النعم فانطق بكلمة الشهادة أو أداء الجزية وإلا فأنت هالك لا محالة))[1] .

ثم إن الواقدي يستمر في هذه الرواية وهي من معارك اليرموك قائلاً : ((..... قال ماهان : أنت صاحب خالد بن الوليد؟ قال : لا أنا مالك النخعي صاحب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، فقال ماهان: لا بد لي من الحرب ، ثم حمل على مالك وكان من أهل الشجاعة ، فاجتهد بالقتال فأخرج ماهان عموده فضرب به مالكاً على بيضة رأسه ففاضت جبهة مالك فشُتِرت عينه ، فمن ذلك اليوم سمّي بالأشتر))[2].

ويستمر الواقدي بقوله ، أخذ ماهان ينظر متى يقع مالك من على صهوة جواده ، غير أن مالكاً تمالك نفسه والدماء تسيل من رأسه ، ثم حمل على ماهان وضربه ضربة جعلته ينهزم ويدخل معسكره وأصوات المسلمين تنادي يا مالك استعن بالله يعنك على غريمك ، وحين انهزم ماهان جريحاً بين يدي مالك الأشتر ، صاح خالد احملوا على القوم[3].

وهذا ما جاء أيضاً حول إصابة مالك في اليرموك ولقبه بالأشتر فضلاً عما سبق ، ولقد أعادها الأشتر مرة أخرى عندما ضربه أبو سكيمة في حروب الردة على رأسه وعاد اليه وقتله ، ومما فقيء عينه على رواية أسامة بن منقذ وغيره .

فتح حصن عزاز* من قبل مالك الأشتر

قال الواقدي: بعد أن تم فتح حلب* أسلم صاحب قلعتها واسمه يوقنا ولقد أخلص للإسلام ، فلقد طلب من أبي عبيدة أن يرسل معه مائة فارس بلباس الروم ويتوجه الى عزاز وهو حصن منيع ، فلقد اختار له أبو عبيدة مائة فارس وعلى كل عشرة أمير وعددهم ، ثم أنه أرسل وراءهم مالك الأشتر مدداً في ألف فارس وقال له : سر في أثر القوم وأنظر ما يكون من أمر هذا الرجل الصالح وقال له: سر وفقك الله وأرشدك ، فسار مالك وكمن في قرية خالية من السكان بالقرب من الحصن[4].

وأما يوقنا فأنه تابع سيره الى الحصن فرأى صاحب الحصن قد خرج في جيش عداده أكثر من أربعة آلاف ، فأحاطوا بيوقنا ومن معه وأسرهم بعد أن كشف أمرهم جاسوس[5]. وبخصوص مالك

) المصدر نفسه ، 1224/1
) المصدر نفسه ، 2225/1
) المصدر نفسه ، 3225/1
) الواقدي: فتح الشام ، 4274/1
) المصدر نفسه ، 5274/1
*** عزاز: تل بالقرب من صبرين في الشام وهو حصن منيع ، معجم البلدان ، ص145/10**

الأشتر ومن معه يقول الواقدي عن الأكرع المازني والذي كان ضمن جيش مالك الأشتر حيث قال: بينما كنّا في القرية ليلاً سار مالك الأشتر نحو الحصن فغاب عنا غير بعيد ، ثم عاد ومعه رجل من العرب المنتصرة ، وقد جاء به يقوده وقال: لنا يا فتيان اسمعوا ما يقول هذا الرجل لكم ، وبعد سؤاله من قبل مالك عن اسمه ومن أين هو فقال الر جل: أنا من غسان من بني عم جبلة بن الأيهم ، فقال له مالك : ما اسمك؟ فقال: اسمي طارق! فقال له مالك: بحق ذمة العرب لا تكتمنا أمراً تعرفه عن أعدائنا ، فقال الرجل: لا أكتم أمراً أعرفه ولكن خذوا حذركم قبل قدوم عودكم ثم أخبرهم عن الجاسوس ، الذي أخبر صاحب الحصن عن إسلام يوقنا وقدومه مع جماعته ، ثم أسره وأصحابه. قال الواقدي: ومن منّ الله للمسلمين أن الجاسوس لم يكتب لصاحب عزاز في مكاتبته عن مسير مالك الأشتر ، وأن طارقاً أسير مالك الأشتر أخبرهم بقدوم جيش لنصرة صاحب عزاز ، فكمن مالك وأصحابه للجيش ودار الحديث بين الأشتر وطارق حسب رواية الواقدي.

مالك لطارق: هل لك أن تدخل في الإسلام؟

طارق: إن قلبي عندكم وأني من الطائفة التي هي أول من أسلم على يد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ولقد سمعنا عن محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من بدل دينه فاقتلوه.

فقال الأشتر: صدقت في قولك ولكن انسخ هذا الحديث بقول لا إله إلا الله وتبديل الدين هو الارتداد عن الإسلام ، فقد قال تعالى ((إلا من تابَ وعملَ صالحاً فأولئك يبدلُ اللهُ سيئاتِهم حسناتٍ وكان اللهُ غفوراً رحيما))[1]. وواصل الأشتر كلامه وقَبِلَ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) توبة وحشي قاتل عمه الحمزة فأنزل الله فيه الآيات.

فلما سمع الغساني المتنصر كلام مالك الأشتر المليء بالإيمان والآيات القرآنية والاستنتاج من الكتاب والسنة ، قال: أشهد ان ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[2] ، ثم قال والله يا مالك لقد طاب قلبي وانجبر كسري ، أخذ الله بيدك يا مالك وأنقذك يوم القيامة. ففرح مالك بإسلامه ثم قال له وفقك الله وثبت إيمانك.

ثم قال مالك لطارق أريد منك أن تذهب الى صاحب عزاز وتقول له أن المدد قادم اليه وتبشره بذلك ، فقال الغساني : سوف أعمل ذلك وترسل معي من تثق به ، فأرسل معه مالك ابن عمه راشد بن قيس النخعي ، فلما اقتربا من الحصن سمعا دق الطبول ، والروم تضرب البوق في وسط الحصن ، فقال طارق لراشد: ما هذا والله الا حرب فأنصتا فإذا هو كذلك.

أما يوقنا بعد أن تم أسره من قبل صاحب الحصن حجز هو وأصحابه المائة وأراد صاحب الحصن قتلهم ، غير أن ابنه كان يرغب الزواج من ابنة يوقنا فجاء اليه وهو في السجن ، فقال له : يا عم أرغب الزواج من ابنتك وأنا على ما أنت عليه ، فقال له: يا ولدي كيف السبيل الى ذلك وأنا في

---

* حلب: ولاية قديمة جليلة في الأقليم الشامي ، معجم البلدان ، 174/10

) سورة الفرقان: الآية 170

) الواقدي: فتوح الشام ، 2176/1

سجن والدك ، فقال له : إن أبي على كفر وهو الآن في غاية السكر وإني عزمت على قتله ، فذهب في ساعته لقتل أبيه فوجده مقتولاً فتعجب لذلك.

ومما قاله الواقدي: إن صاحب الحصن عندما وجد والده مقتولاً ، جاءه أخوته وأخبروه أنهم قتلوا أباهم وهم على دينه ، فتعجب من أمرهم ، ثم جاء وفك وثاق يوقنا وجماعته ، فقال يوقنا : اشهدوا عليه إني زوجت ابنتي من ابن عمي هذا ، وكان اسم ابن صاحب الحصن لاوان [1].

هذا وقد وضع لاوان ويوقنا وأصحابهما السيف في أصحاب الروم وكانت تلك الأصوات ودق الطبول في الحصن ، قال طارق وراشد : سمعنا ذلك وفهمنا ورجعنا الى مالك وأخبرناه بالخبر ففرح بذلك وقال لأصحابه: أركبوا خيولكم وانجدوا أصحابكم ، وكان يوقنا قد أخبر لاوان بجيش المسلمين ففتح لهم أبواب الحصن فدخل مالك الأشتر ومن معه بعد أن ترك مائة منهم في القرب لحراسة الأسرى ، ولما دخل مالك الأشتر ومن معه الحصن صاح ((الله أكبر ، فتح الله ونصر وخذل من كفر)) ، فلما رأى أهل الحصن ذلك رموا سلاحهم ونادوا الغوث الغوث ، فرفعوا عنهم السلاح وأخذوهم أسارى.

هذا وقد شكروا ليوقنا ومن معهم بلاءهم الحسن ، قال: وحدث يوقنا لمالك الأشتر بحديث الغلام لاوان ، فقال له مالك: ((إذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه))[2]. قال الواقدي: عن لبابة بن المنذر وكان من أهل بدر وقد حضر فتح عزاز على يد مالك الأشتر بقوله: لما وضعت الحرب أوزارها في الحصن جمع مالك الأشتر الأسرى والمال والثياب والفضة والآنية ووكل به قيس بن سعد ، وكان ضمن ممن حضر بدراً ، وأمر بإخراج كل ذلك من الحصن.

ثم أن مالكاً الأشتر أخذ يتجول في الحصن ورأى صاحبه دارساً مقتولاً قال: من قتله فأخبروه كما سبق أن ابنه لاوان قتله وطلبه وهو سأله كيف ذلك ، أجاب قتله أخي لوقا ، وهو أكبر مني سناً ، فطلبه مالك وسأله كيف تقتل أباك وما سمعنا أحداً من الروم قتل أباه قبل ذلك؟ فقال لوقا: حملني أيها الأمير على قتل أبي حب دينكم ، لأن في هذا الحصن قساً من المعجزين وكان يعلمنا الإنجيل ، فسألته عنكم كيف تحتلون الشام وأنتم أضعف الأمم ، وهل قرأت ذلك في الإنجيل وكتب الروم وملاحم اليونانيين؟ فقال لي القس: نعم يا ولدي قرأت ذلك [3] . ثم أردف القس يقول جواباً على سؤال لوقا بما كان يحدث به مالك الأشتر ((وقد أخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع هذا الأمر وجمع اليه الملوك والأساقفة والبطارقة وغيرهم وأخبرهم أن العرب لابد أن يملكوا ما تحت سريري هذا ، ولقد بلغنا من نبي القوم أنه قال [زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك .... ما زوي لي منها] ، فقلت يا أبانا ما تقول في نبي القوم؟ قال: يا بني إن في كتابنا أن الله تعالى يبعث نبياً في الحجاز وقد بشر به عيسى بن مريم ولا ندري أهو هذا أم لا.....))[4].

ثم أن لوقا ولاون أولاد صاحب الحصن أسلما على يد مالك الأشتر ، وخرج مالك الأشتر من

---

1) المصدر نفسه ، 277/1

2) المصدر نفسه ، 278/1

3) الواقدي: فتوح الشام ، 277/1-278

4) المصدر نفسه ، 278/1

الحصن بعد أن عرض عليه السبي من عزاز ، فكان ألف ر جل من الشباب ومائتان وخمسة أربعون رجلاً من الشيوخ والرهبان وألفا امرأة من النساء والبنات ومائة وثمانون عجوزاً [1].

ثم نظر مالك الأشتر الى رجل بهي الطلعة من الرهبان فقال له: إن صدقتني الفراسة فأنت القس الذي حدثني عنه لوقا ، قال القس: نعم ، فقال له مالك: يا شيخ إذا كنت من علماء أهل الكتاب فلماذا تكتم الحق عن مستحقيه؟ فقال القس: والله أيها الأمير ما كنت أكتم الحق عن مستحقيه ولكني خفت من الروم أن يقتلوني ، لأن الحق ثقيل ولقد قتلوا الأبناء والأخوة وذلك لأجل الحق ، فكيف أنا؟ [2] .

وسأل مالك الأشتر القسَّ حول دخوله الإسلام فقال القس: ليس أدخل في دينكم إلا بعد أن تجيبوني عن بعض المسائل ، فقال له مالك: إسأل ، وفيما هما في هذه المحاورة ، وإذا بالصياح والهرج والمرج في الحصن ، فقام مالك ليرى ما الخبر ، وظن أن الروم غدرت بهم ، وإذا برايات من بعيد فركب مالك ومن معه لينظروا ما هو الخبر ، وإذا بخيول المسلمين وهم يقودون الأسرى وأمامهم الفضل بن العباس وقد بعثه أبو عبيدة بن الجراح في أثرهم ، فسأل الفضل مالكاً عن وجودهم وخبرهم ، فأخبره مالك بفتح عزاز وقصة القس.

هذا وقد أجاب الفضل بن العباس عن أسئلة القس الذي قدمه مالك له ، فلقد أسلم القس بعد أن اقتنع بأجوبة الفضل ومالك الأشتر ، وقال أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فلما رأى أهل عزاز إسلام القس أسلموا جميعهم إلا قليل منهم [3].

إن هذه الرواية التي أوردها الواقدي في سيرة مالك الأشتر في فتوح الشام عند فتحه لحصن عزاز ، تمثل الخطة الحكيمة لمالك وشجاعته الفردية في جلب الأسير ، وجهاده من أجل الإسلام بكل إخلاص وحيوية.

يستنتج الباحث من هذه الرواية في سيرة مالك الأشتر الأمور التالية:

ثقة أبي عبيدة بن الجراح الكبيرة بمالك الأشتر وإرساله مدداً على رأس جيش قوامه ألف فارس خلف يوقنا ، وهو ما يعزز قيادة مالكً ، حيث قال له أبو عبيدة: ((سر وفقك الله وأرشدك....)).

شجاعة مالك الأشتر الفردية حيث أنه لم يرسل أحداً من أصحابه الى الحصن لكشف قوة العدو ويخطف رجلاً منهم ، فلقد غاب وأسر رجلاً وجاء به وهو القائد ، وكان بإمكانه إرسال مجموعة من الرجال لاختطاف أسير واستجوابه ، إن هذه العملية هي من الخطط التعبوية الحديثة في القتال ، حيث تكمن مجموعة من خلف صفوف العدو ثم تتسلل ليلاً وتخطف أسيراً ثم تستجوبه لتعرف مدى قوة العدو وعددهم وسلاحهم وإمكانياتهم القتالية ، وهذا ما فعله مالك الأشتر ، ولكن بجهوده الشخصية ، وهي شجاعة فردية قلّما تكون في قائد غيره. والعودة لقراءة هذه الرواية سوف تستقرئ هذه الحادثة.

محاورة واستجواب مالك الأشتر للأسير المختطف كان استجواباً سيكولوجيا ، حيث أنه يسبر

---

1) المصدر نفسه ، 278/1.

2) المصدر نفسه ، 278/1- 279.

3) الواقدي: فتوح الشام ، 279/1-280

غور الرجل ويكشف أعماقه ، مما جعله يقف إلى جانبه ثم يسلم على يديه ويكشف قوة العدو ومكامنه ومن ثم يذهب مع راشد ابن عم مالك لاستطلاع الحصن.

مداهمة مالك الأشتر للحصن بعد إخباره من قبل الثنائي الاستخباري طارق وراشد بما حصل في الحصن ، فكانت خطوة سريعة ومحكمة وصاعقة من قبل مالك وأصحابه ، حتى أنه دخل الحصن وفض النزاع وسيطر على الوضع بقيادته الشجاعة ، حتى أن أهل الحصن عندما سمعوا تكبيرة مالك وأصحابه رموا أسلحتهم واستسلموا.

سيطرة مالك الأشتر على الحصن ومحاورته مع لوقا بعد حديثه عن لوران بعد قتله لأبيه وقول مالك ((إذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه)) ، وهي حكمة تدل على ثقافة إسلامية لمالك وتعمق في أصول الدين.

فراسة مالك حيث أنه عندما نظر إلى القس وهو لم يعرفه من بين جموع الأسرى ، قال: ((إن صدقت الفراسة فهذا القس الذي أخبرني به لوقا.....)) ، وهذا دليل على ذكائه الحاد ومعرفته بالأشخاص وهي صفة قيادية متميزة.

استدراج مالك الأشتر للقس ومحاورته له تنم عن دراسة عميقة في الاستجواب ، حيث أنه حصر القس في زاوية حادة لم يجعل له أي هروب منها؟

شهادة خالد بن الوليد لمالك الأشتر بأنه يعد بألف فارس

في الحقيقة لا يعرف الشجاع إلا قرينه ، والمعروف عن خالد بن الوليد شجاعته وبسالته فهو علم على رأسه نار "كما مدحت الخنساء أخاها صخراً" ، وهو لا يحتاج إلى التعريف ، فسيرته مشهورة في الجاهلية والإسلام ، أما شهادته لمالك بالشجاعة فهي شهادة الحق والرجولة ، فلا يمكن أن يشهد لمالك بالشجاعة إذا لم يختبره ويرى أفعاله.

ويقول الواقدي في فتوح الشام عن إرسال المدد إلى عمرو بن العاص في مصر ضد القبط ، وذلك بكتاب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي عبيدة بن الجراح يأمره أن يرسل مدداً إليه ، فقال أبو عبيدة: إن الطريق إلى مصر بعيد وأخاف على الجيش من المشقة.

يقول الواقدي: ((فقال خالد بن الوليد لأبي عبيدة: كم جهدك أن ترسل؟ قال: أربعة آلاف فارس ، فقال خالد: إن الله كفاك ذلك ، فقال: كيف ذلك يا أبا سليمان؟ قال خالد: إن عزمت على ما ذكرت فابعث أربعة من المسلمين ، فهم مقام أربعة آلاف فارس ، فقال أبو عبيدة متعجباً: من الأربعة؟ قال خالد: أنا أحد الأربعة والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر ومالك بن الحارث [الأشتر] ، فلما سمع أبو عبيدة ذلك تهلل وجهه فرحاً وقال: يا أبا سليمان افعل ما تراه .....))[1].

قال الواقدي: فصلى أبو عبيدة بالناس صلاة المغرب ، فقدم الثلاثة ومنهم مالك الأشتر إلى قبة خالد

---

[1]) الواقدي: فتوح الشام ، 2/60- 161

وذهبوا إلى أبي عبيدة فودعهم وخذوا معهم دليلاً وتوجهوا إلى مصر حتى قربوا من أيلة ، فإذا بخيل ومطايا وهي تزيد على ألف فارس ، فاستطلعوا أمرهم فإذا هم جيش قد بعثهم الخليفة عمر بن الخطاب إلى مصر. يقول الواقدي: ((فلما رأوهم سلموا عليهم ورحبوا بهم واستبشروا بالنصر لما رأوا خالداً وعماراً والمقداد ومالكاً ، وارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير وساروا بأجمعهم))(1)

كبسة الجيش:

وكما جاء في فتوح الشام للواقدي (كبسة الجيش) ، عن منصور بن ثابت الذي كان ضمن الجيش الذي أرسله الخلفية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقوله: إنه كان في أثناء سيرهم في الليل سمعوا صوتاً وهرجاً بعيداً عنهم ، قال: فأرسلني خالد بن الوليد لأستطلع الأمر ، فإذا بجيش كثيف أكثر من ثلاثة آلاف ، منهم يركب الخيل ومنهم يركب الحمير والجمال ، قال منصور: فكمنت قريباً منهم فسمعتهم يقولون علينا أن ننزل هنا فلقد تعبنا وإننا جئنا لنصرة المقوقس صاحب مصر ، فعدت إلى خالد والجيش وأخبرتهم بذلك ، فقال خالد اركبوا وسوف نحيط بهم من كل الجهات ونسير إليهم ونكبسهم فإنهم جاءوا لنصرة المقوقس صاحب مصر(2).

هذا وقد أحاطوا بهم وداروا بهم كدوران البياض بسواد الحدق وأعلنوا بالتهليل والتكبير وقد فاجئوهم وقتل من قتل منهم وأسر الآخرون وقد استجوب خالد الأسرى فقالوا: نحن جئنا لنصرة المقوقس ، فقال خالد: ((من حفر لمسلم قليباً أوقعه الله فيه قريباً))(3).

ويستمر الواقدي في رواية (كبسة الجيش) هذه ، ثم أن خالداً وأصحابه بعد أن سيطروا على الجيش المنتصر الذي جاء لنصرة المقوقس أمر أصحابه ومنهم مالك الأشتر بأن يلبسوا زي المنتصرة ويخدعون الملك المقوقس ، بأنهم الجيش الذي جاء لنصرته ، وهكذا فأرسلوا رسولاً منهم على أنهم من جيش المنتصرة ، فلقد قال الواقدي: ((وأن خالداً أمر أصحابه بلبس الخلع التي أرسلها لهم [إلى المنتصرة] ابن المقوقس فلبسوها فوق دروعهم ولبس رفاعة بن قيس وبشار بن عون أحسنها وغير خالد زيه والمقداد وعمار ومالك الأشتر))(4).

ولما التقى جيش المسلمين مع مقدمة جيش المقوقس ، قالوا لهم بأننا من منتصرة العرب وأننا جئنا لنصرتهم ، ولقد نزلوا في دير مرقص ، ودار بينهم كثير من الكلام ، ولقد شك فيهم القس الذي هرب من المسلمين إلى هذا الدير وقال لجماعته أنهم من المسلمين العرب وليسوا من عرب الشام المنتصرة ، غير أن رهبان الدير كانوا لا يثقون بهذا القس ، وأمسكوا به ، وسألوا مالكاً الأشتر الذي هو محيط بالدير. قال الواقدي بعد أن قبض رهبان الدير بالقس أشرفوا على المسلمين . ((بحق ما تعتقدون من دينكم هل أنتم من أصحاب محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، فإنا قد قبضنا على هذا

---

1) الواقدي: فتوح الشام ، ص61 ؛ المقريزي ، تقي الدين أحمد: خطط المقريزي ، (ط1 ، مكتبة الدخان ، بيروت ، دون تاريخ) ، ج2 ، ص148 ؛ البلاذري: الفتوح ، ص210.

2) الواقدي: فتوح الشام ، 261/2

3) المصدر نفسه ، 62/2

4) المصدر نفسه ، 63/2

اللعين ، ونريد أن نسلمه لكم وأنكم تعطوننا أماناً ، فإنا قوم لا نعرف حرباً ولا قتالاً ، فقال لهم مالك الأشتر: يا هؤلاء أما ما زعمتم من صلحنا نصالحكم وما كان أمرنا بالذي يخفى ولا نرضى بالكذب فإنه أشنع شيء عندنا ، ولاسيما إن الإسلام يمنعنا من استعماله ، ولو أن السيف على رأس أحدنا إذا سئل عن دينه أجاب به وتكلم بوحدانية الله تعالى ، ونحن من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولكم الأمان وهذا أمان الله ورسوله))(1) .

قال الواقدي فيما سمع الرهبان هذا الكلام من الأمير مالك الأشتر ، فتحوا الباب وسلموا القس إلى المسلمين وأجابوا إلى الصلح ، ولقد أمر خالد بن الوليد بقتل القس بعد أن رفض الإسلام وأصر على ما هو عليه من العداء للمسلمين.

وعن مسير خالد بن الوليد وأصحابه بزي المنتصرة واقتربوا من جيش عمرو بن العاص ، كانوا في البداية يعتقدون أنهم من المنتصرة ، فقال معاذ بن جبل إلى عمرو بن العاص: ما هؤلاء من المنتصرة ، فقال عمرو بن العاص: إني نظرت نور الله في وجوههم واحداً واحداً ، ورأيتهم بزي وادي القرى والطائف. وقال شرحبيل: إني أرى خالد بن الوليد ، وقال يزيد بن أبي سفيان: ((أنا والله رأيت مالكاً الأشتر وعرفته بطول قامته وركبته على فرسه ، ثم قالوا: لابد أن ينكشف لنا خبرهم على جلبته ، وهم في الحديث إذ أتاهم نعيم بن مرة ، فلما رأوه تهللت وجوههم فرحاً وسروراً ، فلما وصل إليهم وسلم عليهم حدثهم بالحديث كله فسجدوا لله شكراً)) (2).

قال الواقدي:جمع المقوقس جيشه وحارب المسلمين ولقد كان شقيق الملك اسمه أرجانوس قد كاتب المسلمين وكان يؤمن بنبوة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، وقد دخل المسلمون وكبروا وسط عسكر المقوقس وقد كانت النتيجة هي انتصار المسلمين انتصاراً حاسماً.

هذا وقد ملك المسلمون المدينة وهي في مصر ولقد قتل خمسة آلاف من القبط ومما أَسر منهم ، فقال شرحبيل بن حسنة إلى عمرو بن العاص: ((إصنع ما أمر الله من العدل فيهم وأحسن وطيب خواطرهم فَإَننا إذا قصدنا غير هذه المدينة وسمع أيها الأمير عنك أهل مصر يسلمون بغير منازعة ولا حرب فقال: معاذ بن جبل وخالد بن الوليد والمقداد وعمار ومالك الأشتر وربيعة ويزيد القول الذي قاله كاتب وحي رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) وهو معمول به...))(3) .

الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يعين مالك الأشتر أميراً

وبعد فتح مصر وما يليها من قبل عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وجيش المسلمين وكان الأشتر من ضمنهم ، كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يطلب منه الموافقة على فتح الصعيد وجملة الكتاب ((بسم الله الرحمن الرحيم...وبعد ذكر الله والصلاة على

---

(1) المصدر ، 2/64- 165
(2) الواقدي : فتوح الشام ، 2/266
(3) المصدر نفسه ، 2/68- 369

رسوله (صلى الله عليه واله وسلم)...وقد اجتمع أصحاب رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) من السادات والأمراء والأخيار من المهاجرين والأنصار يطلبون الإذن من أمير المؤمنين...))[1].

فكتب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعمرو بن العاص جواباً على كتابه ((بسم الله الرحمن الرحيم .. من عبدالله عمر بن الخطاب إلى عامله على مصر ونواحيها عمرو بن العاص سلام عليك ورحمة الله وبركاته ... قد قرأت كتابك وفهمت خطابك فإذا قرأت كتابي هذا فاستعن بالله واربط الخيل وأرسل الأمراء لكل بلد أمير ليقيموا شرائع الدين ويعملوا الأحكام))

ثم يستمر الخلفية (رضي الله عنه) بكتابه هذا ((.... ثم انتدب عشرة آلاف من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأمّر عليهم خالد بن الوليد وأرسل معه الزبير بن العوام والفضل بن العباس والمقداد بن الأسود وغانم بن عياض الأشعري ومالكاً الأشتر ، وجميع الأمراء وأصحاب الرايات ينزلون إلى المدائن ويدعون الناس إلى الإسلام...))[2].

وهذا يدل على أهميةِ مالكٍ الأشتر وتأميره من قبل القيادة المركزية المتمثلة بالخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نفسه ، حيث يتم تعيينه ضمن الأمراء وذلك لشجاعته وقيادته ، ولابد أن سمعته واسمه جعلانه من القادة البارزين الذين يتم انتقائهم من قبل الخليفة بالذات.

ولقد تم تعيين الأمراء حسب توجيهات القيادة العليا ، وهم الزبير بن العام ويزيد بن أبي سفيان وعبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن عمر بن الخطاب وجعفر بن عقيل والفضل بن العباس والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وأبو دجانة الأنصاري وغانم بن عياض وأبو ذر الغفاري والقعقاع والمغيرة وميسر ومالك الأشتر[3].

ولقد آثر الباحث أن يعددهم بالترتيب وحسب ما جاء في فتوح الشام للواقدي ومالك أمير على خمسمائة وكل أمير منهم على مثل هذا العدد.

وبهذا يعتبر مالك الأشتر معروفاً ومصاحباً للخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، بحيث أنه يثق به ويجعله أميراً من جملة الأمراء من الصحابة ، وهي شهادة كبيرة لمالك الأشتر من قبل الخليفة ، وسوف يقوم الباحث بتحليل واستقراء سيرة مالك الأشتر في فتوح الشام.

أما فتح بابليون في مصر فلقد اشترك فيها مالك الأشتر كما جاء في فتوح الشام للواقدي ، فلقد قال: ((وأما خالد لما اقترب من الحصن استدعى الزبير بن العوام وضم إليه ألف فارس من الأمراء وغيرهم وأمره بالمسير ، ثم استدعى الفضل بن العباس وضم إليه ألف فارس وسار على إثره ، ثم استدعى ميسرة بن مسروق وضم إليه ألف فارس ، ثم استدعى يزيد بن أبي سفيان وضم إليه ألف فارس وسار على إثره ، ثم استدعى مالك الأشتر النخعي وضم إليه ألف فارس وسار على إثره ، وسار

) الواقدي: فتوح الشام ، 2/220- 221؛ البلاذري: فتوح البلدان ص1.215
) الواقدي: فتوح الشام، 2/226-2227
) المصدر نفسه ، 2/226-3227

خالد ببقية الجيش)) [1].

ثم قامت الحرب بين المسلمين وملك بابليون بعد أن امتنع عن الإسلام والجزية ، فعبأ خالد بن الوليد جيش المسلمين واستعد للحرب ، وبعد صلاة الصبح ((ركب المسلمون خيولهم وركزوا رأيهم واصطفوا ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين ، وخالد في وسط الجيش وعلى الميمنة ميسرة بن مسروق العبسي ومالك الأشتر النخعي في خمسمائة فارس من المهاجرين والأنصار)) [2].

هذا وقامت الحرب بين المسلمين والروم على أوجها واشتد القتال ، وكان قد أبرز للروم خمسون صليباً تحت كل صليب ألف فارس فكانت حرباً شعواء. وقد استمرت يومين قتل في اليوم الأول من الروم ألف وثلاثمائة وأكثر ، واستشهد من المسلمين اثنان وأربعون ، وفي اليوم الثاني انهزمت الروم شرّ هزيمة وتبعهم المسلمون وحاصروهم أشد حصار مما جعل ملكهم يستسلم هو ومن معه بعد ثلاثة أشهر من الحصار الشديد ، وجمعوا الغنائم وأخرج عمرو بن العاص الخمس وأرسله إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

يستنتج من هذا الفتح مدى دور مالك الأشتر في هذه المعركة الحاسمة ، حيث قاد ألف فارس رغم وجود الأمراء والأعيان ، ثم أنه أسند إليه وميسرة العبسي في خمسمائة فارس في التقدم أثناء المعركة.

فتوح البهنسا * ودور مالك الأشتر فيها

وفي هذا الفتح لمالك الأشتر فيه مواقف شجاعة ، وأن مواقفه متشابهة ، وما قاله الواقدي ((ونزل المسلمون بجانب الجبل عند الكثيب الأصفر تقريباً من البياض الذي على المغارة نحو المدينة. هذا ما جرى لهؤلاء ، أما أبو ذر الغفاري وأبو هريرة الدوسي ومعاذ بن جبل وسلمه بن هاشم ومالك الأشتر وذو الكلاع الحميري فإنهم ساروا حتى نزلوا قريباً من القوم وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا خرج أعداء الله للقائهم....))[3]

أما مالك الأشتر فأن دوره لم يكن بالسنان وحسب ، إنما باللسان أيضا حيث انبرى من دونهم يحرضهم على القتال يقوله كما جاء في فتوح الشام للواقدي حيث يقول ((فقال مالك الأشتر: يا قوم إن أعداء الله خرجوا للقائكم فاَشغلوهم بالقتال وأرسلوا جماعة منكم يملكون الجسر واستعينوا بالله....))[4].

إن مالك الأشتر هذا ينم عن مقدرة كبيرة في تشخيص العدو وما هي مكامن الضعف فيه وإن دواء هذا الداء هو إشغال العدو بالمواجهة حيث يقول ((فاشغلوهم بالقتال)) وهذا يعني لا تدعوهم يتقربون منكم ، أنما أخرجوا لهم قوتكم وهي ممارسة للاستعداد والتهيؤ للقتال . ثم إن مالك الأشتر

---

1) المصدر نفسه ، 251/2
2) المصدر نفسه ، 254/2
3) الواقدي: فتوح الشام ، 272/2
4) المصدر نفسه ، 272/2
* مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام ، معجم البلدان ، 479/1

يضع لهم خطة عسكرية حكيمة وهي إرسال جماعة من المقاتلين لاحتلال الجسر حيث انه منطقة إستراتيجية تكاد تكون المعبر المهم للعدو فعندما يملك المسلمون هذا المعبر فيستحيل على العدو اجتياز المانع المائي بعد ذلك.

ومالك الأشتر له في الله قوة الإيمان فأنه يطلب من المسلمين إن يصبروا ويستعينوا بالله قال تعالى ((وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور))(1)

ولذلك فإن يصبر الناس به والاعتماد عليه. وبهذا أخذ المسلمون بتعليمات هذا القائد مالك الأشتر، وثم إرسال ثلة من المسلمين لاحتلال هذا الموقع الإستراتيجي المهم (الجسر) ومنع الروم من الوصول إليه وعبوره ثم ملكوه بعد عناء شديد, وقد أقتتل المسلمون مع الروم قتالا شديدا استمر لمدة سبعة أيام وعندما فشي القتل في الروم , ولّوا الادبار ثم صعدوا إلى القلعة وأغلقوا الأبواب واستعدوا للحصار ونصبوا آلات القتال (2).

وقال الواقدي عن أبي المنهال وكان من أصحاب مالك الأشتر أنه قال: عندما كنا نحاصر القلعة , وقد تظاهروا علينا, وإذا نحن بأصوات قد داهمتنا في ساعة الفجر وكانت تلك الليلة مقمرة , وإذا نحن بجيش كبير, فيه عشرون صليباً تحت كل صليب ألف فارس, وهم من الروم, وقد خرج هؤلاء في أول الليل وأصبحوا علينا وفاجئونا , وقد استعد المسلمون لملاقاتهم وقد عبأ مالك الأشتر الجيش وقام فيهم خطيباً حيث قال :((يا وجوه العرب أجعلوا البحر خلف ظهوركم وقاتلوا أعدائكم واستعينوا بخالقكم ....))(3)

ويقول أبو المنهال على رواية الواقدي: فاحتدم القتال بين المسلمين والروم على أشد ما يكون والروم صاحوا بلغتهم ودق أهل القلعة الطبول , وجاءت كتيبة من الروم قواتها ثلاثة آلاف , ولقد هجم عليهم القعقاع التميمي في ألفي فارس وصار القتال في ذروته , وجاءت نجدة من المسلمين في ألف فارس من أصحاب قيس بن الحرث ولقد كبروا وكبر المسلمون وكان فيهم الفضل بن العباس ويزيد بن أبي سفيان ومسلم بن عقيل في جماعة ممن عبروا إلى البحر الشرقي.

يقول الواقدي عن معركة القلعة في البهنسا إن الروم استعدوا لمواجهة المسلمين , ولقد دبروا أمرا وخرج في الليل ألف فارس وكان على باب القلعة من الحرس في تلك الليلة ابن ثابت و عبدالله بن العباس و عبدالله بن معقل والبراء بن عازب ومالك الأشتر وذي الكلاع الحميري (4).

ويقول الواقدي عن أبي زيد عن مالك الأشتر قال: ((بينما نحن نسهر في الليلة والمسلمون قد هجعوا في مراقدهم من شدة البرد وكثرة السهر ووضعوا أسلحتهم , ومنهم من له ورد يقرأه ومنهم من يصلي، إذ رأينا فتح الباب وخرجوا[الروم] كالسلاهب وبأيديهم الفوانيس ومشاعل النار وحملوا على الجيش فتبادرنا إليهم وصحنا: النفير , دُهمنا يا مسلمين ثوروا فقد غدركم القوم , فلما سمع المسلمون

) سورة آل عمران: الآية **1186**
) الواقدي: فتوح الشام ، **2/272- 2273**
) المصدر نفسه ، **3285/2**
) المصدر نفسه ، **4288/2**

الصياح , ثاروا من مضاجعهم كالأسود الضاربة هذا يأخذ سيفه وهذا يأخذ رمحه ...))[1]

ويضيف مالك الأشتر وصفه الرائع هذا يقوله ((... وهذا عاري الجسد لم يُمهل حتى يلبس ثيابه وهذا يشد وسطه بمئزره ... وثاروا في صدور الرجال , هذا وعدو الله قد عطف على جماعة من المسلمين قبل أن ينتبهوا ووضع السيف فيهم , فما أفاق بعض القوم إلا والسيف قد أطاح برأس هذا وقطع زند هذا وطعن نحر هذا ، وهكذا ، وكثر الصياح وعظم البلاء وكثر القتال وعدو الله كركر عليه ديباجة حمراء مقصبة بالذهب تلمع من فوق الدرع وعلى رأسه بيضة عليها جوهرة تضيء كالكواكب ، وهو يهدر كالجمل الهائج وهو يرطن بلغته وخلفه جماعته...))[2].

ثم ينقل الواقدي تكملة وصف مالك الأشتر لهذه الوقعة بالقول ((... والذي على الأسوار يصيحون ويزعقون بشعارهم ويضربون بقرونهم وبوقاتهم وطبولهم وأوقدوا مشاعلهم من أعلى السور حتى تضيء مثل النهار ، هذا وقد شارك الأمراء وأصحاب النميرة وذوو المروءات واعتنقوا سيوفهم وركبوا خيولهم ، فمنهم من ركب جواده عرياناً ومنهم من ركب بسرج بغير لجام ، ومنهم من أسرع ماشياً ، فلله در الفضل بن العباس وابن عمه الفضل بن أبي لهب وعبدالله بن جعفر ويزيد بن أبي سفيان ... ومثل هؤلاء السادات. ولقد قاتلوا قتالاً شديداً وأبلوا بلاءً عظيماً ، وطعن جماعة من المسلمين وجرح جماعة من المسلمين ....)) [3].

هذا وصف مالك الأشتر نقل الباحث نصه وهو يصف وقعة حصار قلعة (البهنسا) ، فهو وصف دقيق يلاحظ فيه الانتقائية ، في الكلمات والانتقال بواقعية من موضع إلى آخر بحنكة وبلاغه ، فكأنه يرسم بريشة الفنان هذه الوقعة بحذافيرها فلم يترك شاردة ولا واردة إلا ونقلها ، فهو يقول مثلاً .. المسلمون قد هجعوا في مراقدهم .. شدة البرد .. كثرة السهر منهم ماله ورد بالقراءة ، إلى آخر هذه الكلمات التي يصورها بشكل تسلسل وفتح الأبواب وفاجأهم وباغتهم ، ويصف حالة المسلمين .. هذا عاري الجسد وهذا عليه قميص وهذا وهذا .. وهو وصف دقيق جداً ، قلما يمكن لشاعر أو أديب أن يصفه. ثم ينتقل بوصفه إلى العدو كيف أنهم يوقدون مشاعلهم .. يدقون طبولهم ، ويصف ملكهم كركر ، ملابسه الجوهرة التي هي كالكوكب تضيء فوق رأسه ثم كيف الأمراء انتبهوا ونادوا على بعضهم .. إلى آخر الوصف الذي كان فيه لمسات فنية ومشاعر إيمانية فياضة قد يكون فيها إنموذج للبطولة والشاعرية في آن واحد. فقتل القعقاع بطريق القلعة وقتل الفضل البطريق الثاني ، وهكذا هبطت معنويات الروم واهزموا وغرق وأسر منهم نحو ثلاثة آلاف ، ولقد حاصر المسلمون القلعة مدة تسعة أشهر لحصانتها ثم فتحوها [4].

إن كلام مالك الأشتر للجيش (يا وجوه العرب) وهو يخاطب قادة الجيش ، وهذا يدل على مدى تمكنه من الكلام واستيعاب الجيش لما يقول ومكانته المرموقة وأمرته على من دونه وسماع الآخرين

---

(1) المصدر نفسه ، 289/2

(2) الواقدي : فتوح الشام ، 289/2

(3) المصدر نفسه ، 288/2- 289

(4) المصدر نفسه ، 268/2

ما يقول ، ثم أنه يقول ((أجعلوا البحر خلف ظهوركم)) وهو تحذير لهم بأن البحر وراءهم ، أي أن العدو أمامهم والبحر وراءهم ، يذكرنا ذلك بخطبة طارق بن زياد عندما عبر المضيق المسمى باسمه فيما بعد وواجه جيش لوذريق في وادي لكة من الجزيرة الخضراء جنوب الأندلس ، ويقال أنه أحرق السفن في ذلك نظر.

ولقد خطب طارق في جيشه قائلاً ((أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر.....)) [1].

وخطبة الأشتر في أول القرن الهجري في 14هـ أو 15هـ على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وخطبة طارق بن زياد في سنة (92هـ) في آخر القرن الأول الهجري ، فهل هناك توارد للخواطر أم تواصل كلام بين رجلين لاسيما أن في جيش طارق بن زياد أحد أحفاد مالك الأشتر وهو من الأمراء.

والملاحظ هنا أن مالك الأشتر لم يذكر اسمه أو دوره في هذه المعركة وهذا دليل على الإثرة وعدم التأكيد على الذات و(الأنا) لبطل كالأشتر يصف هذه المعركة ورجالها بكل هذه التفاصيل وهو يشارك فيها بل وفي مقدمتها ، فالذي يفصل الواقعة أدق التفاصيل وملابس الملك لابد أن يكون في مقدمة المقاتلين وأنه لم يذكر نفسه ترفعاً عن ذلك.

هذا وقد ودارت المعركة وقتل من الروم نحو ثلاثة آلاف وفرّ الباقون وأسر المسلمون من الروم نحو ألف ومائتين وخمسين ، ولقد استشهد عدد من المسلمين وعددهم أربعمائة وخمسة وثلاثون رجلاً ، وانتهت الوقعة لصالح المسلمين[2].

ولقد كانت هناك معارك شديدة حول باب البهنسا يطول شرحها ، غير أن المسلمين في النهاية اقتحموا باب القلعة ودخلوا ، وقد أورد الواقدي دخول الأمراء وحسب الترتيب ومنهم مالك الأشتر ، ثم كانت الدائرة قد دارت على الروم وانهزموا أخيراً وانتصر المسلمون [3]. هذا ما جاء في فتوح الشام للواقدي ، حيث أنه توفي سنة 207هـ ، وأكثر المصادر الأساسية نقلت عنه ، فلقد نقل البعض من المصادر الأولية ما يروق لمعتقداتهم المذهبية أو السياسية أو إرضاء للحكام أو طمعاً بأموال أو تقريباً لهذا أو ذاك ، ومنهم من كان موضوعياً فالتزم الحيادية ، ومنهم من نقل بدون تعليق ، إنما ينقل الرواية ونقيضها ويأتي من بعده فينقل وينتقي ما يروق له.

ومن المصادر الأساسية الأخرى حول اشتراك مالك الأشتر في الفتوحات الإسلامية في الشام ، ما جاء في فتوح البلدان للبلاذري ((إنهم اختلفوا في أول من قطع الدرب وهو درب بفراس , فقال بعضهم : قطعة ميسرة بن مسروق العبسي وجهه أبو عبيدة بن الجراح الى جمع من الروم ومنهم مستعربة من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقع بهم و قتل منهم مقتلة عظيمة ثم لحق به

---

1) الدينوري: الإمامة والسياسة ، 117/2 ؛ المقري: ، شهاب الدين أبو العباس أحمد (ط1 ، القاهرة ،دون تأريخ) ج1 ، ص240 ؛ ينظر: الشطاط ، علي حسين ، (ط1 ، دار قباء ، القاهرة ، 2001) ، ص36

) الواقدي: فتوح الشام ، 2289/2

) المصدر نفسه ، 3304/2

مالك الأشتر النخعي مدداً من قبل أبي عبيدة وهو بإنطاكية ...)) [1].

وما جاء في فتوح الشام للأزدي حول قصة ميسرة العبسي ومالك الأشتر حيث قال مرفوعاً عن الحسين بن عبدالله أنه قال : ((إن الأشتر قال لأبي عبيدة: أبعث معي خيلاً أتبع آثار القوم , فأمضي نحو أرضهم , فإن عندي جزاء وغناء فقال له ، والله أنك لخليق لكل خير ...))[2].

وهذا يدل على مدى ثقة الصحابي أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) بمالك الأشتر وأن له خبرة ومعرفة بشجاعته حيث يقول له : ((أنك لخليق لكل خير)) وهذه العبارة توضح الجدارة في الشجاعة والخير وما قاله الرازي في مختار الصحاح ((خلاق (خليق) بكذا أي جدير به)) [3].

ثم يستمر الأزدي في قصة الأشتر ومسيرة بقوله :

وبعث أبو عبيدة الأشتر في ثلاثمائة فارس وقال له : ((لا تباعد في الطلب وخرج الأشتر ثم أن أبا عبيدة أرسل ميسرة بن مسروق في ألفي فارس وبلغ ذلك الأشتر فلحقه في الدروب و أذا بميسرة قد التقى مع جمع من الروم وهم أكثر من ثلاثين ألفاً من الروم وكان ميسرة قد أشفق على من معه وخاف على نفسه وأصحابه , وبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الأشتر في ثلاثمائة فارس من النخع , فلما رآهم أصحابه ميسرة كبروا وكبر الأشتر وأصحابه ...)) [4].

ويواصل الأزدي كلامه حول هذه الوقعة ((... وإن الأشتر حمل من مكانه ذلك عليهم وحمل ميسرة عليهم فهزموهم , وركب بعضهم بعضاً فهزموهم , وركبوا رؤوسهم , وأتبعتهم خيل المسلمين يقتلونهم حتى انتهوا إلى موضع من الأرض فعلوا فوقه ونزلت رجالة منهم إلى خيل المسلمين فرموهم ...))[5]

ويستمر الأزدي بروايته هذه : وعند ذلك وقف المسلمون , عندما رمتهم الروم , ثم أقبل عظيم من عظمائهم مع رجال منهم وأخذوا يرمون المسلمين من مكان مشرف و لقد نزل من الروم رجل أحمر , عظيم الجسم فتعرض للمسلمين وطلب البراز[6].

يقول الأزدي عن الحسن بن عبدالله الذي روى هذه الوقعة

((فوالله ما خرج إليه رجل منهم ، فقال لهم الأشتر: ما منكم أحد يخرج إلى هذا العلج ؟ فلم يكلمه أحد ، قال: فنزل الأشتر ثم خرج إليه فمشى كل واحد منهما إلى صاحبه وعلى الأشتر الدرع والمخفر ، وعلى الرومي مثل ذلك ، فلما دنا كل منهما من صاحبه شد عليه الأشتر فاضطربا بسيفيهما ، فوقع سيف الرومي على هامة الأشتر ، فقطع المخفر ، وأسرع السيف في رأسه حتى كاد أن ينشب في العظم ، ووقعت ضربة الأشتر على عاتق الرومي فلم يقطع سيفه شيئاً من الرومي ، إلا أنه قد

---

1) البلاذرى : فتوح البلدان , ص 168 بنظر الحموي : معجم البلدان 3 / 17

2) الأزدي : فتوح الشام ، ص 237

3) الرازي : مختار الصحاح ، ص 186

4) الأزدي: فتوح الشام ، ص 238

5) المصدر نفسه ، ص 238

6) المصدر نفسه ، ص238

ضربه ضربة شديدة أوهنت الرومي وأوثقت عاتقه ثم تحاجزا....)) [1].

ويستمر الحسن بن عبدالله في كلامه والذي كان حاضراً هذه المبارزة:

((... فلما رأى الأشتر أن سيفه لم يصنع شيئاً انصرف ، فمشى على هيئته حتى أتى إلى الصف ، وقد سال الدم على لحيته ووجهه فقال: أخزى الله هذا سيفاً ، وجاء أصحابه وقال: عليّ بشيء من الحناء ، فأتوه به من ساعته فوضعه على جرحه ثم عصبه بالخرق ثم فرك لحيته وضرب أضراسه ببعضها البعض ثم قال ما أشد لحيتي ورأسي وأضراسي....)) [2].

ويواصل الراوي قوله: ((.... ثم قال: [الأشتر] لابن عم له إمسك سيفي هذا واعطني سيفك ، فقال له: دع يفي رحمك الله فإني لا أدري لعلي أحتاج إليه ، فقال: أعطنيه ولك أم النعمان ، يعني ابنته ، قال: فأعطاه إياه ، فذهب ليعود إلى الرومي فقال له قومه: إنّا ننشدك الله أن تتعرض لهذا العلج ، فقال: والله لأخرجن إليه فليقتلني أو أقتله .... فتركوه فخرج إليه ، فلما دنا منه الأشتر شد عليه ، وهو شديد الحنق عليه.....))[3].

وبعد أن التقى الأشتر بالعلج الرومي ، يقول الراوي: ((فضربه الأشتر على عاتقه فقطع ما عليه حتى خالط السيف رئتيه ، ووقعت ضربة الرومي على عاتق الاشتر فقطعت الدرع ، ثم انتهت ولم تضره شيئاً ووقع الرومي ميتاً وكبر المسلمون ، ثم حملوا على صف رجالة الروم ، فجعلوا ينقضون ويرمون المسلمين وهم من فوق ، فما زالوا حتى أمسوا وحال بينهم الليل)) [4].

ثم أن الأشتر صلى بأصحابه ، وميسرة صلى بأصحابه ، فجاءه أحد من أصحاب ميسرة وقال: لماذا لم تصلّ مع الأمير ميسرة ، فقال له الأشتر في كلام منه ((منعني ياعبدالله من الصلاة معكم ، إني وليت هذه الخيل ولم يؤمّر علي إنسان ، ولم أؤمر بطاعة أحد ولست مؤمراً على من لا يؤمر بطاعته ، ولا يريد الإمارة على من لم يؤمر بطاعتي ، وأنا إذا صليت الغداة انصرفت إن شاء الله تعالى ....)) [5].

ولما صلى مالك الأشتر الغداة مع أصحابه قفل راجعاً أدراجه إلى أبي عبيدة ، وكان أبو عبيدة قد تأسف على تسريحه إياهم ، وبينما هو كذلك فقد بشر بقدوم مالك الأشتر ، وجاء الأشتر فحدثه بحديث الروم وهزيمتهم ، ولم يذكر مبارزته للرومي وقتله وأخبره غير ذلك ، وقال له الأشتر بأنه لم يتوجه بأصحابه مع ميسرة لإشفاقه عليهم ، فقال له أبو عبيدة: أحسنت وددت أنهم رجعوا معكم [6].

وكما جاء في تاريخ اليعقوبي عن الدروب الشامية ، قال: ((ووجه [أبو عبيدة] بمالك بن الحارث الأشتر على جمع إلى الروم وقد قطعوا الدرب فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم انصرف وقد عافاه

---

1) الازدي : فتوح الشام ، ص238

2) المصدر نفسه ، ص238

3) المصدر نفسه ، ص239

4) المصدر نفسه ، ص240

5) المصدر نفسه ، ص240- 241

6) المصدر نفسه ، ص241

الله وأصحابه)) 1.

هذا قبس من سيرة مالك الأشتر الأمير في فتوح الشام ما بعدها ، وهو أبلغ من التعليق عليه ، غير أن الباحث رغب بالوقوف على بعض النقاط الاستنتاجية التالية :

* الثقة الكبيرة في شخصية مالك الأشتر من قبل أبي عبيدة بن الجراح حيث قال له (إنك خليق لكل خير) وقوله (أحسنت) كما تقدم.

* الشجاعة الفائقة لمالك الأشتر حيث أنه برز للرومي وقتله ، ولم يبرز إليه غيره ولم يتوان عند إصابته بل رجع إليه وقتله.

* عدم الموافقة على تأمير الغير عليه لأنه لم يأمر بذلك وفي كلامه بلاغة حول هذا الموضوع ، مما يدل على ثقة كبيرة في النفس.

* عدم المفاخرة والتعالي ، حيث إنه ذكر مواجهتهم للروم وهزيمتهم لهم بشكل جماعي ولم يذكر لابي عبيدة مبارزته للرومي وقتله إياه ، وهذا تواضع الشجعان قلّ مثيله ، إلا عندما ذكر ذلك من غيره.

قصة رئاسة مالك الأشتر لقومه النخع

قال الأزدي في قصة رئاسة مالك بن الحارث الأشتر ، فقال: ((جاء الأشتر النخعي وقال لأبي عبيدة بن الجراح اعقد لي على قومي ، فعقد له ......!

هذا وكان للنخع رئيس غير الأشتر ، فقال له أبو عبيدة: أين كنت عندما عقدت لهذه الراية؟

قال مالك: كنت عند أمير المؤمنين (رضي الله عنه) في المدينة وهو يقصد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

فسأل أبو عبيدة النخع عن أيهما أحب إليهم في الرئاسة ، فقالوا كلاهما شريف وفينا رضي وعندنا ثقة.

قال أبو عبيدة: قدمت على هذا وهو رئيس قومك فلا ينبغي لك أن تخاصم ابن عمك ، وقد قبلت به جماعة قومك قبل قدومك.

فقال الأشتر: هو رضي وشريف وأنا كذلك وهو أهل للرياسة.

فقال أبو عبيدة: انتظروا هذه الوقعة ، يعني وقعة اليرموك ، فإن استشهد أحدكما عقدت للآخر.

فقال الأشتر: رضيت.

فلما كانت الوقعة استشهد فيها رأس النخع الأول فعقد أبو عبيدة الراية لمالك 2.

تبدو من هذه الرواية عبقرية أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) ، وكيف استطاع أن يحل هذه المشكلة ، ثم الثقة الكبيرة بالنفس لمالك الأشتر ، حيث أنه يشعر بالرئاسة والشجاعة مما جعله

---

1) اليعقوبي ، أحمد بن اسحق بن جعفر بن وهيب بن واضح: تاريخ اليعقوبي ، تحقيق خليل المنصور ، (ط2 ، قم ، إيران ، 1325هـ) ، ج2 ، ص97

2) الأزدي: فتوح الشام ، ص232 -233

يطلبها بجدارة.

مصارعة مالك الأشتر للرومي في دمشق

قال الأزدي حدثني الحسين بن زياد عن أبي إسماعيل محمد بن عبدالله قال: وحدثني أبو عبدالله بن الحسين ((أن الأشتر كان من جلداء الرجال ومن أشدائهم ، وأهل القوة منهم والنجدة ، وأنه قتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلاً من بطارقتهم وقتل ثلاثة منهم مبارزة)) [(1)].

وقال الأزدي : وقد أقبل مالك الأشتر مع خالد بن الوليد حين طلب الروم وحين انهزموا , فلما بلغ أرض دمشق , وعلى جماعة الغوطة في ثنية العقاب جماعة كبيرة من الروم وهم يرمون السهام من فوق على جيش المسلمين. ((تقدم إليهم الأشتر في جماعة من المسلمين , وكان يتقدمهم رجل]عظيم الجسم وهو من شجعانهم فمضى الأشتر إليه [ولعل الأشتر تعود على هؤلاء الروم ومبارزتهم فلما دنا منه وثب الأشتر فاستوى هو والرومي على صخرة مستوية , فاضطربا بسيفيهما فضرب كف الرومي فأطار كفه , وضرب الرومي الأشتر بسيفه فلم يضره شيئاَ , وأعتنق كل واحد منهما صاحبه , ثم دفعه الأشتر من فوق الصخرة , فوقعا منها , ثم تدحرجا فأخذ الأشتر يقول وهو بذلك ملازم للعلج لا يتركه وهما يتدحرجان [(2)] :((إن صلاتي ونسكي ومماتي لله رب العالمين , لا شريك له , وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)) .

ثم إن الأزدي يسوق هذه الرواية حول مبارزة الأشتر لهذا الرومي ذات ألدلاله الواضحة والشجاعة الفائقة بقوله ((فلم يزل يقول [الأشتر] ذلك حتى أنتهي إلى موضع مستوي من الجبل وقرار , فلما استقروا جميعا , وثب الأشتر على الرومي فقتله , ثم صاح بالناس أن جوزوا فجاز الناس فلما ورأى الروم ذلك وأن صاحبهم قد قتله الأشتر خلوا سبيل العقبة للناس ثم انهزموا)) [(3)]. وهذه الرواية التي أوردها الأزدي في فتوح الشام , تسجل لمالك الأشتر مأثرة عظيمة فلما تسجل لغيره وهي صفحة من الجرأة والشجاعة والأقدام ثم الأيمان الذي يتجلى بمسكه للرومي , وهو يقرأ هذه الآية من القران الكريم , وكأن الأيمان بها هو الذي نصره هذا الرجل العظيم الجسم .

وما قاله الطبري في تأريخه : أن الأشتر أشترك في اليرموك وقد قتل رجلاً من الروم بقوله

((كتب لي السري عن شعيب عن المستنير بن يزيد أرطاة بن جحيش قال : كان الأشتر قد شهد اليرموك ولم يشهد القادسية , فخرج يومئذ رجل من الروم فقال : من يبارز؟ فخرج الأشتر فاختلفا ضربتين , فقال للرومي : خذها وأنا الغلام الأيادي , أكثر الله في قومي مثلك , أما والله لو أنك من قومي لآزرت الروم , أما الآن فلا أعينهم !)) [(4)].

وفي هذه الرواية سبق ما أوردها الطبري من إنكار لحضور الأشتر في وقعة القادسية وهو ما

1234) المصدر نفسه ، ص

2234) المصدر نفسه ، ص

3234) المصدر نفسه ، ص

4314 / 3 , الطبري : تاريخ الطبري)

أجمعت عليه المصادر الأساسية والطبري نفسه يذكر اشتراكه في وقعة القادسية .

ولقد حضر مالك الأشتر خطبة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الجابية (*) [(1)] من أرض الشام في نواحي الجولان , وذكر إبن عساكر في تاريخ دمشق , حضور مالك الأشتر في هذه الخطبة عن عبدالله بن مالك بن إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي وذلك بما حدث به إلى أبي حرب أنه قال : خطب الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) في الجابية وقال في خطبته .

((وبعد أن نودي للناس , للصلاة جامعه عند باب الجابية حين صفوا قام فحمد الله , وأثنى عليه بما هو أهله , وذكر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بما هو يحق عليه ذكرت ثم قال لهم أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال أن يد الله مع الجماعة والفرقة من الشيطان , وأن الحق أهل في الجنة , وأن الباطل أهل في النار وأن أصحابي خياركم فأكرموهم , ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب والهرج)) [(2)] .

وذكر العسقلاني في الإصابة أن البخاري ذكر مالك الأشتر انه شهد خطبة الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) في الجابية [(3)] .

وما ذكره الأزدي في فتوح الشام نزول الخلفية عمر (رضي الله عنه) في الجابية وخطبته فيها بعد الصلاة الجامعة وإسلام النصراني على يديه وتقشفه وغير ذلك من الأمور التي يطول شرحها4.

وكذلك ابن عبد الحكم من صحبته لعمرو بن العاص في فتوحات مصر[(5)].

وقعة القادسية * وفتوح العراق ودور الأشتر فيها (16هـ/637 م)

بعد أن شارك مالك الأشتر في فتوح الشام , وطرز سيرته بنياشين المجدد وفيها أوسمة جراحاته , توجه إلى الجبهة الشرقية ليكمل فيها جهاده , ويسطر هناك أروع أعلامهم مع الأبطال الصناديد الذين رافقوه إلى العراق .

وذلك بعد أن طلب القائد سعد بن أبي وقاص المدد من الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) , أمر الخليفة أبا عبيدة بن الجراح بإرسال المدد إليه يقول البلاذري ((كتب عمر[رضي الله عنه] إلى أبي عبيدة أبعث قيس بن ابن ابي حازم إلى القادسية فيمن انتدب معه فأنتدب معه فتقدم متعجلا في سبعمائة ...)) [(6)].

وفي ذكر مشاركة مالك الأشتر في هذا المدد ما ذكره الدينوري في الأخبار الطوال ومشاركته في وقعة القادسية ((ثم إن عمر كتب إلى أبي موسى أن يمد سعداً بالخيل فوجه إليه المغيرة بن شعبة

(*) القادسية ، قرية من نواحي الحيرة على مسيرة يوم إلى الجنوب الشرقي من الحيرة , م.ن , 290/10

) ابن عساكر , أبو القاسم علي الدمشقي : تاريخ ابن عساكر , (ط , روضة الشام , دمشق , 1329) , 6 , ص 374 2

) العسقلاني : الإصابة , ص 3482/3

) الأزدي: فتوح الشام ، ص4250

) ابن عبد الحكم ، أبو محمد عبدالله: فتوح مصر ، تحقيق أحمد عبيد ، (ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1967م) ، ص556

) البلاذري: فتوح البلدان , ص257 6

* القادسية : موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً, وبينه وبين الغريب أربعة أميال , الحموي : م.ن 291/4

في ألف فارس وكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو في الشام يحارب الروم أن يمد سعداً بخيل , فأمده بقيس بن هبيرة المرادي في ألف فارس , وكان في القوم هاشم بن عتبه بن أبي وقاص وكانت عينه فقئت يوم اليرموك وفيهم الأشعث بن قيس و الأشتر النخعي فساروا حتى قدموا على سعد في القادسية))[1].

ومما يؤكد مشاركة مالك الأشتر في وقعة القادسية ما جاء في كتاب الأغاني للأصفهاني حيث أنه يقول : ((في رواية أبي زيد عمر بن شيبة شهد عمرو بن معد يكرب القادسية وهو أبن مائة سنة وست سنين وقال بعضهم بل مائة ستة وعشر , قال ولما قتل العلج عبر نهر القادسية هو وقيس بن ابي حازم المرادي ومالك بن الحارث الأشتر ...)) [2]. أما الواقدي فأنه يؤكد حضور مالك الأشتر في وقعة القادسية بعد الملاحم التي سطرها في فتوح الشام وذكرها الواقدي تفصيلاً فهو يقول : ((... جاء من شهد الفتوحات مع عامر بن الجراح وكان الذين قدموا سبعمائة , فلما وصلوا إلى العراق فاسرع هاشم بن عتبة فترك الجيش وسار في سبعين فارساً وأتت بقية السبعمائة بعد ذلك , وكان معه قيس بن عبد يغوث وقيس بن أبي حازم وسعيد بن نزار , ومالك الأشتر النخعي فتقدم هاشم وقيس معه في السبعين)) [3].

وأما الطبري في تأريخه يؤكد اشترك مالك الأشتر في اليرموك وينكر حضوره في القادسية على رواية سيف , كما مر سابقاً ولكنه في رواية أخرى يؤكد حضوره في هذه الوقعة مما يشرك بذلك مع المصادر التاريخية الأساسية فيقول ((... وقدم على أبي عبيدة كتاب أن أصرف جند العراق إلى العراق وأمرهم بالحث إلى سعد بن مالك , وأمر على جند العراق هاشم بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي , وعلى مجنبته عمرو بن مالك الزهري وربعي بن عامر وضربوا دمشق نحو سعد , فخرج هاشم نحو العراق في جند العراق , وخرج القعقاع نحو العراق وأصحاب هاشم عشرة آلاف أصيب منهم فأتموهم بناس ممن لم يكن منهم ومنهم قيس والأشتر ...)) [4].

إن هذا التناقض في رواية الطبري , يأخذ الباحث التي تتفق مع المصادر الأساسية الأخرى ثم يقارن مدى صحتها بعد عرضها على منهج البحث العلمي بالأستنتاج والتحليل والملاحظة العلمية , فيتبين إن الأصح هو مشاركة مالك الأشتر في وقعة القادسية .

وهذا القدر فيه الكفاية لثبوت حضور مالك الأشتر في وقعة القادسية بعد فتوح الشام مما جاء في المصادر التاريخية الأولية .

ولقد اختلفت المصادر التاريخية الأساسية في سنة وقعة القادسية فلقد جاء فتح البلدان للبلاذري ((كان يوم القادسية في آخر سنة ست عشرة للهجرة ...)) [5].

) الدينوري : الأخبار الطوال , ص 1115
) الأصفهاني: الأغاني , 228/14
) الواقدي : فتوح الشام , 3192/2
) الطبري : تاريخ الطبري , 458/4
) البلاذري : فتوح البلدان , ص5256

وأما المسعودي في مروج الذهب فأنه يقول: ((وقد تتنازع الناس .... في عام القادسية والغريب ، فذهب كثير من الناس إلى أن ذلك كان في سنة ستة عشر ، وهذا قول الواقدي عن الآخرين من الناس ، منهم من ذهب الى أن ذلك في سنة خمسة عشر هجرية ، ومنهم من رأى أنه كان في سنة أربعة عشر والذي قطع عليه محمد بن اسحق كانت في سنة خمسة عشر....))[1]. أما الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل وابن كثير في البداية والنهاية يذكرون أن وقعة القادسية في سنة أربعة عشر للهجرة [2].

وحسب الاستنتاج والملاحظة العلمية فإن وقعة القادسية حدثت في (16هـ/637م) ، وذلك لأن المصادر الأولية التي ذكرت هذا التاريخ أصحابها أقرب إلى الحدث ممن ادعى غير ذلك ، فالواقدي متوفى (207هـ) ولقد اعتمدت على أكثر رواياته المصادر التي جاءت من بعده ، والمسعودي متوفى (246هـ) ، والبلاذري متوفى (256هـ).

أما من ذكر أن وقعة القادسية حدثت سنة أربعة عشر للهجرة فهو الطبري المتوفى (310هـ) ، وإن كان الطبري هو شيخ المؤرخين ولكن روايته هذه عن سبق وهو ضعيف الرواية ، ولقد أخذ ابن الأثير المتوفى (630هـ) في تاريخه الكامل وابن الكثير المتوفى (770هـ) في البداية والنهاية ، هذه الحادثة في سنة أربعة عشر من الطبري ، فيكون ذلك من مصدر واحد.

وبذلك فإن سنة ستة عشر هي أكثر واقعية ، ولأن وقعة القادسية وقعت بعد اليرموك ولقد اشترك فيها مالك الأشتر بالإجماع ، واشترك بعد ذلك في القادسية ، فلا بد أن يكون التتابع الحولي الزمني حسب المنهج العلمي التاريخي.

هذا ولقد اختطت قبيلة مالك الأشتر (النخع) منازلها في الكوفة * بعد تمصيرها في سنة (17هـ/638م) حسب ما جاء في فتوح البلدان [3]. وأما خليفة بن خياط [4] فإنه يقول تم تمصير الكوفة في سنة (18هـ/639م) ، والصحيح التاريخ الأول لأن وقعة القادسية في سنة (16هـ/637م) ، ومن ثم تمصير الكوفة بعد سنة من الوقعة.

وما جاء في الأخبار الطوال للدينوري ((وقام سعد في عسكره في القادسية إلى أن أتاه أمر عمر [ابن الخطاب (رضي الله عنه)] أن يصنع لمن معه من العرب دار هجرة وأن يجعل ذلك بمكان لا يكون بين عمر وبينهم بحر .... فأقبل حتى نزل موضع الكوفة اليوم فخططها خططاً بين القصر والمسجد))5.

) المسعودي: مروج الذهب ، 1476/2
) الطبري: تاريخ الطبري ، 398/2 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 309/2 ؛ ابن كثير: البداية والنهاية ، 236/7
) البلاذري: فتوح البلدان ، ص3274
) خليفة: تاريخ خليفة، 112/1 4
*** الكوفة: التكوف وقيل المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفان ؛ البلاذري: الفتوح ، ص275 ؛ الرازي: الصحاح ، ص583**
) الدينوري: الأخبار الطوال ، ص5119

الفصل الثالث

) الى نهاية وقعة صيفنτمالك الاشتر من خلافة عثمان (

(23-37 هـ / 643-657م)

لقد أتخذ مالك الاشتر مع قبيلة النخغ الكوفة دار هجرة ومقراً دائماً له ولأهله حيث اختطت قبيلته منازلها في الجانب الشرقي من المسجد ما بينه والفرات ، وصار لمالك مكانةً اجتماعيه وسياسيه مرموقه ، فهو زعيم قومه وسيدهم والذي قادهم في فتوحات الشام والعراق وامتدت زعامته الى مصر الكوفه كلها .

) أختلفت عما سبقه لاسيما في السنوات τ ان سيرة مالك الاشتر في عهد الخليفة عثمان (الاخيرة من خلافته فكانت سيرته حرجة فيها مواقف استثنائيه ، فلقد تناولتها المصادر الاوليه فيها

المسهب في التفصيل وفيها المقتضب ، وفيها المتناقض في رواياته واخر متحامل عليه ، وفيها المنصف الذي اتسم بالموضوعيه ومنهم من خرج عن الحيادية سواء اكان له او عليه وهذا ما سوف يسلط الباحث عليه الضوء ، حسبما سطرته المصادر الاساسية ، وما تناقلته في مخطوطاتها واخبارها وما اجحفت في بعضاً او تناولت في البعض الاخر من امور وهميه او من قبل رواة مشكوك في رواياتهم او فيها ضعف . ولقد توسعت الكوفه في هذا العهد ، فكان سكانها خليط من العرب والموالي الذي سكنوها من الفرس يقول البلاذري[1] في فتوح البلدان ((كان مع رستم يوم القادسية اربعه الاف يسمون جند شاهتشاه ... ثم نزلوا الكوافه مع المسلمين مع السلامهم)) ولقد تم تناول هذا الفصل في ثلاث) ، ويتكلم المبحث الثاني عن τمباحث يتناول المبحث الاول موقف مالك الاشتر في خلافة عثمان ( ) وموقف الاشتر فيها . اما المبحث الثالث فتدور احداثه حول وقعة صيفن واسيا υخلافة الامام علي (لها ونتائجها .

المبحث الاول

)τموقف مالك الاشتر في خلافة عثمان (

(23-35هـ / 643-655م)

) وموقف مالك الاشتر :τاولاً : خلافة عثمان (

) ، هو عثمان بن عفان بن العاص بن أميه ابن عبد شمس بن عبد τ الخليفة عثمان (
مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن غالب القريشي الاموي .
) في جده الخامس عبد مناف وأمه اروى بنت كريز بن عبد ρ ويجتمع مع النبي (
) بعد ان عهد قبل وفاته الى ستة τشمس (2) تمت البيعه له بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (
) وهو عنهم راضي وهم علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان ρمن الصحابه توفي الرسول محمد (

---

1) البلاذري : فتوح البلدان – ص 279 .
1) السامرائي : يونس ابراهيم : الكرام البرره في اخبار العشرة المبشره (ط / كليه الشرف الجديد ، بغداد ، دون تاريخ) ، ص 79 .

) وهم ψوالزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابي ابي وقاص وطلحه بن عبيد الله (أصحاب الشورى (1) والشورى في اللغة : هي من شار العسل شورى ... استخرجه من الوقيه والشورى الجمال والحسن كأن من الشور عرض الشيء واضهاره (2) واشار عليه بكذا امره وهي الشورة والمشاوره واستشاره طلب منه المشورى(3) قال تعالى ((وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)(4) (الشورى:38) ولقد اختلفت) فالطبري في تاريخه يقول : في رواية ان τالمصادر الاساسية في سنة مبايعة الخليفة عثمان (البيعه تحت يوم الاثنين لليله بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين .

اما روايته الثانيه عن سيف يقول استخلف عثمان لثلاث مضين من محرم سنة اربع وعشرين (5) والصحيح في راي الباحث هو ما جاء في مروج الذهب للمسعودي ورواية ألبطري الاولى يوم الاثنين لليله مضت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين والاختلاف مع المسعودي في اليوم حيث انه يقول يوم الجمعة – والظاهر هو بداية السنة الهجرية الجديدة اربع وعشرين ونهاية السنة المنصرمه ثلاث وعشرين . وما قال الدينوري في تاريخه الامامه والسياسه حول اجتماع اصحاب الشورى وما جرى بينهم ثم عدم موافقه الامام علي (كرم الله وجه) لشرط عبد) اجتمع القوم فخلوا في τ) بقوله : ((ثم بعد موت عمر (τالرحمن ابن عوف وقيل بذلك عثمان (بيت احدهم واحضروا ابن عباس والحسن بن علي وعبدالله بن عمر وتشاورا ثلاثة ايام وثم يبرموا فتيلاً فلما طال في اليوم الثالث خال لهم : عبد الرحمن ابن عوف اتدرون اي يوم هذا يوم عزم عليكم امراً ? قالوا وما قال : ان تولون امركم وأهب لكم نصيبي فيها ...))(6) . ثم قال لهم عبد الرحمن بعد ذلك ((اجعلوا امركم الى ثالاثة منكم فجعل الزبير امره الى علي وطبلحة امره الى عثمان وسعد الى عبد الرحمن بن عوف)) (7) ولقد جاء في الطبقات لأبي سعد ((قال عمر بن الخطاب الى اصحاب الشورى تشاوروا في امركم فان كان اثنان فاثنان ، فأرجعوا في الشورى وان كان اربعه واثنان خذوا صف الاكثر ...))(8) . وعندما صار الأمر بيد عبد الرحمن بن عوف بايع) كما يقول الدينوري في ذلك فأنه اختلى بعلي (كرم الله وجهه) فقال له أبايعك على τعثمان (شرط عمر علي ان لا تجعل احداً من بني هاشم على رقاب الناس فقال له علي (كرم الله وجهه)) حيث القوة والامانة استعدت بها كان في بني هاشم او ρمالك ولهذا على الاجهاد لامه محمد (

---

2) الشورى : ابن منظور : لسان العرب 4/ 434 ، 435 .
3) ابن مذكور : لسان العرب ، 4/ 425.
4) الفيروز ابادي : محي الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، (ط2 ، المطبة الحسينه المصريه ، القاهرة ، 1343 هـ) ، ج2 ، ص 65 .
5) سورة الشورى : الاية 83 .
6) ألطبري : تاريخ البطري ، 72/3، ابن كثير : البداية والنهاية 144/7 ، ينظر المسعودي : روح الذهب ، 340/2 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص 112.
1) الدينوري : الامامه واسياسه 23/1.
2) المصدر نفسه ، 25/1) 26 .
3) ابن سعد : الطقات الكبرى ، ص 58.

) ابايعك على كتاب الله τغيرهم قال عبد الرحمن لا والله حتى اتطبق هذا الشره وقال لعثمان (وسنة نبيه وسنة صاحبيك على ان لا تجعل احداً من بني اميه على رقاب الناس فقال عثمان قبلت (1) هذا وقد جرت امور عديدة ، تخرج البحث عن مساره ، وقد خرج عبد الرحمن ابن عوف وقال اللهم اسمع واشهر اللهم واني قد جعلت ما في رقبتي في ذلك في رقبة عثمان فبايعه ويقول ابي سعد في الطبقات (اول من بايع عثمان عبد الرحمن بن عوف ثم علي ابي ابي طالب ويقول عن محمد بن عمر رايت علياً بايع عثمان اول الناس ثم يتابع الناس فبايعوه))(2)

) :τثانياً : موقف الاشتر في خلافة عثمان (

بعد ان صار لمالك الاشتر مكانة مرموقة في الكوفه وكان من المقربين من الخليفة عمر) وولاته في الكوفه وهو احد الاشراف واثر عماد المعروفين ، وسيد قومه والمقدم τبن الخطاب (عليهم قال الذهبي ((الاشتر ملك العرب مالك بن الحارث انخعي ، احدا لاشراف والابطال) بما له وما عليه τالمذكورين ...)) (3) ولا بد من ابراز دور مالك الاشتر في عهد الخليفة عثمان (، وهو زعيم الكوفه وفارسها . وماذا حصل له ؟ وما هي جهوده واثاره وعلى فرض وانه شارك في الفتوحات الاسلامية في هذا العهد وكالذي سبقه في عهدي الخليفة ابو بكر الصديق وعمر بن) ولم يجد الباحث في المصادر التي توحزت له اسماً بالذات ، غير ان هناك اشارة الى ψالخطاب (ذلك بحضوره في هذه الفتوحات واشتراكه فيها ، فلقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية للبلاذري ان مالكاً الاشتر صحب الامام علي (كرم الله وجهه) عند الحدود الشماليه للروم (4).

وذلك في سنة (30) للهجرة . وما جاء في تاريخ البطري ان سعيداً بن العاص وال الكوفه) . ومعه الحسن والحسين ρغزا خراسان ومعه حذيفه بن اليمان وناس من اصحاب رسول الله (وعبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر (5)، ولكنه لم يذكر مالك الاشتر في قيادة هذا الجيش ، ذلك كوفه مالك زعيم قومه وهو في هذا العهد وفي ولاية سعيد بن العاص على الكوفه يتقدمهم سيدهم وهو يكون كذلك اما صحبته للامام علي (كرم الله وجهه) في هذه الفتوحات ، فلم تذكر هذه المصادر ذلك ، غير ان وجود الحسن والحسين لريما ذكر ذلك لأنهم اولاده ولابد لصحيته القديمه مع ابيهم ومحيته لهم وانه رافقهم ومما اورده الخضري في كتابه الدوله الاموية في مغازي اهل الكوفه الى الري (6) .

---

4) ابن : الكامل ، 71/3 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، 143/7 وما بعدها ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص149 ، ينظر ، المحب البطري ، ابي جعفر احمد : الرياض النضره في مناقب العشره ، (ط1، دار المنار ، القاهره ، 1421 هـ / 2000م) ، ج1 ، ص 37 ، ينظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص 112 الديار كبري ، حسين بن محمد بن الحسن : تاريخ الخميس ، (ط1 ، دار صياد ، بيروت دون تاريخ) ، ص 254 ، ينظر ، ابن حجر ، احمد المكي : الصواعق المحرقه ، (ط1 ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، دون تاريخ ، ص163 ، ينظر : الحقري ، محمد : الدوله الاموية ، (ط1 ، المكتبه التوفيقية ، القاهرة ، دون تاريخ) ، ص 31 .

5) ابي سعد : الطبقات ص 58 .

6) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارنوطي ومأمون الصاغري ، (ط1 ، بيروت ، مؤسسة الرساله ، 2001م) 4، ص 34

1) دائرة المصارف الاسلاميه ، طهران ، بدون تاريخ ، ج2 ، ص21.

2) الطبري : تاريخ الطبري ، 3/ 85 ، ينظر ابن الاثير : الكامل 64/3 ، ينظر ابن كثير : البداية والنهاية ، 151/7.

3) الري : مدينه عجيبه مدنيه يالاجر المنمق المحكم الملمع بالزرقه مدهون كما تدهن العصافير في قضاء من الارض والى جانبها جيل مشرف

) ولابد لمالك τوذلك في عهد الوليد بن عقبه (1) والى الكوفه للخليفة عثمان بن عفان (
ان يكون ضمن هذا الجيش ، حيث ان من زعماء الكونه وان عدد الجيش عشرة الاف مقاتل ولابد لقبيله النمع التي يتزعمها الاشتر في ضمنهم وهو قائدهم وزعيمهم ، ولا يمكن لهؤلاء الاشتراك بالفتوحات دون سيدهم وبهذا ما حصل حيث انه اشترك في هذه الفتوحات في عهد الخليفة عثمان
) ومالك الاشتر مطاع في الكوفه وله كلمته الفصل وله تأثيره في الناس ولقد استطاع اطفاء τ(
الفتنة التي اشعل اوارها عمرو بن زرارة واجتماع الناس اليه في امارة الوليد بن عقبه على الكوفه حيث ان عمر وبن زرارة خطب الناس في الكوفة وقال ((ايها الناس عثمان ترك الحق وهو يعرفه وقد يولي عليها شراركم ...))(2) فحضر خالد بن عرفطه الى الوليد فأخيره بذلك فركب الوليد نحوهم فقيل له : ((الامر اشد من ذلك والقوم مجتمعون فأنق الله ولا تسعر الفتنه ، وقال له مالك بن الحارث الاشتر النخعي : أنا اكفيك امرهم فأتاهم فكفهم وسكنهم وحذرهم الفتنه والفرقه فأنصرفوا ...))(3) .

) بأن عمرو بن زراره يثير الفتنه فكتب τثم ان الوليد كتب الى الخليفة عثمان بن عفان (
اليه الخليفة ان يسيره الى الشام وهو اعرابي جلف فسيره الوليد وشيعه الاشتر وغيره . يستنتج الباحث من هذه الروايه ان لماك الاشتر قيمة معنويه ومادية وقيادية وسياسية كثيرة لا يستهان بها في الكوفه فهو يستطيع ان يقوم بهذه الامور ويقضي على الفتن المستعصيه وليس اثارتها كما ادعى البعض ونسبوا اليه اثارة الفتنه فيما يأتي ذكره في مناسبته وما قاله البلاذري في كتابه انساب الاشراف ان مالكاً اتاهم فكفهم وال والكف هنا من الكفاف وهو منع وقوع الشيء وبذلك منعهم ، ثم انه يقول سكنهم والسكون الهووء وهو عدم الضوضاء والقوغاء والخلود الى السكينة ، وهذه مقدر متعالية في التمكن من الاحداث . وان الامير الوليد لم يستطع ان يفصل ذلك ، ثم انه حذرهم وهذه غاية الفصل الشجاع وهو السيد المطاع . فما مهنى حذرهم وبأيه قوة لديه او لم يكلفا زعيماً مسموع الكلمه ، وبهذا يستقرء الباحث الاهمية الكبيرة لمالك الاشتر في الكوفه وهو
) في السنوات τيمكن الاستعانه به ، وانه اعمدة الدولة وليس لديه مشكله مع الخليفة عثمان (
الاولى بل كان الخليفة عثمان يحترمه ولريما التقى معه في مواسم الحج وفي مواقع اخرى يبين
) ولم يثر اي غبار الا بعد ان بلغ τمدى حرص الاشتر على استباب الامن وطاعنه للخليفة عثمان (
السيل الزبى .

)τ الامصار والولاة في عهد الخليفة عثمان (

) τ وموقف الاشتر لقد كانت الامصار عامه والكوفه خاصه في نهاية عهد الخليفة عمر بن الخطاب (

عليها وكانت مدينه عظيمة حزب اكثر الحموي : معجم البلدان 117/3 .
3) الخضري ، محمد : الدوله الاموية ، ص 315 .
4) البلاذ ري : انساب الاشراف 139/6 .
5) المصدر نفسه 139/6-140.

) كالاتي :(1) τوبداية خلافة عثمان بن عفان (

1. مكة المكرمة وأميرها نافع بن الحاث الخزاعي .

2. الطائف وأميرها سفيان بن عبد الله الثقفي .

3. صفاء وأميرها يعلي بن منيه بن نوفل بن عبد مناف .

4. وعلى الجند عبد الله بن ابي ربيعه .

5. البحرين وما والاهما عثمان بن ابي العاص الثقفي .

6. الكوفه وما يتبعها ، أميرها المغيره بن شعبه .

7. البصره وما بليها ، أميرها أبو موسى الاشعري .

8. وعلى مصر عمرو بن العاص .

9. وعلى دمشق معاويه بن ابي سفيان .

10. وعلى حمص عمير بن سعد .

) وبقي ولاة اخرين اعليهم من τ ولقد تم تغير معظم الولاة في عهد الخليفة عثمان (
) من بني اميه ومنهم [2] : τاقارب الخليفة عثمان (

1- عزل الامير ابا موسى الاشعري من البصرة بعد ثلاث سنين وثم تعين عبد الله بن عامر .
2- عزل المغيره بن شعبه وتعين الوليد بن عقبه ثم عزله بسعيد بن العاص في الكوفه .
3- الابقاء على معاويه بن ابي سفيان على الشام .
4- عزل عمرو بن العاص وتعيين عبد الله بن ابي سرح على مصر .

والذي يهم في هذه الحقبه التاريخيه من سيرة الاشتر هي الكوفة وولاتها حيث ان الخليفة) عزل المغيرة بن شعبه وولى عليها الوليد ابن عقبه ثم عزله بسعيد بن τعثمان بن عفان ( ) . ولغرض القاء الضوء على سيرة الوليد بن عقبة وكذلك τالعاص وهما من اقارب الخليفة (سعيد بن العاصى لما يقتضيه البحث وعلاقتها بما لك الاشتر المتنفذ في الكوفه واسباب موقف مالك الاشتر منهما وما هي الاسس التي يجب ان تتوفر في الوالي الذي يمثل الخليفة وما يطيقه من مفاهيم الاسلام في الكتاب والسنه . ولقد تم توليه الوليد بن عقبه من قبل الخليفة عثمان بن)سنه (24)هـ على الكوفه وسيرته الشخصيه كما ذكرها ابن قتيبه في المعارف يقول : τعفان (((هو الوليد بن عقبه بن محيط بن ابي عمرو بن اميه بن عبد شمس ... وكان الوليد يكتى ابا وهب واخيه هو عثمان بن عفان لامه اروى بنت كريز ... والوليد بن عقبه اسم يوم فتح مكه وبعثه) وادعى ان بني ρ) يجمع صدقات بيني المصطلق مفاد ادراجه الى رسول الله (ρرسول الله ( ) بالسلاح اليهم وانزل الله عز وجل ρالمصطلق منعوه الصدقات وكان كاذباً فأصر رسول الله (

1) الطبري : تاريخ الطبري ، 71/3 ، ينظر ، الخفري : الدولة الاموية ، ص 314 .
2) المصدر نفسه ، 73/35 .

عليه : [1] ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) (الحجرات:6) [2] ويواصل ابن قتيبه قوله عن سيرة امير الكوفه الوليد بن عقبة) الكوفه بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بأهلها وهو سكران وقال : ازيدكم ؟ τ((وولاه عثمان ( ) فخرج الى υ) فعزله ولم يزل بالمدينة واعتزل علي (τفشهدوا عليه يشرب الخمر عند عثمان (مكة واعتزل علي ومعاويه))[3] ، ويقول المسعودي في مروج الذهب ((اذن الوليد بعد ان سكر وطال في سجوده وهو يقول ، اشرب واسقني ، وقال له : من كان في اول الصف ، لاازادك الله ، وخطب الوليد فحصبه الناس ، فدخل [4] مقره يترنح ويقول اتركتني اروي من الخمر هامتي واحشي الملا بالساحب المتسلسل)) وقال الحطيئه في ذلك .

حبسوا عنانك في الصلاة ولو خلوا عنانك لم تزل تجرى .

وشاع في الكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته لشرب الخمر والمدامة ! ولقد نزع جماعة) وشهدوا τمن اهل الكوفه الخاتم من يده وهو في غاية السكر ، وقدموا على الخليفة عثمان (عليه ، فاستدعاه وأقام الامام علي (كرم الله وجهه) الحد عليه بأمر الخليفة [5] .

وماذا يكون موقف مالك الاشتر من هذا الامير ، بعد ما كان منه تسيكن الامور ومنع الفتنة في بداية ولاية الوليد ، وهو زعيم اهل الكوفة فلقد استنكر عمله هذا ، ولكنه لم يعمل عمل) ، وأخذ يهدأ الامور ما استطاع الى ذلك سبيلا بل وذهب τعسكري ضده احتراماً للخليفة عثمان (الى اكثر من ذلك انه رافق الوليد الى المدينة كما يقول ابن الاثير ((وذهب معه (مع الوليد) الاشتر وجماعة اخرى لبعنونه فصاروا عليه ...))[6] ولعل الاشتر وجماعته عندما ذهبوا مع الوليد الى) وشاهدوا اقامة الحد عليه مما يثبت تعزيره ، فلذلك صار وعليه اي عدم τالخليفة عثمان ( ) تعين احداً اخر وبالفعل قدموا τموافقتهم على اعادته الى عمله في الكوفة مطلبوا من الخليفة (بوال جديد هو سعيد بن العاص ، وهذا دليل على اهمية مالك الاشتر في صنع القرار والتأثير في) وجرت بينهما مناقشات حول الوالي ثم الاتفاق على الوالي τالاحداث ، والظاهر انه قابل الخليفة (الجديد مما يظهر الموفه القديمة بين الخليفة ومالك الاشتر من جهه وزعامته مالك الاشتر الكوفه وتأثيره في اهمها من جهه اخرى .

ولاية سعيد بن العاص الكوفه وموقف مالك الاشتر

1) ابن قتيبة : المعارف ،ص319 .
2) سورة الحجرات : الاية 6
3) ابن قتيبة : المعارف ، ص 320 ، الطبري : تاريخ الطبري ،86/3 ، ينظر ، المسعودي مروج الذهب ، 487/2 ، ابن الاثير : الكامل ، 52/3 .
4) المسعودي : مروج الذهب ،487/2 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص114 .
5) الطبري : تاريخ الطبري ،89/3 ، ينظر ، البلاذري : انساب الاشراف ، 145/6 ،ابن الاثير : الكامل 53/3 ، ينظر ، الاضهاني : الاغاني 176/4) 177 ، ينظر ، العسكري : الاسطوره السيئة ، ص213 .
1) ابن الاثير : الكامل ، 53/3 .

ويتسنم الامير الجديد سعيد بن العاص مهام عمله كوال في الكوفة بدلاً من سلفه الوليد بن عقبة يقول المسعودي في مروج الذهب ((فما دخل سعيد الكوفه والياً عليها ابى ان يصعد المنبر حتى يغسله وامر بغسله وقال : ان الوليد كان نجساً رجساً ...))[1] ولقد اتخذ سعيد بن العاص بطانةً له من الاشراف وأهل القادسية ووجوه البلد ومالك الاشتر واحداً منهم ، فكان يسمر معهم ،واما أهل العامه ، فيجلس لهم يوماً في الاسبوع . وفي احد الايام فما كان مجلس السمر في دار الامارة عند الوالي سعيد اين العاص ومن ضمنهم مالك الاشتر فلقد جاء في الكامل لابن الاثير والطبري بمثله ((قال سعيد بن العاص ان ارض السواد هو بستان لقريش فقال الاشتر اتزعم ان السواد ، الذي الذي افاءه الله علينا باسيافنا بستان لك ولقومك وقال القوم معه فقال وكان على شرطه سعيد اتردون على الامير مقاله واغلظ لهم ! فقال الاشتر من هاهنا لايفوتكم الرجل ، فوثبوا عليه فوطوه وطئاً شديداً حتى غشي عليه ...))[1] .

وبعد تحليل هذه الرواية . يظهر ان فيها بعض المفارقات حيث ان سمار الوالي من الاشراف والرؤساء وهم ليس بالكثرة حتى ان مالكاً الاشتر يصيح من هاهنا ؟ ثم يثبوا على صاحب الشرطة فيضربوه.ثم ان الوالي محاطاً جماعة صاحب الشرطة هذا ،فكيف يضرب صاحبهم وهم ينظرون ، وهل ان الامير لهذا الضعف امام الاشتر وجماعته ؟ وهناك مفارقه اخرى ! كان بأمكان مالك الاشتر ان يقدم شكوى الى الخليفة ، طالما ان الاشتر هو زعيم ومن الجماعة الذين قدموا سعيد بن العاص الى الكوفه . هذا وكان على الوالي سعيد بن العاص ان لا يستفز سماره او يترك احداً من معيته يستفزهم ، بكلام جارح كهذا ويعتبر ارض السواد له ولقومه ، دون بقيه المسلمين ، علماً بأن الخليفة عمر بن الخطاب (τ) اعتبر ارض السواد مشاعاً لكافه المسلمين الذين قاموا بالفتوحات الاسلامية في العراق . هذا وكتب الوالي سعيد بن العاص الى الخليفة عثمان بن عفان يطلب فيه تسفير الاشتر وجماعة من الاشراف الكوفه الى الشام ، فكتب اليه الخليفة بموافقته على تسفيرهم ، وبالفعل ثم ذلك وارسالهم الى هناك ومنهم مالك الاشتر ولقد انزلهم معاوية بن ابي سفيان امير الشام في كنيسة مريم واجرى عليهم ما كان يجرى لهم في العراق بأمر الخليفة عثمان (τ) ، ولقد قال لهم معاوية يوماً ((انكم قوم من العرب لهم اسنان وألسنة وقد ادركتم بالاسلام شرفاً وغلبتهم الامم وحويتم مراتبهم ومواربثهم ولقد بلغني انكم نقمتم قريشاً ...))[2] .

وجرت بينهم وبين معاوية بن ابي سفيان مناظرات وكلام يطول شرحه ، ثم ان معاويه قال لهم ، اذهبوا حيث شئتم ، وفي رواية اخرى انه ارسلهم الى حمص حيث عبد الرحمن بن خالد بن الوليد واقاموا عنده عدة شهور ثم ان عبد الرحمن سمح للاشتر من بينهم بالذهاب الى الخليفة

---

2) المسعودي : مروج الذهب ، 488/2 .

1) ابن الاثير : الكامل ،70/3، الطبري : تاريخ الطبري ، 110/3 ،البلاذري : انساب الاشراف 152/6 .

) يقول الطبري في تاريخه ((وسريع (عبدالرحمن) الاشتر الى عثمان ...وخرج الاشتر ، τعثمان (
) بالتوبه والندم والنزوع عنه وعن اصحابه فقال : (الخليفة) سمحكم الله وقدم τفأنى عثمان (
) للاشتر احلل حيث شئت فقال : (الاشتر) مع عبد الرحمن بن τسعيد بن العاص ، فقال عثمان (
خالد ؟ وذكر من فضله فقال (الخليفة) ذاك اليكم فرجع (الاشتر) الى عبد الرحمن))[1] ويتحليل هذه الرواية التي جاءت من المصادر التاريخيه الاولية يظهر ان مالكاً الاشتر والذين معه ، ثم نغيهم
) ، ولعل هذه القضيه ثم τمن الكوفة الى الشام ومن ثم الى حمص بعد اخذ موافقة الخليفة عثمان (
تكبريها وتهويلها فضلاً عن الادارة التي كانت تحيط بالخليفة وعدم نقل الحقيقة كاملةً له .

ولغرض الوقوف على ملابسات هذه الرواية وتسير مالك الاشتر وجماعة الى الشام ثم الى حمص تبرز الحقائق التالية:

اولاً : ان مالكاً الاثير كان المتقدم على اقرانه ، وهو من زعماء الكوفه المرموقين وقد شارك في الفتوحات الاسلامية ، وقدم من التضحيات الجسام بالنفس والنفيس من اجل الاسلام ، ويرى ان ارض السواد هي للمسلمين كافه وليس لقوم دون غيرهم حسب اقرار الخليفة
) .τ عمر بن الخطاب (

ثانياً : استفزاز صاحب الشرطة لسمار الامير ، وهو عبد الرحمن بن خيس حيث قال وردت ان يكون ارض السواد للامير ورد الاشتر عليه وغضب الامير وقوله ان ارض السواد بستان لقريش ، مما ولد استفزازاً اخر من قبل الامير ، مما عقد الموقف .

ثالثاً : ضعف ادارة الامير ، وعدم استطاعته بحماية صاحب الشرطة ان حصل الاعتداء عليه .

) يالنفي ، رغم انه يستطيع ان لاينفذ الاوامر ، لحانته τرابعاً: انصياع مالك الاشتر لاوامر الخليفة (
يقومه وجهاده وشجاعته .

خامساً : ما جرى للاشتر واصحابه في دمشق مع معاوية بن ابي سفيان وتسيرهم الى حمص عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وهو ابي صاحب مالك الاشتر في فتوح الشام مما جعله يكرم مالك الاشتر خاصة .

) ، والاعتذار من قبل مالك له وقول الخليفة له سلمكم الله τسادساً : التقاء مالك الاشتر مع الخليفة (
وخيره في اي بلد يروم الاقامه . وبعد عودة مالك الاشتر الى حمص حسب رغبته ، عاد الى الكوفه بعد ان كاتبوه اهلها وتكوا اليه سعيد بن العاص أمير الكوفه ، وركب الاشتر في سبعين
) يسألونه عزل سعيد عنهم وبقي الاشتر واحماية اياماً τفارساً من اهل الكوفه الى الخليفة عثمان (
) قد ارسل على τفي المدينة ولم يخرج اليهم الخليفة في امر عزل سعيد [2] وكان الخليفة عثمان (
ولاة الامصار فقدم اليه منهم عبدالله بن ابي سرح والي مصر وسعيد بن العاص والي الكوفة

---

2) الطبري : تاريخ الطبري ، 110/3 ، ابن الاثير : الكامل ، 70/3 ، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص203 .
1) الطبري : تاريخ الطبري ، 112/3 ، اين الاثير : الكامل 70/3 .

ومعاويه ابن ابي سفيان والي الشام وعبدالله بن عامر والي البصرة وعقدوا مؤتمراً في دار الخليفة ، بحثوا فيه شؤون الدوله الاسلاميه ، واقاموافي المدينة اياماً وكره الخليفة اعادة سعيد بن العاص الى الكوفه خوفاً عليه . وما قاله سعيد بن العاص الى الخليفة انك ان سمعت قول الاثير وجماعته فأنهم هم الذين يولون ويعزلون فسمح كلامه عمرو بن العاص فألتقى مع الزبير وطلحه في المسجد ، فقالا له ماورائك ؟ قال الشر ما ترك شيئاً من المنكر الا اتى به وامر به [1] .

وجاء الاشتر فوجد الزبير وطلحه في المسجد أستدعياه واخيراه ان سعيد بن العاص سوف يعود اليهم في الكوفه وهو الذي سيركم وعمل فيكم الاعمال . فقال الاشتر : ((والله كنا نشكو سوء سيرته ولولا اني نفذت النفقه لسبقته الى الكوفه حتى امنعه دخولها . فقالا له : فعندنا حاجتك التي تقوم بك في سفرك . قال : فأسلنا في اذاً مائة الف درهم ، فأسلفة كل واحد منهما خمسين الف درهم فقسمها في اصحابه وخرج الى الكوفه فسبق سعيد وصعد المنبر وسيفه في عنقه لم يصفه بعد ...))[2] ويضيف المسعودي في مروح الذهب حول موقف مالك الاشتر من سعيد ابن العاص ، وما قام به في المدينه ، ثم تقديم الزبير وطلحه المعونه النقديه له وخطيئة في الكوفه : خطبتة الاشتر ((قال : اما بعد فان عاملكم الذي انكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم وامر بتجهيزكم في البحوث فيا بعوني على ان لا يدخلها ، فبايعه عشرة الاف من اهل الكوفه وخرج راكباً متخفياً يريد المدينة او مكة فلقي سعيداً بواقصه فأخيره الخبر فانصرف الى المدينة))[3]

)((انا والله ما منعنا عاملك للدخول لنفسد عليك عملك τوكتب مالك الاشتر الى الخليفة عثمان (ولكن لسوء سيرته فينا وشدة عذابه فأبعث الى عملك من احببت))[4] ويضيف المسعودي ان) استجاب كتاب مالك الاشتر وكتب اليه والى اهل الكوفه ((انظروا من كان عامكم ايام τالخليفة (عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فاذا هو ابو موسى الاشعري ، فولوه))[5] وفي تاريخ الطبري في) بولاته على الامصار ومادار بينهم وبحضور ، τهذا المضمار وحول اجتماع الخليفة عثمان ( ) رائك ركبت الناس بمثل τعمرو بن العاص والذين اشار على الخليفة وقال له : ((... ياعثمان (بني اميه فقلت وقالوا وزغت وأزاغوا فأعتدل او اغزل ، فأن ابيت فأعتزم عزماً وامضي قدماً ،) مالك قمل فروك ؟ اهذا الجد منك ، فسكت عمرو حتى اذا تفرقوا قال : لا والله τفقال له عثمان (ياامير المؤمنين لأنت اكرم علي من ذلك ولكن علمت ان بالباب قوماً قد عملوا انك جمعتنا لنشير عليك فاجبت ان يبلعهم قولي او ادفع عنك شراً))[6] .

) عماله الى ولاياتهم وامرهم بالضيق على من τ ثم يصيف الطبري وقد رد عثمان (

---

2) المسعودي : جروح الذهب ، 488/2.
3) المصدر نفسه ، 488/2)489 .
1) المصدر نفسه ، 489/2.
2) المصدر نفسه ، 489/2 .
3) المسعودي : جروح الذهب ، 489/2
4) الطبري : تاريخ الطبري ، 119/3 ، ينظر ، ابن الاثير : الكامل ، 75/3

قلبهم وارسالهم الى البعوث وعزم على تحريم الاعطيات ورد سعداً بن العاص الى الكوفه [1] وفي ما يخصى مالك الاشتر ، قال الطبري : في رواية عن عمر بن سعد النخعي انه قال ((كأني بالاشتر مالك بن الحارث النخعي على وجهه الغيار وهو متلقد السيف وهو يقول والله لايدخلها علينا ما حملنا سيوفنا يعني سعيداً وذلك يوم الجرعه ، والجرعه مكان مشرف غرب القادسية وهناك تلقاه اهل الكوفه))[2] يقول البلاذري في كتابه انساب الاشراف وجه مالك الاشتر وهو زعيم الكوفه الى) في المدينة وقوله له τ) بعد تسيره الى الشام ثم حمص ، ثم ذهابه الى الخليفة (τالخليفة عثمان (اذهب اذهب حيث شئت . ثم عاد الاشتر الى حمص حسب رغبته .

وبعد ذلك رجع الى الكوفه بعد ان كتب له اهلها بالحضور ومعالجة الامور . فرجع الاشتر الى الكوفة فبايعه قراءها واشرافها جميعاً على ان لا يدعوا سعيد بن العاص الدخول الى الكوفه [3] واستطاع مالك الاشتر عند ما وجد فراغاً في الحكم ان يستتب الامن وان يعسكرفي الكوفه والحيره ويبث العمال حتى لا تكون هناك فتنة وقال لهم ((لاتجبوا درهاً واحداً وان يسكنوا الناس وان يضبطوا النواحي ... وبعث (الاشتر) مالك بن كعب الارجي فلقي سعيداً فرده ... فرجع) هذا كله من عمل هؤلاء τ) ما وراءك ؟ قال : الشر ، فقال عثمان (τالى المدينة فقال له عثمان ( ) .))[4] وبعث مالك الاشتر كتاباً الى الخليفة يقول فيه ((من مالك بن ψيعني علياً والزبير وطلحه (الحارث الى الخليفه المبتلى ... اما بعد فقد قرانا كتابك فأنه نفسك ، وعمالك عن الظلم والعدوان وتسير الصالحين نسمح لك بطاعتنا ، وزعمت وان قد ظلمنا انفسنا وذلك ظنك الذي اراك الجور عدلاً والباطل حقاً ، واما مجئنا ، فان تنزع وتتوب وتستغفر الله من تجنبك على خيارنا وتسيرك صلحاءنا واخراجك ايانا وتولتيك الاحداث علينا وان تولي مصرنا عبدالله بن قيس الأشعري ، وحذيفه فقد رضينا واحبس عنا وليدك وسعيدك ومن يدعوك اليه الهوى من اهل بيتك ان شاء الله والسلام))[5] وبيدو من كتاب مالك الاشتر الى الخليفة الطلب منه بتعيين ابا موسى الاشعري كامير على الكوفه ومعه الصحابي حذيفه بن اليمان ، وعدم اعادة سعيد بن العاص وذلك لرفض اهل الكوفة له . ولقد تولى مالك الاشتر زمام الامور ريثا ثم ارسال والى جديد فيسمه مقاليد الامارة . ثم ان مالكاً الاشتر امر من اهل الكوفه بعدم جيايه الاموال والمحافظة على الامن والهدوء ، وعدم روعة السكان وهذه امور تدل على الاصلاح وليس على الخروج عن طاعة الخليفة ريثما يتم) الى هذه المطالب وارسل ابا موسى τاصلاح الوضع بوال جديد . هذا ولقد استجاب الخليفة (الاشعري وحذيفة الى الكوفه فسلمه مالك الاشتر مقاليد الامور اليه بل وساعده كثيراً في نشر

---

5) المصدر السابق 119/3 ،المصدر نفسه 75/3.

6) الطبري : تاريخ الطبري ، 119/3.

7) البلاذري : انساب الاشراف ، 186/6 – 157.

1) المصدر نفسه ، 158/6 .

2) البلاذري : انساب الاشراف ، 159/6 ، المحب الطبري ، الرياض النقره ، ص60 ، ينظر ، طه حسين : الفتنه الكبرى ، عثمان ، (ط1 ، دار المعارف ، مصر ، 1953) ، ص 129-130 .

الامن والطمأنينه للسكان . ويقول طه حسين حول كتاب مالك الاشتر هذا الموجه الى الخليفة
) ((... وانظر الى قوله (قول الاشتر) واحبس عنا سعيدك ووليدك ومن يدعوك اليه τعثمان (
) هذا الكتاب قال : τالهوى من اهل بيتك انشاء الله)) ويضيف طه حسن مقتد ما قراء عثمان (
اللهم اني ثابت وكتب الى ابي موسى وحذيفه انتما لاهل الكوفه رضا ولناثقة فتوليا امرهم وقوما
بالحق غفر الله لنا ولكم)) ووصل الى الخليفة عثمان قول عيبه بن الوغل [1] .

تصدق علينا بابن عفان   وامر علينا الاشعري لياليا

فقال الخليفة عثمان ، نعم او اشهراً ان يقيت .

او يستنتج الباحث عن هذه الاحداث وما يخص الاشتر منها :

) بل ركب اليه مع اصحابه واخيره سيره الوالي سعيد بن τاولاً : ان الاشتر لم تجاوز الخليفة عثمان (
العاص مما جعل الخليفة يرسل على ولاته ويجتمع بهم ويشاورهم في امور الخلافة الدوله .

) بأنهم على صواب وبخاصة منهم سعيد اين العاص الذي ندد بالاشتر τثانياً : ان الولاة او هو الخليفة (
واصحابه وانهم على خطأ مما جعل الخليفة بعيد الولاة الى امصارهم .

ثالثاً : والظاهر ان بعض الصحابه كانوا يتذمرون من تأمير بني اميه ومنهم الغير مستحقن على الامصار ، ولذلك اجتمع الزبير وطلحه مع الاشتر ، واخباره باعادة سعيد الى الكوفه وتسليفه
مبلغاً من المال سلفه ، لعلمهم بذلك من عمرو بن العاص

رابعاً : ان مالكاً الاشتر امتثل نصيحه الزبير وطلحة وهما من الشورى السته ولذلك سارع الاشتر لمنع
سعيد من دخول الكوفة ولما لاقاه منه من التنكيل وكذلك اهل الكوفه .

) ينم عن ثقافة دينيه وامتثال لطاعة ولي الامير τخامساً : ان كتاب مالك الاشتر الى الخليفة عثمان (
بالمعروف فهو يقول

في كتابه اليه اننا والله ما مفنا عاملك للدخول لنفسد عليك الى اخر ما جاء من الكتاب ،
) فما τ) من جهه وللامتثال للخليفة (ψوهو كتاب يمثل منع الفساد في الدوله بمساندة الصحابه (
لو ارسل من هو كف للولايه وبذلك طلب الاشتر واصحابه ابا موسى الاشعري فأجابهم الخليفة
الى ذلك .

يوم الدار وموقف مالك الاشتر

) المتعارف عليه بيوم الدار ، كان مأساة τ   مما لاشك منه ان مقتل الخليفة عثمان (
حقيقة ، وانعطافه خطيره في مسيرة الخلافة الراشده وهو حدث هام ، قد تصدر الكثير من المصادر التاريخه الاساسيه ، وكلما يوجد مصدر منها ، الا وقد افرد لهذا الحدث الاهمية العقول ، فلقد تجمعت ضروفاً عديده ، وتجاذبت الكثير من المواقف منها السياسيه والاقتصادية

---

3) البلاذري : انساب الاشراف ، 6/159 – 160 ، طه حسين : الفتنه الكبرى ص 130.

والاجتماعيه فمن الناحيه السياسيه هناك ، احزاب شتى وشخصيات لها التأثير الفعلي في هذا المناخ المكهرب ولكل حزب اهدافه وتقاليده ، وتجاذباته ، وامتدادته في ارجاء الدوله الاسلاميه . واما الوضع الاقتصادي فقد تغير الموقف في هذه الحقبه الزمنيه حيث كثرة الاموال نتيجة الفتوحات الاسلاميه .

وكانت الثروات الكثيرة التي حصل عليها كبار الصحابه ، بمثابة التضخم المادي والذي اثر في نمط الحياة والبناء الشامخ والرفاهيه . فلقد تحدث اليعقوبي عن كثرة الاموال) الناس افريقيه سنة 27 هـ ، وعليم عبدالله بن سعد بن ابي سرح τيقول ((... واغزى عثمان (فلقي ودعاه الى الاسلام او اداء الجزيه فأمتنع ... والتحمت الحرب حتى قتل جرجيس ، وكثرة القنائم وبلغت القي الف دينار ، وخمسمائة الف الف دينار وعشرون الف دينار ... وروي ان) زوج ابنته من مروان ابن الحكم وامر له بخمس هذا المال ...))[1] وما قاله الطبري ان τعثمان ( ) قسم امواله في بني اميه فلقد بدأ ببني العاص فاعطى رجالهم عشرة الاف ، τالخليفة عثمان (عشرة الاف ، فأخذوا مائة الف واعطى بني عثمان مثل ذلك وقسم الباقي في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب [2] .

وهذا يدل على كثرة الاموال والاعطيات والنعيم الذي وصلت اليه الدوله الاسلامية ، وما) حين استشهاده عند خازنه من τكان من الثراء ، حيث يقول المسعودي ان ثروة الخليفة عثمان (المال خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم وقيمة ضياعة بوادي القرى وحنين وغيرها مائة) عنهم ومنهم الزبير الذي τالف دينا ، وخلف خيلاً كثيراً وابلاً [3] وكذلك اموال بعض الصحابه (بلغ ماله عند وفاته خمسين الف دينار والف فرس والف عبد وامه وغير ذلك وكذلك بالنسبه الى طلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وغيرهم مما يطول شرحه [4] وهذا غيض من فيض ، وهو من المسموح به في التشريع الاسلامي اذا كان جمعه من المستحقات والاعطيات) والخليفة ابو بكر εوكسبوه من الغنائم ، ولكن الثراء الفاحش يتنافى مع سيرة الرسول الكريم ( ) ، انما الامور اختلفت بعد ذلك .ψالصديق والخليفة عمر بن الخطاب (

اما من الناحيه الاجتماعية فلقد برزت بعض الطبقات ، والمعاير في الاعطيان ، وبعض المفاهيم ، والتي قضى عليها الاسلام في بداية الدعوه فأنتهت وصار الجميع امام الاسس والمبادئ الاسلامية ، اخوان في الدين ، لا فرق بينهم . واساس التفاضل هو التقوى . ان الاختلاط بالاقوام الاخرى بعد الفتوحات الاسلامية ، ظهرت عادات وتقاليد من الترف ، حيث سكن العرب في الامصار الجديدة ، وتزوجوا من الاقوام المتحضرة فأكتسب الجيل اللاحق ، تزاوج بالافكار ،

---

1) اليعقوبي : تاريخ العيوني : ص115 ، الدينوري : الامامه والسياسه 32/1 ، ابو النصر ، عمر : معاويه بن ابي سفيان ، (ط1 ، المكتبه الاهليه ، بيروت ، 1962) ، ص55 .

1) الطبري : تاريخ الطبري ، 126/3 ، العيوني : تاريخ العيوني ، ص 120 .

2) المسعودي : جروح الذهب ، 485/2 – 486 ، الخفري : الدوله الاموية ، ص 330 .

3) المسعودي : جروح الذهب 486/2 .

والابد لوجبات التي اثرت على نمط المعيشة الاجتماعيه . ولايمكن الاقتصاد كثيراً عن موضوع البحث ولكنها مقدمه ذات صله اساسيه بيوم الدار ذلك اليوم الرهيب والثوره العارمه ، لربما على هذا المفاهيم الجديده ، او لربما على الثراء الفاحش ، او الفساد الاداري المتفشي في اجهزة الدولة ومرافقها مما يظهر في هذا البحث .

اسباب قتل الخليفة ويوم الدار

1. الاسباب غير المباشرة

أ. ان الشخصيات السياسيه الكبيره التي كانت تترأس الاحزاب وتستنكر بعض التصرفات والتي يطول شرحها ومنها تقريب الخليفة (τ) لبني امية وتوزيع الاعطيات عليهم وبخاصية منهم الوليد بن عقبه والذي نزلت فيه ايه بالفسق ولقد قتل الرسول محمد (ε) والده عقبه بن معيرط بيده كافراً يقول ابن جيب في المنمق ((عقبة بن ابي معيط حز عنقه رسول الله (ε) حين متصرفه من بدر بالصفراء))(*)(1)

كبر سن الخليفة عثمان (τ ، وتقواه وانصرافه الى العبادة وقراءة القرآن وشديد الحياء) مما جمله يثق بمروان في تصريف الامور والاشراف على الولاة واخفاء كثير من الامور عن الخليفة .

ب. التصرف بدون الرجوع الى الخليفة عثمان (τ) من قبل مروان بن الحكم

ت. التعرض الى بعض اصحاب رسول الله (ε) كأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ونفي كثير من الاشراف والزعماء ومنهم مالك الاشتر منار البحث

2. الاسباب المباشرة للثورة :

اما الاسباب المباشرة للثورة على الخليفة عثمان (τ) فطلاً عن الاسباب غير المباشرة هي :

أ. أن وقد أهل مصر عندما استرضاهم الخليفة ، أرسل معهم محمد بن أبي بكر وال على مصر يدلاً من عبد الله بن ابي سريع . وفي اثناء عودتهم الى مصر شاهدوا راكباً على جمل يجب الصحراء كأنه يطلب او يطلب قبضوا عليه وفتشوه موجد واعنده كتاب موجه من الخليفة الى وأمير مصر بأمره فيه تقبل محمد بن ابي بكر وجماعته . وما يقوله العبقوي ((وسار الركب الذين قدموا من مصر فما صاروا في بعض الطريق اذا راكب على اجمل فأنكروه ففتشوه موجدوا معه صحيفه من عثمان (τ) الى خليفة عبدالله بن سعد : اذا قدم عليك النفر فأقطع ايديهم وارجلهم ، فقرروا واتفقوا على الخروج وكان من يأخذون عنه محمد بن ابي بكر الصديق ومحمد بن ابي حذيفة

---

(1) نصب الخليفة عثمان (τ) مروان بن الحكم كاتباً لسره وهو يصرف امور الخلافة مما ولد نفور كبار الصحابه وبخاصية اهل الشورى الذين هم مجلس المراقبة على خلافة المسلمين . ولقد أثر مروان كثيراً على سياسة الخليفة عثمان (τ) .

(*) الصفرا : بالمقصورة ، والصفراء بالممدوده وادِ في ناحية المدينه كثير النحل والزرع على مرحلة منها ، م . ن ، 367/5 .

وكتابه بن يشير وابن عريس اللبلوي))[1] واكد المسعودي هذه الروايه وقال : تأكد لهم بأن الكتاب يخط مروان [2] بن الحكم وما قاله : اين الاثير حول عوته محمد بن ابي بكر الصديق وجماعته ومقابلتهم للخليفة عثمان (τ) وبحضور الصحابه وأهل الشورى وقالوا له هل ان هذا الكتاب بختمك ؟ قال نعم ! قالوا : هل أن الغلام غلامك ؟ قال : نعم ! قالوا :

هل ان البعير من اموال الصدقه ؟ قال : نعم ، فحلف لهم انه لايدري وليس له علم بذلك وتبرأ من الكتاب جملة وتفصيلا[3] ولقد كان الخليفة صادقاً في قوله ، لأن بصمات مروان ظاهرة) كيف يكون الختم ختمك والغلام غلامك والبعير τعلى هذا الفعل ، فقالوا : الى الخليفة عثمان (بعيرك وانت لاتعلم ، فأما انك تعلم فهذا تبديل وتغير ، واما ان كنت لا تعلم ، فأن الامور تجري بغير معرفتك ، ومما قاله ((فان كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما امرت به من قتلنا بغير حق ، وان كنت صادقاً فقد استحققت ان تخلع نفسك لصفقك عن هذا الامر وغفلتك ، فأخلع نفسك منه كما خلعك الله وقال : لا انزع قميصاً البسينه الله ولكن اتوب وانزع)) . ثم يوصل اين الاثير قوله ((... ان هذا ليس اول ذنب تبت منه قبلنا ولكننا رأيناك تتوب ثم تعود ولسنا منعرفين حتى تخلعك او تقتلك او تلحق ارواحنا بالله تعالى ...))[4] وهذا القول على السان محمد بن ابي بكر وجماعته من مصر .

ب. اما السبب المباشر الثاني : هو كتابه بعض الصحابه الى الصحابه والتابعين في الامصار يطلبون منهم الحضور الى المدينة وتدارك الدين وكانت هذه الحركة منظمه ولها رؤوس عديدة . فلقد) منافره وذلك انه انفصها مما كان يعطها عمر ψروى اليعقوبي ((... وكان بين عثمان وعائشة ( ) يوماً ليخطب اذ τ) فأن عثمان (ρ) وحيرها اسوة بغيرها من نساء رسول الله (τبن الخطاب ( ) لم ρ) ونادت يامعشر المسلمين : هذا جلباب رسول الله (ρ) قيص رسول الله (ψدلت عائشة (يبل وقد ابلى عثمان سنته ! فقال عثمان : رب احرف عني كيدهن ان كيدهن عظيم))[5] وكذلك) وتحريضهم الصحابه والتابعين وغيرهم في الامصار عليه ψتأليب الزبير وطلحة على عثمان (في امور يطول شرحها ويذكر الباحث ما يخص مالك الاشتر فيها . يقول اين قتيبه في الامامه والسياسة ارسل طلحه كتاباً الى الاشتر وهذا نصه ((بسم الله الرحمن الرحيم من المهاجر من وبقيه الشورى الى من بمصر من الصحابه والتابعين اما بعد ان تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول) قد غيرت واحكام الخليفتين ρالله ، قيل ان يسيلها اهلها فان كتاب الله قد يدل وسنة رسول الله (

---

2) ابن جيب ، محمد بن جيب : المنحق بن اخبار قريش ، تحقيق ، خورشيد احمد فاروق ، (ط1 ، عالم الكتاب ، بيروت ، 1405 هـ) 1985م) ، ص389

3) اليعقوي : تاريخ اليعقوي ، ص121 ، ابن عبدربه : العقد العزيز ، 106/4 – 107 ، الكوفي ، ابو محمد بن اعثم : كتاب الفتوح ، (ط1 ، دائرة المعارف ، الهند ، 1968) ،ج2 ، ص211 .

4) المسعودي : مروج الذهب ، 492/2 ، الطبري : تاريخ الطبري ، 122/3 ، البلاذري ، انساب الاشراف ، 184/6 ، الدنيوري : الامامه والسياسة ، 37/1 .

1) الطبري : تاريخ الطبري ، 391/3 ، ابن تغري ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف : النجوم الزاهره في ملوك مصر القاهرة ، (ط1 ، دار الكتب الصحبه ، بيروت ، 1992) ، ج1 ، ص81.

2) المسعوي : مروج الذهب ، 122/2 ، البلاذري : انساب الاشراف ، 184/6

قد يدلق ...))[1] الى اخر ما جاء باكتاب .

رابعاً : مقتل الخليفة وموقف مالك الاشتر:

بعد عودة محمد بن ابي بكر الصديق واصحابه لكتاب الذي كبسوه من غلام الخليفة والموجه الى امير مصر يقتلهم ، فلقد جمعوا اهل الشورى والصحابه واطلعوهم على عثمان (τ) ولم يبق احد في المدينه الا وتعم على مضمون الكتاب ، واشتدت النضمه على الخليفة عثمان (τ) الخليفة [2] ولقد حضر من الامصار وفود بناءً على سوء سيرة الولاة وما كتبه الصحابه واهل الشورى اليهم والطلب يحضورهم وذلك في شوال سنة 35 هـ حيث حضر من مصر عبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانه بن يشير النجبي وسوران بن حمران السكوني وقتبره ابن وهب الكوني وعلى القوم جميعاً الفافقي بن حرب العكى ولم يجترؤا ان يعلموا الناس بخروجهم ، وانما خرجوا كالحجاج وهم في ستمائه فارس والمكثر يقول الف فارس . وخرج اهل الكوقه وعليهم مالك الاشتر النخعى وزيد بن صوصان العبدي وزياد ابن النصر الحارشي وعبد الله ابن الاصم وزيد بن صوصان العبدي وعددهم بعدد اهل مصر .

وخرج اهل البصره وعليهم حكم بن جيله العبدي ويشرين شريح بن الحطم ابن ضيعه القيس وابن المخرش بن عبد بن عمرو الحنفي وعددهم كعدد اهل مصر وامرهم جميعاً حرقو بن زهير السعدي ، سوى من تلاحق بهم من الناس فأما اهل مصر فأنهم يشتهون علياً ، واما اهل الكوفه فأنهم يشتهون الزبير ، واما اهل البصره يشتهون طلحه [3] ولقد دخلت الوفود المدينة المنوره واجتمع زعمائهم بكبار الصحابه واتفق رايهم على مواجهة الخليفة عثمان (τ) ، وعرض مطاليهم المتمثله ، يعزل الولاة الغير مرغوب فيهم ، والعدل والمساواة وعدم تقديم من لايستحق الا بالتقوى والحق وتسليهم مروان بن الحكم ، والذي ثبت انه قد زور الكتاب الموجه الى امير مصر دون علم الخليفة مما اصج الفتنه واوقد نارها . وجاء الامام علي (كرم الله وجهه) الى الخليفة عثمان (τ) ، ونصحه ان يعتذر [4] ان يعتذر للناس عن اعمال الولاة وامور يطول شرحها ، فأعتذر اليهم وقبلوا اعتذاره ودخل الدار ، فجاءه مروان في جماعته من بني امية وقال له :

- **يا امير المؤمنين أأتكلم ام اسكت ؟**
- **فقالت تائله بنت القرافصة زوجة الخليفة وكانت حاضره ، لابل اصمت فأنهم والله قاتلوه ، وانه قد قال مقالة لا ينبغي له ان ينزع عنها .**

---

3) الدينوري : الامامه والسياسة ، 33/1 .

4) الكوفي : الفتوح ، 211/2 ، الدنيوري : الامامه والسياسة ، 37/1 ، ينظر ابو النصر معاويه ابن ابي سفيان ، ص57 ،

1) الدنيوري : الامامه السياسه ، 38/1 ، الطبري ، تاريخ الطبري ، 126/3 ، المسعودي ، جروح الذهب ، 492/2 ، ينظر ، ابن قتبه : المعارف ، ص196 ، العنوي : تاريخ العنوي ص120 ، الديار بكري : الخميس ، ص274 ، اين كثير : البداية 167/7 – 168 .

2) الطبري : تاريخ الطبري ، 132/3 ، ابن الاثير : الكامل ، 82/3 ، الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد : احياء علوم الدين ، (ط1 ، دار الندوه ، بيروت ، بدون تاريخ) ، ج4 ، ص479 .

- فقال مروان : ما انت وذاك فوالله ، قد مات ابوك وهولا يحسن الوضوء ! اما والله لولا انه عمه ويناله غمه – عم الخليفة – لاخيرتك عنه مالم اكذب عليك . فاعرض عنها مروان ثم قال : يا امير المؤمنين أأتكلم ام اسكت ؟ فقال الخليفة : تكلم فقال مروان : ((بابي انت وامي والله لودرت ان مقالتك هذه كانت وانت ممتنع فكتت ادل من رضي بها واعان عليها ، ولكنك قلت ماقلت وقد بلغ الحزام الطيبين والسيل الزبى ، وجن اعطى الخطه الذليله والله لاقامة على خطيئه ويستفقر منها اجمل من ثوية يخوض عليها وانت اذا شئت تقريب بالتوبة ولم تقر بالخطيئة ، وقد اجتمع بالباب امثال الجيال من الناس))[1]

) اذهب اليهم وكلمهم ، واني استحي ان اكلمهم ، فخرج مروان τ فقال له الخليفة عثمان (بن الحكم الناس وكلمهم بكلام خشن فيه كثير من التجني عليهم ولقد نقض بذلك ما جاء في خطبة الخليفة ومما قاله لهم ((ما شأنكم قد اجتمعتم ، كأنكم قد جئتم لنهب ! شاهت الوجوه ! كل انسان اخذ بأذن صاحه الاض اريد ! جئتم تريدون ان تتنزعوا ملكنا من ايدينا ! اخرجوا عنا ، اما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا امر لايسركم ولا تحمدوا ، غب رايكم ، ارجعوا الى منازلكم فأنا والله ما نحن بمغلوبين على ما ايدينا))[2] ولقد اثر مروان على الخليفة ، وقلب الامور رأساً على عقب ، فبعد ان هدّأهم وسكنهم واعتذر اليهم ، فان الناس هاجوا بخطبة مروان وهم كالموج المتلاطم والخضم المتلاحق ، والشعور بالغضب ، فكانت ثورة عارمة ، قد زادها مروان لهيباً وسكب الزيت على النار مما اشتد هياجهم وكثر اللغط وانهالت الاتهامات وعلامات الاستفهام واشتد المصادر وتدفق امواج البشر حول دار طلحه بن عبد الله الذي جمعهم لغرض المساومه ، وذهب الخليفة) الى الامام علي (كرم الله وجهه) يشكو اليه ، ودار بفسها كلام طويل ، مما جعل الامام τعثمان (علي (كرم الله وجهه) نجده ويذهب الى دار طلحة ويقول له : ماذا تفعل ، وما هذا الامر الذي انت فيه ؟ فقال طلحة : يا ابا الحسن بعد ما بلغ الحزام الطبين ، فأنصرف علي (كرم الله وجهه) ، الى) مما تفرق τبيت المال فكسره ووزع الامور على الناس فأنصرفوا عن طلحه ، وسر بذلك عثمان (الناس عن طلحة

وان التثابج المترتبه على خطبه مروان مايلي :

) مما جعله يسمح له ان يكلم الناس وان خجله منهم لا يريد ان يواجههم τتأثير مروان على الخليفة (مما نصحه مروان فقال له اخرج الهم فاني استحي منهم .

1- شتم مروان الناس وعدم خجله منهم وبدون حياء .
2- ادعى مروان بان الخلافة ملك لعائلته وهذا خلاف لكتاب والسنه والسيرة النبوية .
3- اثارة الشغب وتأجيج نار الثوره بدلاً من اطفاءها .

---

3) الطبري : تاريخ الطبري ، 133/3 ، ابن الاثير : الكامل ، 82/3 ، ابن كثير : البدايه والنهاية ، 168/7 ، البلاذري : انساب الاشراف ، 181/6 .

3) الطبري : تاريخ الطبري ، 133/3 ، اين الاثير : الكامل ، 183/3 ، البلاذري : انساب الاشراف ، 181/6 .

4- الرؤيه غير المسؤوله لمروان ، وفسح المجال له من قبل الخليفة الذي فوض له الامور فساد التصرف ، وأدى بالكارثة على الخليفة (τ) وهو المسؤول عن اثارة الفتنه والحصار ومقتل الخليفة الشهيد (τ) . والحقيقة يتوجب اظهار دور مالك الاشتر في هذا الخضم الهائل لكي يسلط الضوء على ما قام به ، ودوره حيث تتجاذب الاراء ، وكثر الكلام ، وانهالت عليه التهم من بعض الحصار الاولية لاسباب منها سياسية ومذهبيه وتأريه ولقد ارتأى الباحث ان يتناولها ويحللها بنظره واقعيه وحياديه وحسب الاستقراء والملاحظة العلميه وحسب الضروف والاسئلة . اذن ما هو دور مالك الاشتر في يوم الدار ؟ وهل كان له مشاركه في مقتل الخليفة (τ) ؟ وهل كان الاشتر راضياً عن قتل الخليفة رغم ما عاناه من انتهاك الحرمه وتسيره من بلد الى اخر ؟ وهل كانت المصادر التاريخيه التي الجفت بحقه صحيحه ام لا ؟

هذه اسئلة اراد الباحث ان يجيب عليها في هذا المبحث لغرض أظهار الحقيقة كاملة وبكل موضوعيه وحيادية ، وحسب المنهج العلمي المتسم بالعلميه والواقعية التحليليه . والمتهم بريء حتى تثبت ادانته ، وان الاتهام يدون دليل مادي ملموس او تلبس بالجريمه ، لا يأخذ به القانون في الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعيه الاخرى والحصار يشتد والناس يتزاحمون) ويطالبون بتسليم مروان الذي هو قد اجج الفتنه ورأسها . إذن اين هو مالك τحول دار الخليفة (الاشتر من كل ذلك ؟ ومن بين هؤلاء الناس ومن الصحابه والمهاجرين والانصار وأهل الشورى) على مالك الاشتر ! لماذا ؟ هل لمعرفته السابقة به اوهل τوالتابعين ، يرسل الخليفة عثمان (لثقته ؟ ام لاطمئنانه اليه رغم ما حدث له ؟ يتحدث عن ذلك ابن سعد ، والطبري وابن عبدربه) τوغيرهم ، واللفظ لاين سعد في الطبقات ، يقول مرفوعاً عن ابن عون قال : بعثني عثمان (فدعوت له الاشتر فجاء ، وقال ابن عون : طرحت (وضعت) لامير المؤمنين وسادة وللاشتر) يوجه السؤال الى مالك الاشتر : τوساده ثم يتابع قوله بالحوار الاتي : الخليفة (

- يا اشتر ماذا يريد الناس مني ؟
- مالك الاشتر : ثلاث ليس لكل احد هن بد !
- الخليفة للاشتر مستفهماً : ما هي ؟
- الاشتر : يخبرونك بين ان تخلع لهم امرهم فتقول هذا امركم فأختاروا له من شئتم ، وبين ان تقص من نفسك ، فإن ابيت هاتين فإن القوم قاتلوك .
- الخليفة لمالك الاشتر : اما من احداهن من بد ؟ مالك ليس لاحداهن من بد .
- الخليفة للأشتر : اما ان اخلع لهم أمرهم مما كنت لأخلع سربا لا سربليه الله ، واما القصاص ما يتحمل بد في لذلك ، واما ان قتلوني فلا يتحابون بعدي ابداً ، ولا يصلون بعدي جميعاً ولا يقاتلون بعدي عدواً .

- فقام مالك الاشتر من عند الخليفة وانطلق [1] وينقل ابن عبد ربه في العقد الفريد في نفس السياق واللفظ مع بعض الاختلاف في دعوة الخليفة (τ) للاشتر ، وحضوره امامه وقد استقبله وأخذا يتما ذبا الحديث بهدوء واقرام دون اي محاذير[2] وبعد تحليل هذه الرواية يستنُج مايلي :

1- ان لملك الاشتر مكانته وسمعته المرموقه عند الخليفة عثمان (τ) من بين هذه الحشود من الناس الهائجة وكما عبر عنها مروان كالجبال ، ولذلك استدعاه الخليفة من دونهم .
2- ثقة الخليفة عثمان مالك الاشتر على ما يظهر ومعرفته السابقة وله صحية معه .
3- قدم مالك الاشتر النصيحة للخليفة عثمان (τ) بكل صراحه ووضوح يقوله ان الناس (يخبرونك) وهو قول فيه مسؤوليه ونقل رأي الجماهير الى الخليفة ومطالبيهم اباه .
4. لم تكن لمالك الاشتر نوايا سيئه تجاه الخليفة عثمان (τ) ، انما تجذبا الحديث باحترام متبادل وايدى كل واحد منهما رايه للاخر ، فكان الخليفة يسأل الاشتر وهو يجيب على اسئلته بكل اطمئنان واحترام .
5. كان استقبال الخليفة لمالك الاشتر ينم عن احترام له حيث طرحت (وصنعت) له وساده وللخليفه مثلها وهو رئيس الدولة الاسلامية وجلس الاثنان يتفاوضان بكل ثقة واطمئنان فما بينهما .
6. لو كان لمالك الاشتر نوايا سيئة ضد الخليفة تصل الى حد الغدر به وقتله وليس المطالب المشروعة لما توانى من تنفيذ ذلك لشجاعته .
7. وعندما لم يصل مالك الاشتر مع الخليفة الى نتيجه من المفاوضات خرج ، واعتزل الدار ولم يشترك في تنفيذ رغبه الثوار ، انما هو حذر الخليفة من القتل يقوله (انهم قاتلوك) وهذه قمة الصراحة والتحذير .
8. لقد اثر الاشتر على اهل الكوفة وسحبهم من الحصار ، وتركه لاهل مصر الذين تولوا الحصار وتنفيذ جريمه القتل .

لم يرد اسم الاشتر في قائمة من قام بجريمة قتل الخليفة مما سوف يظهر لاحقاً . ويبدو مما سبق ان مالكاً الاشتر ، بعدما خرج من دار الخليفة وايدى له النصح والاستشاره . فقد اعتزل عندما لم يجد استجابة [3] من قبل الخليفة . اما الثوار فجلهم من اهل مصر ، فقد وصل غضبهم الى مداه ، وهم كالسيل العارم وقد احاطوا بالدار في جميع الجهات . ولقد ارسل الامام علي (كرم الله وجهه) الحسن والحسين وارسل الزبير ابنه عبدالله وكذلك طلحة ارسل ابنه وقد امر) الناس τ) [4] وخاطب الخليفة عثمان (τ) بثلاثة قرب من الماء لم تصل للخليفة (υالامام علي (قئلاً ، هل يوجد طلحة فسكتوا ، ثم نادى لثلاث مرات ، فقال طلحة فقال له عثمان : ياطلحة لماذا

---

1) ابن سعد : الصبقات ، 69/3 ، خليفة ، خليفة بن خياط بن هيره : تاريخ خليفة ، تحقيق ضياء اكرم العمري ، (ط1 ، مطبعة الاداب ، الجن الاشراف ، 1386 هـ) 1967م) ، ص 146 ، الطبري : تاريخ الطبري ، 117/3 .
2) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، 86/3 .
1) الطبري : تاريخ الطبري ، 142/3 .
2) المسعودي : جروح الذهب ، 492/2 ، شحاذه ، نزيه : من التاريخ الاسلامي ، (ط1 ، دار النهضه العربيه ، بيروت ، 1998م) ، ص237 .

) [1] اما ابن الاثير فيقول مر طلحة في ρاناديك ثلاثاً ولم تجبني وذكره بأمور مع رسول الله (الحصار فنادى على ابن عريس فناجاه مزجع ابن عريس ، فقال لاصحابه : لا تتركوا احداً يدخلعلى) : هذا ما اصربه طلحه ((اللهم اكفني طلحة فانه حمل على τعثمان او يخرج منه وقال عثمان (هؤلاء وألبهم علي والله اني لارجو ان يكون منها صفرأ وان يسفك دمه ...)) ويقال جرى بن) كلام شديد بعد المناضرة بينها فقال له طلحة ، لقد غيرت وبدلت [2] وما قاله ψالخليفة وطلحة ( ) واجلب عليه محمد ابي بكر الصديق وغيرهم واعانه على τالبلاذري قال ((حاصر الناس عثمان (ذلك طلحة وكانت عائشة تقرضه كثيراً))[3]. وما قاله ابن الاثير عندما حاصر الناس الخليفة)خرج اليهم وخاطبهم وذكرهم ، فجاء الاشتر وقال للناس : ((لعله (اي الخليفة) مكروا به τ( ) بريء مما ينسب اليه ، انما المكر من غيره τوبكلم))[4] وهذه كلمه تهدئه للناس ، بأن الخليفة (وهم الحاشيه وعلى راسهم مروان الذي غدر بالخليفة وكتب على لسانه الى الامراء يقتل رؤوساء لوقود ومنهم محمد بن ابي بكر والاشتر ، ومكروا بالناس لان مروان هو السبب في) . τالتمويه على الخليفة (

)τالشرارة التي ادت الى مقتل الخليفة عثمان (

ما تحدث به الطبري في تاريخة وابن الاثير في الكامل وفي مصادر اولية اخرى حول الشرارة) وهو ان احداً من الصحابه من قبيلة اسلم واسمه تيار بن عياض τالتي اوقدت قتل الخليفة عثمان (نادى على الخليفة عثمان عندما اوصدوا الباب امام الناس وهو يناشده ان يعزلهم ، اذ رماه كثير اين الصلت الكندي بسهم فقتله [5] ويقول فلهوزن ((وجاء التحول الحاسم نحو الشر ، اعني اول اراقه للدماء من قيل المدافعي عن الدار ، وذلك ان احداً منهم رمى حجراً فأصاب رأس احدا الصحابه وكان شيخاً كبيراً واقفاً خارج الدار بين الجمع المحشد فقتله ...))[6] ويقول فلهوزن ان الخليفة امتنع عن تسلم القاتل ، وكذلك قول اين الاثير ينقل قول الخليفة انه قال لم اكن اسلم شخصاً نصرني ، فتارت نقمة الثوار [7] هذه هي الشراره الاولى اني اطلقت فأحرق الثوار والغوغاء الباب وكان هتافهم تسليم مروان بن الحكم ، الذي تلقى ضربه على احدى علياويه ولم يمت وعاش بعدها [8] .

---

3) اين كثير : البوابه والنهاية ، 174/7 ، البلاذري : انساب الاشراف ، 211/6
1) ابن قتيبه : الامامه والسياسة ، 38/1 .
2) البلاذري : انساب الاشراف ، 184/6 .
3) ابن الاثير : الكامل ، 87/3 .
4) الطبري : تاريخ الطبري ، اين الاثير : الكامل 88/3 .
5) فلهوزن ، المشرف الاماني : تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الامويه ، نرجمه عبد الهادي ابو زيد ، (ط1 ، التأليف والنشر ، القاهرة ، 1968م) ، ص50.
6) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص50 ، اين الاثير : الكامل 88/3 .
7) الطبري : تاريخ الطبري ، 143/3 .
*) البدن : بدن الانسان جسده ، واليدن ايضاً الدرع القصيره ، الرازي : الصحاح ، ص44.

) ودور الاشترτكيفية مقتل الخليفة عثمان (

لقد اورد النميري في تاريخ المدينة المثوره رواية جديرة بالاهتمام ، حول موقف مالك) فهو يقول : ان سعداً بن ابي وقاص جاء الى الخليفة اثناء الحصار ρالاشتر من صحابه رسول الله (وطرق الباب عليه ، فحملوا عليه الثوار ودافع عنه مالك الاشتر بقوله : ((... واقبل الاشتر فنهاهم وقال : ياعباد الله اتخذتم اصحاب محمد بدناً[*] ...))[1] وهذه شهادة من مصدر قد اورد رواية اخرى سوف ياتي ذكرها . وهي فيها التحامل على الاشتر وهي رواية الضد ، مما يجعل الصدق فيها اكثر جدية من غيرة ، حيث ان الاشتر دافع عن الصحابه ونهى الناس بالتعرض لهم . وما قاله الطبري في) وعدم اشتراكه في جريمه τتاريخة حول اعتزال الاشتر عن الناس في حصار دار الخليفة عثمان (القتل بقوله ((وقدم الاشتر في اهل الكوفه فتوافوا بالمدينة فأعتزل الاشتر ، فاعتزل حكم بن جبله (اهل الكوفه والبصره) ، وكان ابن عريس واصحابه (اهل مصر) هم الذين يحصرون عثمان فكانوا خمسمائة ، فأقاموا على حصاره تسعة واربعين يوماً حتى قتل يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين))[2] وضده شهادة فاطعه ادى بها الطبري ، ليقطع الطريق امام) ، وهو τالقائلينى بأن مالك الاشتر ، مثار البحث قد اشترك في الحصار او في قتل الخليفة المظلوم (ما سوف يتناوله الباحث وحسب المصادر التاريخية الاساسية والمراجع .

)(ذي الحجة 35هـ /17 يوليو سنة 656م)τمقتل الخليفة عثمان (

) ويذكر τيقول الدينوري متوفي (289)هـ في الامامه والسياسه حول مقتل الخليفة عثمان (الاشخاص الذين تسورا عليه الدار ودخلوا وباشروا بالجريمة يقوله ((...وذكروا ان محمد بن ابي بكر لما خرج الحسن بن علي اخذ بيد رجلين ...وقال قوموا حتى تتسور عليه فنقتله من غير ان يعلم احد) ليكاني τ... ودخل عليه محمد بن ابي بكر فصرعه ... واخذ بلحيثه .. فقال له عثمان لور اني ابوك (ولساء مكانك مني فترافت بده عنه وقام عنه وخرج ... ثم جاء رجل من اهل مصر فعلاه بالسيف فتلقاه عثمان بيده فقطعها ... ثم دخل رجل ازرق قصير وضربه على ضاعه الايمن ... وجاء رجل اخر)) بعد ان τمن اهل مصر ، وهو مصلت السيف ، وقطع انامل نأمله بنت القرافصه (زوجة عثمان (اتقت بيدها السيف ... وادخل السيف في بطن عثمان فقتله ...))[3] ولقد جاء في طبقات ابن سعد (ت230هـ) . يذكر بأن محمد بن ابن بكر تسور على الخليفة من دار عمرو بن حزم هو وكنانه بن بشر بن عتاب وسودان بن حمران عمرو ابن الحمق ، واخذ محمد بن ابي بكر بلحيته وخرج ، وتولى قتله

---

1) التميري ، ابو زيد عمر بن شيبة : تاريخ المدينة المنوره ، تحقيق فهيم محمد شلتون ، (ط1 ، دار التراث ، بيروت ، 1990م) ، ج4 ، ص1275 .

2) الطبري : تاريخ الطبري ، 142/3 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص122 ، ابن طباطبا : تاريخ الدولة الاسلامية ، (ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1960م) ، ص98.

3) الدينوري : الامامه والسياسة ، 44/1

الثلاثة الذين دخلوا معه كما يتفق مع الدينوري [1] . وما يقوله العقوبي (ت282هـ) ، ان الذين تولوا) من اهل مصر وفيهم محمد بن ابي بكر ومحمد بن ابي حذيفة ، وابن حزم ، τقتل الخليفة عثمان (وكنانه بن بشر البجنبي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وعبد الرحمن ابن عديس البلوي وسودان بن حمران [2] واما المسعودي (ت346هـ) يقول في تاريخه مروج الذهب ومعادن الجوهر دخل على) محمد بن ابي بكر ورجلان ، وقبض محمد بن ابكر على لحيته ثم تركه وخرج وما τالخليفة عثمان (قال له الخليفة ، وان الرجلين قتلاه[3] وما اورده الطبري (ت310هـ) في تاريخه ، دخول محمد بن ابي) ومسكة من لحيته وما دار بينهما ، وقال له الخليفة قعده في τبكر الصديق على الخليفة عثمان (مقعدِ ما كان ابوك ليقعده او لياخذه فتركه وخرج ، ثم دخل عليه رجل يقال له الموت الاسود فخنقه ثم دخل النجيبي قضر به يمشقصى وهو يقرأ القرآن فسأل الدم على الاية[4] ((فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) (البقرة:137)[5] ولقد ذكر ذلك ايضاً ابن عبد ربه (ت327) في نفس السياق والاسماء والاعمال التي وردت في تاريخ الطبري [6] ويؤيد ذلك ابن الاثير (ت630هـ) في دخول محمد بن ابي) وما جرى منهما من حديث كما ورد سابقاً وخرج ، والذين تولوا القتل ، τبكر على الخليفة عثمان (قتبره وسودان بن حمران ، والفافقي وصزبه الفافقي لجديد معه وضرب المصحف برجله فأستدار المصحف واستقر بين يديه وقطعت اصابع نائله بسيف سودان[7] والبلاذري (ت379هـ) في تاريخه انساب الاشراف فهو يقول ان محمداً اين ابي بكر تسور على الخليفة ورجلان لم يذكرهما بالاسم) وتولى قتله الرجلان[8] . ويسمى ابن كثير τوخرج محمد بن ابي بكر بعد ان اخجله الخليفة ( ) ، وهو صريح لايتوان عن ذكر ψ(ت770) في تاريخية البداية والنهاية اسماء قتله الخليفة عثمان ( ) وما جرى بينهما من τغيرهم ان صح عنده ذلك يقوله دخل محمد بن ابي بكر على الخليفة عثمان (الحديث السابق ثم خرج والمتولي قتله سودان بن حمران المرادي وكنانة بن بشر وعمرو بن الحمق[9] وكذلك ابن ابي الحديد (ت655هـ)[10] يذكر اسماء القتله سودان حمران وكنانه بن بشير ، وخروج محمد بن ابي بكر ولم يمارس القتل . وذكر ذلك الديار بكري في كتابه الخميس والحميس الطبري في الرياض النظره ويقول ان محمد بن ابي بكر خرج بعد ما دار بينما من حديث ، والمتولين لقتل الخليفة عثمان وورد في الصواعق المحرقة لابن حجر (ت974) في نفس السياق واللفظ [11] .

) وبواقف ما سبق τوالسيوطي (ت911هـ) هو الاخر بدلو بدلوه فيذكر مقتل الخليفة عثمان (

---

4) ابن سعد : الطبقات ، 70/3 .
2) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص122 .
3) المسعودي : مروج الذهب ، 493/2
4) الطبري : تاريخ الطبري، 144/3 .
5) سورة البقرة : الاية 137
6) ابن عبد ربه : العقد القريد ، ص84
7) ابن الاثير : االكامل ، 90/3
8) البلاذري : انساب الاشراف 185/6.
9) ابن كثير : البداية والنهاية 185/7
10) ابن ابي الحديد : نهج البلاغة 303/3.
1) الديار بكري : الخميس ، 264/2 ، ينظر ، المحب الطبري : الرياض النضره 50/3

من المصادر الاساسيه في دخول محمد بن ابي بكر الصديق على الخليفة عثمان مع اثنين لم يذكر اسمهما وقد خرج محمد ودخلا الاثنان وقتلا الخليفة وفي الدعه وهما من اهل مصر[1] .

ويضيف ابن قتيبة[2] (ت289)هـ رسم نبارين عياص الاسيمى الى قائمة القتله . وكان مقتله) في يوم الاربعاء وقيل يوم الاثنين لست بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثون للهجره الموافق τ( ) من اهل مصر τ17 يوليو 656م ويظهر من المصادر التاريخية الاولية ان قتله الخليفة عثمان (واسمائهم :

1- **كنانة بن بشر النجبي**
2- **عبد الرحمن بن عديس البلوي**
3- **قتيره بن وهب**
4- **الفافقي ابو حرب**
5- **سودان بن حمران المرادي**
6- **عمران الحمق الخزاعي**
7- **نبار بن عياص**
8- **رحل اسمه الموت الاسود**
9- **رجل ازرق فصير من اهل مصر**

الذين دخلوا ولم يمارسوا القتل

1- **محمد بن ابي بكر الصديق**
2- **محمد بن ابي حذيفة**

) ، τهذه هي قصة يوم الدار المروعة التكراء في قتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان (وما كان فيها المفارقات والظروف التي ادت الى هذا الفعل ، واقتراف الجريمة ، وهي ولاشك كثيرة ومتشابكة وفيها ملابسات عديدة ، جرت فيها اتهامات لشخصيات هي بريئة كبراءة الذئب من دم يوسف ان هذه الاتهامات لا يمكن لها الصمود امام البحث العلمي الذي يعتمد على التحليل والاستقصاء) ، الامام علي (كرم الله وجهه) τوالملاحظة العلمية . وان من بين الشخصيات المتهمة بقتل الخليفة (والزبير وطلحة ، وعدي بن حاتم وقائمة طويله ودخلت القضيه في اطار سياسي ومصالح شخصية ، واطلق الاتهام جزافا على كل من هب ودب ولقد اقحم مالك الاشتر في هذه القضية الجنايته اقحاماً وذلك للاغراض المشار اليها سابقاً . وان اسمه لم يرد في قائمة الجناة التي اوردتها المصادر الاساسية وان من ضمن هذه المصادر من يخالف الاشتر في بعض المواقف ، ولو ان له موقفاً في

---

1) ابن حجر : الصواعق المحرقه ، ص 182 ، ينظر ، مؤمن ، سيد الشبلبخي : نور الابصار ، تحقيق عباس عبد السلام ، (ط1 ، مكتبه التزام ، القاهره ، دون تاريخ) ، ص71 .

2) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص145 ، ينظر ابن الدردي : تاريخ ابن الوردي 205/1 ، ينظر فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص49، ينظر ، قلعجي ، قدري : ابوذر الفناري اول تائر في الاسلام ، (ط1 ، دار العالم للملاني ، بيروت ، 1948م) ، ص67)68.

هذه الجريمة لورد اسمه في بداية القائمة . وفضلاً عما سبق في تبرئة مالك الاشتر من جريمة قتل الخليفة عثمان τ) جاء في دائرة المعارف الاسلامية ((ان الاشتر لم يشترك في محاصرة بيت عثمان (τ) او في قتله ووقعة الدار)) الدليل على تبرئة مالك الاشتر من قتل الخليفة عثمان (τ) وهذه الادله القانونية والشرعية والتاريخيه ، وما يوافق العقل والنقل والبحث العلمي ، حول تبرئه مالك الاشتر (τ) وملابسات الموقف وبكل حيادية من التهمه الموجه اليه بقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان (وموضوعية وامانة علميه .

1- ان مالكاً الاشتر حضر الى المدينة المنوره مع من حضر من الكوفة والبصره ومصر ومن باقي الامصار فضلاً عن اهل المدينة ومكة ، ويدعوة من كبار الصحابه ومنهم الزبير وطلحة (ψ) وهما من اهل الشورى . وذلك لغرض حضور مؤتمر اسلامي كبير ، للتداول في تصحيح الاوضاع السائده وعزل بعض اركان نظام الخلاقة مثل مروان ابن الحكم وغيره .
2- طلب الحاضرون ومن بينهم كبار الصحابه من الخليفة عثمان (τ) ان يعزل مروان وان يصحح الاوضاع ، وان يعتذر عما صدر من الاوامر الصادره الى بعض الولاة يقتل محمد بن ابي بكر والاشتر وغيرهم مما كان الخليفة منه بريء وهو من عمل مروان .
3- وعندما بأسوا من الاصلاح اتجهوا الى الامام علي (كرم الله وجهه) والذي نصح الخليفة (τ) بالاعتذار للناس وفعلاً فعل ذلك . غيران مروان خرج الى الناس وشتيهم بالالفاظ اثارتهم .
4- قتل احد الصحابه من مصر من قبل لمدافعين عن الدار .
5- استدعاء الخليفة (τ) لمالك الاشتر ، وبكل احترام وجرى بينهما كلام سبق ذكره وقدم الاشتر النصيحه للخليفة (τ) .
6- لقد دافع مالك الاشتر عن الصحابه (ψ) ومنهم سعد بن ابي وقاص .
7- لقد اعتزل الاشتر الناس ولم يشارك في الحصار او القتل كما جاء في المصادر السابقة .
8- لم يذكر اسم مالك الاشتر في قائمة قتله الخليفة عثمان (τ) والتي وردت في المصادر الاساسية . وان التهمه بحاجة الى دليل واثبات .
9- توجد رواية أوردها النميزي في تاريخ المدينة المنورة وهي رواية الضد والتي ثبت تبرءة الاشتر حيث انه اراد اتقاد الخليفة (τ) فلقد قال التميزي ((عن علقه : قال : قلت للاشتر لقد كنت كارهاً ليوم الدار فكيف رجعت عن رأيك ؟ فقال (الاشتر) : اجل والله لقد كنت كارهاً ليوم الدار ولقد جئت الى ام جبيه بنت ابي سفيان (زوجة رسول الله (ρ)) وانا اريد ان اخرج عثمان (τ) في هودجها فأبوا ان يدعوني لأدخل الدار وقالوا مالنا ومالك يا اشتر))[1] وفي رواية الطبري دليلاً اخر لكراهية مالك الاشتر واستنكاره لقتل الخليفة عثمان (ψ) حيث يقول ((عن علقه انه قال : قلت

---

[1]) النميزي : تاريخ المدينة المنوره ، 11313/4

للاشتر كنت كارهاً لقتل عثمان (τ) مما اخرجك بالبصره ؟ قال : (الاشتر) ان طلحة والزبير ومن معهم بايعوا علي (كرم الله وجهه) ثم نكثوا))[1] اما قول ابن حجر (ت974هـ) في الصواعق المحرقه حول اتهامه لمالك الاشتر يقتل الخليفة عثمان (τ) فليس فيه اي دليل مادي ولا يصمد امام البحث العلمي وهو مجرد راي للمؤلف ليس الا ، يقول في معرض كلامه حول سياسة الخليفة عثمان (τ) ومنها انتهاك حرمة مالك الاشتر وتسيره في البلدان فيقول : ((واما مافعله (الخليفة عثمان (τ)) بالاشتر ، معذور فيه فانه راس فتنه زمان عثمان ، بل هو السبب في قتله ، بل جاء انه هو الذي باشر قتله بيده ، فأعمى الله بصائرهم كيف لم يذموا فعل هذا المارق وذموا فعل من شهد له ، الصادق بأنه الامام الحق وانه يقتل شهيداً مظلوماً وانه من اهل الجنة))[2] وكلام ابن حجر هذا مخالفاً لسنة رسول محمد (ρ) والخلفاء الراشدين والصحابه (ψ) في تقويم مالك الاشتر : ومما يأتي شهادتهم لمالك الاشتر بما يأتي :

أ- شهادة الرسول محمد (ρ) لملك الاشتر بالايمان . فلقد شهد الرسول محمد (ρ) لمالك الاشتر بالايمان وهي شهادة عظيه للاشتر وقطعة وردة في اغلب المصادر الاساسية الموثوق بها . فقال الرسول محمد (ρ) لابي ذر الفقاري تمون وحيداً وتشهدك جماعته من المؤمنين وهذه هي الرواية حسب مصادرها الاساسية . قال العفوي في تاريخة في قصة ابي ذر الفقاري عندما خرج من المدينة الى الرندة في روايى طويله يذكر منها ما يحض الاشتر ، فعتد ما حضره اباذر الوفاة قال لاينته اذبحي شاة وترقبي الطريق ، سوف ياتيك من يتكفل بدفني ، فأني سمعت من رسول الله (ρ) يأتي سوف اموت بفلاة وحيداً فترقبت الفتاة فاذا بركب قد اقبلوا على رحالهم كالرخم ، فلوحت لهم فجاء وقالوا لها ما يالك باجاويه قالت : امرؤ من المسلمين تدفنونه متأجرون عليه ، قالوا من ارجل قالت : ابوذر الغفاري : قالوا : صاحب رسول الله (ρ) قالت نعم فقدوه بأيائهم واما وامهاتهم وجاءوا وسموا عليه فقال لهم : بشروا اني سمعت رسول الله (ρ) يقول لي تموتن في فلاه يشهدك (جماعة من المؤمنين) ومات (τ) من شهد ذفنه نفر فيهم حذيفه بن اليمان ومالك الاشتر[3].

) : اني τ وما جاء في مروج الذهب للمسعودي قال ابو ذر الغفاري للخليفة عثمان (اموت بالريذه ويتولى مؤراتي نفر يردون من العراق نحو الحجاز[4] وجاء في الاستعاب هامش) قال لنفر ان ρالاصابه في راواية ابراهيم عن ابيه الاشتر عن ام ذر قال ابو ذر ان رسول الله (فيهم ليموتن رجل منكم في فلاة من الارض تشهده ((عصابة من المؤمنين))

وليس في اولئك النفر الامان في قرية او جماعة الا انا واكان ممن حضر وفاتة مالك

1.) الطبري : تاريخ الطبري ، 211/5.
2.) ابن حجر : الصواعق المحرقة ، ص 177.
3.) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص120.
4.) المسعودي : مروج الذهب 490/2.

الاشتر وجماعة اخرين [1] . وما قاله اين الاثير من الكامل حول وفاة ابو ذر الفقاري وشهادة الرسول لمالك الاشتر بلايمان : قال ابو ذر لابنته ((سيشهدني قوم صالحون)) وعدد اسمائهم ومنهم عبد الله بن مسعود وعلقمة بن قيس ومالك الاشتر النخعي وكذلك عند ابن ابي الحديد في نهج البلاغه ((تشهده عصابة من المؤمنين)) وجاء اسم مالك الاشتر من ضمنهم . وورد ذلك في السيرة النبويه لابن هشام وفي الهاحش في رواية ابراهيم عن ابيه الاشتر عن ابي ذر مارواه) ρ) وشهادة الرسول محمد (τالحاكم في ستدركه ، في حضور مالك الاشتر دفن اباذر الغفاري (لمن حضر دفنه بالايمان . وهذا القدر يكفي للشهادة القيمة التي حصل عليها الاشتر ، اما ما قاله ابن حجر فأنه مجرد رايه الشخصي الذي لا يرتقي للنبوه ، او للخلافة او للصحابه .

) للاشتر بالكفتائة والجهاد في تقويمه له في كتابه الذي ارسله τب. شهادة الخليفة ابو بكر الصديق (الى خالد بن الوليد في الشام وقد مر ذكره سابقاً .

) بالامرة لمالك الاشتر ، عندما امره على فرقة عسكرية في τت. شهادة الخليفة عمر بن الخطاب (جيش الشام .

) لمالك الاشتر بأحترامه وجلوسه معه وقوله له (سلمكم الله) فبما سيق . τث. شهادة الخليفة عثمان (

ج. شهادة الامام علي (كر الله وجهه) لمالك الاشتر ، حيث قال عند وفاته (كان لي مالك كما كتب)) وما سوف يظهر في الفصول اللاحقة . وهي شهادة كبيرة له وعظيمة فما يحصل ρلرسول الله (عليها غيره .

ح.شهادة خالد بن الوليد للاشتر بأنه يعد (يساوي) الف فارس .

خ. شهادة ابو عبيد بن الجراح لمالك الاشتر بأنه خليق لكل خير كما سيق ذكره

) جميعاً لمالك الاشتر هي ψ) والخلفاء الراشدين وكبار الصحابه (ρ ان شهادة الرسول (اعظم مما اولاه اين حجر في الصواعق المحرقه ، فاتهامه لهؤلاء بأعماء البصائر وان الاشتر) في انتهاك τمارق وانه راس الفتنه الى اخر ما يقول . ثم ان ابن حجر يقول ان الخليفة عثمان (حرمة الاشتر لانه السبب في قتله بل هو الذي باشر اتصل : ان هذا القول خلاف لاستباق الزمن للاسباب التالية :

) كغيره من البشر لايعلم الغيب الا الله عالم الغيب والشهاده ((وعنده مفاتح τاولاً : ان الخليفة عثمان ( ) ، بان الاشتر سوف يقتله ويقوم بأنتهاك حرمته τالغيب لايعلمها الاهو))[2] فكيف علم الخليفة (وهو خلاف لا ستباق الزمن .

) وغيرهم مجرد شكوك لايحكم بها قانون τثانياً : لقد جاء ذكر اسماء الذين تولوا قتل الخليفة عثمان (

---

1) التميري : ابي عمر يوسف بن عبد الله : الاستجاب ، (ط1 ، دائرة التراث ، مصر 1328هـ) ، ج39 ، ص312 ، ينظر ابن عبد البر ، العقد العزير 312/3.

2) سورة الانعام : الاية 59 .

الشريعة الاسلامية.

ثالثاً : اما كون الاشتر هو راس الفتنة ، فلقد اطفئها في ولاية الوليد ابن عقبة في الكوفة مما سبق) سببها مروان بن الحكم .τذكره ، والفتنه في قتل الخليفة المظلوم (

رابعاً : ان الامر بالمعروف والنبي عن المتكر ، ليس فتنة ، انما واجب المؤمن الذي يدافع في مباديء ومفاهيم الاسلام . والمروق هو الخروج عن هذه المباديء والاشتر وقف ضد الولاة الذين مارسوا اعمالاً تسيء لمباديء الاسلام . وبهذا يستنتج الباحث

1- عدم الظلم والاقتراء لانه يتعارض مع الكتاب والسنة النبوية قال تعالى ((ومن يظلم منكم نذقة عذاباً كبير))[1] ولقد تم الاقتراء وظلم الاشتر في قتل الخليفة المظلوم عثمان (τ) .

2- ان الذي يتحمل الوز والقصاص مرتكبه ولا يمكن الكذب على رسول الله (ρ) واصحابه (ψ) جميعاً قال تعالى : ((اينما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بايات الله واولئك هم الكافرون))[2]

3- المهتم بريء حتى تثبت ادنته ولم يثبت ادانته مالك الاشتر في جريمة قتل الخليفة عثمان (τ) ، والشهادة يجب ان يدلي بها شاهدان عدول يرون الحقيقة والتلبس بالجريمة بعد اداء اليمين وليس بالطعن والافتراء بعد حقبه من الزمن اوقرن او اكثر قال تعالى ((ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه اثم قلبه))[3] ولم يشهد احد على الاشتر في جريمة القتل .

4- ما جاء في التشريع الجنائي الاسلامي لعبدالقادر عوده [4] ((لاجريمة ولا عقوبه بلا نص في جرائم القصاص والديه)) ، ويقول : ان الجرائم التي يعاقب عليها بالقصاص هي : ((القتل العمر ، واتلاف الاطراف ، اما الجرائم التي يعاقب عليها بالديه والقتل الخطاء واتلاف الاطراف خطاء والجرح خطاء[5])) ويقول في اسناد ذلك الى القرآن الكريم ((ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق)) وقال تعالى ((وكتبنا عليهم فيها النفس بالنفس))[6] وعلى هذه القاعده القانونيه الاسلامية وموافقتها للقانون الشرعي وبهذا فإن مالك الاشتر لم يثبت عليه القتل العمد او اشتراكه في هذه الجريمه الشنعاء او انه ملا عليها . بل وكما اتضح سابقاً انه اعتزل ولم يشترك في الحصار ثم انه حاول اخراج الخليفة عثمان (τ) ، على بغلة ام المؤمنين ام جيبه ولكن الثوار والناس من اصل مصر منعوه من ذلك وانه قدم النصيحة للخليفة (τ)وهذه تبرئته من تهمة القتل او السبب فيه .

1.) سورة الفرقان : الاية 19
2.) سورة الحج : الاية 30
3.) سورة البقرة : الاية 283
4.) عوده : عبد القادر : التشريع الجنائي الاسلامي مقارناً بالقانون الوصنعي ، (ط14 ، مؤسسة الرسله ، بيروت ، 1422 هـ) 2001م) ، ص121 .
5.) سورة الاسراء : الاية 33
6.) سورة المائده : الاية 45

المبحث الثاني

خلافة الامام علي (كرم الله وجهه) ودور الاشتر فيها

) بالخلافة ودور الاشتر (ذي الحجه 35 هـ / حزيران 655م):υاولاً : مبايعة الامام علي (

) تم مبايعة الامام علي (كرم الله وجهه) بالخلافه يوم الثلاثاء τ بعد مقتل الخليفة عثمان (

لسبع ليالي بقين من ذي الحجة سنة 35هـ [1] بينما يذكر ابن سعد في الطبقات ان مبايعة الامام
) ، والتي كانت في يوم الجمعه لثماني τ) كانت في اليوم الثاني من مقتل الخليفة عثمان (υعلي (
) كانت يوم السبت بعد مقتل υعشرة ليلة مضت من ذي الحجه سنة 35 هـ ، وهذا يعني ان لبيعته (
) بيوم واحد وهذا ما جاء في طبقات ابن سعد[2] . τالخليفة (
) كانت في نفس يوم مقتل υاما المسعودي يذكر في مروح الذهب ان بيعة الامام علي (
) ويذكر في ليلة الجمعه لثلاث يقين عن ذي الحجة سنة 35 هـ [3] . والطبري في τالخليفة عثمان (
تاريخية يقوم البيعة كانت يوم السبت لثماني عشرة خلون من ذي الحجة من السنة المذكوره[4].
) في τ وفي تاريخ الخميس للديار بكري ، استخلف علي (كرم الله وجهه) بعد عثمان (
التاسع عشر من ذي الحجة سنة محسن وثلاثين للهجره ومدة خلافة ست سنين وقيل خمس سنين وسبعة اشهر وستة ايام وقيل ثلاث وقيل اربعة عشر يوماً [5] وهذا يدل على ان هناك اختلاف في
) مع الاتفاق على الشهر والسنة ، في المصادر الاساسية ، فهل υتحديد يوم بيعة الامام علي (
) υكانت البيعة في نفس يوم كارثة القتل او بعد ذلك بيوم او اكثر ، والظاهر ان البيعه للامام علي (
في نفس اليوم او بعده بيوم فلقد ذكرت المصادر يوم السبت والثلاثاء والجمعه وهذا يعني ان
التباساً حدث في يوم البيعه . وهذا واضح من هياج الناس والصدمه التي حلت بهم .
وعدم تحديد الهدف وصار منصب الخليفة شاغراً ، فأتجه من الثوار نحو طلحة ونهم
) ، والذي يبدو ان الثلاثة رفضوا ، في البداية ψمن اتجه نحو الزبير وغيرهم اتجه الى علي (
) τتولي الخلافة رغم انهم من اركان مجلس الشورى ، الذي عبنهم فيه الخليفة عمر بن الخطاب (
والذي يهم هو موقف مالك الاشتر مثار البحث ، من هذا الموج ألمتلاطم والسيل الجارف من الثوار ومن اغلب الامصار ومنهم الصحابة في المهاجرين والانصار والتابعين وهم يبحثون عن داع يتولا امرهم وما تحدثت به المصادر التاريخية الاولية عن دور مالك الاشتر ، والذي اعتزل
) من قبل اهل مصر كما تقدم ذكره ، τالثوار ، وراى ان الامر قد وصل الى قتل الخليفة عثمان (
فلقد تدخل فوراً وبكل قوة لحسم الامر قيل ان قوات الاوان وحتى لايبلغ السيل مداه ، ويخرج بما لايتحمل عقباه . وبعد ان عجز الناس قبول الزعماء الثلاثه اهل الشورى بالبيعه ، توجهوا الى مالك الاشتر لحسم الامر ، وهو دليل على اهميته ، رغم وجود الصحابه من المهاجرين والانصار والتابعين ، ولعل في الامير سراً ، قد يخفى على البعض ، وقد يعرفه البعض ويخفونه ولريما لا يرون مدى علاقة الاشتر بالامام علي (كرم الله وجهه) . وما قاله الدينوري في الامامه والسياسة

) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص 123 . 1
) ابن سعد : الطبقات ، 29/3 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، 224/7 .2
) المسعودي : جروح الذهب ، 496/2 ، الدنيوري : الامامه والسياسة ، 46/1 ، ابن الاثير : الكامل 399/3
) الطبري : تاريخ الطبري ، 169/3 ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 157 .4
) الديار بكري : الخميس 276/2 ، المحب الطبري : الرياض النفري ، ص 163 .5

((وتردد الناس الى الاشتر النخعي ، فقال لعلي (كرم الله وجهه) : ابسط يدك نبايعك ، فقال له مثل ما قال لهم (اي الرفض) فقال الاشتر : والله لتمدن يدك نبايعك او لتعصرن عينيك عليها ثالثة ولم يزل به بكلمة ويخوفه الفتنه ، ويذكر له انه ليس احد يشبهه ، فمد يده ، فابعه الاشتر ومن معه ، ثم اتوا طلحة فقالوا له ، اخرج فبايع علياً ، فأمتنع عنهم فجاءوا بلبونه فبايعه بلسانه ومنعه يده ...))[1] .

وهنا يظهر دور مالك الاشتر في صنع الاحداث ، والتأثير فيها ، ومبايعته للامام علي (كرم الله وجهه) قطع كل السبل والتأولات ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب اما قوله (لتعصرنّ عينك عليها ثالثة) في التفاقة ذكية ليس المقصود بها الا تذكير الامام بأهميته وان الخلافة هي ادارة شؤون المسلمين وتكليف وليس تشريف وعليه يتوجب القيام بها لمن هو اهلاً لذلك . ثم يواصل الدنيوري كلامه وبعد البيعه الخاصة ذهب الامام علي (كرم الله وجهه) الى المسجد حيث البيعة العامه ، ومعه مالك الاشتر ، وان اول بديا بعثه هناك هو طلحة فتطابرمنها) جميعاً. ρعلي (كرم الله وجهه) وقال : ما اخلقه لان ئنكث ثم بايعه الزبير وسعد واصحاب النبي (

ويقول الدينوري ان الامام علي (كرم الله وجهه) طلب مروان فهرب ، فسأله علي امرأة عثمان نائله عمن قتل الخليفة فقالت : دخل رجل لا اعرفهم الا ان محمداً بن ابي بكر كان معهم فسأله قال : صدقت ولكنه ذكرني بابي فخرجت فقالت صدق ولكنه ادخلهم [2] .   ويقول العفوي) بايعه المهاجرون والانصار وطلحه والزبير وكان اول من بايعه طلحة υحول بيعه الامام علي (بن عبيد الله ، فقال : رجل من بن سعد ا ن اول يدبا بعت يد شلاء   او قال ناقصه [3] وما يخص مالك الاشتر يقول العفوي ، وقام مالك الاشتر فقال : ((ابايعك يا امير المؤمنين على ان علي بيعه الكوفه ، ثم قام طلحه والزبير فقالا نبايعك يا امير المؤمنين على ان علينا بيعه المهاجرين ثم قال : ابو الهيثم بن النهان وعقبه ابن عمرو وابو ابوب فقالوا : نبايعك على ان علينا بيعه الانصار وسائر قريش))[4] وبهذه الرواية ا ناول من نادى بامرة المؤمنين لعلي (كرم الله وجهه) هو مالك الاشتر ، ويقول اليعقويي ، ان في هذا الحفل والمؤتمر القيت كلمات وهذه كلمة مالك الاشتر التي) والجموع المحتشده ((ايها الناس هذا وصي الاوصياء υالقاها امام الخليفة المنتخب الامام علي (، ووارث علم الانبياء ، العظيم البلاء ، الحسن الثناء الذي شهد له كتاب الله بالايمان ، ورسوله بجنة الرضوان ، من اكتملت فيه الفضائل ، ولم يشك في سابقة وعلمه وفضلة الأواخر ولا الاوائل))[5] ومما يظهر في هذه الخطبه القصيرة ، ان للاشتر معرفة فيه كاملة ومفصله عن سيرة

1.47(46/1 ، الدينوري : الامامه والسياسه)
2. 47/1 المصدر نفسه)
3.170/3 اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص123 ، ابن الاثير : الكامل 99/3 ، الطبري : تاريخ الطبري)
4.123ص ، اليعقوبي نفسه)
5. 124ص ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي)

الامام علي (كرم الله وجهه) ، وهذه الكلمات تنم عن ثقافة اسلامية عاليه ، وهي تأكيد على اهمية هذه البيعه ودعوه الى التقيد بها لان صاحبها اكتملت فيه الفضائل وشهد له كتاب الله بالايمان ، وهو تاثير بليغ على الحاضرين ، ودعوة لهم للبيعه . وهذا لمد باقي مجرد نسق من الكلام المنمق او المعرفه السطحيه ، انما معرفة متعمقه بشخصية الامام علي (كرم الله وجهه) .

وما جاء في تاريخ الطبري ان اول من بايع الامام علي (كرم الله وجهه) هو مالك الاشتر ، ((فاخذ الاشتر بيده فقبضها علي ، فقال : ابعد ثلاثة اما والله لئن تركتها لتقصرن عينك عليها حيناً فبايعة العامة ، واهل الكوفه يقولون ان اول من بايعه الاشتر))[1] والطبري في هذه يوافق الدينوري الا انه قال (لتقصره) ، بينما الدينوري قال في روايته (لتعصرن) ، وهما كلمتان في مضى واحد ، وهو ان الاشتر عندما امتنع الامام علي (كرم الله وجهه) من البيعه) ، اراد ان يذكره بأن عدم قبوله هو قوات الفرصه في خدمه الامة الاسلامية .

وان الامام علي (كرم الله وجهه) هو الشخصية التي يمكن ان يطمأن اليها الثوار بسابقتة) وهذا ما كان يقصده . وفي رواية اخرى ρوعدله وشجاعته وايمانه وقرابته من رسول الله (للطبري ا ناول من بايعه طلحة ، وقال ابن ابايع كرهاً ، فبايع وكان به شكل ، وفقال احدهم ، انا لله وانا اليه راجعون اول يديا بعت امير المؤمنين يد شلاء ، ويقول الطبري جاء به الاشتر [2] ولقد جاء الزبير وبايع ، واجتمع الناس على علي (كرم الله وجهه) ويقول الزبير بابعت واللج على) υقضى اي قفاي (اللج سيف مالك الاشتر) وهي رواية سيف ومن خطبه خطبها الامام علي (رواها الطبري وغيره ((ان الله جل وعلى انزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر ، فخذ والخير ، ودعوا الشر ، الفرئض ادوها الى الله سبحانه بؤدكم الى الجنه ، ان الله حرم حراماً غير مجهول ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق الانسان والمسلم من سلم المسملون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل اذل المسلم الا بما يجب ... اتقوا الله في عبادة وبلاده انكم مسؤولون حتى عن البقاع واليها ثم اطيعوا الله حبى وعلى ولا تقصوه ، فاذا رايتم الخير فخذوا به واذا رايتم الشر فدعوه (واذكره اذ كتم قليل مستضعفون في الارض(*))[3] وابن الاثير) وموقف الاشتر منها ، غير انه يقول ان υيواقف الطبري حول روايته في بيعة الامام علي (المدينة بقيت شاغرة من الخلافة لمدة خمسة ايام وكان الناس يبحثون عمن يتولى امرهم من اهل الشورى فيذهبون الى الزبير فيمتنع ، ثم الى طلحة كذلك ، ويهرعون الى الامام علي (كرم الله وجهه) فيقول دعوني ، احب ان اكون وزيراً خيراً من ان اكونا ميراً ثم يذكر ما ذكره الطبري [4]. واما ابن كثير في البداية والنهاية لايمضي بعيداً فهو يذكر ما ذكره الطبري وابن الاثير ويواقف

1.) الطبري : تاريخ الطبري ، 172/3 ، اين الاثير : الكامل 198/3
2.) المصدر نفسه 173/3
3.) الانفال : الاية 26
4.) الطبري : تاريخ الطبري ، 174/3 ، النوري شباب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الا رب (ط1 ، الهيئة المصرية ، القاهره ، 1975) ، ج2 ، ص12

ابن كثير حول بقاء المدينة خمسة ايام بدون خليفة ، وطلب الناس من علي والزبير وطلحة وسعد وابن عمر البيعة لهم فرفضوا ، ثم اجتمعو على علي (كرم الله وجهه) وفي مقدمتهم الاشتر واخذ الاشتر النخعي بيده فبايعه الناس وذلك يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة ، وكلهم يقول لايصح لها الا علي . وان اهل الكونه يقولون ان اول من بايعه هو مالك الاشتر . ويواصل اين كثير قوله وفي يوم الجمعه من ذي الحجة سنة 35هـ ، عقد مؤتمراً كبيراً حضره المهاجرين والانصار ونهم طلحة الذي اتى به الاشتر وبايعوا الامام علي البيعه العامة وخطب الامام علي (كرم الله وجهه) الخطبه التي اولاها الطبري [1] ويقول محمد الخضري ان طلحة تلكأ في البيعه فهدده مالك الامير فبايع ، والزبير بايع ايضاً وقال لهما علي ان أحببتما بايعتكما وان اجتمهتا فبايعاني قالا بل نبايعك وقالا بعد ذلك انما بايعنا ذلك خشية على انفسنا [2] .

ولعل اول من بايع الامام علي (كرم الله وجهه) في البيعه الخاصة ، هو مالك الاشتر ثم بايع الناس في المسجد البيعه العامه فاول من بايع طلحه ثم الزبير وبقية المهاجرين والانصار .
) يتجلى فيها المواقف الحاسم الذي لابد υهذا بأختصار موقف مالك الاشتر من بيعه الامام علي (منه فلقد ايدى الاشتر دوراً كبيراً وصارماً في نزع فتيل الفتنة وقطع دارها ، حيث انه راى من مصلحة الامة ان يكون لها امام ولي امر المسلمين بعد ان شفر هذا المنصب وليس لها الا احداً من اهل الشورى ونظر بعقل ناقب انه علي (كرم الله وجهه) .

يستنتج من ذلك مايلي :

1- لقد اختلفت المصادر الاساسيه حول يوم وتاريخ بيعة الامام علي (كرم الله وجهه) هل هو السبت ، الخميس ، الجمعه وكذلك بعد مقتل الخليفة عثمان (τ) هل بعد يوم او خمسة ايام . والظاهر ان الخلافة بقيت شاغرة لعدة ايام بدليل ان الثوار اخذوا يبحثون عن خليفة جديد بعد عناء وفادهم مالك الاشتر الى بيعة علي (كرم الله وجهه) اخيراً .
2- اختلفت التاريخه المصادر الاساسية حول اول من بايع الامام علي (كرم الله وجهه) فمنهم من يؤكد انه كان مالك الاشتر ، ونهم من يقول انه طلحة ابن عبد الله (τ) ، حيث ا ن اول يد بايعت هي يد شلاء كما اورده الطبري واين الاثير واين كثير ، والذي يستنتجه الباحث بالاستقراء ، هو اول من بايع هو مالك الاشتر في البيعة الخاصة ، وعندما طلب الامام علي (كرم الله وجهه) ان تكون البيعة عامة اول من بايعه طلحة بن عبدالله في المسجد وقيل كرهاً وقيل طوعاً .
3- تجمع المصادر الاساسية والمراجع على دور مالك الاشتر القوي في بيعة الامام علي (كرم الله وجهه) وما ايده من اندفاع منقطع النظير ، حرصاً على وحدة الامة ولملمت شعثها وتبين ذلك من

---

1) اين الاثير : الكامل 99/3 ، ابن عبد ربه : العقد الغريد 96/3 .
2) ابن كثير : البداية 225/7 ، السيوطي : الخلفاء ص155 .

خطبته في حصل بيعة الخلافة وتسنم الامام علي (كرم الله وجهه) للخلافة ، ومعرفة الاشتر بشخصية الامام علي ومؤهلاته لاستلام الخلافة .

4- **ان بيعة الزبير وطلحة (ψ) وما كان الاختلاف هل هما مكرهين او طائين على البيعة ، فالتحليل هو لو اكدها على البيعه لسري الاكراه على سعد بن ابي وقاص واسامه بن زيد وعبد الله بن عمر الذي امتنصوا عن البيعه فقال لهم الامام علي (كرم الله وجه) ان لم اكرهكم ان شئتم بايقم وان شئتم رفضتم فذهبوا ، وقال لطلحة والزبير ما قاله لهم . فلو انهما لم يبايعا لكان شأنهما شأن اولئك .**

5- **ان طلحة والزبير (ψ) لو كان مكرهين على البيعة ، فالأجدر اظهار الرفض عند زوال السبب وهو الخوف من لج مالك وذلك بعد يوم من البيعة من زوال المسبب ، واذا كانا طائفن فبتوجب عدم النكث .**

6- **نصرة مالك الاشتر بعزيمة واندفاع الى الامام علي (كرم الله وجهه) مما جعله قريباً منه ويقى معه ولم يغادر المدينة بل رافقه الى وقعة الجمل وشهد من المشاهد كلها كما اوردت المصادر الاساسية بوفاء واخلاص .**

7- **لقد وقف الامام علي (كرم الله وجهه) بجانب الخليفة عثمان (τ) بالنصيحة والموقف المعروف وارسال الماء وولديه الحسن والحسين ولكن وان افسد على الخليفة عثمان (τ) عمله .**

ثانياً : بواكبر وقعة الجمل

بعد ان تسنم الامام علي (υ) الخلافة الراشده الرابعة ، وبايعه الصحابه من المهاجرين والانصار وباقي الامصار ومن حضر في المدينة ، اخذ يمضي في سياسته من القرآن الكريم والسنه النبوية واجتهاده لمصلحة الامة . ابي معاويه بن ابي سفيان امير الشام ، بامره بالبيعه ، فحبس الكتاب لمدة ثلاثة اشهر ولم يرد عليه ، ثم جاءه كتابه بما لا يجب وجاء طلحه والزبير ψالى علي ( ) جميعاً ، وطلبا منه ، الاماره فقال لهما ، انما بايعتما على السمع والطاعه وليس على الامره ، فخرجا الى مكة بعد ان طلبا منه الاذن ، وقالا له زيد العمره فقال لهما ((ما العمرة تر بدال وانما تريد ال تمضيا الى شأنكما ، فمضيا))[1] ولقد اشار المغيره بن شعبه على الامام علي (υ) ان يبقي عمال الخليفة عثمان (τ) ، على ولاياتهم حتى يستقر الامر ، واقرار العمال على اعمالهم حتى تأتي طاعتهم فقال علي (كرم الله وجهه) : حتى انظر . وخرج من عنده ثم عاد اليه في القد وقد غير رايه ، وقال له : اعزلهم فدخل عليه عبدالله بن العباس وعرف ما دار بينهما فقال له : بالامس نصحك واليوم عشك[2] وفي ذلك يقول اليعقوبي قال الغيره : ((والله ما نصمت له (للامام علي) قبلها ولا انصح له بعدها)) واناه طلحة والزبير فقالا : زيد العمره فاذن لهما

---

1) الدينوري : الامامه والسياسه 51/1)52 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص124.

2) الطبري : تاريخ الطبري 175/3 ، ابن الاثير : الكامل 101/3 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، 177/7 .

) τبالخروج وكانت السيدة عائشة في مكة ، وعند عودتها الى المدينة علمت تقبل الخليفة عثمان (وانتخاب الامام علي [1] خليفة فقالت أرجعوني الى مكه .

) عماله على الامصار فبعث عثمان بن حنيف على البصره υ هذا وقد وزع الامام علي (وعمارة بن شهاب الكوفه ، وعبيد الله بن العبأس على اليمن ، وقيس بن عباده على مصر وسهيل بن حنيف على الشام واما سهيل بن حنيف فقد اعاده معاوية بن ابي سفيان ، وقال بعد) عند معاوية واما عمارة بن شهاب τعودته وجدت سبعين الف سيف يبكون على قميص عثمان (فإعادة طلحة من خويلد ، وان مالكاً الاشتر شفع لابي موسى الاشعري بالبقاء على) في مكة واتفقوا τ) مع السيدة عائشة ام المؤمنين (ψالكوفة [2] هذا وقد اجتمع الزبير وطلحة (على الخروج الى البصره ، وقد امدهما عبد الله بن عامر باموال كثيرة من البصرة ، ويعلي بن امية من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة الف درهم وبعث الى ام المؤمنين عائشة بجمل اسمه) جميعاً حيث قالا لها ((اخرجي ψعسكر [3] ولقد اتفقت عائشة ام المؤمنين مع طلحة والزبير (معنا حتى تأتي البصره فيمن تبعنا من اهل الحجاز ، فاخذاها وخرجا بها الى البصره ، يطلبون بدم عثمان فسارت والناس حولها يميناً وشمالاً))[4] وعندما شمع الامام علي (كرم الله وجهه) بخروجهم الى البصره ، سارعين معه من المهاجرين والانصار وكان معه مالك الاشتر ، والذي لم يفارقه منذ البيعة ، فأرسل ابنه الحسن وعمار بن ياسر الى الكوفه ، لغرض اخراج من نيصره ، وكان ابو موسى الاشعري يثبط (يمنع) الناس عن بيعة الامام علي (كرم الله وجهه) والحسن وعمار ينهرونه ولكنه كان بحث الناس على عدم المز ويع لنصرة الامام علي (كرم الله وجهه) ويقول ((هذه فتنه القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب))) قال ρوالى اخر ما قاله ، والحسن وعمار ينهونه ولكنه لم يقبل وقال له عمار : ان رسول الله (ستكون فتنة انت فيها يا ابا موسى . ولقد كان دور مالك الاشتر هو الفيصل في اطفاء هذه الفتنة) وقال له يا امير المؤمنين انك بعثت ، رجالاً الى الكوفه ولست ادري υفلقد قام الى الامام علي (ما يكون فان بعثتني في اثرهم فان اهل الكوفه . احسن لي طاعه وان قدمت اليهم رجون ان لايخالفني منهم احداً فقال الامام علي (كرم الله وجهه) الحق بهم على اسم الله عز وجل فدخل مالك الاشتر الكونه ، وابو موسى على المنبر بحث الناس على عدم الخروج لنصرة الامام علي) فماذا عساة ان يعمل ؟ انه استخدم خطة عسكرية ذكية وحكيمة ، حيث انه وما كان يمر على υ(جماعة او قبيلة الا قال لهم اتبعوني ، فتبعته جماهير غفيره ، فدخل قصر الامارة ، واحتله عسكرياً

---

1) اليعقوبي : تاريخ العنوي ، ص125 ، الطبري : تاريخ الطبري 186/3 ، ابن ابي الحديد : نهج البلاغة 105/3 ، النويري النهاية الا رب ، 29/2 .

2) الطبري : تاريخ الطبري 177/3 ، ابن الاثير : الكامل 103/3 ، العنوي : تاريخ العنوي ص180 ، ابن كثير : البداية والنهاية 227/7 ، الدينوري : الاخبار الطوال . ص 141

3) ابن الاثير : الكامل 207/3 ، ابن كثير : البداية والنهاية 229/7 ، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص208.

4) الدينوري : الاخبار الطوال ص144 ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص163 ، ابن سعد : الطبقات 31/3 ، ينظر ، يوليوس ولهاوزه : الدوله الاموية وسقوطها ترجمة يوسف العش ، (ط1 ، الجامعة السوريه ، دمشق ، 1956م) ، ص47 .

، وحزب عثمان ابا موسى ، فدعوا اليه وهو يخطب ، فقالوا له : ان الاشتر احتل العنصر وطردنا فنزل من المنبر ، وهو في غاية الرعب ، وجاء الى القصر ، وطلب من مالك الاشتر ان توجله العشية فقال له : أجلناك ولكن لاتبات في العنصر ، نحن اخذنا مكانك ، واراد الناس نهب رحله فمنعهم مار ئنى ذلك . وقال لاى موسى الاشعري ، اخرج من قصرنا لا ا ملك ! اخرج الله نفسك فوالله انك لمن المنافقين قديماً[1] .

) وعمار بن ψ وخرج مالك الاشتر بالنضير من اهل الكوفة يتقدمهم الحسن بن علي ( ) ، ولقد كان تعداد هذا الجيش ((اثنا عشر الف رجل ورجل قال ابو الطيفل سمعت علياً τياسر ((كرم الله وجهه) يقول قيل وصولهم فقدت فأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولانقصوا رجلاً))[2] واما الطبري فيقول عن عدد الجيش الذي اخرجه مالك الاشتر من الكوفه فيقول عددهم باجتماعهم في ذي قار سيفه الأمن ومائتان وعبد القيس بأسرها في الطريق بن علي (كرم الله وجهه) واهل البصره ينتظرون مرور على بهم وهم سته الامن وما ئيننوفي الماء الفان واربعمائه))[3] وعند) مرحباً بهم قائداً ((يا اهل الكوفه انتم قاتلتم ملوك υوصول اهل الكونه خطب فيهم الامام علي (العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت اليكم مواريتهم فمتعتم حوزتهم واعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا من اهل البصره فان رجعوا فذاك الذب تريد وان يلجوا داويناهم بالرفض حتى بدؤنا يظلم ولم ندع امرأ فيه صلاح الا اثارناه على مافيه الفساد ان شاء الله))[4]) الى البصره ، وقالوا انهم جاءوا للمطالبة ψولقد دخل جيش الزبير وطلحة وام المؤمنين عائشة ( ) ، ودارت بينهم وبين امير البصره عثمان بن حنيف معركه ، غير متكافئة τبدم الخليفة عثمان (، انتصروا فيها ، ثم دار بينهم صلحاً ، ثم غدر مروان ابن الحكم بجماعة ابن حنيف ، ومسكوا به ، بعد النجوم عليه في الليل ، ونثق لحيته وصاحبه وغت السيطرة على دار الامارة والمسجد [5] والتحق عثمان بن حنيف بالامام علي (كرم الللہ وجهه) وقال له أتيتك امرداً فقال له اصب تاجراً وخيراً

ثالثاً : وقعة الجمل ودور مالك الاشتر

(10 جماد الاخره عام 36هـ /4 ديسمبر عام 656م)

بعد ان اجمع للامام علي (كرم الله وجهه) جيشه سواء من الكوفة والبصره وغيرهم) رسلاً ، ψتوجه من ي قار نحو البصرة ، وقد ارسل الى طلحة والزبير وام المؤمنين عائشة (

---

1) الطبري : تاريخ الطبري 202/3 ، ابن الاثير : الكامل 118/3 ، ابن كثير : البداية 234/7 ، المفيد ، ابي عبدالله محمد بن محمدبن النعمان البكري : الجمل ، تحقيق السيد علي مير شريف ، (ط1 ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، 1414هـ) ، ص251 ، ابن ابي الحديد : نهج البلاغه ، 21/14 ، القلقشندى : نهاية الا رب 53(52/20 ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، 644/2 ، ينظر طه حسن : الفتنه الكبري ص37

2.) ابن الاثير : الكامل 118/3 ، ابن كثير : البداية والنهاية 235/7

3.) الطبري : تاريخ الطبري 202/3 ، ينظر دائرة المعارف الاسلاميه ، طهران ص211/210

4) الطبري : تاريخ الطبري 202/3 ، ابن الاثير : الكامل 118/3 ، ابن كثير البداية والنهاية ، 235/7 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص126 ، ينظر : الحظري ، محمد بيك : الدوله الامويه ص349.

5.) الدنيوري : الامامة والسياسة ، 70/1 ، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص209

حول مفاوضات السلام والقاء الحجة عليهم غير انهم اصروا على القتال يدعوى الطلب بدم) فقال لهم علي (كرم الله وجهه) انكم قتلتم ستمائة رجلاً من اهل البصره فغضب τالخليفة عثمان (لهم ستة الاف ، ودارت بينهم مفاوضات ووفود لغرض الصلح [1] .

وارسل الامام علي (كرم الله وجهه) عبد اللع بن العباس وهو يحمل المصحف فالتقى بالزبير وطلحة وام المؤمنين عائشة ، فاعادوه دون جدوى [2] واما الطبري في تاريخة قد اورد رواية عن سيف ، غريبة في النقل ولا يمكن ان تعمد امام منهج البحث العلمي ، لنتاقصها مع واقع الاحداث ، وشخصية مالك الاشتر . وان عرض هه الرواية على الملاحظه العلمية تظهر بأنها واهية ومشكوك في صحتها عقلاً ونقلاً . ولاهمية ذلك سوف يعرضها الباحث ثم ينقدها . واروية عن الطبري وما تقلها بعد ذلك عنه ابن الاثير وابن كثير ((كتب لي السري عن شعب عن سيف عن محمد وطلحة بعد امر علي بالمسير ، فاجتمع نفر منهم عباده ابن الهيثم ، وعدي بن حاتم ، وسالم بن ثلعبة العبيس ، وشريح بن اوفى ، والاشتر في مجمل من ساروا الى عثمان ، وجاء معهم المصريون : ابن السوداء وخالد بن سلجم وتشاوروا وقالوا ما الراي ؟ وهذا والله علي وهو ابصر الناس بكتاب الله واقرب من يطلب قتلة عثمان وأخر بهم الى العمل بذلك ... وقال الاشتر فأما طلحة والزبير فنعرف امرهما وا ما علي فلم نعرف امره الا اليوم ... فتلموا بنا فلنتواثب على علي فلحقه بعثمان منقود فئة يرضى فيها من السكوت ..)) .

ويقول ابن السوداء الذي يدير هذا الاجتماع ئبس الراي هذا ويقول علياء ثم يقول عدي بن حاتم : عندنا السلام والخيول فان أقدمتم أقدمنا وان اجمتم اصمنا فيقول ابن السوداء : احسنت . ثم يقول ابن السوداء وكانه رئيسهم ((يا قوم ان عزكم في خلطة الناس ، مضايقوهم واذا التقى الناس غداً فانشيوا القتال... فبشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأعيروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا سفرون))[3] ويمضي سيف في هذه الروايه المتناقضه التي اوردها عنه الطبري حيث وضع (ابن السوداء) المزعوم رئيساً لهؤلاء الزعماء : فما هو السر ياترى ؟ ولماذا يتأمر مالك الاشتر وعدي بن حاتم الطائي ومن معهما على الامام علي (كرم الله وجهه) اركانه حرية وقادة جيشه ، وهل ابن السوداء هذا ساحره حتى يدير الاجتماع المزعوم ويقول لهذا أحسنت ! ولذلك يئس الراي رايك وهكذا ؟ ثم يمضي الطبري وتبعه ابن الاثير وابن كثير في ترديد هذه الرواية المشكوك في صحتها ، عن سيف وان الفريقين اخذا بالتسكين والمفاوضات لمدة ثلاثة ايام ، غير ان هؤلاء إتباع عبدالله بن سبأ ، اثاروا الحرب في الغلس في الظلام من حيث لايشعر علي (كرم الله وجهه) وتفاجئ واعتقدوا ان اهل الكوفه غد روايهم ونشب

1.) الطبري : تاريخ الطبري ، 205/3 ، ابن الاثير : الكامل ، 120/3 ، ابن كثير : البداية ، 1235/7
2.) المفيد : الجمل ، ص336 .
3.) الطبري تاريخ الطبري ، 206/3 ، ابن الاثير : الكامل 120/3 ، ابن كثير 236/7 .

القتال [1] هذه الرواية اني اولاها الطبري وعنه ابن الاثير وابن كثير لم تصمد امام البحث العلمي لان فيها من المتناقضات الغربية وتقربها الشكوك الكثيره وبعيدة عن المنطق والملاحظة العلمية . وقبل التحليل والاستقراء وعرضها على منهج البحث العلمي ، يتوجب معرفة شخصية (سيف) اولاً ومعرفة شخصية عبدالله بن سبأ ثانياً :

1- سيف من هو وماهي روايته وموقفه عند اهل الراي والعلماء : جاء في ميزان الاعتدال في نقدا الرجال للذهبي مايلي [2]: في باب سيف 3642 (3268ت) ((سيف بن عمر (ت) الضبي الاسدي ، ويقال التميمي ، ألرجمي ويقال السعدي الكوفي ، مصنف الفتوح والرد وغير ذلك هو كالوافدي بحروي عن هشام بن عرون وعبيد الله بن عمر ، وخلف كثير من المجهولين)) قال عنه عباس بن يحي : ضعن وروي بطين عن يحي : قال (سيف) فلس خير منه وقال ابو داود : ليس سيف بشيء وقال ابن حيان : اتهم (سيف) بالزندقه وقال ابن عدي : حديث سيف منكر

2) عبد الله بن سبأ جاء في كتاب عبدالله بن سبأ واساطير اخرى لمرتضى العسكري قوله ((كلمة عبد الله بن سبأ اسم مركب من اربعه الفاظ : (عبد) و(الله) و(ابن) و(سبأ) والالفاظ الاربعة خاصة باللغة العربية ويدل هذا الى ان الاب والابن المزعومين كلاهما كانا عربين اضف اليه بان المختلف الاول لاسطورة ابن سبأ هو سيف جرح بأن (ابن سبأ) كان من صفاء اليمن))[3] ولقد تم تحديد) ولا ψنشاط ابن سبأ في العشرة الاولى من القرن الهجري في عهدي الخلفيتين عثمان وعلي (يتعد ذلك ، ويقول العسكري ((لم تذكر المصادر الاوليه ومنها كتب الانساب ، نسب عبد الله بن سبأ وحتى عند الكلبي المتوفي (204هـ) رغم ان العرب كانوا يقتنون بالانساب ، اذن من هو هذا عبدالله بن سبأ [4] يقول العسكري لا توجد شخصية حقيقية لعبد الله بن سبأ سوى (عبدالله ابن وهب السيئي راس الخوارج ، وهو ما اورده الذهبي (ت748هـ) في المشبه . يقول الذهبي في ما ذكر في سوادت (38هـ) ان عبدالله بن وهب السيئي قتل في معركة النهروان وهو سبأئي ازدي راسبي وهو خارجي اما هذا (عبدالله ابن سبأ) الملقب ابن السوداء فهو شخصية ابتدعها (سيف) ليمرر عليها رواية وصفها في بعض رواياته ((كان عبدالله بن سبأ يهودياً من اهل صفاء امه) ...))[5] وفي رواية ابن السوداء وفي رواية عبدالله بن السوداء اما τسوداء قاسم زمن عثمان (طه حسين في كتابه الفتنه الكبري فانه هو الاخر يشكك في شخصية عبد الله بن سبأ ويعتبرها شخصية وهمية ، ويقول بخصوص الرواية السابقه ، والتي زعم بها سيف ان السيئين افشوا

1.) الطبري : تاريخ الطبري 213/3 ، ابن الاثير : الكامل 124/3 ، ابن كثير : البداية 237/7
2.) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، (ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1429هـ) 2008م) ، ص353 ، ينظر ، تهذيب التهذيب ، 265/4 ، الترمذي ابو عيس محمد بن عيس : سنة الترمذي ، (ط1 ، مطبعة الجلبي ، مصر ، 1937م) ، ج5 ، ص197 ، النسائي ، ابو عبد الرحمن احمد : سنت الترمذي ، (ط1 ، المطبعة المصريه ، الازهر ، دون تاريخ) ، ص256 ، الكاشف ، 416/1 .
3.) العسكري : مرتضى السيد : عبدالله بن سبأ واساطير اخرى ، (ط1 ، دار الزهراء ، بيروت ، 1983) ،ج2 ، ص322 – 323
4.) الذهبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد : المشتبه في الرجال ، تحقيق ، علي محمد ، (ط1 ، مطبعة عيس الجلبي ، بيروت ، 1962م) ، ج1 ، ص346 ، ينظر ، ابن حجر ، احمد بن علي القسعلاني تبيصر المنبته بتحرير المشتبه . تحقيق البجاوي ، (ط1 ، الدار المصري ، مصر ، 1386) ، ج2 ، 673 .
5.) العسكري : عبدالله بن سبأ ، 323/2

القتال في وقعة الجمل في حين ان الفريقين توادعا للصلح ويقول طه حسين ((والغريب ان هولاء المؤاخي قد نسوا السبئية نسياناً تاماً او اهملوها اهمالاً كاملاً حين رووا الحرب))[1] ويذكر طه حسين ان الذين ذكرهم سيف من السيئين قد اخلصوا للامام علي (كرم الله وجهه) ويقوا على طاعتة في وفقه صفين ونهم مالك الاشتر . ويضيف طه حسين ((واقل ما يدل عليه اعراض المؤرخين عن السيئة وعن ابن السوداء في حرب صفين ان امر السيئة وصباحهم ابن السوداء انما كان متكلناً منحولاً قد اخترع ...)) لقد تم استعراض شخصيتين الاولى (سيف) الرواية والثانية (عبدالله بن سبأ) المروي عنه . للاطلاع على حقيقة ملحوسه وفرضية (ان سيف بن عمرو اخترع شخصية عبدالله بن سبأ لتمرير روياته المزعومه ومن هذه الرويات هذه الرواية اني اوردها الطبري عنه ونقلها ابن الاثي وابن كثير في الكامل والبداية والنهاية والانفة الذكر في وقفة الجمل ولغرض تسليط الضوء عليها وتحليلها حسب منهج البحث العلمي وتطبيق الملاحظة العلمية والغرض والتجربة عليها :

اولاً : لقد جاء في ميزان الاعتدال للذهبي ما يؤيد الجرح والنقد السلبي والتشكيك في روايات سيف بن عمرو .

ثانياً : لقد ظهر بما لا يقبل الشك بأن شخصية (عبدالله بن سبأ) هو شخصية وهبة ليس لها وجود ، انما هي من مخترعات سيف بن عمرو ولقد انتهت هذه الشخصية وماتت بعد انهاء مبرراتها بعد وقعة الجمل .

ثالثاً : ان هذه الرواية تخالف العقل والمنطق ولا تعمد امام منهج البحث العلمي الذي بأخذ بالتحليل والملاحظة العلمية والفروض والتجربة للاسباب التالية :

أ. من حيث العقل والمنطق فكل ما يخالفهما فهو لا يأخذ به ، فيجب ان تكون الرواية متطابقة لما يتطلبه التصديق وليس الأكاذيب المنمقة .

ب. عدم حيادية وموضوعية الرواية فان فيها كثير من التجني على شخصيات مرموقه من الصحابه والتابعين وزعامات لها مكانتها الاجتماعية والقيادية .

ت. ان الشخصيات المشار اليها في الرواية منهم عدي بن حاتم الطائي ومالك الاشتر وان لكل منهما اعوان وقبائل وعتاد وسلاح وهم في منأى عن أي خوف او تهديد فلماذا الخوف من الصلح من الاطراف المتنازعة علماً بأنهما طرف فيها لمناصرتهم لولي الامر المتمثل في الامام علي (كرم الله وجهه) .

ث. ان مالكاً الاشتر اخراج جيشاً من الكوفه قوامة اثنا عشر الفاً من الرجال وهذا الجيش يطبعه وينفذ اوامره وهو بمثابة رئيس اركان جيش اهل الكوفة وزعيمهم المطاع .

---

1) طه حسين : الفتنة الكبرى ، ص98 .

ج. ان الغريب في هذا الاجتماع المزعوم على راي سيف والذي عقد على هامش معسكر الامام علي (ʋ) ان ابن السوداء المزعوم كان هو الذي يدير هذا الاجتماع وهو الذي يثني على كلام هذا ويصبح كلام ذاك ويسمح لمن يريد بالكلام ، ثم ان هؤلاء زعماء الجيش ورؤساء قبائلهم فلماذا ياترى وصفوا انفسهم تحت طائلة هذا الافاك (ابن اليهوديه) والذي اسم حديثاً في عهد الخليفة عثمان (τ) لماذا ؟ سؤال الى سيف والى من ردد هذه الرواية من بعد ؟ والى من يصدقها ؟

ح. ان راي مالك الاشتر في الامام علي (كرم الله وجهه) واضحاً وصريحاً ، فهو الذي وقف معه في البيعه ، وخطيته المشهودة في حفلتها ، في حق الامام علي (كرم الله وجهه) ، وهو الذي جلب الجيش لنصرته ، بل وضع نفسه تحت تصرفة فهل ياترى يحتاج الى عقد مثل هذا الاجتماع السيئ الصيت . ثم انه يريد ان يثب عليه في ليلة ظلماء ويتأمر عليه لماذا ياترى ؟

خ. ما هو مأثور عن طلحة والزبير (ψ) القول عنهما ؟؟؟ مكرهين واللج على اعناقنا . واللج هو سيف مالك الاشتر فمن يخاف من ، فالذي يخاف من سيف مالك ، يبدأ صاحب السيف بالخوف منهما ؟

د. لقد حرف سيف اسم عبد الرحمن بن ملجم الى خالد بن ملجم وحضوره في هذا الاجتماع المزعوم ، وان السيئين اختاروا توقيت الفلس لتشوب القتال قيل ابرام الصلح وان الفريقين فوجوا بذلك ، مما افسدوا الصلح ، وهذا يتعارض مع الروايات الصحيحة والتي سوف تعرض في سياق وقفة الجمل وكيف بدأت وملابساتها .

ذ. ما هي اسباب وجود عبدالله بن سبأ في جيش الامام علي (كرم الله وجهه) وهل كان موجوداً في المدينة وجاء معه ، ام انه يتجول في الامصار وقد وضع بضاعته على راحلته ، واخذ يبيعها لمن يشتريها وبأثر على الصحابه الكرام (ψ) ونهم اباذر الخفاري وعمار بن ياسر ، فهل يصح لصعلوك اسم حديثاً وامه يهوديه يؤثرعلى اجلاء الصحابه ويدس في أذهانهم افكاراً منحرفه ، والمشكلة لم تقف عند سيف وحسب انما على بعض المؤرخي الكبار يأخذهم هذه الرواية وغيرها حقيقة قائمة ومن بعض الكتاب المهاجرين وكأنها منالهم سواء امنوا لها ام لا .

ر. ان مالك الاشتر لا يفارق الامام علي (كرم الله وجهه) وهو قائد ميسرة الجيش ، منهل يسمح لنفسه ان ينضوي تحت امرة (اين السوداء) ويتأمر على الخليفة الراشد (τ) والذي وقف بجانبه بكل قوه .

ز. ان الامام علي (كرم الله وجهه) ليس في غفلة من امره ، وهو الشجاع الذكي فهل ان اصحابه المخلص يتأمرون وبهذه الصورة وهو لايعرف او ان الطرف الاخر من اهل البصره ، في غفلة فيصعدون هذه المؤامرة المزعومه؟

س. ان وضع الوزر على عاتق الغير لغرض تبرئة اطراف اخرى ليس من اخلاف الاسلام قال تعالى ((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)) (الأنعام:164)

ش. ان جيش اهل الكوفه هو تحت تعرف مالك الاشتر . فهل يحتاج هذا الى ان يتأمر مع هؤلاء بامرة ابن اليهوديه تحت مظلة ظلام الليل ويغدر بخليفة المسلمين ، الذي ازره ووقف بجنبه الى اخر يوم في حياته .

ص. ان من مصلحة مالك الاشتر هو الاصلاح والتهدئه لانه الطرف الاساسي في بيعه الامام علي (كرم الله وجهه) وهو اول من بايعه ، وكذلك فانه له علاقة وثيقة سابقة بكل من طلحة والزبير ، فالتصافي يصب في مصلحة الجميع بما فيهم مالك الاشتر .

والباحث يكشف بهذا القدر من العرض والتحليل وذلك حسب منهج البحث العلمي ومتطلباته واثبات الحقيقة ، وسوف يعرض مايخص موقف مالك الاشتر في معركة الجمل .

الدخول في وقعة الجمل

هذه الوقعه مهمه في التاريخ العربي الاسلامي ، ولقد اوردتها المصادر التاريخية الاولية ، منها المفصل لها ومنها المختصر ، ولها اسباب عديدة ، كان يفترض تلافيها بطاعته ولي الامر ، وعدم التسرع في المواجهة ، غير ان الامور سارت بهذا الاتجاه وكأن القدر هو الذي قرر الحكم فيها . ولقد هذه الوقعه الواقدي (ت 207هـ) والعفوي (ت279هـ) الدينوري (ت276) والطبري (310هـ) وابن الاثير (ت630هـ) وابن كثير (770ه) وغيرهم الكثير والباحث يذكر دور مالك الاشتر في هذه الواقعه ، حيث انه مثار البحث ولا بد من ابراز موقفه فيها . لقد اورد الطبري رواية سيف السابقة والتي نقلها عنه ابن الاثير وابن كثير غير ان ابن الاثير كان اكثر من منوعيه ، فهو شلك في الرواية . اما بقيت المصادر التاريخية فهي تنقل الرواية المتسق عليها مع رواية الطبري الاخرى الاكثر واقفة وحيادية والطبري يستدرك رواية سيف فهو يقول هذه الرواية عن سيف واما غير سيف فانه يقول برواية عن الزهري وهي غير الرواية المزعومة والتي نقلها سبق عن (محمد وصله) والذين ليس لهما اثر ووجود في التاريخ يقول الطبري عن الزهري بعد التقاء الامام علي (υ) مع الزبير بن العوام (τ) ، وتذكيره بحديث رسول الله (ρ) ((تقاتله وانت له ظالم)) فقال الزبير نسيت ذلك ورجع الى معسكره فعز له ابنه عبدالله فترك الجيشي وغادرهما ثم انه قتل بعد ذلك في الطريق قتله ابن جرموز ولقد التقى الامام علي (كرم الله وجهه) مع طلحة (τ) ، وقال له : تركت زوجك في بيتك واخرجت زوجة رسول الله (ρ) فقال له لعن الله من قتل عثمان ، غير انك (τ) . فقال : المطالبه بدم عثمان بايعتني قال : طلحة : بايعتك وعلى عنقي اللج (واللج سيف مالك الاشتر) ولم تفر المقابله عن نتيجة . ويواصل الزهري كما جاء في تاريخ الطبري ، فقال علي (كرم الله وجهه) لأصحابه ايتم بعرض عليهم هذا المصحف وما فيه ، فان قطعت يده اخذه بيده الاخرى ، فان قطعت اخذه باسنانه ؟ فقال شاب انا قطاف علي (كرم الله وجهه) على اصحابه فلم يقبله الا ذلك الفتى ، وفي يده المصحف ، فتقدم نحو معسكر اهل البصره وفي يده المصحف ، فضربه احدهم على يده فقطعت ، ثم الثانية ، فاخذ المصحف

) υباسنانه حتى قتل . ثم يواصل الطبري رواية الزهري عن بدء القتال بعد الاعذار من قيل الامام علي (فقال لاصحابه قد طاب لكم القتال فقاتلوهم [1] وقتل امام الجمل سبعون رجلاً ، وقتل طلحة بن عبيد الله) رماه مروان بن الحكم بسهم من الخلف وقال لابان بن عثمان تخذت تأرك [2] اما الدينوري في τ(تاريخه الامامه والسياسه فلقد واقف الطبري في رواية الزهري ولم يوافقه على رواية سيف السابق والمشكوك فيها وكذلك المفيد (ت339هـ) في تاريخه الجمل والخوارزمي (ت568هـ) في المناقب [3] .

ويوافق ابن الاثير في الكامل [4] وابن كثير في البداية والنهاية الطبري في رواية سبق ، ولم ينقلا رواية الزهري وكأنهما قد اعرضا عن الرواية الثانية تجاهلاً او تعمداً وذلك لأسباب ، ما سياسية او مذهبيه او قهربه والملفت للنظر ان ابن كثير قلب رواية الزهري فجعل الاعذار قدمت من قبل اهل البصره ، حيث يقول ، ان الذي رفع المصحف هو كعب بن سوار من يتوجيه من ام المؤمنين عائشة) ، ثم قتله جيش الامام علي (كرم الله وجهه)[5] ثم نشب القتال ، بينما المنفق عليه حتى في تاريخ τ(الطبري ان الاعذار والحجه على اهل البصره من قبل الامام علي (كرم الله وجهه) وقتل اهل البصره الفتى الذي رفع المصحف كما اورد ذلك الدنيوري وغيره والذين هم اقرب الى الحدث . ويذكر البصري (ت268هـ)(3) في وقعة الجمل ان علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) لما قدم البصره نزل في الزاوية [6] ، اما المسعودي [7] في مروج الذهب يذكر امة دخل مما يلي الطف . فلما صار الامام علي (كرم الله وجهه) الى الزاوية امر الناس نزلوا ونزل معهم وجاء اهل البصره وعسكروا قبالة يسليمه [8] ، فنادى علي لا يرمي احد بسهم ولا يضرب سيف ولا تبدأ وهم بقتال [9] .

واليعقوبي (ت292هـ) الذي هو اقرب زمناً الحدث من الطبري ، يقول كانت وقعة الجمل في) من موقعهما فأرسل ψمكان يقال له الحزبيه في جمادي الاول سنة 36 هـ ، وخرج طلحة والزبير ( ) : قال علي (كرم الله وجهه) τعلي (كرم الله وجهه) اليهما ماذا تريدون ؟ قالا : نطلب بدم عثمان (((لعن الله قتلت عثمان)) ولقد اوعز علي (كرم الله وجهه) الى اصحابه وقال لهم لاترموا بهام ولاتقربوا سبق ولا تطفوا برمح . واعذروا القوم ، فرمي رجل من جيشه فقتل ، فقال اللهم اشهد ، ثم اخر فقال اللهم شهد ، ثم قتل عبد الله بن بديل الحزاعي فجاء به اخوه يحمله ، فقال علي : (كرم الله وجهه) اللهم اشهد ثم بدأ القتال[10] يستنتج مما تقدم ان الاعذار قدمت من قبل الامام علي (كرم الله وجهه) بدليل رواية الطبري عن الزهري والدنيوري في الامامه والسياسه والعفوي في تاريخه والمفيد

1.) الطبري : تاريخ الطبري ، 214/3 .
2.) الطبري : تاريخ الطبري ، 214/3 ، ابن الاثير 124/3 .
3.) الدينوري : الامامه والسياسة ، 77/1 ، المفيد : وقعة الجمل ، ص339 ، الخوارزمي : المناقب ، ص179.
4.) ابن الاثير : الكامل ، 124/3 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، 238/7 .
5.) ابن كثير : البداية ، 240/7 .
6.) البصري ، محمد بن زكريا بن دينار : وفقه الجمل ، تحقيق محمد حسين ال ياسين ، (ط1 ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1970) ، ص30 .
7.) الرواية : قرية على شاطئ دجله بين واسط والبصره ، ياقوت ، م.ن 371/4 .
8.) المسعودي : مروج الذهب ، 244/2 .
9.) سليمه : هي الحزبه : ياقوت الحمدي م.ن 426/3 .
10.) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص126 ، ابن ابي الحديد ، نهج البلاغه ، 86/1 ، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص209 ، البصري : وفقه الجمل ، ص36 – 37 ، البلاذري : انساب الاشراف ، ص37 ، الخوارزمي : المناقب ، ص186 .

والخوارزمي والبصري وغيرهم من المصادر الاساسية . اما رواية سيف فلقد انفرد بها الطبري اولاً ثم نقلها عنه ابن الاثير في الكامل وابن كثير في البداية والنهاية . فقد الرواية ضعيف ، وليس لا برواية الزهري من قبل الطبري . ولقد اورد بعض الكتاب المحدين في المراجع رواية سيف هذه لاغراض سياسيه او مذهبيه بعيدين عن الحياديه والموضوعيه ، وقد اورد ذلك الصلابي في سيرة الخليفة علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) [(1)]

ويقول الدينوري[(2)] في تاريخه الامامه والسياسه ، في مجال تعبئه الجيش ولقد عبأ علي (كرم الله وجهه) الناس ثلاثاً فجعل مضر في قلب العسكر واليمن ميمنه وربيعه ميسره ، وعبأ اهل البصره مثل ذلك ، واقتل القوم قتالاً شديداً فهزمت يمين البصره يمين الكوفه وهزمت ربيعه البصره ربيعه الكوفه فأعطى علي (كرم الله وجهه) الراية الى ابنه محمد بن الحنيفة فتقدم محمد بالرايه ومعه الانصار حتى انتهى الى الجمل [(3)] ويواصل البلاذري نفس الرواية ويقول ((وامر علي (كرم الله وجهه) الاشتر ان يحمل فحمل وحمل الناس ، ثم امر علي (كرم الله وجهه) ابنه محمد بن الحنفية ان يحمل فحمل وحمل الناس معه وانهزم اهل البصره [(4)] . وجاء في المبرد في الكامل ((وقال علي (υ) يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن الحارث احد النخع بن عمرو بن عله بن جلد وكان على الميمنه ، احمل فحمل في اصحابه فكشف من بازائه ثم قال : لمسلم بن عتبة بن مالك احد بني زهرة ، وكان على الميسره ، احمل فحمل في المضربه فكشف من باز اله فقال علي (τ) لاصحابه كيف رايتم مضري ويماني واضاف القبيلتين الى نفسه)) وصاح منادي في جيش الامام علي (كرم الله وجهه) محذرراً شباب قريش من مبارزة مالك الاشتر وحبذب بن زهير ، ياشباب قريش احضوا دماءكم ولا تقلوا انفسكم (اتقوا الاشتر التخعي وجندب بن زهير العامري ، فأن الاشتر نشر درعه حتى بعفو اثره وان جندياً يخرم درعه حتى بشمر عنه وفي رابقه علامه حمراء فلما التقى الناس اقبل الاشتر وجندب قبال الجمال يرفلان في السلاح ...)[(5)] .

وهذا يدل على مدى شجاعه مالك الاشتر ، واقدامه في هذا الوقفه والرهبه والتي يتركها في اذن السامح قبل لقائه . يقول الطبري في شجاعة الاشتر ((فجاء الاشتر فحامله (فبارزه) عبد الرحمن ابن عتاب بن اسيد ، وانه لا قطع منزوف ، فأعتنقه ، ثم جلد به الارض ، عن دابته فاضطرب تحته ، فافلت وهو جريض (جريح).))[(6)] والتقى مالك الاشتر مع عبد الله بن الزبير ، فتصارعا واقتتلا ولقد ضرب الاشتر عبد الله بن الزبير على راسه فجرحه جرحاً شديداً وضربه عبدالله ضربه خفيفة واعتنق كل رجل صاحبه وسقطا الى الارض يعتر كان فقال عبد الله بن الزبير اقتلوني وما لكا واقتلوا مالكاً معي

1.) الصلابي : سيرة امير المؤمنين علي ، ص535
2.) الدينوري : الامامه والسياسة ، ص77 – 78 ، المفيد : الجمل ، ص342 ، الطبري : تاريخ الطبري 217/3 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، 240/7 .
3.) البلاذري : انساب الاشراف : ص37
) المبرد ، ابي العباس محمد زيد : الكامل ، (ط1 ، دار النهضه ، مصر ، دون تاريخ) ، ج2 ، ص418
5.) المفيد : الجمل ، ص364 ، الطبري : تاريخ الطبري ، 220/3
6.) الطبري : تاريخ الطبري ، 223/3 ، ابن الاثير ، الكامل 128/3

قلو يعلمون من مالك تقتلوه ، انما كان يعرف بالاشتر فحمل اصحاب علي وعائشة فخلصوهما [1].
ويضف ابن كثير على ما سبق وقد جرح عبد الله بن الزبير يوم الجمل بهذه الجراحه سبقاً وثلاثين جراحه [2] وفي هامش الكامل لابن الاثير ((الاشتر التخعي واسمه مالك بن الحارث من الشجعان) ، وكان عبدالله بن الزبير من الشجعان المشهورين τالابطال المشهورين وكان من اصحاب علي (ايضاً ...

قال عبدالله بن الزبير لقيت الاشتر النخعي يوم الجمل فما ضربته ضربه الا ضربني ستاً او) ما اجتمع منك ρسبعاً ثم اخذ برجلي والقاني في الخندق وقال : والله لو لا قرابتك من رسول الله (عضو الى الى عضو ابداً .))[3] ويستمر الكلام في هامش الكامل لاين الاثير : قال ابن قيس : دخلت الحمام مع عبدالله بن الزبير ، واذا في راسه ضربه اوجب فيها قارورة لاستقر . فقالا أتدري من ضربني هذه الضربه قلت لا ، قال : ابن عمك الاشتر النخعي))[4] ولقد اعطت عائشة ام المؤمنين لمن يشرها بسلامة ابن اختها عبد الله بن الزبير لما لاقى الاشتر عشرة ألاف درهم ، وعند دخول الاشتر) بعد معركة الجمل قالت ياشتر أنت الذي فعلت بابي أختي ما فعلت يوم τعلى أم المؤمنين عائشة (الوقفة فانشد يقول: [5] .

أعائش لو لا اني كنت طاوياً ثالاثاً لالقيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه يا خرصوت اقتلوني ومالكا
فنجاه في اكله وسنانـــــــه وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقصة مبارزة مالك الاشتر لعبد الله بن الزبير مشهورة فلقد رويت في مصادر اوليه وثانوي عديده وهي في نفس السياق مع اختلاف في بعض اللفظ . ففي ما قاله : ما قاله الطبري وغيره قال عبد) من انت ؟ فقلت عبدالله بن الزبير ، قالت : واشكل τالله بن الزبير اخذت بخطام الجمل ، فقالت عائشة (اسماء ومربي الاشتر فعرفته فعانقته فسقطنا جميعاً الى الارض وناديت اقتلوني ومالكا فجاء ناش منا ومنهم حتى تحاجوا وضاع خطام الجمل ونادى علي المقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا فقر به رجل فسقط فما سمعت صوتاً قط اشد عجيج من صوت الجمل))[6] .

وما تكلم به ابن خلكان في وفيات الاعلام حول مقالة ابن الزبير (اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكاً معي) ، قال : هذا بيت يحتاج الى شرح ((وذلك ان مالك بن الحارث المعروف بالاشتر التخعي كان) تماسك يوم وقعة الجمل τالشجعان والابطال المشهورين وهو من خواص اصحاب علي بن ابي طالب (

) الطبري : تاريخ الطبري ، 223/3 ، ابن الاثير ، الكامل 128/3 ، ابن كثير : البداية 1242/7
) ابن كثير : البداية والنهاية 2. 242/7
) ابن الاثير : ماش الكامل ، 3. 128/3
) المصدر نفسه 128/3 . 4
) المصدر نفسه 5. 128/3
) ينظر ، المفيد : الجمل ، ص350 ، ينظر البلاذري : انساب الاشراف ، 37/6 ، ينظر ابن تغري ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف : النجوم 6 الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م) ، ج1 ، ص138 – 139 ، ينظر ، الدينوري : الامامه والسياسة ، 78/1 .

المشهوره هو وعبدالله بن الزبير ابن العوام وكان ايضاً من الابطال وعبد الله بن الزبير يؤميذ مع خالته عائشة ام المؤمن وحكم والزبير (ψ) وكانوا يمارسون علياً (τ ...)) ثم يواصل ابن ملكان قوله : ((... ...))[1] فلما تماسكا (الاشتر وابن الزبير) كل واحد منهما الاخر قوي على صاحبه وجعله تحته وركب صدره وفعلا ذلك مرارا وابن الزبير ينشد اقتلاني ومالكا واقتلا مالكاً معي يريد الاشتر التحفي والقصة طويله وهي في التواريخ مسطوره ...)) هذا ولقد ايدى مالك الاشتر في وقعة الجمل شجاعة فائقه وقد بارز الشجعان وقتل الاقران وقال ابن الاثير في الكامل : قال الاشتر : لقيت عبد الرحمن بن عتاب فلقيت اشد الناس ما لبثت امن قتلته ، ولقيت الاسود بن عدد فلقيت اشد الناس واشجعهم فما كنت انجو منه فتميت ان لم اكن لقيته جندب الغامدي فضربه فقتله ، وابت عبد الله بن حكيم ، وعنده راية قريش وهو يقاتل عدي بن هاشم وهما يتطاولان ويتصارعان فتعاونا فقتلناه ، قال ثلاثة عشر رجلاً من اهل بيته [2].

وجاء في مناقب الخورزمي ، ((وجاء الاشتر بين الطعن وقتل من الشجعان في وقعة الجمل جماعة واحداً بعد واحد مبارزة وكذلك عمار بن ياسر ومحمد بن ابي بكر واشتبكت الحرب بين العسكرين واقتلوا قتلاً شديداً لم يسمع بمثله وقصصت على خطام الجمل ثماني وتسعون بد امصار الهودج كأنه القنفذ مما فيه عن النبل والسهام واحمرت الارض من الدماء وعقر الجمل من وراله فهج ورغا ...)) ثم يواصل الخوارزمي كلامه ((وقال علي (τ) عرقبوه (الجمل) فانه شيطان ثم التفت الى محمد بن ابي كبر (τ) وقال انظر اذا عرقي الجمل فادرك اختك فوارها وقد عرقي الجمل موقع وحزب يحرافه الارض ...))[3] ثم ((جاء علي (كرم الله وجهه) الى عائشة (رضي الله عنها) وقال لها يا عائشة اهكذا اكرك رسول الله (ρ) ، قالت : يا ابا الحسن لقد ظفرت فاحسن فامر محمد ابي بكر ان يتزلها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي [4] ومن المفارقات الغربيه والتي حديث في وقعة الجمل ، وهي تثبت التناقضات والنزاعات والتي ، لا يمكن تبريرها سوى باجتماع الأضداد على هدف واحد ثم ينتقض احدهم على الاخر بعدها لم يتحقيق الهدف الذي عليه اتفقوا ومن هذه التناقضات قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله (τ) مع (τ) انهما في جيش واحد وذلك بسهم غرب من خلفة كما سبق وتم ذكر ذلك وقال اني اخذت بثأر عثمان (τ) . ومروان هو حاضر في يوم الدار وشاهد على الاحداث ، وهذا دليل قاطع بأن لطلحة بن عبدالله دوراً في حصار الدار ، وان الطلب بدمه ليس سوى اعذار وقلب الحقيقة وهكذا كان . هذا وبعث الامام علي (كرم الله وجهه) بعائشة ام المؤمنين (رضي الله عنها) الى المدنية بكل اقدام وقال ((وبعث معها اربعين امراه ، وامرهن ان بلبسن العمائم ، ويتقلدن السيوف وان يكن من الذين بلبنها ، ولأتطلع على امهن نساء ، فجعلت السيده عائشة (رضي الله عنها) تقول وهي في الطريق : فعل الله في ابن ابي طالب

---

1) ابن خلكان : وفيات العيان ، ص195 – 196 ، ابن كثير 242/7 ، ينظر : الدينوري : الاخبار الطوال ، تحقيق ، عبد المنعم عامر وجمال الدين الشبال ، (ط1 ، دار نشر اقتاب ، طهران ، دون تاريخ) ، ص150 ، ينظر ، ابن ابي الحديد ، نهج البلاغه ، 76/15 ، ينظر ، ابن نفري : النجوم الزاهره ، ص138 .

2) ابن الاثير : الكامل ، 126/3

3) الخوارزمي : المناقب ، ص188 – 189 ، ابن ابي الحديد : نهج البلاغة 262/1 – 266 .

4) الخوارزمي : المناقب ، ص189 ، ابن الاثير : الكامل 130/3 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص127 ، ينظر ، الديار بكري : الخميس ، ص277 ، المسعودي : المروج ، 498/2 ، ينظر ، ابن كثير ، 244/7 .

وفعل ، بعث معي ارجال ، فلما قد من المدينة ، وضعن العمائم والسيوف ودخلن عليها فقالت : جزى الله ابن ابي طالب الجنة))[1] .

وقد انتهت وقفة الجمل بكل ما فيها من الماسي والحزن والقتل بانتصار جيش الكوفه على

) على يد ابي جرموز وطلحة بن عبيد الله على يد مروان بن الحكم وهو τجيش البصره ، وقتل الزبير (من جيشه ، وفانما الاقدار تأبى الا هكذا ، ولم يقتل الزعيمين على يد جيش الامام علي (كرم الله ψوجهه) ، انما احدهما بالصدفه معتزلاً والاخر من قبل احد افراد جيشه غدراً (.)

وقعة الجمل الاسباب والناتج (36 هجري)

الاسباب :

1- **نكث بيعه الامام علي (كرم الله وجهه) من قبل عضوي الشوري طلحة والزبير (ψ) وخروجهما الى مكه وحرض الناس على خلع الامام علي (υ) .**
2- **عدم قبول الامام علي (كرم الله وجهه) بتولية طلحة والزبير (ψ) الكوفه والبصره .**
3- **قيام السيده عائشة (τ) بالاتفاق مع طلحة والزبير على الخروج الى البصره . وحرب علي (كرم الله وجهه).**
4- **نشاط عبد الله بن الزبير تجريض خالته السيدة عائشة في هذا المسار .**
5- **التحاق بني اميه وفهم مروان بن الحكم بجماعة طلحة والزبير (ψ) .**
6- **الاموال التي حصلوا عليها من والي اليمن يعلي بن منبه ووال مكه.**
7- **عزل الامام علي (كرم الله وجهه) عمال الخليفة عثمان (τ) في الامصار .**
8- **ألمطالبه بدم الخليفة عثمان (τ) .**

اسباب نصرا الامام علي (كرم الله وجهه) في وقفة الجمل

1- **الاختلاف على القياده في جيش البصرة .**
2- **ترك الزبير (τ) المعركة واعتزل حماله الاثير في معنويات اهل البصرة .**
3- **قتل طلحة (τ) من قيل مروان بن الحكم ، مما ادى الى تخلخل القيادة في جيش اهل البصره .**
4- **دور مالك الاشتر الحاسم في المعركة .**
5- **عقر الجمل الذي كان قطب الرحى في المعركة .**
6- **جرح عبد الله بن الزبير من قيل مالك الاشتر ، والذي ادى الى تحية عن القيادة .**
7- **خروج جيش كبير من الكوفة بقيادة مالك الاشتر .**

---

1) البلاذري : انساب الاشراف 46/2 ، ينظر ، الخوارزمي : المناقب ص183 ، ابن سعد : الطبقات ، 223/3 ، ينظر ، ابن كثير ، 245/7 ، العقلاني : تهذيب التهذيب 20/5 ، ينظر ، المفيد : الجمل ، ص383 ، ينظر ، التميري : تاريخ المدينة الثورة ، 117/4 ، ينظر ، ابن ابي الحديد نهمج البلاغة 63/9 – 113 – 114 ، ابن عبدالله : الاستعاب 213/2 – 214 ، العقلاني : الاصابه 222/2 ، ابن الاثير : الكامل 124/3 ، البصري : الجمل ص39 .

8- القيادة الشجاعه والفاعله للامام علي (كرم الله وجهه) .
9- الطاعة الكبيرة من قبلجيش الكوفة للامام علي (كرم الله وجهه)

النـاتـج

1- تثبيت وتقوية ولايه وخلاقة الامام علي (كرم الله وجهه)
2- اتحاذ الكوفة عاصمة للدولة الاسلامية
3- توحيد البصرة والكوفة وتمصير الامصار ضمن الدولة الاسلامية بقيادة الخليفة الامام علي (كرم الله وجهه) ماعدا الشام .
4- التوجه نحو هدف واحد وهو الشام .

المبحث الثالث

من اتخاذ الإمام علي كرم الله وجهه الكوفة عاصمة إلى نهاية معركة صفين(36-37هـ)

أولاً: الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية

بعد وقعة الجمل الشهيرة وما كانت فيها من ملابسات وأمور قد ورد قسم منها في ما سبق ، وبخاصة شخصية مالك الأشتر مثار البحث ، مكث الإمام علي (عليه السلام) في البصرة قليلاً ومعه الأشتر ، ثم أنه استخلف عبدالله بن العباس (رضي الله عنه) على البصرة كوالٍ عليها ، وتوجه إلى الكوفة ، ولعل ذلك تثميناً لموقف أهل الكوفة في هذه الوقعة وبالأخص منهم زعيمهم مالك الأشتر الذي أبدى من الموقف المتميز والشجاعة كما سلف سابقاً.

يقول البلاذري ((ولما بايع علي [عليه السلام] أهل البصرة ، أراد الشخوص إلى الكوفة فاستخلف عبدالله بن العباس على البصرة وخطب وأمر أهلها بالسمع والطاعة له ... والتقى سليمان بن صرد الخزاعي وراء نجران الكوفة ... وقال أبو مخنف: قدم علي [كرم الله وجهه] من البصرة إلى الكوفة في رجب سنة ستة وثلاثين ، وقال غيره في رمضان سنة ستة وثلاثين...))(1).

- البلاذري: أنساب الأشراف ، 1990/3

ومما قاله الدينوري وأبو حنيفة في الأخبار الطوال إن علياً كرم الله وجهه دخل الكوفة يوم الاثنين لاثني عشر ليلة من رجب سنة ست وثلاثين ، ولم يدخل القصر لأن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يبغضه ودخل المسجد الأعظم (1).

هذا ولقد صحبه مالك الأشتر في دخوله الكوفة، وكان ممن مهد له السبيل ووقف إلى جانبه كون الكوفة هي موطنه وهو سيد قومه وزعيم الكوفة ، وله فيها مريدين وأنصار ، مما أولد الثقة التامة بأهل الكوفة الذين بايعوه جميعهم واعتبر الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية بدلاً من المدينة المنورة.

هذا ولقد مكث مالك الأشتر قليلاً في الكوفة ، ثم أرسل الإمام علي (عليه السلام) الولاة على الأمصار التي لم يرسل إليها بعد ، ومنهم مالك الأشتر على الجزيرة الفراتية.

وقال ابن الوردي: أرسل علي (عليه السلام) مالك الأشتر إلى الجزيرة الفراتية بقوله: ((واستعجل [علي (عليه السلام)] على الموصل ونصيبين ودارا وسنجار وميافارقين وهيت وعانات وما غلب عليها من أرض الشام الأشتر مالك بن الحارث ، فسار إليها ...))(2).

وقال ابن خياط في تاريخه من ولاة الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): ((الجزيرة الأشتر بن مالك)) والصحيح مالك الأشتر (3). وجاء في كتاب وقعة صفين نصر بن مزاحم ((وبعثه علي [كرم الله وجهه ، مالك الأشتر] إلى الموصل ونصيبين ودارا وسنجار ، وأمد وهيت وميافارقين وهيت وعانات وما غلب عليها من تلك الأراضي من أرض الجزيرة (4).

ولعل في إرسال الإمام علي (عليه السلام) مالكاً الأشتر إلى هذه المناطق وتوليته عليها سراً من الأسرار ، حيث أنها متاخمة لولاية الشام ، ولايمكن توليه أميراً إلا أن يمتاز بالشجاعة وحسن الرأي ، ولمالك الأشتر من الشجاعة والرأي أهلاً لذلك ، وهكذا استطاع الأمير مالك الأشتر أن يوطد الأمن وتستتب الأمور في تلك المناطق.

ثانيا:ولاية مالك الأشتر على الجزيرة الفراتية واهم اعماله :

لقد قسم مالك الأشتر مهامه كأمير للجزيرة الفراتية وما يتبعها من المناطق المذكورة سابقاً ، مما يثبت الخلافة الإسلامية في ذلك الإقليم المتاخم للشام الإقليم الساخن من جهة والثغور الشمالية الرومانية من جهة أخرى ، مما قوي هيبة الدولة الإسلامية وأرسى أركانها.

ولم تحدثنا المصادر الأساسية الأولية ، عن الأعمال التي قام بها هذا الأمير في الجزيرة الفراتية ، رغم الفترة القصيرة التي بقي فيها ثم تم استدعاؤه من قبل خليفة المسلمين الإمام علي كرم الله وجهه لغرض الاشتراك في وقعة صفين.

---

1 - الدينوري: الأخبار الطوال ، ص152 ؛ ينظر ، ابن كثير: البداية ، 251/7 ؛ ينظر ، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي ، ص210 ؛ ينظر ، المفيد: الجمل ص422

2 - الدينوري: الأخبار الطوال / ص154

3 - خليفة: تاريخ خليفة ، ص184

4 - المنقري ، نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، (ط2 ، المؤسسة العربية المدنية ، القاهرة ، 1382هـ) ، ص12 ؛ ينظر ، الصلابي: سيرة أمير المؤمنين علي ، ص444

غير أن أهم أعمال مالك الأشتر في هذا الإقليم المهم هو التصدي للممارسات التي كان يقوم بها الضحاك بن قيس ، من قبل معاوية بن أبي سفيان والمتاخمة لولايته ، وهي حران (1) والرقة وميرفاقين وقرقيسيا (2) نصيبين (3) ، ولقد هب إلى هذه المناطق كثيراً ممن كان على خلاف مع الإمام كرم الله وجهه ، واستقر فيها.

ولقد خرج مالك الأشتر إلى الرقة وهو يريد الضحاك بن قيس ، ولقد أقبل الأخير يستقبل الأشتر ، فقدم إلى مرج مرينا وحران والرقة ، ولقد نزل عليهم الأشتر ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى المساء ، فرج الضحاك بن قيس بمن معه ، فسار ليلة كلها حتى أصبح بحران فدخلها وأصبح مالك الأشتر عليهم ثم وصل إلى حرن فحاصرهم.

ولما بلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان ، أرسل إليهم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد في جيش مدداً لهم ، ثم أن مالك الأشتر ناداهم ((إلا أن الحي عزيز ، إلا أن الحي منيع ألا تنزلوا أيها الثعالب الرواغة ، احتجزتم احتجز الضباب ، فنادوا: يا عبدالله أقيموا قليلاً.....)).

ومضى الأشتر حتى مرّ على أهل الرقة فتحرزوا منه ثم أهل حران فتحرزوا منه وبلغ انصراف الأشتر فانصرف.

وفي كتاب غارات للثقفي يذكر ولاية الأمير مالك الأشتر على الجزيرة الفراتية من قبل الإمام علي (عليه السلام) ، وكانت من غاراته على المناطق الشامية التابعة إلى ولاية معاوية بن أبن سفيان ، ويذكر ذلك في نفس السياق مع اختلاف في اللفظ ، ويذكر الشعر الذي أرسله أحد من بني أسد ممن أدبى مقاومة للأشتر ، ولقد أوردها نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين (4).

يقول في شعره الذي وجهه إلى معاوية:

لولا مقام عشيرتي ومكانهم	وبـلاؤهم بالمـرج أي بلاد
لأتاك أشتر مذحج لاينثني	بالجيش الكبير عليــك واد

وهذا الشعر يدل ما للأشتر من رهبة وشجاعة في دحر الجيوش التي أرسلها معاوية لغرض السيطرة على هذه المنطقة المهمة ، والشاعر هنا يبرز مقام عشيرته لصد هجمات مالك الأشتر ، وأنه يفتخر بعشيرته التي تستطيع أن تصد هجمات هذا القائد الأمير الشجاع.

ثم أن الشاعر يخوف معاوية بن أبي سفيان بمالك الأشتر ، والذي لا يتوانى من الوصول إلى أعمق نقطة في الشام لأنه يجزم بأنه على حق الشرعية الإسلامية التي خولته في بسط نفوذ الخلافة في أية بقعة من بقاع الدولة الإسلامية.

والظاهر أن مالك الأشتر لم يقم في ولاية الجزيرة الفراتية مدة طويلة حتى تبرز

- نصر : وقعة صفين ، ص12 /113
- حران: في ولاية سوريا يبتعد عن دمشق نحو عشرين ميلاً: الحموي م-ن 2178/10
- قرقيسيا: بلد على نهر الخابور وعند مصب نهر الخابور ، م-ن 37/7
- الثقفي ، ابن اسحق ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هندال: الغارات ، حققه الخطيب عبدالزهرة ؛ نصر : وقعة حطين ، ص113-14 ؛ 4 الدينوري: الأخبار الطوال ، ص154

أعماله المهمة التي قام بها ، سوى الأعمال الحربية وتصديه لتحرشات الولاة من قبل أهل الشام وصده لها بكل حزم وكفاءة.

والحقيقة أن مالكاً الأشتر استطاع أن يوفر الأمن والاستقرار والحماية اللازمة لذلك الإقليم المهم الساخن بالأحداث والمتداخل مع إقليم الشام ، وذلك لكفاءته وإطاعة من كان بمعيته. ويبقى الإمام علي (عليه السلام) في الكوفة ، خليفة شرعياً للمسلمين وقائداً عاماً للقوات المسلحة الإسلامية ، بعد أن اتخذها حاضرة للدولة الإسلامية ، أما صاحبه مالك الأشتر فيمارس مهامه كنائب للإمام علي كرم الله وجهه في الجزيرة الفراتية ، ولعله يوافيه حسبما تتطلبه أمور تسير الدولة ، فهو يعتمد عليه كثيراً.

ثالثا: المفاوضات قبل وقعة صفين ودور الاشتر

وتبدأ المفاوضات والمراسلات من الخليفة الإمام علي كرم الله وجهه وبين معاوية بن أبي سفيان ، وكل واحد منهما يريد تبليغ حجته على الآخر ، والإمام علي (عليه السلام) يدعو معاوية بن أبي سفيان إلى الطاعة والتزام الجماعة والمبايعة ، والأخير يحاول المماطلة والمطاولة والتسويف وكسب الوقت. وأخيراً يرسل على الداهية عمرو بن العاص لغرض الاستعانة برأيه حول هذا الأمر.

ويقدم عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان ، وبعد المداولات بينهما يتفقان على عدم الطاعة ، ويطلبان أموراً ينكرها الإمام علي (عليه السلام) ومن بينها المطالبة بدم الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

ويقدم مالك الأشتر من ولايته إلى الكوفة ، بعد استدعائه من قبل الإمام علي (عليه السلام) لغرض المداولة واتخاذ ما يلزم ، فأمور المفاوضات لا تزال مستمرة ، ويجتمع جرير بن عبدالله مع مالك الأشتر عند الإمام علي كرم الله وجهه الذي وافق على اقتراح جرير بإرساله إلى معاوية وذلك لدعوته للمبايعة والدخول في الطاعة والانضمام إلى الجماعة وعدم التفرقة بين الأم الإسلامية. ولعل مالك الأشتر بثاقب رأيه رأى بأن جريراً لا يأتي بشيء جديد غير أن الإمام علي كرم الله وجهه كان أوسع إدراكاً وأراد إلقاء الحجة على أهل الشام ، فقال لمالك: لا مانع من إرساله حتى ترى ، فأرسله بكتاب الى معاوية (1) .

ولقد جاء في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ، عندما أزمع الإمام علي كرم الله وجهه بإرسال جرير إلى معاوية بن أبي سفيان ، فقال له الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين ولا تصدقه فوالله إني أظن بأن هواه هواهم ، فقال له علي (عليه السلام): دعه حتى ننتظر ما يرجع الينا وكتب كتاب إلى معاوية ، جاء فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وعلى ما بايعوا عليه

- الدينوري: الأخبار الطوال ، ص1158

، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للقائد أن يرد. وإنما للشورى للمهاجرين والأنصار .... ولقد .... في قتلة عثمان [رضي الله عنه] فادخل في ما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم وإياهم إلى كتاب الله....))(1).

هذا ولقد طالت المكالمات والمناظرات عند معاوية عن العودة إلى الكوفة لأثر من أربعة أشهر مما أتهمه الناس على علي كرم الله وجهه حتى أيس منه(2)

وبعد هذه الفترة الطويلة عاد جرير بن عبدالله البجلي إلى الكوفة بكتاب معاوية إلى الأمام علي كرم الله وجهه وفيه تهديد ووعيد وفيه ((نحن أسرع الناس إليك وإلا فليس لك ولأصحابك عندنا إلا السيف فو الله الذي لا اله إلا غيره لنطلبن قتلة عثمان في البر والبحر حتى نقتلهم أو نلحق أرواحنا بالله والسلام)).

وأجابه الأمام علي على كتابه ((ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقائك لينزل بك ما ينزل بالعاصي الباغي والسلام))(3).

وبعد عودة جرير وتسليمه الكتاب أجتمع مع مالك الأشتر عند الأمام علي كرم الله وجهه فقال الأشتر:أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى ، حتى لم يدع باباً يرجى روحه حتى فتحه أو يخاف غمه الأسرة , فقال له جرير: والله لو اتيتهم لقتلوك وخوفه بعمرو وذي الكلاع))(4).

فقال الأشتر لو أتيتهم يا جرير لم .... , ولم يثقل علي محملهم ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن ... , فقال جرير : آتهم إذن.

قال الأشتر: الآن وقد أفسدتهم ووقع فيهم الشر.

ثم أن الأشتر قال لجرير: أنت والله منهم ولا أرى سعيك إلا لهم ولأن أطاعني أمير المؤمنين ليحبسنك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه , حتى تستبين هذه الأمور ويهلك الله الطاغين .

فلما سمع جرير كلام مالك الأشتر لحق بقرقيسيا.

هذا ولقد قال مالك الأشتر في ما كان من تخويف جرير إياه بعمرو وذي الكلاع شعراً:

وصـاحبه معاوية الشامي	لعمرك يا جرير لقول عمرو
أخف علـي من زق النعام	وذي كلع وهو شب ذي ضيلم
وعن بـــاز مخـالبـه دوام	أذا اجتمعوا علي فخل عنهم
وكيف أخاف أحلام النيام	فلست بخائف ما خوفوني
يشيب لهولها رأس الغلام	فإن السهم أعمهم بحرب

- نصر بن زاحم: وقعة الصفين ، ص128
- المصدر نفسه: ص228
البنوري: الأخبار الطوال ، ص162-3.163
- نصر: ص4.29

إلى آخر القصيدة التي أوردتها كثير من المصادر التاريخية الأساسية (1)

ومن هذا يستنتج أن مالكاً الأشتر , كان يأتي الكوفة بين آونة وأخرى ويجتمع مع الإمام علي كرم الله وجهه , لغرض المشاورة وأخذ الرأي مع أنه على ولايته في الجزيرة الفراتية , وإن مالكاً الأشتر يعرف مسبقاً أن إرسال جرير بن عبدالله البجلي برسالة الإمام علي كرم الله وجهه , ليس إلا كسب الوقت من قبل معاوية بن أبي سفيان , أن جرير أبطأ بالعودة حتى أتهمه الناس .

وتبدأ المفاوضات على تسكين الأمور بين الطرفين , دون جدوى فمعاوية بن أبي سفيان , قوي جانبه بعمرو بن العاص الذي أنضم إليه , وبأهل الشام والادعاء يطلب الثأر للخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) , واستمرت الكتب والرسل بين الطرفين دون جدوى , أو أي يصلح يلوح في الأفق .

وأخذ الإمام علي كرم الله وجهه , يدعو أهل الكوفة على الخروج إلى الحرب أهل الشام وذلك لعدم قبول معاوية وعدم قبوله الطاعة والمبايعة , وخطب الإمام كرم الله وجهه في مسجد الكوفة قائلاً ((سيروا إلى أعداء الله , سيروا إلى أعداء السنن والقرآن , سيروا إلى بقية الأحزاب , قتلة المهاجرين والأنصار))(2).

فقام رجل من فزارة يسمى أربد فقال : تريد أن تسير بنا إلى أهل الشام فنقتلهم كما سرت بنا إلى أهل البصرة ؟ كلا لا تفعل ! فقام مالك الأشتر وقال: مَن لهذا أيها الناس ؟ فهرب الفزاري بعد أن سمع صوت مالك الأشتر وتبعه الناس , فقتلوه في سوق اربد بأرجلهم وضربوه بأيديهم فقيل لعلي عليه السلام يا أمير المؤمنين قتل الرجل : ومن قتله , قيل شواب من الناس قال : ديته من بيت مال المسلمين (3).

ولقد قام الأشتر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ((يا أمير المؤمنين لا يهولنك ما رأيت ولا يؤسك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائف فجميع ما ترى من الناس شيعتك ، وليس يرغبون بأنفسهم عن نفسك ولا يحبون البقاء بعدك , فإن شئت فسر بنا إلى عدوك , والله ما ينجو من الموت إلا من خافه , ولا يعطي البقاء من أحبه , وما يعيش بالآمال إلا شقي وإنا على بينة من ربنا إن نفساً لا تموت حتى يأتي أجلها , فكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين ...))(4). ويستمر مالك الأشتر بخطبته هذه التي جمع فيها بين الترهيب والترغيب قائلا ((... وقد وثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين بالأمس فأسخطوا الله , وضربوا بأعمالهم الأرض وباعوا أخلاقهم بعرض من الدنيا اليسير))(5).

ولقد أستمع الإمام علي (عليه السلام) إلى خطبة مالك الأشتر مع جماهير الناس ,

---

1 - نصر بن مزاحم : وقعة صفين , ص 29 ؛ ينظر الطبري : تاريخ الطبري : 142/3؛ ينظر ابن كثير: البداية 251/7؛ ينظر الدينوري : الإمامة والسياسة 97/1؛ ينظر كحالة ، عمر رضا: مختصر تاريخ الدولة الإسلامية , (ط2,المطبعة الهاشمية ، دمشق , 1958) , ص38-39.

- نصر: وقعة صفين , ص294

- المصدر نفسه : ص94 ؛ البلاذري : أنساب الأشراف , ص377

- نصر: وقعة صفين , ص495

- نصر:وقعة صفين , ص595

ولقد استحسنها وأثنى على من ألقاها بقوله : ((الطريق مشترك , والناس في الحق سواء , ومن أجتهد رأيه في نصيحة العامة فله ما نوى وقد قضى ما عليه))1.

ويستنتج من هذه الحالة وخطبة الأشتر والثناء عليها من قبل الأمام علي كرم الله وجهه أن لمالك الأشتر مكانة سامية عند أهل الكوفة , وبذلك فإن الرجل الفزاري عندما سمع صوته , لاذ بالفرار, وأن الناس تبعوه ثم قتلوه في السوق , ثم خطبته بعدما سمع الناس كلام هذا الرجل , الخارج عن طاعة ولي الأمر , فلقد أثنى مالك الأشتر على كلام الإمام علي كرم الله وجهه وطمأنه على أن هذا الكلام لا يمثل إلا صاحبه , وأن الجميع رهن الإشارة وما في هذه الخطبة من الدلالات والإشارات التي تدل على ثقافة عالية وإيمان و أخلاص للمبادئ.

هذا ولقد أستخدم الأشتر العامل السايكولوجي حيث أرهب الرجل المتكلم ولعله جاسوس أو معه من يؤيده أو من يتردد أو يساوم , أوله ارتباط مباشر أو غير مباشر مع العدو .

ثم إن الأشتر استخدم الترغيب والتأثير على الحاضرين حتى لا يؤثر عليهم هذا النمط من الكلام, وبذلك قطع دابر أي تجسس أو من تسول له نفسه بذلك قد يؤدي إلى عدم المشاركة في الحرب , طالما هناك تغير عام , وأي نوع من هذا القبيل سوف يؤثر على الناس.

ويعبئ الإمام علي (عليه السلام) الناس ويعسكر في النخيلة 2 ، ويرسل على عماله من الأمصار ويشخص إليه عبدالله بن العباس من البصرة ، وأما مالك الأشتر فالظاهر أنه لازمه من هذه الفترة الحرجة والدليل ما تقدم ، ويتم التهيؤ للخروج للقاء جيش الشام.

ويتحضر معاوية بن أبي سفيان إلى لقاء جيش الإمام علي (عليه السلام) ، ويهيئ هو الآخر جيشه ، ويحضر العدة والعدد والسلاح والرجال بعد أن وصلت الأمور إلى طريق مسدود ، وأنه لا ماض له إلا المواجه.

ويستعين معاوية بن أبي سفيان الذي كان يخطط يثمن نصيحته ولاية مصر ، فقال له:

إجعل لي مصر طعم مادامت لك ولاية ، فأعطاه ما سأل وكتب في ذلك كتاباً 3.

وأرسل علي (عليه السلام) مقدمة جيشه زياد بن النضر في ثمانية آلاف وبعث معه شريح بن هالي في ثمانية آلاف وسار هو ببقية الجيش من النخيلة ، ومعه مالك الأشتر ، ووجه إلى المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف أن يأخذ الطريق الموصل حتى يوافيه في الرقة.

فلما وصل الإمام علي (عليه السلام) بجيشه إلى الرقة طلب من أهلها أن ينصبوا له جسراً فأبوا ذلك ، فخلف عليهم مالك الأشتر فناداهم قائلاً: ((أقسم بالله لئن لم تنصبوا جسراً يعبر عليه أمير المؤمنين ، لأجردن فيكم السيف ولأقتلن الرجال ولآخذن الأموال)) ، فتكلموا فيم بينهم ثم قالوا : إنه الأشتر وإنه يفي بما حلف ، فنصبوا لهم جسراً ، وأرسل مالك الأشتر على أمير المؤمنين علي

-المصدر نفسه : ص195

- النخيلة: تصغير نخلة موضع قرب الكوفة على الشام وهو الموضع الثاني الذي خرج إليه علي (رضي الله عنه) لما بلغه ما حصل عن 2 الأنبار من قتل عامله ، ، ن-م 286/8

- الدينوري: الأخبار الطوال ، ص3158

(عليه السلام) ، ثم عبروا الفرات ، ويقول ابن الأثير في الكامل وعبر الإمام علي (عليه السلام) ومالك الأشتر في آخر الناس (1) .

ويقول نصر بن مزاحم في نفس السياق ، ثم يقول أنملك الأشتر عندما عبر الناس عبر هو في آخر الناس ثم يذكر إرسال خليفة الجيش (2).

والطبري في تاريخه يذكر ما قاله الأشتر لأهل الرقة ونصب الجسر وما توعده مالك الأشتر لهم بعدم نصب الجسر(3) .

غير أن مقدمة جيش الإمام علي (عليه السلام) لم تستطع العبور من عانات فعادوا أدراجهم ولحقوا بالجيش ، فقال الإمام علي كرم الله وجهه سبحان الله مقدمتي تأتي من خلفي ، ثم بعث المقدمة إلى معاوية فلقوا أبا الأعور السلمي في جيش لا طاقة للمقدمة به ، فكتبوا إلى الإمام علي (عليه السلام) يطلبون المدد ، فأرسل ممالك الأشتر وقال له: ((إن زياداً وشريحاً أرسلا إلي يعلمانني أنهما لقيا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين فالنجا النجا إلى أصحابك فإذا أتيتهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدؤك حتى تلقاهم وتسمع منهم.....)) (4).

وكتب الإمام علي (عليه السلام) إلى زياد وشريح ((أما بعد قد أمرت عليكما مالكاً فاسمعا له وأطيعا ، فإنه ممن لا يخاف رهقه ولا سخطه ولايطؤه عما الاسراع إليه أحزم ، ولا الأسراع إلى ما الإبطاء عنه أمثل ، وقد أمرته بمثل ما أنت أمرتك به ، و لايبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويغدر بهم (5).

وعندما وصل إليهم مالك الأشتر مازالوا متواقفين ولم يبدأهم بقتال ، غير عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السلمي ، ثم تقاتلوا ساعة ثم انصرف أهل الشام ، وفي الغداة حمل عليهم هاشم بن عتبة الزهري ، وتقاتلوا بأشد ما يكون ثم انصرفوا وحمل عليهم مالك الأشتر فقتل منهم عبدالله بن المنذر وهو فارس أهل الشام ، وأخذ يصيح فيهم ويلكم أروني أبا الأعور.

وقد دعا أبو الأعور أصحابه وصفهم ، وصفّ الأشتر أصحابه بأزائهم وأرسل سنان بن مالك النخعي يطلب مبارزة أبي الأعور ، فقال له سنان: اطلبه لمبارزتك أم لمبارزتي؟ فقال له مالك: والله يا ابن أخي ازددت رغبة فيك ، لو طلبته لمبارزتك فهل تفعل؟ قال سنان: نعم والله لو أمرتني لأعترض صفهم بسيفي لفعلت ، فقال مالك: بارك الله ليك ، إن هذا لايبارز إلا أصحاب السنان والشرف ، وأنك بحمد الله من ذوي الشرف ولكنك حدث السن فاذهب واطلبه لمبارزتي.

وذهب سنان وقال لأبي الأعور إن الأشتر يطلبك للمبارزة ، فيقول سنان سكت عني

- ابن الأثير: الكامل ، 1144/3
- نصر: وقعة صفين ، ص151-2152
- الطبري: تأريخ الطبري ، 3244/3
- نصر: وقعة صفين ، ص152-153 ؛ ينظر البلاذري: أنساب الأشراف 481/3
- الطبري: تاريخ الطبري ، 244/3 ؛ البلاذري: أنساب الأشراف ، 81/3 ؛ وقعة صفين ، ص154 ؛ ابن كثير: البداية 252/7 ؛ ابن الأثير: 5 الكامل 144/3 ؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ص130

طويلاً ثم قال: إن خفة الأشتر وسوء رأيه ذهب مع من ذهب إلى عثمان [رض] فقتله فيمن قتله لا حاجة لي بمبارزته ، يقول سنان : فقلت له تكلمت فاسمع رأي فصاح بي أصحابه وقالوا: انصرف ولو تركني لبلغته جواب صاحبي.

وقلت للأشتر إنه رفض المبارزة فقال: لنفسه نظر ثم حجز بينهم الليل وفي الصباح انسحبوا إلى معاوية (1).

رابعا :القتال على الماء ودور الأشتر

أن مسير الإمام علي عليه السلام من الكوفة إلى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين ومعه تسعون ألفاً ومنهم ثمانمائة من الصحابة وسار معاوية من الشام بخيله ورجاله حتى نزل على ثلاثة و ثمانين ألفاً (2).

هذا ولقد أحتل معاوية وجيشه شريعة ماء الفرات , وألتحق جيش الإمام علي كرم الله وجهه منه , وكانت بينهما مناظرات ومناوشات يذكر فيها ما يخص مالك الأشتر.

قال البلاذري في أنساب الأشراف ((ونزل معاوية ومن معه على شريعة سبقوا إليها , لم يكن هناك شريعة غيرها وقال : لا تسقوا أصحاب علي الماء كما منعوه أمير المؤمنين عثمان بن عفان))(3).

هذا ولقد اغتمّ الإمام علي كرم الله وجهه بما فعله معاوية بن أبي سفيان من منعه الماء عن جيشه وأخذ يتجول في معسكره فسمع شاعراً يرفع صوته وهو يقول :

أيمنعنا القوم ماء الفرات	وفينا السيوف وفينا الجحف
وفينـــا علـي له سورة	إذا خوّفوه الردى لم يخف
وفينا الشوارب مثل الوشيج	وفينا السيوف وفينا الزعف

إلى آخر القصيدة ....

فأرسل الإمام علي كرم الله وجهه على صعصعة بن صوحان رسولاً إلى معاوية وأن يبلغه قوله ((إنا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الأعذار إليكم , فقدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج إليك وهذه أخرى قد فعلتموها فمنعتم الناس عن الماء , فأن كنت تترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب ....))(4).

هذا ولقد عقد معاوية مؤتمراً حضرة عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وأبن أبي سرح وغيرهم من أركان حربه , للإجابة على رسالة الإمام علي كرم الله وجهه وطالت بينهم المجادلات في ذلك , وقال الوليد بن عقبة , أمنعهم الماء كما منعوه عثمان رضي الله عنه واتفقوا على ذلك سوى

---

1 - الطبري: تاريخ الطبري ، 245/3 ؛ البلاذري: أنساب الأشراف ، 81/3-82 ؛ نصر: وقعة صفين ، 155 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 145/3 ؛ ابن كثير: البداية ، 253/7 ؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ص130

- الكوفي : 2439/2

- البلاذري: أنساب الأشراف 381/3

- أبن الأثير : الكامل , 145/3؛ الطبري : 247/3 ؛ نصر: وقعة صفين ص4161

عمرو بن العاص الداهية والذي أشار بعدم منعهم الماء لأنهم لا يسكتون على ذلك . ووجه كلامه إلى معاوية و لك بعد ذلك ما قدمت عليه ورجع رسول الإمام علي كرم الله وجهه بدون نتيجة (1).

وجاء الأشعث بن قيس إلى الإمام علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أيمنعنا معاوية الماء وأنت فينا ومعنا السيوف؟ فحل بيننا وبين القوم وأمر الأشتر فليحمل بخيله فيقف حيث تأمره , فقال علي عليه السلام ذاك إليكم , فنادى الأشعث , من أراد الماء ميعادنا الصبح .

ولقد هجم الأشعث بن قيس في أثني عشر ألف رجل , وكان مالك الأشتر قد تعالى بخيله حيث أمره علي عليه السلام فبعث إليه الأشعث أن أقتحم الخيل فأقحمهما حتى وضع سنابكها في الفرات وولى أهل الشام مدبرين 2.

قال نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين عن إسماعيل النهدي حدثني من سمع الأشتر يوم الفرات وكان له غناء عظيم من أهل العراق وهو ينشد :

اليوم يوم الحفاظ بين الكماة الغلاظ

نحفزها والمظاظ

ثم قتل فارس أهل الأردن ذي القوة وقتل رجال من ذي يزن (3) .

وخرج عمرو بن العاص في جيش كثير , وأخذ يمده أبو الأعور السلمي ويزيد بن أسد بالرجال , وخرج مالك الأشتر من قبل الإمام علي كرم الله وجهه في جمع عظيم وأخذ يمد الأشعث بالرجال حتى كشف أهل الشام عن الماء (4).

فقال الأزدي في ذلك :

خلو لنا الفرات الجاري أو أثبتوا لجحفل جرّار

ثم أن الأشتر أعطى الراية إلى الحارث بن همام النخعي , وقال له: يا حارث لولا إني أعلم إنك تصبر عند الموت لأخذت لوائي منك ولم أصبك بكرامتي فقال والله يا مالك الأشتر لأسرتك اليوم أو لأموتن؟ فاتبعني ، فتقدم باللواء وهو يقول :

يا أشتر الخير وخير النخع وصاحب النصر إذا عم الفزع

وكاشف الأمر إذا الأمر وقع ما أنت بالحرب العوان بالجزع

قد جزع القوم وعموا بالجزع وجرعوا الغيظ وغصوا بالجرع

أن تسقنا الماء فما هي بالبدع أو نعطش اليوم فليس منقطع

ما شئت خذ منها وما شئت فدع

فقال الأشتر: إدن مني يا حارث , فدنا منه فقبل رأسه وقال: لأتبع رأسه الأخير , ثم قام الأشتر يحرض أصحابه يومئذ ويقول: ((فدتكم نفسي شد وشدة المحرج الراجي الفرج فإذا نالتكم الرماح

- الطبري : تاريخ الطبري 1247/3
- نصر : وقعة صفين ، ص166-2167
- المصدر نفسه : ص3171
- الطبري : تاريخ الطبري 246/3 ؛ أبن الأثير : الكامل 145/3 ؛ أبن كثير : البداية 4253/7

فالتؤوا فيها وإذا عضتكم السيوف , فليعض الرجل نواجذه , فأنه أشد لشؤون الرأس ثم استقبلوا القوم بهاماتكم)) ، وكان الأشتر على فرس محذوف أدهم كأنه ملك الغراب (1).

وهذه تعاليم القائد الحربية لجنده , فهو يقدم لهم تجربته وتراكم خبرته في الحروب السابقة سواء أكان في الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق أو في حروب الردة , فالأشتر قد أصابته الجراحات العديدة , فعرف كيف يتكيف مع الحروب ويعالج الأسلحة , فللرمح عنده معالجة بالالتواء عنه , والسيف له معالجة بعض النواجذ للتأكد من سلامة الرأس كما فعل هو عند ما ضربه أبو مسيكمة في حروب الردة وهكذا كانت تعاليمه الحربية .

ولقد قتل مالك الأشتر في ذلك اليوم سبعة من الصناديد فأول من برز إليه صالح بن فيروز وكان من الصناديد الشجعان وهو يخاطب الأشتر:

يا صاحب الطرف الحصان الأدهم　　　أقـــدم إذا شئت علينـــــــا أقـــدم

أنـــا أبن ذي الـعــز وذي التكرم　　　سيــــــدعك كـــــل فارس فـأعـــلـم

فبرز إليه الأشتر وهو يقول :

آليت لا أرجع حتى أضربا　　　بسيفي المصقول ضرباً معجبا

أنا ابن خير مذحج مركبا　　　من خيـرها نـفـسـاً أمـاً وأبـا

ثم شد عليه بالرمح فقتله وفلق ظهره ثم رجع إلى مكانه.

وخرج إليه فارس آخر من الفرسان أهل الشام أسمه مالك بن أدهم وهو يقول:

أجيبه بالرمــح إذ دعانيـا إني منحت مالكاً سنانيا

لـفـارس أمـنـعـه طعانيـا

ثم شد على الأشتر فلما رهقه الرمح التوى الأشتر على الفرس ورمى السنان فأخطأه , فالأشتر مدرب تدريباً جيداً وحسب تعاليمه الحربية ، ثم استوى الأشتر على فرسه وشدّ عليه بالرمح وهو يقول(2)

فاتك رمح لم يكن خوانا　　　وكان قدماً يقتل الفرسانا

لوينه لخبر ذي قحطانا　　　لفارس يقارع الأقرانـــــا

ثم قتله

وخرج إليه فارس آخر يقال له رباح بن مالك وهو يقول:

إني زعيم مالك يضرب　　　بذي غرارين قوي القلب

عبل الذراعين شديد الصلب

---

1 - نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص172 وما بعدها

2 - نصر : وقعة صفين ص137 وما بعدها

وخرج إليه الأشتر قائلاً :

رويداً لا تجـــزع من جلادي　　　جلاد شخص جامع الفـؤاد

يجيب في الروع دعا المنـادي　　　يشد بالسيف على الأعادي

ثم شد عليه فقتله ، ثم خرج إلى الأشتر فارس مشهور بالشجاعة يقال له إبراهيم بن الوضاح وهو يرتجز ويقول :

هل لك يا أشتر في برازي　　　براز ذي غشم وذي اعتزاز

مقاوم لقرنـه لزاز

فخرج إليه الأشتر وهو يقول:

نعم . نعم أطلبه شهيداً　　　معي حسام يقصم الحديدا

بترك هامات العدى حصيدا

ثم نزل حسامه على رأس غريمة فكان حصيداً كما قال الأشتر وبرز إليه فارس آخر يقال له زامل بن عتيق وهو يقول:

يا صاحب السيف الخضيب المرسل　　　وصاحب الجـوشـن ذاك المـذهب

هـل لك فـي طـعن غـلام مـجـرب　　　يـحـمـل رمـحـاً مـسـتقيـم الثـعلب

لـيـــس بــحـيــاد ولا مـغلـــب

والظاهر أن الأشتر أرهقه التعب , فطعنه هذا في موضع الجوشن فصرعه عن فرسه , ولم يصب مقتلاً , وشد عليه الأشتر راجلاً فكسف قوائم الفرس بالسيف وهو يقول:

لابد من قتلي أو قتلكا　　　قتلت منكم خمسة من قبلكا

وكلهم كانوا حماة مثلكا

ثم ضربه بالسيف وهما راجلان وقتله:

وبعد ذلك خرج إليه فارس يقال له الأجلح وكان من أعلام العرب وفرسانها وكان على فرس يقال له لاحق فلما أستقبله الأشتر كره لقائه ولكنه استحى أن يرجع فخرج إليه وهو يقول[1]:

علـى حـمـل ظـاهـر التسلل　　　أقـــــدم باللاحـــق لا تـــهلل

إن سمته خسفاً أرى أن يقبل　　　كأنما طعمه مر الحنظـــــــل

يــمشي إليـــه بحسام مفصـل　　　وأن دعـــاه القـــرن لم يعول

ضرب الآخـــر بــعـــد الأول　　　مشياً رويداً غير ما مستعجل

فشد عليه الأشتر وهو يقول :

بليت بالأشتر ذاك المذحجي　　　بفارس في حلق مدجج

كليث ليث الغابة المهيج　　　إذا دعاه القرن لم يعرج

- نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص174 وما بعدها1

فضربه ثم قتله.

ثم خرج إليه محمد بن روقه وهو يضرب في أهل العراق ضرباً منكراً وهو يقول :

يا ساكن الكوفة يا أهل الفتن   يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن

فشد عليه الأشتر وهو يقول : أنزل الله بكم الهوانا

ثم ضربه وقتله .

وأقبل الأشتر يضرب بسيفه جمهور الناس حتى كشف أهل الشام عن الماء وهو يقول:

لا تذكروا ما قد مضى وفاتا   والله ربي باعث أمواتاً

من بعد ما صاروا صدى رفاتا   لأوردن خيلي الـفراتـا

شعث النواصي أو يقال ماتا

وحمل أبو الأعور وهو يقول:

أضرب قدماً لا أولي الدبرا   أنا أبو الأعور واسمي عمرو

فحمل عليه الأشتر وهو يقول:

ليس أصف الحرب بذي اختلاط   لست وأن يكره ذا الخلاط

ولكن أبو الأعور لم يواجه الأشتر فانهزم أمامه ، وأخذ الأشتر يجول ويقول وهو يواجه ابن السمط :

أيـكـمـــا أراد أشتر النخع   يا حوشب الحليق ويا شيخ كلع

وبعد ذلك كشف جيش الإمام علي (عليه السلام) بقيادة الأشتر وكذلك الأشعث عن الماء ، ولم يمنع الإمام علي الماء عن أهل الشام بل تركه للجميع وانتهت معركة ماء الفرات في ذي الحجة عام 36هـ [1].

وقعة صفين ودور مالك الأشتر فيها

(الثلاثاء 7 صفر 37هـ/25 يوليه 657م)

هذه الوقعة الرهيبة ذكرتها المصادر الأساسية الأولية منها المكثر المسهب ومنها المقل ومنها من الذي مرّ عليها مر الكرام ، ومنها من ذكرها بشيء من التفصيل ،والمهم أن أحداث هذه الوقعة

---

1. - نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص172 وما بعدها ؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ص130 وما بعدها.

داخلية حدثت بين فئتين من المسلمين.

وبعد معركة الشريعة على نهر الفرات ، واستيلاء جيش معاوية ومنعهم جيش الإمام علي كرم الله وجهه من الاستسقاء من ماء الفرات ، ثم دحر جيش الشام بقيادة مالك الأشتر والأشعث ، واحتلال شريعة الماء ، لم يقابلهم الإمام علي (عليه السلام) بالمثل فترك الماء يغترف منه الجميع ، وهذه هي شريعة السماء لأنه خليفة المسلمين وهو الأب الروحي لهم.

ثم جرت مفاوضات حول تسكين الأمور ودعوة معاوية بن أبي سفيان[1] إلى الطاعة والدخول في الجماعة دون جدوى وقد أرسل الإمام علي كرم الله وجهه عدي بن حاتم الطائي وشيث بن ربعي وسعيد بن قيس الهمداني ؛ فأبى وتشبث بأمور مستحيلة وهي تسليم قتلة الخليفة (رضي الله عنه) , غير أن القتلة المجرمين قتلوا في دار الخليفة آنذاك , والقود والتعزيز لا يكون إلا بالحجة والبرهان وشهادة الشهود , وألا فليس على تهمة المتهم منها بريء حتى تثبت أدانته .

ولقد وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود ولا بد من الحرب والظاهر أن أرباب السير والروايات منها الأساسية والثانوية سكتت سكوتاً تاماً عن عبدالله بن سبأ والسبأية في وقعة صفين ، ولم يكن أي أثر لهم والذين استخدمهم سيف في روايته في وقعة الجمل وكأن هذه الرواية الموضوعة ليس ذات أثر وامتداد فعلي ، فلقد ماتت بالزمن القصير حيث إنها مبنية على الباطل ، والذي يبنى على الباطل فهو باطل.

وبعد أن عاد رسل الإمام علي كرم الله وجهه في ذي الحجة من سنة 37هـ وبعد معركة شريعة الفرات ، تلاقى الجيشان في صفين ، وعبأ الإمام علي كرم الله وجهه جيشه فجعل عبدالله بن العباس في الميمنة ومالك الأشتر في الميسرة وهو في القلب.

وأخذ الإمام علي كرم الله وجهه يخرج الرجل الشريف مع قومه فيقتتلان ، وهكذا فيخرج مرة الأشتر وأخرى حجر بن عدي ومرة قيس بن سعد بن عبادة أو هاشم وعمار بن ياسر ، وأكثر القوم خروجاً للمعركة هو مالك الأشتر ، ويخرج إليه من طرف الشام عبدالرحمن بن خالد وأبو الأعور ، ومرة ذو الكلاع وأخرى شرحبيل بن السمط وهكذا.

ولقد اشتد القتال كما يقول أبو مخنف برواية الطبري في تاريخه ، فخرج رجل لم يكن أطول منه وأعظم منه من أهل الشام ، ودعا إلى المبارزة فلم يخرج إليه أحد ، إلا الأشتر فاختلفا ضربتين فضربه الأشتر فقتله ، ويقول الراوي والله أشفقت على الأشتر وسألناه ألا يخرج إليه حتى قتله الأشتر ، ونادى منادٍ من أصحابه:

يا خير من نعلمه من زار   ياسهم سهم ابن أبي الاشتر

والزار حي من الأزد وسهم يعني أنه سوف يقتل قاتله ، وحمل على الأشتر فعطف عليه الأشتر فضربه فإذا هو بين يدي فرسه ، فحمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريحاً ، فقال أبو الجهني ((هذا كان

---

[1] - الطبري : تاريخ الطبري 248/3-249؛

ناراً فصادف إعصاراً)) ، واقتتلوا ذي الحجة كله ولما جاء محرم تواقفوا (1).

وهكذا فإن الأشتر الإعصار والذي تنطفئ بهجومه النار كما جاء في المصادر الأساسية الأولية.

وفي يوم الأربعاء غرة صفر 37هـ وبعد هدنة محرم وقعت الحرب الضروس بين الفريقين بعد اليأس من التوافق وعدم التنازل عن المطالب التي تشبث بها معاوية بن أبي سفيان ومن معه وعدم امتثالهم للطاعة الجماعة.

ولابد من إظهار موقف مالك الأشتر في هذه الوقعة ، كونه مثار البحث ومشكلته. وبعد إلقاء الحجة والأعذار من قبل الإمام علي كرم الله وجهه على معاوية وجيشه قائلاً ((إنا والله ما كففنا عنكم شكاً في أمركم ، ولا يقيناً عليكم ، إنما كففنا عنكم لخروج المحرم ثم انسلخ ، وإنّا قد نبذنا إليكم على السواء إن الله لا يحب الخائنين)) 2.

هذا وعبأ كل فريق جيشه وقد كان نصيب الأشتر قيادة مذحج وعبأ معاوية جيشه أيضاً ، وذكر فضل بن أن علياً (عليه السلام) بعث على كل أهل الكوفة مالك الأشتر (3).

وما جاء في مروج الذهب للمسعودي وأصبح الإمام علي (عليه السلام) يوم الأربعاء وكان أول يوم من صفر فعبأ الجيش ، وأخرج الأشتر أمام الناس وأخرج إليه معاوية وأهل الشام حبيب بن مسلمة ، وكان بينهم قتالاً شديداً أسفر عن عديد من القتلى من الجانبين وانصرفوا (4).

وفي كل يوم يخرج قائد من جيش الإمام علي (عليه السلام) فيقاتل مع قرينه من الشام ، وفي اليوم السابع خرج مالك الأشتر وعاد إليه حبيب بن مسلمة واقتتلا قتالاً شديداً ثم انصرفوا عند الظهر وكل غير غالب ، وذلك يوم الثلاثاء(5).وقال معاوية بن أبي سفيان اللهم اظفرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي ، وذلك عند مقتل عبدالله بن بديل (6).

وفي المناقب للخوارزمي أن الأشتر خرج في اليوم السادس من حروب صفين وهو يقول:

يارب جنبني سبيل الفجره	في كل يوم هامتـــي موقره
لا تعدل الدنيا جميعاً وبره	واجعل وفاتي بأكف الكفره

فبرز إليه عبدالله بن عمر وهو يقول:

ذلك الذي يخرجني من ذنبي	أنعي ابن عفان وأرجو ربي

قتل ابن عفان عظيم الخطب

قال الخوارزمي: ولم يعلم الأشتر من هو , فقال له من أنت؟ فقال: عبيدالله بن عمر ، فقال له

- الطبري، تاريخ الطبري ، 248/3-249 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 146/3-147 ؛ نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص195-1196
- نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص103 ؛ ابن كثير: البداية ، 2257/7
- نصر، وقعة صفين ، ص103 ؛ الطبري: تاريخ الطبري ، 252/3 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 150/3 ؛ ابن كثير: البداية ، 3258/7
- المسعودي: المروج ، 516/3 ؛ الطبري: تاريخ الطبري ، 253/3 ؛ ابن كثير: البداية ، 4258/7
- الطبري: تاريخ الطبري ، 254/3 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 150/3 ؛ ابن كثير: البداية ، 259/7 ؛ المسعودي: المروج ، 517/3 ؛ البلاذري: 5 أنساب الأشراف ، 85/6
- نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص6246

الأشتر: بئس ما اخترت لنفسك يا بن عمر هل اعتزلت كما اعتزل أخوك وسعيد بن مالك؟ وإن خفت القصاص بدم الهرمزان ، فهل هربت إلى مكة؟ ولقد تصاولا وتجاولا صدراً من النهار ثم انصرف ابن عمر وعمرو بن نديم التميمي ، وخرج هو إلى الأشتر ، فتطاعنا فطعنه الأشتر بالرمح وأخرج سنان رمحه من ظهره ، فخر عمرو على وجهه واقتتل الناس قتالاً شديداً حتى كاد يذبح بعضهم بعضاً وكان يوماً عظيماً (1).

وفي قول الدينوري في مبارزة الأشتر لعبيد الله بن عمر ، وأسرع الأشتر في أصحاب عبيد الله وانصرف الفريقان وللأشتر الفضل (2).

مالك الأشتر يعيد ميمنة العراق بعد انهزامها

وقد هجم جيش الشام بأجمعه على ميمنة أهل العراق ، فانهزمت الميمنة رغم أن فيها من الشجعان والأبطال ، ووصل انسحابهم إلى القلب حيث الإمام علي (عليه السلام) فأخذ يتمشى من القلب نحو الميسرة فانصرفت عنه مضر وثبتت ربيعة.

ومرّ أحمر مولى بني سفيان بالإمام علي كرم الله وجهه ، وقال قاتلني الله إن لم أقتلك ، وهجم على الإمام علي (عليه السلام) فانبرى له كيسان مولى الإمام فقتله أحمر ، ورفع السيف على الإمام علي فأخذه الإمام فجذبه بيده من جيب درعه وحمله على عاتقه ، وضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضده ، وشدّ عليه الحسين ومحمد فقتلاه ، والحسن واقف فقال له الإمام علي للحسن ما منعك يا بني من أن تفعل كما فعل أخواك ، فقال: كفياني يا أمير المؤمنين.

ثم أن أهل الشام اقتربوا منه ، فأخذ يحث الناس بالرجوع نحوالميمة، وعن مولى الأشتر فضيل فإنه قال: مر الإمام علي (عليه السلام) بالأشتر ، فقال له: يا مالك ، قال: لبيك يا أمير المؤمنين ، قال: اذهب إلى هؤلاء المنهزمين وقل لهم أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه الى الحياة التي لا تبقى لكم

ومضى الأشتر واستقبل الناس المنهزمين وبلغهم كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال لهم: أيها الناس أنا مالك بن الحارث إلي ، فلم يأت إليه أحد ، ثم قال أيها الناس أنا الأشتر إلي ، فأقبلت إليه طائفة وذهبت عنه طائفة.

فقال مالك الأشتر ((عضضتم بهن أبيكم ، ما أقبح والله ما قاتلتم اليوم ،يا أيها الناس غضوا الأبصار ، وعضوا على النواجذ ، واستقبلوا القوم بهاماتكم. ثم شدوا شدة قوم موتورين بآبائهم وأبنائهم وأخوانهم ، حنقاً على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم كما لا يسبقوا بثأر......)) (3).

ثم قال أيها الناس اخلصوا لي مذحجاً .. فاجتمعت إليه مذحج فقال لهم :((عضضتم بالجندل: والله ما

- الخوارزمي: المناقب ، ص1246

- الدينوري: الأخبار الطوال ، ص177 ؛ المسعودي: مروج الذهب ، 2518/3

- نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص251-252 ؛ الطبري: تاريخ الطبري ، 257/3-258 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 152/3 ؛ ابن كثير: البداية ، 3 261/7

أرضيتم اليوم ربكم ولا نصحتم له في عدوه فكيف بذلك وأنتم أبناء الحرب وأصحاب الغارات وفيتان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الأقران ومذحج الطعان وأنتم أوحد أهل مصركم, وأعز حي في قومكم, وما تفعلوها في هذا اليوم فإنه مأثور بعد اليوم... والذي نفس مالك بيده ما من هؤلاء: وأشار بيده إلى أهل الشام رجل على مثل جناح بعوضة من دين الله...)).

ثم يواصل ملك الأشتر تحريضه هذا للمنهزمين وهو ينتقل من موضع إلى أخر بين المدح والترهيب والترغيب في انتقالات فيها من روعة الكلام واختيار الألفاظ , بحيث يؤثر على النفوس وكأنه الحكيم الذي يعرف من أين يؤكل الكتف بقوله: ((... والله ما أحسنتم اليوم القراع , أحيلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي , عليكم بهذا السواد الأعظم , فإن والله لوفضلتموه تبعه من بجانبه كما يتبع مؤخر السيل مقدمه)).

إن خطبة مالك الأشتر هذه قطعة فنية تستحق الدراسة والتأمل , وإلا كيف بهذا العسكري المقتدر أن يتفوه بمثل هذا الكلام المليء بعبارات طافحة بالإيمان والمقدرة على الانتقال من وضع إلى آخر وكأنه يدغدغ أحاسيس جماهير الجيش المنهزم , فهو يذكرهم بشرفهم العسكري والإقدام , وأن الهزيمة ما هي ألا عار والإقدام والثبات هو الشرف الذي لا يدانيه شرف .

ثم إن مالك يطلب قبيلته مذحج , فيضع يده على موضع الجرح ويعرف كيف يخاطبهم,منهم مذحج الطعان , وفتيان الصباح إلى آخر ما يداويهم بهذه الكلمات الحماسية الحساسة.

هذا وقد أستطاع مالك أن يداوي الجراح وينقذ الموقف الخطير فأخذت الأصوات تناديه أيها القائد((خذنا حيث أجبت)).أنها كلمات تدل على تأثرهم بخطبته الرائعة هذه وتمكنه من لملمة الجيش المنهزم , الأصوات تتعالى , حيث أجبت أيها القائد مالك الأشتر نحن نتبعك إلى الموت .

ويزحف بهم مالك الأشتر نحو الميمنة , فجعل لا يلقي قبيلة إلا كشفها ولا طائفة إلا ردها حتى انتهى إلى أمير الميمنة عبدالله بن بديل , ورأى الأشتر يزيد بن قيس قد جرح فقال ((هذا والله الصبر الجميل , والفعل الكريم ألا يستحي الرجل أن ينصرف ولم يقتل أو يقتل ولم يشف به القتل ؟)). وتقدم مالك الأشتر بالجيش حتى رد أهل الميمنة إلى موقفها وذلك مابين صلاة العصر وصلاة المغرب(1) .

وفي تاريخ الطبري وغيره من المصادر الأساسية عن أبي مخنف قال: حباب الكلبي عن الحر بن الصباح النخعي ، أن الأشتر يومئذ كان يقاتل على فرس له ، بيده صفيحة يمانية ، إذا طأطأها خلت فيها ماء منصباً وإذا رفعها كاد يغشي البصر شعاعها ، وجعل يضرب بسيفه ويقول:

الغمرات ثم ينجلينا

قال فبصر به الحارث بن همام الجعفي ، والأشتر متقنع بالحديد فلم يعرفه فدنا منه وقال له: جزاك الله خيراً منذ اليوم عن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين فعرفه الأشتر فقال له: ابن همام أمثلك يتخلف عن مثل موقعي هذا؟ فنظر إليه ابن همام فعرفه ، وكان مالك الأشتر من أعظم الرجال وأطولهم

- الطيري: تاريخ الطبري 258/3 ؛ أبن الأثير : الكامل , 153/3 ؛ نصر بن مزاحم : وقعة حنين , ص255 ؛ أبن كثير :البداية , 1261/7

وكان في لحيته خفة قليلة ، فقال له ابن همام جعلت فداك ما علمت مكانك إلا الساعة وما أفارقك حتى أموت.

ويقول الطبري عن أبي مخنف عن الحر بن الصباح النخعي: رأي الأشتر وهو في هذه الحالة الجهادية والاندفاع ، أولاد قيس منقذ وحمير ، فقال منقذ لحمير ما في العرب مثل هذا إن كان ما أرى من قتاله على نيته ، فقال له حمير: وهل النية الا ما تراه يصنع! قال: إنـي أخـاف أن يكون يحـاول ملكاً (1).

هذا ولقد هجم عبدالله بن بديل في جماعة من الصحابة مابين المائتين والثلاثمائة ، فأرسل إليهم الأشتر أن لا تفعلوا واثبتوا مع الناس ، ثم أرسل إلى عبدالله بن بديل يقول له: ((اثبت مع الناس فقاتل فإنه خير وهم أبقى لك ولأصحابك)) غير أنه خرج مع أصحابه وهو يقاتل ودنا من معاوية ، فقاتل حتى قتل وقتل ناس من أصحابه ورجعت طائفة قد خرجوا منهزمين ، وانتهوا إلى الأشتر. فقال الأشتر لهم: ((ألم يكون رأي خيراً لكم من رأيكم لأنفسكم ، ألم آمركم أن تثبتوا مع الناس)) (2).

وهذا قول القائد الذي يصدر أوامره بحسب الخطة المعدة ، فالذي يعصي الأوامر ويخرق الخطة ، فيعرض هذه الخطة إلى التصدع ويرمي بنفسه ومن معه إلى التهلكة ، والأشتر قائد له تجربة فهو بعد أن أعاد الميمنة ، بهذه الصورة الكفوءة والشجاعة والجهد الذي يصعب فعله دون التخطيط العسكري ، وبهذا فإن الأشتر يقول إن رأي خيراً من رأيكم لأنفسكم ، وهذا كلام المسؤول الذي يرى نفسه بأنه من موقع القيادة ، فهو أحرص لجنوده من أنفسهم ، فالأشتر بما حباه الله من صفات القيادة والخبرة المتراكمة التي اكتسبها من الحروب السابقة ، رسم في ذهنه خطة أراد أن ينفذها في الوقت المناسب لها ، أما الاستعجال فيعتبر شجاعة دون تخطيط. وبهذا قال بأن الأشتر قد يغامر في الحروب ، وهذا دليل على تأنيه وعدم مغامرته بنفسه ومن معه ، وهو يعرف كيف ومتى والى أين يبغي هدفه.

وبهذا فإن للأشتر خططه الحربية وآرائه العسكرية التي تميز بها دون غيره في هذه الوقعة من القادة الميدانيين ، فنهو يستنير بتوجيهات القائد العام للقوات المسلحة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ويتقيد بأوامره ، عندما نادى عليه دون غيره قائلاً له: يا مالك ، فيجيبه مطمئناً واثقاً من نفسه مطيعاً له: لبيك يا أمير المؤمنين ، فيقول له: آتي هؤلاء المنهزمين وقل لهم إلى أين المفر .... إلى آخر التوجيهات وينفذ القائد الميداني الأشتر هذه التوجيهات بحذافيرها.

وبهذا فإن مالك الأشتر وضع لما بعد استراتيجية هامة في الخطة العسكرية ليس في عصره وحسب ، إنما للأجيال القادمة ، فهو يقدم حيث يرى للإقدام منفذاً ويحجم عندما يجد أن الأمور ليست في صالحه ، فهو يضع الخطة ويدرسها ثم ينفذها ، وهذا عكس التقدم بدون خطة ، ووضع الخطة الأخرى وهي الانسحاب عند الحاجة ، وبذلك فإن مواقفه كلها متشابهة فيها أريج البطولة والشجاعة.

ولقد زحف مالك الأشتر في الجيش حتى ألحق أهل الشام بالصفوف الخمسة كالمعقلة بالعمائم

- الطبري: تاريخ الطبري 258/3 ؛ نصر: وقعة حنين ص255 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 1254/3

-الطبري: تاريخ الطبري ، 258/3 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 2153/3

حول معاوية ، ثم شد الأشتر عليهم شدة أخرى فصرع الصفوف الأربع ،والذين كانوا معقلين بالعمائم حتى انتهى ، ويقود جيشه إلى الصف الخامس الملتف حول معاوية بن أبي سفيان ، ودعا معاوية بفرسه فركب وكان يقول أردت أن أنهزم وتذكرت قول بن الطنابة

وإقدامي على البطل المشيح	**أبت لي عفتي وبهاء نفسي**
وأخذي الحمد بالثمن الربيح	**وإعطائي على المكروه مالي**
مكانك تحمدي أو تستريحي	**وقولي كلما جشأت وجاشت**

قال معاوية: فمنعتني هذه الأبيات من الفرار (1).

ولما رأى الإمام علي (عليه السلام) ميمنة جيشه قد عادت بقيادة قائده مالك الأشتر إلى مكانها دخله السرور بذلك وخاطبهم قائلاً: ((إني رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم ، يجوزكم الجفاة والطغاة وأعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب ، والسنام الأعظم ، عمار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إ ضل الخاطئون ، فلولا إقبالكم بعد إدباركم ، وكركم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولي يوم الزحف دبره ، وكنتم من الهالكين ولكن هون وجدي وشفى بعض به نفسي ، إني رأيتكم بأخرى حزتموهم كما حازوكم وأزلتموهم عن مواقعهم كما أزالوكم.....)) (2).

ويكتشف مالك الأشتر ثلة من الفرسان خلف معسكر جيش أهل العراق ، فيخبر القائد العام الإمام علي (عليه السلام) بذلك فيأمر قائده الميداني الأشتر بإرسال مجموعة من فرسان ربيعة المغاوير ، ويبلغهم الأشتر بالأمر ويقول لهم: ((إنكم لو بُعثتم [إلى تلك الثلة من الفرسان] طائفة منكم لتركوكم في هذه الفلاة وفروا كاليعافير*))(3)، فأرسلوا إليهم جريرة من الفرسان.

وهذا يؤكد استخدام مالك الأشتر لعنصر الاستخبارات ، وأنه قد اتخذ الاحتياطات اللازمة وتحوطات الأمان ، فلق اكتشف ثلة الفرسان الذين أرادوا الالتفاف من الحلف ، ولعله اعتبر بوقعة أحد عندما التفت مجموعة من الفرسان من خلف المسلمين فأربكتهم ، وبذلك عالج الموقف بإخبار القيادة العامة المتمثلة بأمير المؤمنين علي (عليه السلام) والذي أمره بمعالجة الموقف وهكذا فعل.

هذا ولقد قتل الصحابي عمار بن ياسر (رضي الله عنه) عنه في مساء ذلك اليوم ، وصدق رسول الله (ص) حين قال له: ((يا عمار تقتلك الفئة الباغية)) (4) ، ويقال كان له من العمر تسعون سنة ، وآخر شربة له قدح من اللبن (5).

وعندما قتل عمار بن ياسر (رضي الله عنه) قال عبدالله بن عمرو بن العاص إني سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار ((تقتلك الفئة الباغية)) ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية أما سمعت عبدالله

- الطبري: تاريخ الطبري ، 259/3 ؛ ابن الأثير: الكامل، 154/3 ؛ ابن كثير: البداية ، 1262/7
- الطبري: تاريخ الطبري ، 259/3 ؛ ابن الأثير: الكامل، 155/3 ؛ ابن كثير: البداية ، 261/7 ؛ نصر: وقعة صفين ، ص256. 2
- نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص3332
*** اليعافير: الظباء واحدها يعفور وهي سريعة الهرب**
- أحمد ، أبو عبدالله بن حنبل الشيباني: المسند ، تحقيق عبدالقادر عطا ، (ط1 ، القاهرة ، 1394هـ) ، ج2 ، ص4161
- المسعودي: مروج الذهب ، 5518/2

ماذا يقول؟ قال معاوية أنحن قتلناه؟ إنما قتله الذين جاءوا به(1).

ويقبل عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية الأعظم ، وهو يقول:

أنا ابن سيف الله ذاكم خالد ... أضرب كل قدم وساعد

وأقبل عمرو بن العاص في خيل بعده وهو يقول إقحم يابن سيف الله ، وأخذ عبدالرحمن يقتحم جيش الإمام علي كرم الله وجهه ويكشفهم ، فغم ذلك الإمام علي (عليه السلام) ، وما لهذا سوى الأشتر ، ويقبل الناس عليه وكأنهم يلوذون به ويقولون له: يوم من أيامك الأول ، وقد بلغ لواء معاوية حيث ترى ، ويأخذ مالك الأشتر اللواء وقد اهتز من الغضب وحمل وهو يقول:

إني أنا الأشتر معروف الشتر ... إني أنا الأفعى العراقي الذكر

ويتغنى الأشتر بوطنه العراق الي حمله على جبينه ومحبته في قلبه ، وتلتهب الغيرة في وجدانه فضارب القوم حتى ردهم على أعقابهم كما فعلها عندما أعاد الميمنة إلى مواضعها 2.

وطرب الشاعر النجاشي لهذا الموقف وأخذ يمدحه بقصيدته الرائية: 3

رأيت اللواء لواء العقاب ... يقحمه الشانئ الأخزر

كليث العرين خلال العجاج ... وأقبل في خيله الأشتر

دعونا لها الكبش كبش العراق ... وقد خالط العسكر العسكر

فرد اللواء على عقبه ... وفاز بحظوتها الأشتر

كما كان يفعل في مثلها ... إذا ناب معصوصب منكر

فإن يدفع الله عن نفسه ... فحظ العراق بها الأوامر

إذا الأشتر الخير خلى العراق ... فقد ذهب العرف والمنكر

وتلك العراق ومن قد عرفت ... كفقع تنبته القرقر

مالك الأشتر يفتقد الإمام علي (عليه السلام) في المعركة.

يقول الخوارزمي في المناقب عن الموقف في وقعة صفين وهول ما جرى فيها من المعارك[4] ، ما روي لهارون الرشيد حولها ، فأخذ يبكي وابتلت لحيته من الدموع ، حيث كان الأشتر يطلب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فلم يجده ، فال لغلامه هاشم اذهب وفتش عنه فإذا وجدته لك عندي جازة كذا وكذا ، وكان الإمام علي (عليه السلام) مع همدان ، فوجده الأشتر عندهم فرآه علي (عليه السلام) باكياً ، فقال له: ما خبرك يا مالك؟ أفقدت ابنك إبراهيم أم أصابك غير ذلك؟ فقال الأشتر:

وهلاك الأمير أمر كبير ... كل شيء سوى الإمام صغير

رجال هم الحماة الصقور ... قد رضينا وقد بما حـــــدث

- الطبري: تاريخ الطبري ، 266/3 ؛ نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص1340

- نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص396-397 ؛ الدينوري: الأخبار الطوال ، ص185 ؛ الخوارزمي: المناقب ، ص225-2226

- المصدر نفسه ، ص266 ؛ المصدر السابق ، ص185 ؛ نصر: وقعة صفين ، ص3297

[4]) الخوارزمي : المناقب ، ص 243-244 .

إنه في دجى الحنادس نور   من رأى غرة الوصـــــــــي

وهذا يدل على حرص مالك الأشتر على الإمام علي (عليه السلام) لأنه القائد العام وأمير المؤمنين ، وأن ابنه وفلذة كبده إبراهيم هو فداء له لأن فقدان الإمام هو أمر عظيم ومصاب جلل وهزيمة الجيش والخسران المبين ، وأن الرجال الذين قتلوا رغم كونهم الحماة والصناديد ، ولكن فقدانهم يهون أمام فقدان الرأس الكبير ، ثم أنه يصور الإمام (عليه السلام) على أن القمر إن أشرق فيكشف ظلام هندس الليل ، فهو النور ولقد جمع الضدين في بيته الأخير وهو غاية الإبداع في الشعر.

وفي موقف آخر برز الإمام علي (عليه السلام) متنكراً وقتل من أهل الشام ثلاثة وثلاثين رجلاً ، فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين لا تتعب نفسك ونحن نكفيك ، فقال له الإمام علي (عليه السلام) ، يا مالك إن رسول الله (ص) قاتل يوم حنين وخيبر ، فقال له الأشتر ، بحق قرابتك من رسول الله (ص) انصرف وأنا أحاربهم ، فإذن له الإمام علي (عليه السلام) بذلك ، فبرز الأشتر وهو يقول في قصيدة منها:

ولقيت أضيافي بوجه عبوس   لقيت وفري وانحرفت عن العلى

لم تخل يوماً من ذهاب نفوس   إن لم أشن على ابن هند غارة

إلى آخر القصيدة ، ونادى: ليبرز إلي معاوية فقال له: لست بكفوي ، فقال الأشتر: إبرز إلى صاحبي فهو سيد قريش واترك الأعذار ، فأرسل إليه معاوية جندب ، وقال له: إذا قتلت الأشتر أزوجك ابنتي.

فبرز إليه فقال له الشتر: ما هي الجائزة بقتلي؟ ، فقال: يزوجني معاوية ابنته ، فضحك الأشتر فتقدم إليه وضربه فصرعه ، ولم يلحق بابنة معاوية حتى يقترن بها بقتله للأشتر ، وكان هذا بطلاً صنديداً ، وهجم الأشتر فأزال عمرو بن العاص عن موقفه حتى وصل إلى معاوية ، فضاربوا عنه وكاد الأشتر أن يصل إليه فحجز بينهم الليل[1]. وكان الأشتر يقول[2]:

يهلك فيها البطل المدجـــــج   حرب بأسباب الردى تأجج

قوم إذا ما أحمشوها أنضجوا   يكفيكها همدانها ومذحج

دين قويم وسبيل منهـــــــج   روحوا إلى الله ولا تعرجوا

ومما جاء في وقعة صفين لنصر بن مزاحم مرفوعاً عن عمار بن ربيعة أنه قال: علي (عليه السلام) بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء العاشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين ، وقبل شهر صفر ، وزحف بأهل العراق إلى أهل الشام ، وزحف إليهم أهل الشام ، والحرب أكلت الفريقين ولكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعاً ، وقد كرهوا القتال:

قال: فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب ، عليه السلاح لا يُرى منه إلا عيناه ، وبيده رمح ، فجعل يضرب رؤوس أصحاب علي (عليه السلام) بالقناة ويقول: سووا صفوفكم يرحمكم

- الخوارزمي: المناقب ، ص1232-231
- نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص2404

الله حتى إذا عدل الصفوف والرايات ، استقبلهم بوجهه وولى أهل الشام ظهره ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((الحمد لله الذي جعل فينا ابن عم نبيه ، أقدمهم هجرة وأولهم إسلاماً سيف من سيوف الله على أعدائه ، فانظروا إذا حمي الوطيس وثار القتام وتكسر المران وجالت الخيل بالأبطال ، فلا أسمع إلا غمغمة أو همهمة ، فاتبعوني وكونوا في أثري)) ، ثم قال ، فحمل على أهل الشام وكسر فيهم رمحه ثم رجع فإذا هو مالك الأشتر [1].

ليلة الهرير

وهي ليلة الجمعة وفيها من الأهوال ومقارعة الرجال للرجال ما يصعب وصفه ، فلقد زحف أهل العراق نحو أهل الشام بالسيوف حتى انثنيت وبالرماح حتى تكسرت واشتبكوا بالأيدي ، والإمام علي (عليه السلام) يسير بين الميمنة والميسرة ، حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره ، ومالك الأشتر في الميمنة ، وابن عباس في الميسرة والإمام علي كرم الله وجهه في القلب والناس يقتتلون من كل جانب حتى صباح الجمعة.

يقول الطبري في تاريخه وحسب رواية أبي مخنف ، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل حتى الضحى ، وهو يقول لأصحابه ازحفوا قيد رمحي هذا ، وهو يتقدم بهم نحو الشام ثم يقول لهم: ازحفوا قاب هذا القوس فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك ، حتى ملّ أكثر الناس الأقدام ، فلما رأى ذلك الأشتر قال لهم: أعيذكم بالله أن تقاتلوا سائر اليوم ، ثم دعا بفرسه وترك الراية مع حيان بن هوذة النخعي وأخذ يسير في الكتائب ويقول من يشتري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهروا ويلحق بالله فلا يزال الرجل من الناس يخرج إليه ويقاتل معه (2).

ويقول أبو مخنف كما جاء في تأريخ الطبري عن عمار الجرمي قال ((مر بي والله الأشتر فأقبلت معه واجتمع إليه ناس كثير ، فأقبل حتى رجع إلى المكان الذي كان فيه في الميمنة ، فقال لأصحابه شدوا شدة فدى لكم عمي وخالي ترضون بها الرب وتنصرون بها الدين ، إذا شدت فشدوا فضرب وجه دابته ، ثم قال لصاحب رايته إقدم بها ثم شد على القوم ، وشد معه أصحابه فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم ، ثم أنهم قاتلوه عند المعسكر قتلاً شديداً ، فقُتل صاحب رايته وأخذ علي (عليه السلام) لما رأى الظفر من قبله يمده بالرجال (3).

وأقبل الأشتر على فرس كميتٍ محذوف قد وضع مغفره على قربوس سرج الفرس وهو يقول ((اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمي الوطيس)) ، ورجعت الشمس من الكسوف واشتد القتال وأخذت السباع بعضها بعضاً ، فيقول رجل لصاحبه: أي رجل هذا لو كانت له نية ، فيقول له: ثكلتك أمك وأية نية أعظم من هذا وأنت ترى القلوب بلغت الحناجر وهو يقول اللهم لا تبقنا بعد هذا(4).

- نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص473-1474
- الطبري: تاريخ الطبري ، 270/3 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 160/3 ؛ ابن كثير: البداية ، 524/7 ؛ نصر: وقعة صفين ، ص475-476 ؛ 2 المسعودي: مروج الذهب ، 524/2.
- الطبري: تاريخ الطبري ، 270/3 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 160/3 ؛ نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص476 .3
- نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص480-481.4

وعندما أحاط مالك الأشتر بجيش الشام وكان النصر منه قاب قوسين أو أدنى ، طلب معاوية المعونة من صاحبه عمرو بن العاص قائلاً: يا عمرو هل لديك من حيلة؟ قال نعم ، قال: وما ذاك؟ قال: عليك برفع المصاحف فإنها تجعل أهل العراق ينشقون فيما بينهم.

ورفع أهل الشام المصاحف وقالوا: هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، مَن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام ، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ . ولما رأى الناس المصاحف قد رفعت قالوا: نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه.

هذا ولقد رفع أهل الشام مائة مصحف على مائة رمح يتقدمهم مصحف دمشق الأكبر ، وهم ينادون يا أهل العراق هذا كتاب الله بيننا وبينكم وقد أحدث ذلك انشقاقاً كبيراً في صفوف جيش العراق ، فقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ((اللهم إنك تعلم إنهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم ...)).

واختلف أهل العراق وقال الإمام علي (عليه السلام) امضوا عباد الله إلى حقكم وصدقكم فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم منكم وقد صحبتهم صغاراً وكباراً ، فكانوا شرَّ صغار وشرّ كبار.

فتقدم إليه معد بن يكرب وزيد بن حارث الطائي في عصابة معهما من القراء والذين صاروا خوارج فيما بعد وهم ينادون يا علي لا بامارة المؤمنين أجب القوم إلى كتاب الله وإلا اعتزلناك أو دفعناك إلى عدوك أو قتلناك كما فعلنا بابن عفان ، إن علينا أن نعمل بكتاب الله فلقد دعينا إليه فقبلناه.

فقال لهم الإمام علي (عليه السلام) ((فاحفظوا عني نهيي إياكم واحفظوا حديثي لكم ، أما أنا فإن تطيعوني تقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم)) ، فقالوا له: ارس إلى الأشتر لياتينك (1).

وأما الأشتر فإنه أحاط بجيش الشام ووصل إلى قبة معاوية ، وبشائر النصر تلوح من جانبه وهو على قاب قوسين أو أدنى من النصر ، وما قاله المستشرق جون جلوب ((... وسرعان ما لجأ معاوية إلى إحدى الخطط إذ خرجت ثلة من الفرسان من جيشه ، وقد رفع رجالها المصاحف على رماحهم وهم ينادون بأعلى أصواتهم هذا كتاب الله عزّ وجل بيننا وبينكم ، وسرعان ما علا صوت من جيش الإمام علي (عليه السلام) والجنود يرددون ما قاله معاوية واضطر علي (عليه السلام) وقد أصبح النصر منه قاب قوسين أو أدنى منه إلى قبول التحكيم وإعلان الهدنة....))(2).

وقد بدأت بشائر النصر تلوح من قبل الأشتر ، وكان الصياح والأهازيج والغناء يملأ الفناء ، إنه اقتطاف النصر بعد الجهد العظيم والتضحيات الجسام وأن الأمور لابد أن تحسم بما له أو عليه ، وهذه هي الحرب تأكل كل ما أحاطها ، لا تعرف الرحمة فهي كالزلزال أو الكوارث الطبيعية الأخرى ، لا ترحم صغيراً أو كبيراً ، وما قاله المستشرق فلهوزن ((...وكانت هذه هي ليلة الهرير الحقيقية لا ليلة

---

1 - الطبري: تاريخ الطبري ، 271/3 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 161/3 ؛ ابن كثير: البداية ، 270/7 ؛ المسعودي: مروج الذهب ، 525/2 ؛ الدينوري: الأخبار الطوال / ص190 ؛ ؟: نور الأبصار ، ص96

2 - السير جون جلوب: إمبراطورية العرب ، تعريب خيري حماد ، (ط1 ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، دون تاريخ) ، ينظر ، محمد المقري: الدولة الأموي ، ص359

نهاوند ، وقد فكر معاوية بالفرار منهزماً ولاح النصر للأشتر ، وعند ذاك اضطر أن يترك النصر يضيع من يده وأن يغمد السيف بعد أمر متكرر من علي كرم الله وجهه ، وذلك إن أهل الشام رفعوا المصاحف على أسنة رماحهم لكي يخرجون الاحتكام إلى السيف الذي أوشك أن ينتهي إلى غير مصلحتهم ويلجئون إلى حكم كلام الله...)) (1).

وما قاله المستشرق فلهوزن أيضاً بخصوص بطولة مالك الأشتر وهو الرجل الحيادي في مثل هذه الأمور ((...ونهاية المعركة [وقعة صفين] هو وحدها التي تبين بوضوح أن مالكاً الأشتر كان البطل الحقيقي في ذلك اليوم [يوم الهرير] ولكن لا يصفه بأنه كلك وصفاً واضحاً إلا النجاشي الشاعر في أبيات له ...)) (2) ، ويذكر قصيدة النجاشي السابقة.

وفي رواية إبراهيم بن مالك الأشتر ، قال: كنت عند علي (عليه السلام) عندما أحاط الناس به والذين خرجوا عليه ، وقالوا له: إرسل على الأشتر ليأتينك أو اعتزلناك أو ألحقناك بعثمان (رضي الله عنه) أو سلمناك إلى عدوك والله إنا نفعلها.

وكان مالك الأشتر قد أحاط بأهل الشام ، فأرسل الإمام علي (عليه السلام) يزيد بن هاني فجاءه وقال له: إن أمير المؤمنين يدعوك إليه ، فقال له الأشتر: اذهب يا يزيد وقل لأمير المؤمنين إنه ليس بالساعة التي يزيلني عن موقعي ، إني أحسست بالنصر فيعود يزيد بن هاني ويبلغ الإمام بما قاله مالك الأشتر.

غير أن الأصوات أخذت تتعالى حول الإمام علي (عليه السلام) وكثر اللغط والهرج ، وأصوات تقول له:

إنك أسررت إلى رسولك للأشتر بالاستمرار بالقتال.

الإمام علي: ويلكم ألم أقل له على رؤوس الأشهاد؟

أصواتهم: أرسل إلى الأشتر ليوقف القتال وإلا فعلنا ما قلنا ، وأحاطوا به كالسوار بالمعصم.

الإمام علي يأمر يزيد بن هاني مرة ثانية ويقول له: ويلك يا يزيد اذهب إليه [الأشتر] وقل له أن الفتنة قد وقعت.

الأشتر: ويلك يا يزيد ألا ترى النصر ، أينبغي لنا أن نترك ذلك ونذهب عنه ، أبرفع هذه المصاحف ، إنها والله خدعة ، إنها مشورة عمرو بن العاص.

يزيد بن هاني: أتحب يا مالك أنك تنتصر ها هنا وأمير المؤمنين يقتل أو يسلم إلى عدوه أو يعزل؟

الأشتر: ويلك يا يزيد لا والله ، على ماذا أقاتل أوبلغت الأمور إلى هذا الحد؟

يزيد: نعم وأكثر من ذلك.

الأشتر يترك القتال ويأتي كأنه الأسد المغوار وهو ينادي بأعلى صوته الجهوري ((يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظننوا إنكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى

- يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ، ص174
- فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ، ص274

ما فيها وهم والله تركوا ما أمر الله به وسنة من أنزلت عليه ، فامهلوني فواقا فإني قد أحسست بالفتح)) (1).

قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك.

قال الأشتر: إخبروني متى كنتم محقين ، أحين كنتم تقاتلونهم م الآن عندما أحجمتكم عن قتالهم؟

قالوا: دعنا يا أشتر قاتلناهم لله وتركنا قتالهم لله.

مالك الأشتر : خدمتهم و أخدعتهم , يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وحياً بالآخرة إلا بعداً يا أشباه الرجال الجلالة ما أنتم بالغوه بعدها عزاً أبداً , أتركوني عدوة فرس .

أصواتهم: كلا لا نتركك أوقف القتال !

الأشتر: اتركوني حلبة شاة

أصواتهم: بإصرار لا, لا

الأشتر: غاضباً , أبعدوا كما بعد القوم الظالمين , فسبوه ورد عليهم وضربوا وجه دابته بالسياط وضرب وجوه دوابهم بسوطه وصاح بهم الإمام علي كرم الله وجهه إن كفوا فكفوا.

فوقف الأشتر بين هذه الجموع الهائجة والغوغاء المائجة , مخاطباً الإمام علي عليه السلام بقوله الواثق من نفسه ((يا أمير المؤمنين أقلب الصف على الصف تصرع القوم)) وفي قول إقرع الحديد بالحديد وأستعن بالله الحميد.

غير إن هؤلاء الخوارج , أخذوا يتصايحون ويهرجون بأعلى أصواتهم أن أمير المؤمنين قد رضي وقبل بحكم القرآن , ولم يسعه ذلك وهو مطرق إلى الأرض لا يتكلم.

ويرى الأشتر أن الخطب مدلهم , والأمور بلغت مداها إلى غير ما خطط له , وينظر إلى أن الإمام علي عليه السلام في غاية الإحراج. وأن الخطة التي وضعتها قيادة الجيش قد أثمرت وأن الوصول إلى الهدف كان في متناول اليد, وأن العدو قد وضع خطة فيها كثير من الدهاء والمكر فهو بخبرته القيادية وعمله مع عمرو بن العاص في الجبهة الشامية عرف عن كثب ماهية تفكيره وخطته ولذلك فإنه عرف من البداية , أن رفع المصاحف هي مكيدة عمرو بن العاص ولذلك , وأراد إفشال خطته بمواصلة القتال وإجهاض هذه الخطة مبكراً , ولكن هؤلاء الذين طعنوا هذه الخطة منهم الأكثر إفشالاً لها من معسكر الشام.

وبهذا فإن الأشتر كالأسد الذي يريدون وضع القيود بيديه , بينما فريسته في متناول اليد , فيحاول كسر هذه القيود وبذلك أطلق نظريته التي وجهها إلى القائد الإمام علي عليه السلام ((اقلب الصف على الصف تصرع القوم)) وهي نظرية القائد الذي أصطدم بعنجهية هؤلاء الذين صاروا خوارج فيما بعد.

- نصر بن مزاحم: وقعة صفين ، ص1489

إن هذه النظرية التي أطلقها الأشتر فيها مخاطرة جسيمة لأن نصف جيش الإمام علي عليه السلام خرجوا عليه وأظهروا العصيان ، لا بل وصل الأمر إلى حد التآمر على حياته ، والنصف الآخر مشغول بالقتال مع الأشتر , ومجموعة أخرى اعتزلت ، فضلاً عن جيش الشام المقابل.

وبذلك فإن الإمام علي قدر شجاعة قائده الفائقة , غير أن هناك طرأت تعديلات مهمة على الخطة , بل وخطيرة لا يمكن تطبيق هذه التعديلات في نظرية الأشتر الجديدة حول قلب الصف على الصف.

وعندما قبل الإمام علي عليه السلام بالتفاوض وحكم القرآن قال الأشتر وكأنه استسلم لأوامر القيادة ((إذا أمير المؤمنين قد قبل ورضي بحكم القران فقد رضيت بما رضي به أمير المؤمنين))[1].

وماذا ينتظر من قائد مظفر , يمسك النصر بين يديه بعد جهد جهيد وحرب طال أوارها لأكثر من مائة يوم , نعم ماذا ينتظر من بطل أخذ يقتطف ثمر أتعابه فيصل إلى الاقتطاف , فتمسك يده عن الثمر. ومالك الأشتر في هذه اللحظات كالأسد الذي يمسك بالفريسة وتسلب منه وهو باستطاعته الإمساك بها,إذن ما هي عوامل إمساك الأشتر عن القتال:

العامل الأول (إيمانه العميق المطلق) فهو المؤمن كما أخبرته عنه الرسول (ص) ومن ضرورات الإيمان الطاعة.

عدم التمرد على القيادة المركزية المتمثلة بالأمام علي كرم الله وجهه.

خوفه على حياة الإمام علي عليه السلام من الخطر المحدق به.

إن الأشتر كان يحارب ليس لأجل ملك أو أموال إنما لغاية ومبادئ آمن بها.

إن قول الأشتر للإمام علي كرم الله وجهه (اقلب الصف على الصف) هو طلب منه إذا كان يريد حسم الأمور فهو حاضر لذلك وما عليه إلا أن تصدر له الأوامر.

إن شرف العسكرية الطاعة العمياء وهي الامتثال التام للأمور مهما كانت تلك الأمور.

وهكذا يمتثل الأشتر لأمور قد فرضت ليس عليه فحسب , إنما على أمير المؤمنين عليه السلام , وكأنما الأمور انقلبت هكذا جيش الشام وأغلب جيش العراق , الذين صاروا خوارج فيما بعد.

ويطلب الأشعث بن قيس من الإمام علي عليه السلام الذهاب إلى معسكر الشام لمواجهة معاوية بن أبي سفيان لمعرفة ماهية وهدف رفع المصاحف ، ورجع بأخبارهم أنهم يرغبون بتعيين حكم من أهل العراق وحكم من أهل الشام. ويوافق الإمام علي عليه السلام ويختار أهل الشام عمرو بن العاص حكماً لهم.

ويعين أهل العراق دون الرجوع إلى الإمام علي (عليه السلام) أبا موسى الأشعري ، فيقول الإمام علي (عليه السلام): عصيتموني في الأولى ، فأطيعوني في الثانية ، إن أبا موسى

---

1 ؛ - نصر بن مزاحم : وقعة صفين , ص489 وما بعدها ؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي , ص131 ؛ الدينوري : الأخبار الطوال ص188 وما بعدها ؛ الدينوري: الإمامة والسياسية , 120/1 ؛ الطبري : تاريخ الطبري , 270/3-271 ؛ ينظر ابن الأثير: الكامل 161/3-162 ؛ بنظر ابن كثير: البداية 270/7-271 ؛ ابن الوردي: تاريخ الوردي , ص214/213 ؛ بنظر , فلهوزن: تاريخ الدولة العربية , ص74 ؛ الكوفي : 266/3 ؛ ينظر , محمد الخضري : الدولة الأموية , ص359

الأشعري كان قد خذل الناس في الكوفة واعتزل ، فإني أعين عبدالله بن عباس.

فقالوا: كلا ! لا يمكن ذلك إنه منك وابن عمك.

فقال الإمام علي (عليه السلام): إني أرشح مالك الأشتر.

فقال الأشعث بن قيس: وهل سعّر الأرض غير الأشتر ، وهل نحن إلا بحكم الأشتر؟

فقال الإمام متسائلاً: وما حكمه؟

قال الأشعث: أن يضرب بعضنا ببعض فيكون له ما أردت وما يريد [1].

إن عبارة (ما أردت وما يريد) والتي قالها الأشعث بن قيس ، هي أن رأي الإمام علي (عليه السلام) هو مطابق إلى رأي الأشتر ، فالإمام علي (عليه السلام) لم يرد سوى حسم المعركة بسيف الأشتر الذي صار بينه وبين النصر حلبة شاة كما عبر عن ذلك.

وبذلك فإن خطة الأشتر قد أعدت بمباركة الإمام علي (عليه السلام) وهكذا فإن الأشعث يعترف بمطابقة الرأي ، وبهذا فإن الأشتر يعبر عن رأي الإمام علي (عليه السلام) ولا يخرج عن رأيه قيد إنملة بطاعته.

وهكذا اختار أهل الشام عمرو بن العاص حكماً لهم واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري حكماً لهم وكتبوا بذلك الكتب وأبرموا العقود ، وأخذ الأشعث بن قيس يدور بالصحيفة لغرض توقيع القادة عليها ، وعندما وصلت إلى الأشتر قال : قطعت يميني وبعدها شمالي إن كتب لي أسم صلح على هذه الوثيقة أو موادعة ، أولستم قد رأيتم الظفر أولم تحجموا على الجور ، فقال الأشعث للأشتر : هلم فوقع فإنه لا رغبة لك عنا.

فقال الأشتر: لا رغبة عنك بلا ، والله لي رغبة بي عنك في الدنيا للدنيا في الآخرة للآخرة ، ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي خير منهم ولا أحرم دماً.

ولقد أقبل الإمام علي (عليه السلام) بعدما كتبت الصحيفة أن الأشتر لا يقر بما في هذه الصحيفة ، ولا يرى إلا قتال القوم ، قال الإمام علي كرم الله وجهه: وأنا والله ما رضيت ولا أجبت أن ترضوا ، فإن أبيتم أن ترضوا فقد رضيت ، فإذا رضيت لا يصلح الرجوع بعد الرضا.

وأضاف الإمام علي (عليه السلام) قائلاً في حق الأشتر: أما الذي ذكرتم عن الأشتر أنه لم يرض عن الصحيفة فالأشتر ليس من أولئك ولست أخافه على ذلك ، يا ليت فيكم واحد يرى في عدوي ما يرى إذاً لخفت مؤونتكم ورجوتوا أن يستقيم لي بعض أمركم وقد نبهتكم عما أتيتم فعصيتموني.

وما قاله ابن الأثير في الكامل قول الإمام علي (عليه السلام) يا ليت فيكم مثله أي مثل الأشتر اثنين ، بل يا ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوي ما أرى (2)

أسباب تعيين مالك الأشتر قاضياً وحكماً

---

1 - الدينوري: الأخبار الطوال ، ص180 ؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد ، 162/3 ؛ الحميري: الروض ، ص364 ؛ الطبري: تاريخ الطبري ، 272/3 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 162/3 ؛ ابن الكثير: البداية ، 273/7 ؛ المسعودي: المروج ، 252/2 ؛ شحاذه: من تاريخ الإسلامي ، ص248.

2 - الطبري: تاريخ الطبري ، 276/3 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 136/3 ؛ نصر: وقعة صفين ، ص511

لقد رشح الإمام علي كرم الله وجهه مالكاً الأشتر حاماً وقاضياً في هذه الوثيقة وذلك للمزايا العديدة التي تؤهله لذلك وهي:

علم وفقه الأشتر في كتاب الله والسنة النبوية.

شخصية مالك الأشتر الفذة ، حيث إنه فرض نفسه في موضع السلم والحرب.

شجاعة مالك الأشتر الفائقة المعروفة.

نباهة مالك الأشتر وعدم الغفلة والذكاء الحاد.

ثقافة الأشتر العالية وعرفته لسبر أغوار الرجال.

معرفة الأشتر لعمرو بن العاص عن قرب في فتوح الشام وفي وقعة صفين.

ثقة الإمام علي (عليه السلام) التامة بمالك الأشتر.

حب الأشتر وإخلاصه ووفائه لوطنه وقومه وللإمام علي كما ثبت ذلك.

وهكذا تنتهي هذه الوقعة المأساة عن سبعين ألف قتيل في ليلة الهرير لوحدها ، وهو مبالغ فيه من الطرفين ، والإمام علي (عليه السلام) لم يقتل جريحاً ولم يتبع منهزماً ، ولم يأخذ أسيراً ولم يسب امرأة ولا كشف عورة ولا أخذ مالاً ولا هتك ستراً 1.

ثم يأتي يوم التحكيم حيث يجتمع في دومة الجندل عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري ، وتكون خدعة التحكيم وما قاله أبو موسى الأشعري من خلع علياً ومعاوية وقاله عمرو بن العاص من خلعه لعلي (عليه السلام) وتثبيت معاوية وما جرى بعد ذلك من أمور يطول شرحها (2) .

---

1 - ابن هشام: السيرة النبوية 25/2 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى ، 449/1 ؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد ، 145/4 ؛ الحميري: الروض ، ص365

- الطبري: تاريخ الطبري ، 282/3 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 2163/3

الفصـــل الرابــــــــع :

من نـهاية وقعة صفين الى مقتل مالك الأشتر

(37 - 38 هـ) (656 -659م)

المبحث الأول

اعادة مالك الأشتر الى عمله في الجزيرة الفراتيه واهم اعماله

بعد ان عاد الأمام علي كرم الله وجهه من وقعه صفين وكان قد حدث فيها من الوقائع العظيمة والأهوال ، والكوارث التي ادت الى القتل والدمار ، فلقد دخل الكوفة ، وظهرت فرقه استنكرت التحكيم وهي الفرقة المارقة .

ان الغريب في هذا هو ان هؤلاء الذين خرجوا على الحكومة هم نفسهم الذين ارادوها ، وهم الذين اصبروا الامام علي على وقف القتال الذي كان الأشتر قاب قوسين او ادنى من النصر فيه.

ولقد اعاد الامام علي عليه السلام مالك الأشتر الى ولايته في نصيبين(*) والجزيرة الفراتية(**) وذلك لأهمية هذه المنطقة من الناحية الجغرافية والعسكرية لأنها متاخمه للحدود مع الشام ولجوء الكثير من المنوئين اليها .

ولقد اكدت المصادر التاريخية الأولية عودة مالك الأشتر الى ولايته السابقة بعد وقعة صفين ، وذلك لأستباب الأمن والسيطرة على هذه المناطق المهمة من الحدود مع الشام فلقد جاء في تاريخ الطبري ((وكان علي حين أنصرف من صفين رد مالك الأشتر على عمله في الجزيرة)) [1]

ولقد أيد ابن الأثير عودة مالك الأشتر الى عمله في الجزيرة الفراتية وجد بعد عودة الأمام علي من صفين [2] وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية قال وكان الأشتر النخعي نائبهُ اي نائب الامام علي كرم الله وجهه على الموصل و النصيبين[3] .

هذا ما يؤكد عودة الأشتر الى عمله في الجزيرة الفراتية بعد ان أبلى في وقعة صفين بلاءاً حسناً وكان النصر معقوداً بيمينه ، ولربما كان هناك سراً من ارسال الأشتر الى هذه الولايه ، لأنها متاخمه لغارات أهل الشام ولابد من رجل حازم وشجاع حتى يستطيع ان يرد هذه الغارات وان الأشتر

---

*) نصيبين : شهيرة القناة والقدم ... جميلة المنظر متوسطة في الكبر و الصغر ، ابن جبير ، ابو الحسن محمد بن احمد الكناني : رحلة ابن جبير (ط 1 ، دار صياد ، بيروت ، 1959) ، ص214.

**) الجزيرة الفراتية ما بين الموصل وحلب ، معجم البلدان 2 / 135.

) الطبري : 3 / 295 ؛ ينظر زامباور ، زامباور ، المستشرق : معجم الأنساب تعريب زكي محمد حسن؛ (ط ، جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1 ج 1 ، ص 38 ، 1951).

) ابن الأثير : الكامل 3 / 2177

) ابن كثير : البدايه ، 7 / 311 ؛ الثقفي : الغارات ص164 ؛ البلاذري : انساب الأشراف ص3167

قد عرف بهذه الصفات عندما كان والٍ على هذه المنطقة قبل وقعة صفين وموقفة المهم والفعال في . هذه الوقعة مما يزيد من اسمه الرهبة والخوف وكأنه السور المنيع أمام هذه الهجمات والاعتداءات وان الأمام علي عليه السلام استطاع ان يسيطر على هذه المنطقة وذلك بواسطة قائده وعامله مالك الأشتر [1] .

ولقد قال خليفة ابن خياط ان مالك الأشتر هو اشهر ولاة علي عليه السلام في الجزيرة الفراتية[2] . حيث ان علياً رضي الله عنه ولاه لأكثر من مره فأستطاع ان يرتب امورها .

ولقد اضطربت الجزيرة عندما نقل مالك الأشتر منها الى ولايه مصر مما جعل معاوية ان يطمع فيها ويسيطر عليها في نهاية سنه 39 هـ .

اهم اعمال الأشتر ولايته الثانية على الجزيرة :

- استطاع ان يوفر الأمن والأستقرار الى الجزيرة الفراتية .
- جمع جيشاً جراراً بحيث انه يستطيع ان يلبي أي اوامر للدفاع عن الجزيرة .
- أرهاب اهل الشام بما لدية من سمعه وخاصة في وقعة صفين .
- جباية الخراج والصدقات وارسالها الى خزينة الدولة في الكوفه .
- التأليف بين جميع الطوائف مع المسلمين .

وقعة النهروان 38 هـ / 658م

هذه المعركة وقعت في سنه 38 هـ / 658م في النهروان[3] بين الخوارج والامام علي كرم الله وجهه ، وذلك بعد وقعه صفين واعلان حكم الحكمين ، فلقد ظهرت فرقة ممن خرجوا على الامام علي عليه السلام كما مر بنا في وقعة صفين وأصروا على وقف القتال بعد رفع المصاحف من قبل اهل الشام مع ان الأشتر كان يحيط بأهل الشام وكان النصر معقوداً بيمينه .

ثم ان هؤلاء الخوارج الذين يطلق عليهم تسمية الحروريه لأنهم خرجوا في قرية حروراء وهي قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبث بن ربعي التميمي وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء وخرج اليهم الامام علي كرم الله وجهه وله معهم مناظرات فدخلوا جميعاً الكوفه [4] .

ثم ان هؤلاء الخوارج عاثوا في الأرض فساداً وقتلوا عبد الله بن الحباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتلوا زوجته ومثلوا بها مع ثلاثة نسوة وذلك لأنه قال في الخلفاء الراشدين خيراً ولم يوافقهم في قولهم في امر التحكيم الذي وافقوا عليه ثم نقضوه .

وسار الامام علي عليه السلام مع اصحابه الى ان بلغوا المدائن ثم خرج الى النهروان[5] فبعث

---

1) الدينوري : لاخبار الطوال ص154
2) خليفه : تاريخ خليفة ص 200
3) النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي . م . ن 8 / 295
4) المسعودي : مروج الذهب ، 2 / 528 .
5) الطبري : تاريخ الطبري 3 / 288 ؛ الدينوري : الامامه والسياسة ، 1 / 154 ؛ابن كثير : البداية 7 / 284 ؛ البلاذري : انساب الاشراف ، 3 / 136

اليهم ان ادفعوا الينا قتله اخواننا فقالوا كلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ، ولقد ناظرهم ، فقالوا : نحن قبلنا بالتحكيم وقد اخطأنا بذلك ونحن نتوب وما عليك الا ان تشهد على نفسك بالكفر وتتوب كما شهدنا على انفسنا وتبنا والا فنحن نحاربك . فقال لهم الامام علي كرم الله وجهه ((أبعد ايماني بالله وهجرتي وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوء واشهد على نفسي بالكفر ؛ فلقد ضللت اذاً وما انا من المهتدين ...)) [1] .

ثم يضيف الدينوري ما قاله الامام علي للخوارج ((... وَيحكم ! ثم استحللتم قتالنا والخروج من جماعتنا ان اختار الناس رجلين فقالوا لهما : انظرا بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ويوضع اخر مكان اخر ، أحلُ لكم ان تصفوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دماءهم ان هذا لهو الخسران المبين قال : فتنادوا الا تخاطبوهم ولا تكلموهم تهيئوا للقاء والحرب الرواح الرواح الى الجنة))[2] .

وبعد هذه المواجهه ، عاد منهم جماعة بعد ان أمنهم الامامه علي عليه السلام وبقي منهم من أصر على ضلاله ، فعبأ الامام علي عليه السلام الجيش وجعل على الميمنه حجر بن عدي وعلى الميسرة شبث بن ربعي وعلى الخيل ابو ايوب الأنصاري وعلى أهل المدينة قيس بن سعد، وقال لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم ، ثم ان الخوارج اقبلوا وقالوا لا حكم الا لله ثم نادوا الرواح الرواح الى الجنة ، وشدوا على اصحاب علي شدة رجل واحد والخيل امام الرجال فأستقبلت الرماة وجوههم بالنبل فحصدوا عن بكرة ابيهم ثم انتهت هذه المعركة [3] .

والمهم هنا هل ان مالك الأشتر شهد هذه المعركة أم لا ؟ الفرضية تقول ان مالك الأشتر هو والٍ على الجزيرة الفراتية في حدوث هذه المعركة ! فأذا كانت المعركة حدثت في سنه 38 هـ او في سنه 37 هـ فلقد شهدها لأن وفاته في سنه 39 هـ على قول او في سنه 38 هـ على قول آخر .

يقول البلاذري في أنساب الأشراف ((ان علياً رضي الله عنه ولي الأشتر الجزيرة الفراتية فكان مقامه بنصيبين بعد معركة النهروان))[4] .

وان عبارة كان مقامه بنصيبين بعد معركة النهروان ، وهو انه اشترك في معركة النهروان .

أي انه اشترك بالنهروان ثم ذهب الى نصيبين فكان مقامه فيها بعد ذلك لممارسه مهامه كأمير فيها .

وهناك اشارة تدل على اشتراك مالك الأشتر وقعة النهروان وهي من ابن سعد في الطبقات فهو يقول ((...كان الاشتر من اصحاب علي بن ابي طالب [كرم الله وجهه] وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها ...))[5].

وعبارة ((وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها)) أدخل فيها وقعه النهروان فان مشاهد

---

1) الدينوري : الامامه والسياسة ، 1 / 155.
2) الدينوري : الامامه والسياسة ، 1 / 156.
3) المصدر نفسه ، 1 / 156 ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، 3 / 3293
4) البلاذري : أنساب الأشراف ، 3 / 167.
5) ابن سعد : الطبقات ، 8 / 333.

الامام علي كرم الله وجهه الجمل وصفين والنهروان .

اما عدم ذكر مالك الأشتر في المعركة من بعض المصادر الأولية ، فهو اما لعدم أهمية هذه المعركة من الناحية العسكرية ، او لعدم تكليفه في التعبئة ، لأن عدد الخوارج الذين بقوا على ضلالتهم من القله بحيث حصدتهم الرماة دون المبارزة الفردية .

هذا وقد اوردت المصادر الأولية تحديد هذه الوقعة فالبلاذري يقول في أنساب الأشراف حدوث المعركة في تسع خلون من صفر سنة ثمان وثلاثين[1] .

والطبري في رواية يقول سنه (38هـ) وفي رواية اخرى سنه (37 هـ) [2] . اما ابن الأثير فيقول في جمادي الاولى سنه (38 هـ) [3] .

والواقع ان معركة النهروان حدثت بعد اجتماع الحكمين في رمضان (38هـ) حسب ما اورده المسعودي ، فالثابت انها في سنه (38 هـ) سواء في شهر صفر او جمادي الأولى .

وعلى ذلك فان حضور مالك الأشتر في هذه الوقعة اكثر واقعية واقرب الى الأحداث وقبل مسيرهُ الى مصر كأمير عليها كأمير عليها .

المبحث الثاني

أداب مالك ، واشعارة ، وعلومه ، وشيوخه

) البلاذري : أنساب الأشراف ، 3 / 1136

) الطبري : تاريخ الطبري ، 3 / 2.293

) ابن الأثير : الكامل ، 3 / 187 3

أولاً : أدبه النثري

لقد دخل مالك الأشتر في مدرسة الأسلام ، فأخذ ما استطاع من فنون أداب الكتاب والسنه فضلاً عن الأدب الجاهلي الأصيل فهو مخضرم من الجاهلية والأسلام ، له حس مرهف ، واصاله عربية صميميه ، فلقد نهل من اديم الأدب الجاهلي ما شاء وأخذ يطور هذه الأدب بتطريزه بالآيات القرآنيه والأحاديث النبوية الشريفة ولقد استفاد من صحبته لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين الاربعة رضي الله عنهم خالد بن الوليد وابو عبيدة بن الجراح وغيرهم وأخذ منهم ونقل عنهم ، ثم صحب الامام علي كرم الله وجهه وحضر اغلب خطبه النثرية واستفاد من بلاغته وفصاحته فهو التلميذ الأمثل للاستاذ الكفؤ .

والباحث يسوق هنا نموذجاً من خطبه النثرية التي هي بديعه الأسلوب وذات سبلُ حسن ، فلقد روي نصر بن مزاحم في كتاب صفين عن الفضل بن آدهم قال حدثني أبي : ان الأشتر قام يخطب في قنسرين وهو على فرس أدهم مثل حلك الغراب فقال : ((الحمد لله الذي خلق السموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات والأرض وما بينها وما تحت الثرى احمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء حمداً كثيراً بكرةً واصيلاً من يهده الله فقد اهتدى ومن يظل الله فقد غوى واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله بالصواب والهدى وأضهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وسلم...)) .

ثم يروي هذه الخطبة نصر بن مزاحم :

((... ثم كان ما قضى الله ان ساقتنا المقادير الى هذه البقعة من الأرض والقت بيننا وبين عدونا فنحن بحمد الله ونعمته ومنهُ وفضله قريره اعيننا طيبه أنفسنا نرجو في قتالهم حسن الثواب والأمن من العقاب معنا ابن عم نبينا سيف من سيوف الله علي بن ابي طالب صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقه بالصلاة ذكر حتى كان شيخاً لم يكن له صبوه ولا صفوه فقيه في دين الله لما لم عالم بحدود الله ذو رأي أصيل وصبر جميل وعفاف قديم فأتقوا الله وعليكم بالحزم والجد ...))[1] .

ثم انه يستمع بخطبته النثرية البليغة هذه فيقول :

((وأعلموا انكم على الحق وان القوم على الباطل يقاتلون مع معاوية وانتم مع البدريين قريب من مائة بدري سوى ذلك من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أكثر ما معكم ورايات قد كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع معاوية ورايات كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يشك في قتال هؤلاء الا ميت القلب ؛ فأنما انتم على احدى الحسنين اما الفتح واما الشهادة عصمنا الله واياكم بما عصم به من اطماعه وأتقاه والهمنا واياكم

---

[1]) نصر : وقعه صفين ص 1122

طاعته وتقواه واستغفر الله لي ولكم)) [1] .

ففي هذه الخطبة تظهر مقدرته الفائقة في انتقاء الألفاظ وأظهار الابداع ، وتوارد الخواطر ، بحيث ان يؤثر على السامع ويشده اليه ، وان عندما يذكر الله ويثني عليه ، ويصلي على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم يطعم خطبته بأيات من القرأن الكريم والسنة النبوية ، ما هي الا ثقافة دينيه عميقة ، وايمان يخالج قلبه فهو يدعو الى احدى الحسنين اما الفتح واما الشهاده وهذا ديدن القائد الشجاع وفريضته التي يجيب عليها بأثنين لا ثالث لهما .

ومالك الأشتر ، عندما يخطب فأنه يحاول ان يجتذب سامعيه بحيث ان الجيش يثق به وببطولاته واقدامه . اما عند خطبه فأنهم يرون فيه قدوتهم ويسمعون منه النصائح والعضات . والأشتر يؤثر فيهم لأنه قائدهم ولديه القدرة الكلاميه التي استمدها من ثقافته الواسعه الى خطب الامام علي عليه السلام وقدرته الكلاميه البليغه .

واخذ الأشتر في كلامه هذا انه يزرع الكلام ثم ينمو ويترعرع ثم يؤتي أكله كأحسن ما يكون من الثمر في البطوله والشجاعه والفروسيه .

وان مالكاً الأشتر كان قائداً وحكيماً وزعيماً فلذلك فأن البطوله تأتي ضمن كلامه سياقاً وابداعاً.

وان مالك الأشتر ينتقل في كلامه من موضوع حساس جداً حيث انه يذكرهم بكتاب لله العزيز وبالسنه النبويه الشريفه مما يوثق الأيمان في قلوبهم ويجعلهم مشدودين اليه وهو عامل سايكولوجي متقدم في التأثير على المتلقي .

ثم انه يطمئن السامعين بأنهم على الحق وان عدوهم على الباطل ومن يكون على الحق لا يهمه كثره الباطل .

ويذكر في خطبته ان علياً عليه السلام كان من اقدم المسلمين فهو من امن بالرسول صلى الله عليه وسلم في الصغر وهاهو شيخاً فلابد ان يكون له موقعاً متقدماً في الدوله الأسلاميه وهو الخلافه.

ومن بعض خطبه له خطبه في صفين ما اوردها الخوارزمي حيث قال كان الأشتر يرتب الصفوف ويقول أثبتوا في مواضعكم وأقيموا صفوفكم فلما كتب الكتائب ورتب الصفوف أقبل بوجهه ثم قال: ((اما بعد فقد كان سابقاً في علم الله واجتماعنا في هذه البقعة من الأرض لأجال اقتربت وامور تعرفت يسوسنا سيد الأوصياء ويرأسنا ابن عم سيد الأنبياء فأمامنا المؤيد بنصر الله من السماء وسيف من سيوف الله الذي أنار الله به معالم الدين بعد انخماد وهاجم الجبابرة والمشركين بيوم بدر عن خير المرسلين ...)) .

الى ان قال في خطبته الطويلة هذه :((... واعلموا ان الفرار من الزحف مسبه عند الله وفيه الخزي الى يوم القيامة وفيه كثر تلف الأنفس في قبيلةً ولت الأدبار والثبات والوقوف مَحمده

---

1) نصر : وقعه صفين ص122

والحمد افضل من الذم . أعاننا الله واياكم على طاعته واتباع مرضاته ونصره اوليائه وقهر اعدائه فأنه خير معين))[1] .

قال نصر بن مزاحم عن عمر عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر قال : لما اجتمع الى الأشتر عظم ُمن كان انهزم من الميمنه في وقعه صفين حرضهم مالك الأشتر فقال لهم : ((عضوا على النواجذ من الأضراس واستقبلوا القوم بها بهامكم ، فأن الفرار من الزحف فيه سلب العز والغلبه على الفئ وذل المحيا والمما وعار الدنيا والآخره))[2] .

ان هذا الكلام لمالك الأشتر في وقعه صفين وهو يحرض الجيش المنهزم على العودة الى صفوف القتال ويقول لهم ان الهزيمه ما هي الا ذل وخزي في الدنيا وعار وفي الآخره خسران مبين ويحرضهم على القتال .

ان مالكاً الأشتر يقاتل بالكلمات كما يقاتل بالسيف ولذلك فأن الثقه الكبيرة التي وضعهم الامام علي كرم الله وجهه فيه كانت في محلها .

ان مالكاً الأشتر له المكانه الساميه عند الامام علي كرم الله وجهه لذلك فأنه يأتي من بعده من الأهمية رغم وجود القاده والشجعان وما اكثرهم في جيشه .مالك الأشتر هو رئيس اركان جيش اهل العراق وان قيادته وبسالتهُ توحي بأنهُ يستطيع ان يصل الى هدفهُ بكل اطمئنان وثقه تامه بالنصر .

ففي هذه الخطبه والتي تعتبر تحفه فنيه ، اشار الاشتر الى ان وجودهم في هذه الأرض ما هو الا قدر مقدر من الله وليس هو بالصدفة . وهو ايمانه العميق ثم انه يأمر الجيش بطاعة ولي الأمر والذي هو سيف الله وما طاعة الا طاعة الله ورسوله .

وهو يكشف لهم معايب الهزيمة ومساؤها ، ويذم القبيلة التي تولي الأدبار ، وان الحمد هو افضل من الذم والهزيمة عار والكر هو الشرف الكبير ويستعين بالله .

وما خطبةً له بالكوفة وهي من روائع الكلام يحث اهل الكوفة على الجهاد لما خذلهم الاشعري فيقول : ((ايها الناس اصغوا لي بأسماعكم وافقهوا لي بقلوبكم ان الله عز وجل أنعم عليكم بالأسلام نعمة لا تقدر من قدرها ولا تؤدون شكرها كنتم أعداء يأكل قويكم ضعيفكم وينتهب كثيركم قليلكم وتنتهك حرمات الله بينكم والسبيل مخوف والشرك عندكم كثير والأرحام عندكم مقطوعة وكل اهل الدين لكم قاهرون فمن الله عليكم بمحمد صلى الله علية وسلم فجمع شمل هذه الفرقة وألف بينكم وكثركم بعد ان كنتم قليلين ...))

الى آخر ما جاء في خطبته هذه والتي حث فيها أهل الكوفة بالخروج الى نصرة الامام علي في حرب الجمل وهي خطبه ذات تأثير كبير على النفوس بما فيها من لمسات فنية رائعة والثقافات جيدة فهو انتقل من ما كان عليه الناس في الجاهلية ثم ما صارعليه الأسلام الى آخر الخطبه ،

---

1) الخوارزمي : المناقب ص146.
2) االمنقري : وقعه صفين ص255

والتي ظهر فيها بأنه خطيب مصقع وسريع البديهة .

وان مالك الأشتر ، عندما يرتجل خطبه فأنه يأخذ من مدرسه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، فهو يورد الأحداث ثم يعقب عليها مما يؤثر على نفوس من يخاطبهم وكأنه يقول لهم بأن الكلام لا يختلف عن السنان فالكلمه لها تأثير سحري على النفوس وانجذاب كبير مما يؤدي الى فرض شخصيته عليهم بأنسيابيه وبلاغه قد يكون فيها من بديع الكلام ما هو الكثير .

ثانياً : أشعاره

لم يتطرق مالك الأشتر الى الأغراض الشعرية الأخرى كالمديح والهجاء والنسيب والبكاء على الاطلال ؛ انما اقتصر شعره على الفخر والحماسة ، ولعلهُ تطرق في شبابه الى ذلك قبل الأسلام اودثر او انه لم يذكره وحاول ان يستغني عنه لأيمانه ولعدم رغبته بذكره .

وينقل الباحث هذه القصيدة الرائعة له في صفين عندما اراد الامام علي عليه السلام ان يحمل في صبيحتها على اهل الشام روى ذلك نصر بن مزاحم وغيره :

قد دنا الفصل في الصباح ولل — سلم رجال وللحروب رجـــال

فرجال الحروب كل خـــــدب — مقحم لا تهده الأهــــــــــوال

يضرب الفارس المدجــــــج — بالسيف اذ قل في الوغى الأكفال

يا أبن هند شد الحيازم للمـــو — ت ولا يذهبن بك الأمــــــــال

ان في الصبح ان بقيت لأمراً — تتفادى من هوله الأبطـــــــال

فيه عز العراق او ظفر الشـا — م بأهل العراق والزلـــــــزال

فأصبروا للطعان بالأسل السمر — وضرب تجري به الأمثـــــال

ان تكونوا قتلتم النفر البيـض — وغالت اولئك الآجـــــــــال

قتلنا مثلهم وان عظم الخطب — قليل أمثالهم أبــــــــــــدال

يخضبون الوشيج طـــــفاً اذ — جرت عن الموت بينهم اذيــال

طلبوا الفوز في المعاد وفي ذا — تستهان النفوس والأمــوال[1]

ولما انتهى شعر الأشتر هذا الى معاوية قال : شعر منكر من شاعر منكر رأس أهل العراق وعظيمهم ومسعر حربهم وأول الفتنة وآخرها .

وما جاء في معجم الشعراء للمرزباني وكذلك الخوارزمي[2] :

بقيت وفري وانحرفت عن العلى — ولقيت اضيافي بوجه عبــوسِ

ان لم اشن على ابن هند غارة — لم تخلو يوماً عن ذهاب نفوسِ

1.) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص 469 – 470 .
2.) المرزباني : معجم الشعراء ص263 ؛ ينظر الخوارزمي المناقب ص232.

خيلاً كأمثال السعالي شـــــزاً تعدو بيض في الكريهة شوسِ

هي حمي الحديد عليهموا فكأنهُ ومضان برق او شعاع شموسِ

وقال المرزباني أنه من شريف الأيمان .

وقال العسقلاني في الاصابه ((قال بعض المتأخرين من أهل الأدب لو قال ان لم أشن على ابن حرب غارة كان انسب . قلت كلا بينهما فرق كبير نعم هو انسب من حيث مراعاة النظير وبطرائف المتأخرين واما فحول الشعراء فأنهم لا يعتنون بذلك بل نسبه الى أمه ابلغ في نكايته))[1] .

وهذا الشعر فيه من القسم الكبير الذي يعده الأشتر بقيت وفري ، الأنحراف عن العلى ،العبوس في وجهه الضيف . وبهذا فأن العسقلاني يعد الأشتر من فحول الشعراء ، ومن فصحائهم في الشعر .

وفي شعر له في وقعة نهر الفرات عندما منع أهل الشام أهل العراق من الماء .

نسير اليكم بالقنابل والقنا وان كان فيما بيننا سرف القتل

فلا يرجع الله الذي كان بيننا ولا زال بالبغضا مرحلكم يغلي

وقال أيضاً :

خلوا لنا عن الفرات الجاري أو أثبتوا للجفل الجـرارِ

بكل قرن ستميت شاري مطاعن برمحه كرارِ[2]

ضراب هامات العدى مغوارِ

ومن رقيق شعره الذي يتجلى فيه الحس المرهف والروح الشفافة وهو بعيداً عن قرقعه السلاح وهمهمة الخيل ، وبعيداً عن القتال وساحات الوغى والحماسة والفخر فلقد اورد المرزباني في معجم الشعراء هذه الأبيات[3] .

وما برحت مثل المهاة وسابح وخطارة عبر السري من عياليا

أقاسمهن العيش في الفقر والغنى وندفع عنهن السنين احتياليا(*)

فهذا لأيام الهياج وهذه للهوى وهذي عدة لأرتحاليا

وهذا الجمع بين الاضداد هو أسمى غاية الأبداع تظهر فيه رائعة الشعر العمودي لفحول الشعراء ، فالأشتر فضلاً عن كونه الشجاع والقائد الأمير فأن له بائع طويل في الغناء والشعر ، وليس كما يصوره أرباب السير واصحاب المصادر التاريخية الأولية بأنه البطل الشجاع في ساحات الوغى الذي لا تدانيه الأبطال ولا تقف أمام سيفه اللج البتر أمهر الرجال وصنديد الميدان.

---

1) العسقلاني : الاصابه ص482.

2) الخوارزمي ، المناقب ص215 ، 219.

3) المرزباني : معجم الشعراء ص265.

وللأشتر قصائد كثيرة من الشعر منها المتفرق كالأراجيز ومنها القصائد الكاملة ولا يستطيع الباحث ان يلم بها جميعاً ؛ انما هي مسطره وموجودة ، لربما تجمع في ديوان خاص به ان امكن ذلك .

ثالثاً : علوم الأشتر

لقد كانت العلوم الأسلامية في القرن الأول الهجري وفي مقدمتها عصر صدر الأسلام فهي تتكون من ثلاثة علوم رئيسية القرآن والسنه والأجتهاد أما العلوم الأخرى فتعتبر فرعية لها كأصول الفقه والتفسير وأما العلوم التي تأتي بعد العلوم الفرعية كعلوم النسب والتنجيم فهي علوم أهميتها قليلة بالنسبة للعلوم الرئيسية والفرعية .

اما العلوم الأساسية الثلاثة فهي الفقة والحديث وفصاحة اللسان وعلم الكلام .

1- الفقه :

وهو استنباط الأحكام الشرعية من القرأن الكريم والسنه النبوية الشريفة .

والفقه في اللغة : هو الفهم أي فهم غرض المتكلم من كلامه .

وفي الأصطلاح : العلم بالأحكام الشرعية من ادلته التفصيلية بالأستدلال . وقيل معرفه النفس مالها وما عليها عملاً وقيل الفقه هو التصديق بأعمال المكلفين التي تقصد الأعتقاد[1] ، ويدخل في ذلك العبادات والمعاملات والأحكام بأنواعها القضائية والجنائية من الحدود والقصاص والفرائض وكل هذه الأنواع .

من التشريع الفقهي وفروعه واحكامه متآصله في ذاتيه مالك الأشتر واقتباسه من احكام القرآن الكريم والسنه النبويه الشريفه لأنه صحب الخلفاء الراشدين واصحاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واخذ الكثير من العلوم وانزلها على الواقع الملموس التطبيقي .

مما زاده الماماً وتفقهاً في الدين الأسلامي واناره الحق وصراحتهُ التي ترك اثرها في الناس الذين كان يعمل معهم ، فمالك الأشتر من المتفقهين في كتاب الله وهو لا يخاف الحق لومه لائم .

فأن مالك الأشتر له الأثر الفعال فيها فهو من جماعة القراء في الكوفة وله الخبره الكافية في مجال الفقه .

ان الدليل على ذلك ان الأمام علي كرم الله وجهه كتب الى مالك الأشتر عهداً هو من ابلغ العهود وهو دستور عظيم بقي اثرهُ الى الوقت الحاضر ولم يتضمن في هذا الدستور الأحكام الفقهية ؛ انما نص أحكام سياسية وإدارية وكيفية تسيس الشعب والتعامل مع الناس والتجار والمزارعين وأهل الذمة وقال له لم أوصيك لأكتفائي برأيك .

وبهذا فأن مالكاً الأشتر كان له اطلاع واسع وعميق في مجال الفقه وهناك دليل أخر

---

1) الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد : ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ، تحقيق احمد عزو عناية (ط 1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2003م) ، ج 1 ، ص 17، 18.

هو ان الأشتر في فتوح الشام ، عندما صلى شرحبيل بن الصمت بجماعته وهم على ظهور الخيل نزل الأشتر وصلى ، فأنكر عليه ذلك فقال : ان الصلاة على ظهور الخيل لشدة الخوف وليس للخوف وذلك عندما يكون العدو محاطاً تماماً بهم وهو اجتهاده في الفقه وهو الأصح والأوزاعي يأخذ بهذا في طلب العدو[1] .

وللأشتر صحبه مع الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وبالأخص صحبته مع الامام علي عليه السلام الذي أخذ منه الكثير ، وهو تلميذه الذي لم يفارقه ، وكان يسأله عن كل صغيرة وكبيرة . ولقد سأله ذات مره كما جاء في البيان والتبين للجاحظ قائلاً:

كيف وجد أمير المؤمنين أمرأتهُ ؟

- قال الأمام : كالخير من النساء الا انها قباء(*) .

- مالك : وهل يريد الرجل من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين ؟

- الامام : لا يا مالك حتى تدفئ الضجيع وتروي الرضيع[2] .

ومن يسأل عن هذه المسأله الحساسة والدقيقة ، فانه يسأل عن غيرها من الأحكام والعبادات والمعاملات وغير ذلك من المسائل الفقهية وهذا من المؤكد . ولقد رشح الامام علي عليه السلام مالك الأشتر قاضياً وحاكماً بين أهل الشام وأهل العراق في وقعة صفين ، وانه لا يرشح قاضي الا من له الخبرة والتعمق في قرأه القرأن والسنه النبوية واستنباط الاحكام وهذه شهادة قاطعة للأشتر في الفقه الأسلامي .

2- علم الحديث :

والحديث هو السنه النبوية من قول وفعل وتقرير للرسول محمد صلى الله علية وسلم .

والسنه في اللغة : هي الطريقة المسلوكة وأصلها من قولهم سنه الشيء بالمسن اذا أمررته عليه يؤثر فيه سناً أي : طريقاً ، وقال الكسائي معناها الدوام فقولنا : سنه معناه الأمر بالأدامه من قولهم سنه الماء اذا واليت في صبه .

ومعناها في الاصطلاح : هي قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره وتطلق بالمعنى العام على الواجب وغيره في عرف أهل اللغه والحديث واما في عرف أهل الفقه فأنهم يطلقونها على ما ليس بواجب .

والسنه اصطلاحاً : هي ما يرجع جانب وجوده على جانب عدمه ترجيحاً ليس معه المنع من

---

1) العسقلاني : تهذيب التهذيب ص 355.

*) القباء : دقيق الخصر ضامرة البطن.

2) الجاحظ ، ابي عثمان عمر بن بحر بن محبوب : البيان والتبين ، تحقيق حسن السندولي ؛ (ط 3، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة 1366 – 1947) ، ص 73

القبض[1] .

وللأشتر في رواية الحديث من الثقاة وأخذ الحديث من الصحابه وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وروي عنه ، مما يدل على ان مالكاً الأشتر من الموثوق بهم في رواية الحديث والذي يعتمد عليهم ، في ذلك وهو قد التزم الجانب الفعلي للسنه النبويه حيث اخذها من معينها وهم صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لابد له ان يدخل في مدرسه ثقافية اسلامية قد ارسى اسسها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وات بناءه خلفاءه من بعده .

ومالك الأشتر كثير الالتصاق بالأمام علي كرم الله وجهه واخذ منه الكثير ولزمه في مشاهده كلها ولابد انه قد درس الفقه على يديه واخذ العلم من افكاره حيث كان عليه السلام يقول سلوني قبل ان تفقدوني .

ولابد لمالك انه كان يسأل واسألته كانت فقهيه وذات سمه دينينه مما يدل على انه استفاد من هذه الصحبه واخذ الكثير من العلوم وطبقها في حياته اليوميه وفي ميادين القتال واخذ يوصي بها اهله وجنوده ومن يستطيع ان يصل اليهم بأمرته . ومالك الأشتر من اقرب الناس الى الأمام علي كرم الله وجهه ويعتبر مستشاره ورئيس اركان حربه .

ولقد ايد ذلك كثير من المؤرخين في المصادر الأساسية التاريخية الأوليه كالطبري والمسعودي واليعقوبي وابن الجوزي ونصر بن مزاحم ومما جاء في تاريخ الكامل لأبن الأثير حيث يقول ...

كان الأشتر قد روى الحديث عن عمر وعلي وخالد بن الوليد وأبي ذر وروي عنه وقال الحافظ العسقلاني في الأصابه ، روي عن الأشتر أبنه أبراهيم وأبو احسان الأعرج وكنانه مولى صفيه وعبد الرحمن بن يزيد النخعي وعلقمه وغيرهم وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين[2]

وما جاء في تهذيب التهذيب للعسقلاني ما نصه ((مالك بن الحارث ابن مسلمه بن ربيعه بن الحارث بن جذيمه بن مالك بن النخع النخعي الكوفي المعروف بالأشتر أدرك الجاهلية وروي عن عمر وعلي وخالد بن الوليد وأبي ذر وأم ذر ، وعنه أبنه ابراهيم ، وأبو حسان الأعرج ، وكنانه مولى صفيه وعبد الرحمن بن يزيد ، وعلقمه بن قيس ، ومخرمه بن ربيعه النخعيون ، وعمرو بن غالب الهمداني وذكره بن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة ...))[3] .

ثم قال : وكان [أي الأشتر] من اصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين وشاهده كلها ، ويقول العسقلاني في تهذيب التهذيب ، ان نعاه الى قومه عند وفاته وأثنى عليه ثناءً حسناً . الى

1.) الشوكاني : ارشاد الفحول ، ج 1 ، ص 95 - 96 .
2.) ابن الأثير : الكامل 3 / 141 .
3.) العسقلاني : الاصابه 3 / 482 .

ان يقول وقال مهنا سألتُ أحمد عن الأشتر يروى عنه الحديث قال لا ولم يرد أحمد تضعيفهُ ، وانما نفي ان تكون له رواية[1] .

ولقد مر سابقاً عن رواية مالك الأشتر لحضوره وفاة ابا ذر الغفاري رضي الله عنه في وكيفيه دفنه وشهاده الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم على حضوره من يدفن أبا ذر (جماعه من المؤمنين) منهم مالك الاشتر .

وما قال ابي سعد في الطبقات ((ان مالكاً الأشتر روى عن خالد بن الوليد انه كان يضرب الناس على الصلاة بعد العصر ...))[2] .

علم الكلام والفصاحة :

والفصاحة في اللغة : رجلُ فصيح وكلام فصيح أي بليغ ، ولسان فصيح أي طلق ويقال : كل ناطق فصيح وما لا ينطق فهو اعجم وفصح العجمي جادث لغته حتى لا يلحن وباب الكل ظرف ... وأفصح العجمي اذا تكلم بالعربية [3] .

وهذا ما قاله الرازي عن الفصاحة في علم الكلام ، ومالك الأشتر ، عاش في بدايه حياته في الصحراء ، بين أهله وقومه ، الذين فطروا على فصيح الكلام وعلى قول النثر والشعر على السليقه ، وما المعلقات السبع التي علقت على الكعبة وكتبت بماء الذهب الا دليلاً مهماً على تعلق العرب بمبدأ الكلام ووضعوا له اسس مهمه لأجل المناروه في الكلام والتفنن في أصوله ومبادئه فمنهم الخطيب المفوه والشاعر الصقع والبليغ المتكلم .

ومالك الاشتر من فحول الشعراء كما تقدم ومن خطباء العرب قد دخل الاسلام فطرز خطبه وأشعاره بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية مما زاد في شعره حبكةً وتألقاً ورونقاً وقد سبك أشعاره سبكاً وكان يلقي ذلك على السليقه دون مبالغة او تردد فهو يبرز لخصمه ثم يلقي عليه اراجيزه الشعرية وكلها فخر وتقطر حماسه مما يربك قرينه ، بصياحه وبوجهه كزئير الأسد ، فيدخل الرعب والخوف في جنبات الأبطال والشجعان ويولي غيرهم منه الأدبار .

ومالك الأشتر أخذ من بلاغة الأمام علي كرم الله وجهه ما شاء الله له ان يأخذ حيث انه صحبه، حتى كان اقرب الناس اليه ، وطالما أمام وهو يلقي دروسه وخطبه التي كانت من أبلغ الكلام .

ولقد مر علينا سابقاً قسماً من خطبه وشعره ، ولا يحتاج الى ذكرها في هذا المجال لعدم التكرار .

رابعاً : شيوخ مالك الأشتر :

ان من خلال سيرة مالك الأشتر وما جاء في الفصول السابقة ، انه في عهد الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه هاجر من اليمن الى المدينة المنورة ونزل في دار الأمام علي عليه

---

1) العسقلاني : تهذيب التهذيب 354.
2) ابن سعد : الطبقات ، ج 8 ، ص 331 .
3) الرازي : مختار الصحاح ، ص 504 ؛ الزمخشري ، (محمود بن عمر بن محمد) : اساس البلاغة ، (ط1 ، الأسكندرية ، دون تاريخ) ، ج 2 ، ص 112 .

السلام كما قال الواقدي .

ومن ينزل في دار الهجرة فهو يعتبر من الأصدقاء المقربين ويستنتج الباحث بأن هناك معرفه قديمه لمالك الأشتر مع الأمام علي عندما كان الأمام والِ في اليمن ولقد توثقت هذه المعرفة الى صداقة حميمة فيما بعد وبهذا يكون اول معلم له هو الأمام علي وليس بالبعيد ان يكون قد اسلم على يديه واخذ عنه تعاليم الأسلام من الكتاب والسنه .

ولقد اشترك مالك الأشتر في حروب الرده مجاهداً في سبيل الأسلام وقتل أبا مسيكمه الأيادي المرتد بيده وتشرفت عينيه بمصافحة السيف في هذه الوقعه على قول اسامة بن منقذ كما تقدم .

ثم ان مالكاً كانت له شبه صحبه مع أبي بكر الصديق ولكنها كانت قصيرة لأرساله الى جبهات القتال مع الروم وشهد له بالكفاءه والمقدره والا كيف يشهد له بذلك كما تقدم ان لم يختبره .

ومن شيوخ مالك الأشتر صحبته لابي عبيدة بن الجراح أمين الأمة رضي الله عنه في فتوح الشام وأخذ منه الكثير وقال له ابو عبيده انك يا مالك خليق لكل خير . وصاحب مالك الأشتر خالد بن الوليد الرجل الشجاع والقائد المحنك وروى عنه وشهد له خالد بأن مالك يعد بألف فارس.

وحضر مالك الأشتر خطبه الجابيه للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصحبه وان كان عنه بعيداً مشغولاً في الجهاد في فتوح الشام والعراق الا انه التقى به مراراً وروى عنه ويعتبر من شيوخه .

ان استاذه الذي تعلم منه الكثير واخذ عنه البلاغة والفقه والحديث وروى عنه وصحبهُ في جميع مواقفه على قول المصادر الأساسية الأوليه والتي مر ذكرها هو الأمام علي عليه السلام ، فلقد استفاد منه وأخذ من حكمته وبلاغته وشجاعته الشيء الكثير سواء أكان في السلم أم الحرب ، ومر بنا انه كان يسأله عن أدق الأمور وأصغرها . فكان نعم التلميذ لخير الشيوخ .

وتلقى مالك الأشتر عن أستاذه الأمام علي عليه السلام كتاب العهد الذي يعتبر من أبلغ العهود ، ودستوراً حياً يحتذى به الى اليوم ، وقد شرح هذا العهد الكثير من المستشرقين فضلاً عن الكتاب العرب والمسلمين وسوف يتطرق الباحث الى عرضه في حينه .

المبحث الثالث

أمارة الأشتر على مصر ومقتله ورثائه وموضع قبره

في هذا المبحث سوف يتناول الباحث عده محاور هي أماره مالك الأشتر على مصر ، ومقتله والأختلاف فيه ورثائه وما قيل فيه وموضع قبره .

أولاً : أماره مالك الأشتر على مصر

لقد تحدثت المصادر الأولية الاساسية وكذلك المراجع عن توليه مالك الأشتر على مصر ، وما هي الأمور التي رافقت هذه الولايه ، وهل وصل الأشتر الى ولايته او انه قضى نحبهُ قبل الوصول اليها ذلك ما سوف يلقي الباحث عليه الضوء من خلال هذه الدراسة .

وعندما انقلبت مصر على محمد بن ابي بكر الصديق ، قال الأمام علي عليه السلام ليس لمصر الا احد الرجلين : اما قيس بن سعد بن عباد واما مالك الأشتر ، وذلك لأهمية هذه الولاية من الناحية الجغرافية المتاخمه لحدود الشام اولاً ولأهميتها المالية من حيث الخراج وكذلك الأجتماعيه ثانياً .

ومما قاله اليعقوبي بأن محمد بن أبي بكر لم يستطع القضاء على الفتن في مصر وانها انقلبت عليه ، وان أهل الشام يستعدون لغزوها ، كتب الى مالك الأشتر وهو لازال في ولايته في الجزيرة الفراتيه ان يوافيه وجهزه وارسله الى مصر وكتب الى أهل مصر ((اني بعثت اليكم سيفاً من سيوف الله ، لا نابي الضريبه ولا كليل الحد ، فأن استنفركم فانفروا ، وقد أثرتكم به على نفسي ، وان أمركم بالمقام فأقتحموا فأنه لا يقدم ولا يحجم الا بأمري ، وقد أثرتكم به على نفسي ...))[1] .

لو استقرءنا هذا الكتاب لوجدنا فيه الكثير من المدح والأقراء على شخصية مالك الأشترحيث يعتبر ثقه متناهية عند الأمام علي عليه السلام فأن مالك لا يعمل أي الا بموافقته وعند رأيه فهو لا يقدم ولا يتأخر الا عند الضروره التي يعرف بأنها تلائم أفكاره ومعتقداته .

ولو تم تحليل هذا الكتاب لوجدنا ان فيه كثير من الأرشادات التي أثارها الأمام علي كرم الله وجهه لمالك الأشتر انه سيف من سيوف الله .

وان هذا السيف لا يخطئ في ضرابه ومقاتلته وانه مصقولاً يصيب الأعداء ، ويخاطب الأمام أهل مصر ، بالطاعة الكاملة لمالك في حالة الحرب والأقامه حيث ان أوامره أوامر الأمام وانه لا يتقدم الا بأمره ، وقال لهم في الكتاب ، اني محتاج الى هذا الرجل ولكني فضلتكم على نفسي ، وهذه شهادة كبيرة لمالك . وما قاله المسعودي في مروج الذهب ((وولى علي الأشتر مصر وأنفذهُ أيها في جيش ...))[2] .

ولقد ذكر أين الحديد كتاب الأمام علي الى أهل مصر وفيه زيادة في المقدمة يقول ((أما بعد فقد بعثت اليكم عبداً من عباد الله ، لا ينام ايام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع ، أشد على الكفار من حريق النار وهو مالك بن الحارث ...))[3] . ثم يورد ما جاء في تاريخ اليعقوبي والذي لم يأتي في تاريخه .

وينقل الطبري بقوله عندما فسدت مصر على محمد بن أبي بكر ، قال علي عليه السلام مالها الا احد الرجلين قيس بن عبادة او مالك الأشتر ، فأرسل الى مالك الأشتر وهو والٍ على الجزيرة الفراتية وكتب له هذا الكتاب ((أما بعد فأنك ممن استظهرتهُ على اقامة الدين ، وأقمع به نخوة الأثيم ، وأشد به الثغر المخوف ، وقد كنتُ وليتُ محمد بن ابي بكر بلاد مصر فخرجت عليه

) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ص 1.135
) المسعودي : المروج 2/ 537 .2
) نهج البلاغة : ابن الحديد 16 / 3.123

لها خوارج ، ... فأقدم علي للنظر في ذلك فيما ينبغي ... والسلام عليك)) [1] .

وتحليل هذا الكتاب ، ما ظهر من قيمه كبيرة لمالك الأشتر عند الأمام علي عليه السلام وهو الذي يعرف معدن الرجال ، ولقد خبره وادخله في امتحان كبير في كثير من الوقائع ولقد نجح الأشتر بأمتياز وبهذا جاء الكتاب طافحاً بالشهادة للأشتر بهذه الكلمات .

الأستظهار بمالك على ادامة الدين الأسلامي بما له من الشجاعة والبطولة وقوة الأيمان والقمع لتجمع العدو الأثيم ، فأن الأشتر سوف يجاهد من أجل مكافحة الأعداء بكل قوة .

ويسد به الثغر المخوف ، ومالك كان السور المنيع في الثغور المتاخة لأهل الشام في الجزيرة الفراتية ، وهذا سر وجوده هناك ، والحقيقة ان مصر صارت مهددة وبقوه ويقول فلابد لها من بناء سور من البطولة والشجاعة وهو مالك .

ويأتي الأشتر ويجتمع بالأمام علي عليه السلام الذي زوده بحزمة من النصائح وكتب له عهداً هو من أبلغ العهود وقال له سر يا مالك يرحمك الله انما لم أوصيك لاكتفائي برأيك .

اما البلاذري في كتابه أنساب الأشراف فيقول قال علي عليه السلام ((... ما لمصر الا احد هذين الرجلين فكتب الى مالك الأشتر : انك ممن استظهر به على اقامة الدين وأقمع ببأسة ونجدته نخوة الأثيم ، وأسد به وبحزم رأيه الثغر المخوف واخبره بأمر ابن ابي بكر وشرح له ، وأمره ان يستخلف على عمله بعض ثقاته ويقدم عليه ففعل فولاه مصر))[2] .

وبذلك فأن الكتاب يتضمن نفس المعاني مع اختلاف في بعض الألفاظ والظاهر ان اختلاف النقل حسب ما جاء في المخطوطات .

واما الثقفي في كتابه الغارات فانه يذكر ما قاله الأمام علي عليه السلام ما لمصر الا احد الرجلين قيس بن سعد او مالك الاشتر وارساله الى مالك وكتب الى مالك الكتاب المذكور واستخلف مالك على عمله شبيب بن عامر الأزدي وعندما دخل الأشتر على الأمام علي عليه السلام شرح له أمر مصر وقال له ((ليس لها غيرك اخرج لها رحمك الله فاني لم أوصيك اكتفيت برأيك ، واستعن بالله على ما اهمك واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ ، واعتزم على الشدة حين لا يغني عنك الا الشدة)) وخرج الاشتر الى مصر [3] .

ولقد ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين وفيه زيادة على ما تقدم فهو يقول وكتب له [أي الأشتر] كتاباً الى أهل مصر يقول فيه ((أما بعد فأني قد بعثت اليكم عبداً من عباد الله لا ينام الخوف ولا يغفل عن الاعداء حذار الدوائر ، لا ناكل من قدم ولا واهن في عزم من اشد عباد الله بأساً واكرمهم حسباً أضر على الكفار من حريق النار ، وابعد الناس من دنس وعار وهو مالك بن الحارث الأشتر حسام صارم لا نابي الضريبة ولا كليل الحد حليم في السلم ، رزين في الحرب

---

1) الطبري : 3 / 295 ؛ ابن الأثير 3 / 178 ؛ ابن كثير 7 / 311

2) البلاذري : انساب الأشراف ص 167، 168 ؛ ينظر العسقلاني : تهذيب التهذيب ص254.

3) الثقفي : الغارات ص164-165 ؛ ينظر طبقات ابن سعد ، ص332 ؛ ينظر فتوح البلدان ص229 ؛ ينظر الاصابه 3 / 3459

ذو راي أصيل وصبر جميل فأسمعوا له وأطيعو أمره فأن امركم بالنفر فأنفروا وان أمركم ان تقيموا فأقيموا فأنه لا يقدم ولا يحجم الا بأمري وقد أثرتكم به على نفسي نصيحة لكم وشدة شكيمه على عدوكم وعصمكم الله وثبتكم بالتقوى ووفقنا واياكم لما يحب ويرضى والسلام))[1] .

والحقيقة ان الكتاب قد فصله الجاحظ ولم يحذف منه مع اختلاف في اللفظ ومطابقة في المعنى، وهو دليل قاطع على مدى محبه وتقويم .

قام مالك الاشتر من قبل الامام علي عليه السلام مما يقطع الطريق أمام الناقدين له والذين نصبوا له العداء وهذا في كل شخصية عظيمة مالها وما عليها . ومما قاله الكندي في كتابه ولاة مصر ((ثم وليها [أي مصر] الاشتر مالك بن الحارث النخعي من قبل امير المؤمنين على فسار اليها حتى نزل القلزم مستهل رجب سنه سبع وثلاثين))[2] .

وهذا التاريخ في الحقيقة هو محل اختلاف فيه مما سوف يوضحه الباحث في مناسبه وفاة الاشتر .

واما ابن تغري في كتابه النجوم الزاهرة يتفق على ما قبله من المصادر الأولية في قول الأمام علي ما لمصر الا احد الرجلين قيس او الاشتر ، وكتابه الى الاشتر يستدعيه فيه ويقول ((سلام عليك يا مالك فأنك ممن استظهرتك على اقامة الدين ... فاقدم علي لتنظر في ذلك كما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من اصحابك والسلام))[3] .

فاقبل الأشتر على الأمام علي واجتمع به واخذ منه حزمه ً من الوصايا والاوامر وكتب هي في غاية الاهمية منها الكتاب الى أهل مصر السابق ذكره وكتاب العهد ، وتهيأ للخروج الى مصر.

ان من يخضع هذا الكتاب الى التحليل والملاحظة العلمية بالمنهج العلمي لوجد ان في طيات هذا الكتاب المجمع عليه في المصادر الاساسية التي له والتي عليه فيه الكثير ، من التأملات والتوقعات ، ولا يمكن للباحث ان يقوم بتحليلها بهذا السفر السريع ولكن ما فيها من أسطر بلاغية توحي بأن كاتبها الامام علي عليه السلام كان لمالك عنده مقاماً عظيماً وصحبه كبيرة ، وله في نفسه مكانةً قلما يكتبها لغيرة فهو الذي يظهر به الدين ويدفع به العدو الأثيم فهو اذن هو السور المنيع للخلافة الاسلاميه الشرعية .

ولملم مالك الأشتر أشيائه ويركب رحله شطر عمله الجديد مستصحباً من وصايا وكلمات الأمام علي عليه السلام ما استطاع ، ويحمل بين جنبيه قلباً صلداً لا يعرف الكلل والملل ، من الثبات ما لا يمكن الا لمثله من الرجال .

ومن الكتاب المحدثين عبد الفتاح في كتابه المجموعة الكاملة فأنه يذكر قدوم الاشتر من عمله في على الأمام علي عليه السلام وتزويد الكتاب المذكور الى أهل مصر ورحيله اليها بقوله

---

1) الجاحظ : البيان والتبيين ، ص73 .

2) الكندي : محمد بن يوسف الكندي : ولاة مصر تحقيق حسين نصار ، (ط 1 ، دار صادر ، بيروت بدون تاريخ) ، ص46

3) ابن تغري : النجوم الزاهرة ص136.

((وأنطلق الاشتر من الكوفة بعد مقدمه عليها من نصيبين يطبع معالم قدميه أديم الصحراء في طريقه الى مصر ، ليلتحق فيها بعمله الجديد لكن الرمل لم يحفظ سره ولا أمتص من وقع خطاه...))[1] .

وهكذا يتوجه الى الأشتر الى عمله في مصر بكل أطمئنان وكأنه يذهب الى نزهة وليس الى ما لا يعلمه الا الله تعالى .

ثانياً : وفاته وأسبابها

وبعد ان يقطع مالك الأشتر المسافة الطويلة طاوياً أياها بعد خروجه من الكوفة يصل الى ارض مصر منهم من يقول وصل الى القلزم ومنهم من يقول وصل الى العريش ويبقى الخلاف بينهم قائماً وسوف يأخذ الباحث بأقوى الأحتمالات مما يلائم التحليل العلمي والاستقراء .

ولقد اختلفت المصادر التاريخية في وفاته منهم من قال مات حتف انفهُ ومنهم من قال سقي سماً من قبل معاوية ومنهم من قال قتل في معركة بعد وصوله الى العريش في مصر ، وهكذا هم الرجال الخالدون ، يختلف فيهم من يختلف ويأتلف فيهم من يأتلف.

أختلفوا في نسبه من قال من أياد منهم من قال من مذحج ، واختلفوا في مكان وفاته هل في القلزم ام في العريش واختلفوا في تاريخ وفاته في 37 هـ ، 38 هـ ، 39 هـ .

واختلفوا كذلك في موقع قبره في بعلبك ام في المدينة المنورة أهو في القلزم ام في العريش .

وسوف يلقي الباحث الضوء على أقوى الأحتمالات .

يقول البلاذري في أنساب الاشراف ((واتت معاوية عيونهُ بشخوص الأشتر والياً على مصر ، فبعث الى رأس اهل الخراج بالقلزم فقال له : ان الاشتر قادم عليك ، فأن انت لطفت بكفايتي اياه ، لم أخذ منك خراجاً ما بقيت ، فأحتل له ما قدرت عليه))[2] .

ويمضي البلاذري في قوله ((... فخرج الأشتر حتى اذا اتى القلزم وكان شخوصه من العراق في البحر استقبله الرجل فأنزلهُ واكرمهُ وأتاهُ بطعام فلما اكل قال له : أي الشراب أحب اليك ايها الأمير؟ قال : العسل فأتاه بشراب منه قد جعل فيها سماً فلما شربها قتلته من يومه او من غده))[3]

وقال البلاذري لما بلغ معاوية وفاة الأشتر قال : كانت لعلي يدان قيس والاشتر فقد قطعنا احدهما ، وجعل يقول ان لله من عسل وما قاله البلاذري أيضاً ((وجه علي الأشتر الى مصر والياً عليها من أمر أين ابي بكر فلما وصل بعين شمس شرب شرابه من عسل يقال انه سم فيها فمات فكان عمرو بن العاص يقول : ان لله من عسل))[4] .

---

1) عبد الفتاح ، عبد الموجود : المجموعة الكاملة الأمام علي بن ابي طالب ؛ (ط 1 ، مؤسسه المختار ، القاهرة) ، ص284، ينظر الخضري : الدوله الأمويه ، ص 373 .

2) البلاذري : انساب الأشراف ص168 ، ص168.

3) المصدر نفسه ، ص 168 .

4) المصدر نفسه ، ص168 .

ولقد كتب الأمام علي كرم الله وجهه كتاباً الى محمد بن أبي بكر بعد وفاة الأشتر يقول فبه ((اما بعد فأني لم أولَ الأشتر عملك لك في الجهد ولا لأمرك في الجد ، ولو نزعت ما نحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤنه ، واحب اليك ولاية منه ، وان الرجل الذي وليته أمر مصر ، كان لنا نصيحاً ، وعلى عدوك وعدونا شديداً ، فقد استكمل أيامه ولاقى ونحن راضون عنه ...))[1] .

ولقد اورد ابن ابي الحديد في نهج البلاغة كتاب الامام علي الى أهل مصر ثم انه علق على الكتاب وشرحه شرحاً مفصلاً وما قاله ((ثم وصف الاشتر بما وصفه به ومن قوله (لا ينام ايام الخوف) قولهم لا ينام ليله الخوف ... وأمرهم ان يطيعوه فيما يأمرهم به فيما يطابق الحق))[2].

وما قاله ((كان الأمام علي يصول على الأعداء بالأشتر ويقوي أنفس جيوشه بمقامه بينهم فلما بعثه الى اهل مصر كان مؤثراً لأهل مصر به على نفسه ، وهو قوله ((أثرتكم به على نفسي))[3] واما قاله ابي الحديد ((ومات الاشتر سنه تسع وثلاثين متوجهاً الى مصر والياً عليها لعلي عليه السلام قيل سقي سماً وقيل لم يصح ذلك ، وانما مات حتف انفه))[4] .

واما اليعقوبي فأنه يذكر الكتاب الموجهه الى أهل مصر من الأمام علي الأنف الذكر ثم انه يقول ((فلما ابلغ معاوية ان علياً قد وجه الاشتر عظم عليه ، وعلم ان أهل اليمن اسرع الى الأشتر منهم الى كل احد ، فدس له سماً فلما صار الى القلزم من الفسطاط على مرحلتين نزل منزل رجل من أهل المدينة وقام بحوائجه ثم أتاه بعقب فيه عسل قد صب فيه سماً فسقاه أياه فمات الأشتر بالقلزم وفيه قبره وكان قتله وقتل محمد بن ابي بكر في سنه 38 هـ))[5] .

وقال اليعقوبي ((لما بلغ علياً قتل محمد بن ابي بكر والأشتر جزع عليهما جزعاً شديداً وتفجع وقال ((على مثلك فتبكي البواكي يا مالك وآنى مثل مالك ...))[6] .

وما جاء في الطبقات الكبرى لأبن سعد ان الأشتر ولاه الأمام علي على مصر فلما خرج اليها ووصل العريش فشرب شربه عسل فمات .

وقال ابن خياط في تاريخه ((في سنه 38 هـ فيها ولي الأشتر مصر فمات بالقلزم قبل ان يصل اليها))[7] .

واما الطبري فأنه أخذ هذا الجانب بشيء من التفصيل فهو ذكر كتاب الأمام علي كرم الله وجهه الى مالك وحضوره الى الكوفة ومداولته واياه حول توليه على مصر وكتاب الأمام المذكور

---

(1) المصدر نفسه ، ص168-169
(2) ابن ابي الحديد : نهج البلاغة 16 / 134
(3) المصدر نفسه 16 / 135 ، 15 / 77
(4) المصدر نفسه ، نفس المكان
(5) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص 135
(6) المصدر نفسه ص135
(7) ابن سعد : الطبقات ، ص332-333

سابقاً الى أهالي مصر ويقول له ((واني لو لم أوصيك اكتفيك برأيك ، واستعن بالله على ما أهمك واخلط الشدة باللين ...)) .

وذكر الطبري خروج الى الأشتر ووصوله الى القلزم واستقبله (الجابستار)[1] .

والذي طلب منه معاوية بالتحايل على الأشتر ولم يأخذ منه الخراج ما بقي ، ونزل الاشتر في القلزم وسقاه الجابستار السم في العسل فلما شربه مات .

وكان معاوية يقول لاهل الشام ان الأشتر توجه الى مصر فأدعو الله عليه ان يكفيكموه .

ولما خبره الجابستار بموت الاشتر قال معاوية كانت لعلي عينان احدهما قطعت في صفين يعني عمار بن ياسر وقطعت الأن الثانية وهو الاشتر .

ويذكر الطبري كتاب الأمام علي الى محمد بن بكر عند وفاة الأشتر وهو قد سبق ذكرهُ ويزيد فيه الطبري ((ان الرجل الذي كنت وليته مصر كان لنا نصيحاً ... ونحن عنه راضون ، فرضي الله عنه ، وضاعف له الثواب وأحسن له المأب ...))[2] . وكان ذلك في سنه 38 هـ .

ويؤيد ابن الأثير ما جاء في تاريخ الطبري وبنفس المعنى وان اختلف في بعض اللفظ ويورد كتاب الأمام الى الأشتر يطلب حضورة الى الكوفة وكذلك كتابه الى أهل مصر وما فيه من الثناء على الأشتر وكتاب الأمام الى محمد بن ابي بكر يقول فيه ((لقد بلغني موجتك من تسريحي الأشتر الى عملك ... ان الرجل الذي ولايته مصر كان لنا نصيحاً ... ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب))[3] .

ويقول ابن الأثير ما جاء في تاريخ الطبري من استقبال الجابستار للأشتر وسقيه له العسل المسموم بأمر معاوية وموت الاشتر ، وقول معاوية عند بلوغه الخبر ، ان لعلي عينان وقعت الأولى في صفين وهو عمار بن ياسر وقعت اليوم الثانية وهو مالك الاشتر ، ويقول ايضاً لما بلغ علياً موت الأشتر قال : لليدين والفم ، وكان قد ثقل عليه لأشياء نقلت عنه ، وقيل انه لما بلغه مقتلهُ قال : ((انا لله وانا اليه راجعون مالك ، وما مالك وهل موجود مثل ذلك ؟ لو كان من حديد لكان قيداً او من حجر لكان صلداً على مثله فلتبكِ البواكي ، وهذا أصح لأنه لو كان كارهاً له لم يوله مصر ...))[4] .

وابن الأثير اكثر موضوعيه حيث ان صحح عبارة (لليدين والفم) وأشار الى القول الفعل الصحيح في رأي الامام علي عليه السلام من الأشتر مما سوف يوضحه الباحث سلفاً .

واما الكندي في كتابه ولاة مصر فيذكر وفاة الأشتر بعد تناوله عسلاً مسموماً في مستهل رجب سنه سبع وثلاثين (37 هـ) وهذا غير صحيح لأن وقعه صفين سنه (37 هـ) والأشتر اشترك فيها بأجماع المصادر التاريخية الاساسية وهذا يخالفهم جميعاً .

) خليفه : تاريخ الخليفة ص1174

) الطبري : تاريخ الطبري 3 / 295 ، 296 .2

) ابن الأثير : الكامل 3 / 3.138

) المصدر نفسه ، ص 3 / 188 .4

والكندي يقول ان الأشتر نقل على الأمام علي ، وأشار عليه عبد الله بن جعفر ان يوليه مصر فلما بلغه موته قال (لليدين والفم) .

ولكن هذا النقل يخالف العقل ولا يصمد أمام البحث العلمي من نواحي عديدة منها ان عبد الله بن جعفر هو أخ غير الشقيق لمحمد بن ابي بكر ، فكيف يطلب من عمه ينحيه أخاه وتوليه أخر مكانه ، والثاني هل يجوز توليه من يبغضه الأمام علي عليه السلام علي بولاية عظيمه مثل مصر . ثم ان الأمام علي عليه السلام لا يراهن ولا يخادع فهل يغدر بصاحبه المخلص الذي وقف معه وحيداً في صفين وعينه قاضٍ يفصل بين جيشين . لا يمكن ذلك ويترفع الأمام علي عليه السلام عن ذلك .

وهل يشمت بمالك العدو والصديق في وقت واحد .

ثم ان الكندي يستدرك ذلك فيورد ما تجمع عليه المصادر التاريخية بقوله ((عن علقمة بن قيس: دخلت على علي في نفر من النخع حين هلك الأشتر فلما رأني قال لله مالك : لو كان جبلاً لكان من جبل فندى ولو كان من حجر لكان صلداً ! على مثل مالك فلتبكِ البواكي : فهل موجود عمل كمالك ؟ فو الله ما زال متلهفاً عليه ومتأسفاً حتى رأينا انه المصاب دوننا))[1] . وذكر ان موته في القلزم .

ويأتي ابن تغري براويات متناقضة حول وفاة مالك الأشتر فهو بعد ان يؤكد ولايته على مصر ووصوله الى القلزم وقتله بالسم من قبل (جابستار) بأمر من معاوية يقول ما قاله الكندي مفي رواية ابو اليقضان من ثقل الأشتر على الأمام علي عليه السلام رغم ان الأشتر كان شديد المحبة له ولذلك طلب منه ابن أخيه عبد الله ابن جعفر يرسله الى مصر ليتخلص منه .

ثم يذكر كتاب الأمام علي الى مالك ومدحة في كتابه الى أهل مصر ، ورضي الأمام عليه السلام عليه ومدحه له . ويقول مات الاشتر مسموماً سنه 37 هـ او سنه 38 هـ في رجب وكان الاشتر شجاعاً مقداماً ..[2] .

اما الجاحظ في البيان والتبيين فأنه يذكر توليته مالك الأشتر على مصر وتأبطه دستوراً للحكم هو من أبلغ ما وضع في اساليب الحكم ، ويذكر نص الكتاب الذي كتبه الى أهل مصر ثم يقول : ((وكان معاوية لما بلغه توليتهُ على مصر اضطرب وخاف ان تمكن منها حال بينه وبين مطامعه فيها فأعد له من يسقيه السم في طريقه اليها فكان ما كان ومات (رحمه الله) مسموماً قبل دخوله مصر سنه 37 هـ / 657م .

وابن كثير يذكر وفاة مالك الأشتر بالسم الذي وضعه الرجل له بالعسل بأمر معاويه وهو يقول: ان معاويه يستحل قتل الأشتر لأنه من قتله عثمان رضي الله عنه .

ثم يذكر بأن أهل الشام فرحوا فرحاً شديداً بوفاة الأشتر وقالوا : ان لله جنوداً من عسل ، ثم

1.) الكندي : ولاة مصر ، ص 46
2.) ابن تغري : النجوم الزاهرة ص136 وما بعدها.

يقول ان معاويه علم ان الأشتر سوف يمنع مصر عنه لحزمه وشجاعته ، ولذلك دبر له هذه القتله بالقلزم سنه 38 .

ويقول الجاحظ لما بلغ موت الاشتر علياً تأسف على شجاعته وغنائه وبعد سبعه قرون يأتي ابن كثير ويصدر حكمه الغيابي على الأشتر بأنه من قتلةَ الخليفة المظلوم عثمان رضي الله عنه وبدون دليل قاطع او شهود عيان .

والمسعودي هو الأخر في كتابه مروج الذهب يذكر كيفية وفاة مالك الاشتر باسم بعد ان دسهُ له الردهقان في العسل بأمر من معاويه ، وذلك في العريش من سنه 38 هـ وكان الأشتر صائماً فعندما دخل السم الى جوفه تلف [(1)] .

واما الثقفي في كتابه الغارات فأنه يورد هذا الحدث بشيء من التفصيل حيث يقول ان علياً عليه السلام عندما ارسل الى الاشتر وهو في نصيبين فوافاه واجتمع به وسيرهُ الى مصر ، فلما بلغ القلزم رحب به ووقع له السم في العسل بأمر من معاويه الذي كان يدعو أهل الشام للدعاء عليه عقب كل صلاة وعندما بلغ موته قال لأهل الشام الا ترون كيف استجب لكم .

ثم يذكر الثقفي نص الكتاب الذي ارسله الأمام علي عليه السلام الى أهل مصر وكتابه الى محمد بن ابي بكر رضي الله عنه وتاسفه الشديد عليه ، والذي سوف نورده في رثائه [(2)] .

ومن كتاب المحدثين الخضري فهو يذكر مسير الأشتر الى مصر ونص الكتاب الذي ارسله الأمام علي الى محمد ابن بكر ويقول فيه نحن عن الأشتر راضون فرضي الله عنه [(3)] .

اما عمر بن نصر في كتابه معاويه بن ابي سفيان فأنه يورد ما تناقلتهُ المصادر الاساسية وكيفية قتل الأشتر بالسم ، ولكنه يعلق على ذلك فهو يشكك بهذه الروايه جملهً وتفصيلاً ويقول لا يستطيع معاويه ارسال احداً لأغتيال الأشتر لبعد المسافة اولاً ولذكاء معاويه حيث لا يمكن ان يطلب الدعاء عليه ثم يأتي خبر موته فيتلبس بقتله وبذلك فهو ينفي رواية السم بالعسل وهذا رايه.

والعسقلاني في تهذيب التهذيب يروي انه قتل بالسم الموضوع في العسل في القلزم سنه شهر رجب 37 هـ ونعاه علي عليه السلام الى قومه واثنى عليه ثناءاً حسناً .

ثالثاً : رثائه وتأبينه ومدائحه ومن قدح فيه

1- رثائه وتأبينه ومدائحه

لقد أثر وفاة مالك الأشتر واستبان على أهل العراق عامة والأمام علي عليه السلام واصل أهل الاشتر خاصةً فلقد أورد اليعقوبي كما مر سابقاً تالم الامام علي عليه السلام ((لما بلغ علياً قتل محمد بن ابي بكر والاشتر جزع جزعاً شديداً وتفجع وقال علي عليه السلام : على مثلك فلتبكِ

1.) المسعودي : مروج الذهب 2 / 537 .
2.) الثقفي : الغارات ، ص167، وما بعدها ؛ ينظر الخضري : الدوله الأمويه ص375 .
3.) عمر ابو نصر : معاويه بن ابي سفيان وعصره ، (ط 1 ، المكتبه الأهليه ، بيروت ، 1962) ، ص136 ، وما بعدها ؛ ينظر علي ، سيد مير : مختصر تاريخ العرب ، تعريب عفيف البعلبكي (دار العلم للملايين ، بيروت ، 1961) ، ص79 ؛ ينظر الفتنه الكبرى ، طه حسين ، ص131.

البواكي يا مالك وأنى مثل مالك))[1] .

وما قاله ابن ابي الحديد ((كان الاشتر فارساً شجاعاً رئيساً شديد التحقق بولايه أمير المؤمنين عليه السلام ونصره وقال فيه موته : رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم))[2] .

وهذا الرثاء والمدح له من قبل الأمام علي عليه السلام أبلغ من أي كلام فهو جعل الأشتر له كما كان هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث كان الأمام علي عليه السلام بمنزله الراس من الجسد ، وان هذا الكلام يقطع الأقوال التي تشكك بمنزله الأشتر عند الأمام علي كرم الله وجهه.

وذكر الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات بقوله ((حدثني الزبير قال : حدثني المدائني عن ابن الكلبي عن أبي مخنف عن فضيل بن علقمه بن قيس قال : دخلنا على امير المؤمنين علي عليه السلام صبيحه جاء نعي الاشتر فلما نظر الينا قال : رحم الله مالكاً وما مالك ، لو كان من جبل لكان فندا او من حجر لكان صلداً على مثل مالك فلتبكِ البواكي فهل يوجد مثل مالك : قال وما زال يتلهف عليه حتى كأنه المصاب به دوننا))[3] .

وزاد ابن ابي الحديد عبارة ((وكأنه قد مني قدا)) .

وان عبارة كأنه قد مني قدا فهي عبارة بقدر ما تكون فيها من البلاغه والفصاحه الشيء الكثير لغوياً وادبياً فأنها تمثل قمه التأثر واللوعه التي تركها مالك الأشتر في نفسيه الأمام علي عليه السلام حيث انهُ يقول كأن مالك قد قطع من جسمه قطعاً .

ولقد ترك مالك فراغاً كبيراً في حياة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وقد افتقدهُ في كثير من المناسبات والمنازلات وفي الليله الظلماء يفتقد البدرُ وهذا ما قالهُ اعدائهُ ايضاً بأن مالكاً الأشتر كان اليد اليمنى لعلي عليه السلام .

ولقد مر بنا ما جاء في تاريخ الطبري والكامل لابن الاثير ترحم الأمام علي عليه السلام على الأشتر في كتابه لمحمد بن ابي بكر رضي الله عنه .

وما قاله الثقفي في كتاب الغارات ((عن الشعبي صعصعه بن صوحان قال : فلما بلغ علياً عليه السلام موت الأشتر قال : انا لله وانا اليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، اللهم اني أحتسبه عندك ، فأن موته من مصائب الدهر ، فرحم الله مالكاً فقد وفي بعهده ، وقضى نحبه ولقي ربه من اننا قد وطنا أنفسنا على ان نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأنها أعظم المصائب))[4] .

ويضف الثقفي بقوله ((حدثني محمد بن هشام المرادي عن جرير بن عبد الحميد عن مغيره قال: لم يزل أمر علي شديد حتى مات الأشتر وكان الأشتر في الكوفه اسودُ من الأحنف

1.) ابن ابي الحديد : نهج البلاغة ، ص74
2.) ابن بكار ، الزبير : الموفقيات ، تحقيق سامي مكي العاني ، (ط 1 ، مطبعة العاني ، بدون تاريخ) ، ص194 رقم 2107
3.) ابن أبي الحديد : نهج البلاغة ، 2 / 313
4.) الثقفي : الغارات ص169

بالبصره))(2) . وقال الثقفي ايضاً :

((وعن اشياخ من النخع قالوا دخلنا على علي عليه السلام حين بلغه موت الأشتر فجعل يتلهف ويتاسف عليه ويقول لله در مالك : وما مالك ! لو كان جبلاً لكان فندا ولو كان حجراً لكان صلداً اما والله ليهدنَ موته عالماً وليفرحن عن عالماً على مثل مالك فلتبكِ البواكي هل موجود مثل مالك))[1] .

وقال الثقفي : عن علقمه بن قيس ((فما زال علي يتلهف ، ويتأسف حتى ظننا انه المصاب به دوننا ، وقد عرف ذلك في وجهه أياماً))[2] .

ثم ذكر الثقفي :كتاب الأمام علي عليه السلام الى أهل مصر وكتابه الى محمد بن ابي بكر الصديق .

لقد تبين من النصوص المتقدمه ما هي مكانه مالك الأشتر عند الأمام علي عليه السلام ومدى تأثيره بوفاته ، وهذه الكلمات هي تاريخية وموثقه

ولا تحتاج الى تحليل وتفسير ، فهي واضحه وتنطبق عن اللوعه والمصاب الجلل الأليم الذي اصابه الأمام علي كرم الله وجهه قبل أهل مالك ، مما يدل على المحبه والثقه التامه ، وقوله (كان لي مالك كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم) هو اعلى درجات التقويم والذي لا يدانيه مدحاً .

ومما ذكره الكندي في كتابه ولاة مصر قال : قالت سلمى ام الأسود النخعي ترثي مالكاً : [3]

نبابي مضجعي ونبابي وسادي وعيني ما تنم الى رقادي

كأن الليل اوثق جانبـــــــــاهُ واوسطهُ بأمراس شــــدادِ

أبعد الأشتر النخعي نرجـــــــو مكاثرةً ونقطع بطـــن وادِ

اذكرهُ اذا الفوارس مجمحـــــات واضرب حين تختلف الهوادي

ومن قصيدة للمثنى يرثيه :

الا ما لضوء الصبح اسودُ حالك وما للرواسي زعزعتها الكاكا

وما لهموم النفس شتى شؤونها تظل تناجيها النجومُ الشوابــك

على مالك فليبكِ ذو الليث معولاً اذا ذكرت في الفيلقين المعارك

اذا ابتدر الحطي وانتدب المــلا وكان غياث القوم نصر مواشك

اذا انتدبت يوماً قبائل مداحـــج ونودي بها اين المظفر مــالك ؟

فلهفي عليه حين تختلف القنـــا ويرعش للموت رجال الصــعالك

ولهفي عليه يوم دب له الــردى وديف لهُ سم من الموت حانـــك

1.) المصدر نفسه ص 169
2.) المصدر نفسه ص 170
3.) الكندي : ولاة مصر ، ص 48 ، 49

فلو بارزهُ يوم يبغون هلكـــــهُ	لكان بأذن الله ميت وهـــــــالك
ولو ما رسوهُ مارسوا ليث غابةً	له كالتي لا ترقد الليل فاتــــــك
فقل لأبن هند لو منيت بمـــالك	وفي كفه ماضي الضريبه بــــائك
لألفيت هنداً تشتكي على الردى	تنوح وتحبوها النساء العـــواتك

وما ذكر من مدحه في وفاة ابي ذر الغفاري بأيمانه عن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كما مر بنا سابقاً.

وما قال ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة : لله در ام قامت عن مالك لو ان رجلاً اقسم انه لا يوجد في العرب او العجم اشجع منه سوى استاذه علي لما خشيت عليه البأس . ولقد هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق .

وقال الفكيكي ان مالكاً الأشتر رئيس اركان الأمام علي عليه السلام وهو من الأبطال وسيد قروم نخع وشجاعانها واشترك مع الأمام علي كرئيس اركان جيشه فالجمل وصفين والنهروان .

لقد اورد الثقفي شكوى الأمام علي عليه السلام الى الأشتر ، عن فضيل بن الجعد عن مولى الأشتر ان الأمام علي عليه السلام شكا الى الأشتر فرار الناس عنه والتحاقهم بمعاويه ، فقال له الأشتر يا امير المؤمنين أننا قاتلنا اهل بأهل البصرة والكوفة وراي الناس واحد وقد اختلفوا فيما بعد وانت تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم الحق وتنصف الوضيع الشريف وليس للشريف عندك منزله على الوضيع من الشريف فضجت طائفه ممن معك من الحق اذا دعوا به ، وصارت صنائع معاويه عند أهل الغنى الأشراف فتاقت انفس الناس الى الدنيا وقل من الناس من ليس للدنيا من صاحب واكثرهم يحتوي الحق ويستمري الباطل ويؤثر الدنيا ، فأن تبذل المال يا أمير المؤمنين تميل اليك أعناق الناس وتصف نصيحتهم وتستخلص ودهم . صنع لك يا أمير المؤمنين وكبت عدوك واوهن كيدهم وشتت امورهم انه بما يعملون خبير .

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام اما ما ذكرت يا مالك من العدل فأن الله يقول ((من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)) . واما ما ذكرت من ثقل الحق عليهم ففارقونا ، فليسألوا يوم القيامه أ للدنيا أرادوا أم لله عملوا ؟ واما ما ذكرت من بذل الأموال فأننا لا نعطي من الفئ الا حقه .

(وانا قابل من رأيك يا مالك ما كان لله رضى وانت من آمن أصحابي وأوثقهم في نفسي وانصحهم واراهم عندي)[1] .

2- من قدح فيه :

ان لكل شخصيه عظيمه مريدون وقادحون ، ومالك الأشتر أشترك في حروب الرده مجاهداً في سبيل دفع المرتدين وقتالهم ، وأشترك في الفتوحات الأسلامية في الشام والعراق

---

[1]) الثقفي : الغارات ، ص 47-48 ؛ ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغه 3 / 1.135

وشاعت الاقدار ان يقاتل مع الأمام علي عليه السلام الناكثين والقاسطين والمارقين .

وبهذا فأن سيفه قد حصد الكثير ولهؤلاء احفاد وأصدقاء مما جعلهم يكنون العداء له ولا يمكن ان يرحموه او يذكروه بخير ، وذلك لأمور طائفية ومذهبيه وسياسيه واجتماعية يطول شرحها .

والأشتر ممن طاله المسبه واللعن في عهد الدوله الأموية مقروناً بعلي ابن ابي طالب عليه السلام مما هرم عليه الكبير وشب عليه الصغير ، فهو بنظرهم من الأعداء والذي لا يغفر لهم فأخذوا يكيدون ما أستطاعوا من النيل منه .

ورغم ذلك فأنهم اتفقوا على شجاعته وحزمه وشخصيته الفريده ولكنهم يستدركون اليه فينسبون اليه أمور أخرى .

ومما جاء في تاريخ المدينة المنورة للنميري البصري في رواية غريبة وأنفرد بها ورواها من عاصروا الدوله الأمويه بل وشبوا على العداء لمالك الاشتر وهذه الروايه الغريبه حيث يقول ((حدثنا معمر بن بكار بن معمر قال حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان قال : جاءت أمرأةً الأشتر الى علي رضي الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين سِمعتُ من عدو الله مقالة ما وسعني القيام معه عليها . قال : وماذا سمعتِ ؟ قالت : سمعته يقول قتلنا بالأمس خير خلق الله ، واستعملنا شر خلق الله ، يعنيك يا أمير المؤمنين . قال : فلم يزل في نفسي عليه حتى هاج هياج مصر)) .

الى ان يقول في روايته الغريبه الفريده هذه ((فقال علي رضي الله عنه من لها ؟ واستشار عباس رضي الله عنه فقال : الأشتر كيف به مع ما قد كان قال : أحمل العبد على الفرس فأن هلك هلك ، وان ملك ملك قال : فبعثهُ على ذلك فلما أتاهُ مصابهُ قال : بالأنف لا بالفم))(1) .

تحليل روايه النميري :

ان هذه الروايه ضعيفة وسندها :

معمر بن بكار بن معمر لم يجد لهذا الرجل أسماً في لسان الميزان للعسقلاني .

ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يوجد أسمه في لسان الميزان في باب ابراهيم رقم 2169 ص 169 ، صالح بن كيسان المدني ابو محمد مؤدب اولاد عمر بن عبد العزيز / موجود في لسان الميزان رقم 3331 ص 246 (2).

وبما ان الروايه جاءت عن صالح بن كيسان فهو رجل أموي شب على لعن الأشتر على المنابر وكانت هذه سنه عندهم ، وبذلك تزول الغرابه في سند الروايه وذلك لعدم الحياد والموضوعيه .

---

(1) النميري : المدينه المنورة 4 / 1236 .

(2) العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر : لسان الميزان (ط 1 ، مؤسسه الأعلمي ، بيروت ، 1971م) ، ج 7 ، ص 169 ، 246

اما تحليل الروايه :

1- يقول جاءت أمرأه الأشتر الى علي رضي الله عنه وحدثته عن الأشتر وجعلته عدواً لله .

الباحث : كيف خرجت امرأه الأشتر بدون أذن زوجها وهي امرأه رجل مثل مالك الأشتر الذي تهابه الشجعان الم تخاف منه وهي أمرأه .

2- ان مالكاً الأشتر في وقت مجيء هذه الامرأه الى الأمام علي كرم الله وجهه هو أميراً على الجزيرة الفراتيه ، فهل جاءت هذه المرأه من الموصل او نصيبين وطويت بها الأرض لكي تنقل هذا الخبر ، وتنافق على زوجها هل يصح ذلك ؟

3- ان شهادة امرأه واحده لا تكفي في الشريعة الأسلامية ، انما شهادة رجل وامرأتان او شهادة رجلين ، فهل اكتفى الأمام علي عليه السلام وهو سيد القضاة ، ومستشار الخلفاء الذين سبقوه وكان يحكم في الأمور المستعصية اقول هل اكتفى بشهادة هذه المرأه وكفى .

4- ان الأمام علي كرم الله وجهه من الحكمة والبلاغة والمعرفة فهل يحقد على قائده الوفي مالك الذي وقف الى جانبه في الوقائع وبخاصه في وقعه صفين عندما انشق عليه جيشه ويبقى هذا الغل في صدره ثم ينصب له شباكاً ليوقعه فيه لا يجوز ذلك ؟

5- لقد رشح الأمام علي عليه السلام في وقعه صفين مالكاً قاضي وحكماً فهل ياترى ان ترشيحه هذا لم يكنها الا عن درايه بصاحبه وصديقه الوفي مالك .

6- كيف يكون مالك الأشتر عدواً لله وهو الذي يقول فيه علي عليه السلام (كان لي مالك كما كنت لرسول الله) هل تميز ولياً وصاحباً له من كان عدواً لله .

7- تقول الروايه ان الأمام علي استشار ابن عباس رضي الله عنه وما قال له كما في الرواية ، وابن عباس هو والٍ على البصرة فهل طويت له الأرض حتى يأتي ويستشيره بناءً على ما جاءت به هذه الامرأه .

8- ان الشريعه الأسلامية لا تجوز للمرأه الخروج دون اذن زوجها ، فكيف ان الأمام علي عليه السلام يجوز لهذه المرأه خروجها ثم نفاقها على زوجها وهو مالك .

9- ان كلمات الأمام علي عليه السلام في تأبين مالك الأشتر وما جاءت به المصادر الأساسية الموثوقة كالطبري وابن الأثير واليعقوبي والمسعودي وابن ابي الحديد والثقفي وغيرها مما اورد الباحث أقوالهم لكافيه بأن نوصد الباب أمام هذه الروايه .

10- ان الأمام علي عليه السلام كان يعتبر مالكاً السد المنيع والسور العالي بينه وبين عدوه ، وقال فيه عند وفاته (كأنه قد مني قدا) فكيف يصدق هذه المرأه المزعومه ويبني على ذلك تصوره ويغدر معاذ الله بصاحبه الوفي الذي نذر نفسه الى آخر لحظة في حياته لخدمه الأسلام ولخدمته .

11- ان الأمام علي عليه السلام مع كثره اصحابه واصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته فأنه يخص الأشتر ويطلب نصيحتهُ ففي ما قال الثقفي في الغارات ان الأمام علي عليه السلام قد

اشتكى للأشتر فرار الناس عنه والتحاقه بمعاوية واجابه الأشتر فيما سبق وقول الأمام علي له (وانت من آمن اصحابي وأوثقهم في نفسي وانصحهم واراهم عندي) ان هذه الكلمات لتدل على ماهية مكانه الأشتر عند الأمام علي وهذا يكفي به دليلاً قاطعاً [1]

3- مرقد الأشتر وموضع قبره :

وكما اختلفوا في مكان وفاة الاشتر هل في القلزم او العريش اختلفوا في موضع قبره ، فمنهم من قال ان قبره في القلزم ومنهم من قال ان قبره في العريش منهم من قال في بعلبك وآخرون ادعوا ان قبره في المدينه المنورة .

فاليعقوبي يذكر ان قبره في القلزم فهو يقول ((نزل الأشتر الى القلزم من الفسطاط نزل منزل رجل من أهل المدينه ... ثم أتاه بقعب فيه عسل قد صير فيه السم فسقاهُ أياه فمات الأشتر بالقلزم وبها قبره وكان مقتلهُ ومحمد بن ابي بكر سنه 38 هـ))[2] .

والمسعودي يقول ان الأشتر سقي العسل المسموم في (العريش) وكذلك في طبقات ابن سعد يقول ((مكان الاشتر بالعريش شرب شربه عسل فمات))[3] .

والبلاذري عن كتاب انساب الأشراف يذكر وفاته في (عين شمس) بعد ان شرب العسل المسموم [4] ، واما الطبري ، ابن الاثير وابن تغري والعسقلاني فيذكرون وفاته في القلزم .

قال الحموي في معجم البلدان في بعلبك وبها قبر يزعمون انه قبر مالك الأشتر النخعي والصبح ان مالكاً مات بالقلزم وكان علي كرم الله وجهه اميراً على مصر فيقال ان معاويه دس له السم في العسل [5]

ولم يتعرض له ابن جبير في رحلته او ابن بطوطه ، ان الذي يستنتجه الباحث ان قبره في مصر في العريش وهو الظاهر في الوقت الحاضر في مرج القاهرة والذي يظهر من موقع الأنترنت في الصور المرفقه بالملاحق .

والدليل ان الأشتر عندما توفي في العريش او حتى في القلزم فأن مصر كانت تحت ولايه الخلافه الراشدة ، أي انها ضمن ولايه الأمام علي عليه السلام والأمير فيها أنذاك محمد بن ابي بكر فدفنهُ هناك وارد وذلك لأستحاله نقله الى المدينه المنورة ، ولو ارادوا ذلك لنقلوه الى الكوفة، ولكن من الصعوبه بمكان نقله للمسافه البعيدة وما يكون له في ما يجعل للميت وبهذا فأن قبره الحالي في مصر هو اقرب الأحتمالات ولربما بقي سراً فأظهره اصحابه واحفاده .

الفصل الخامس

1. الثقفي : ص 47-48
2. اليعقوبي : تاريخ ، ص 135
3. المسعودي : المروج 2 / 537
4. البلاذري : انساب الأشراف ، ص 3 / 168
5. ينظر طبعات بن سعد 8 / 333

الحضارة الاسلامية في عصر مالك الاشتر

الحضارة في اللغة : يقول ابن منظور : الحضر خلاف البدو والحاضر خلاف البادي ، وفي الحديث لا يبيع حاضر لباد والحاضر المقيم في المدن والقرى والبادي المقيم بالبادية .

ويضيف ابن منظور في مادة الحضر (والحضارة : الاقامة في الحضر ..) والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف ، سميت بذلك لان اهلها حضروا الامصار ساكني الديار التي يكون لهم بها قرار ... والحاضرة والحاضر الحين العظيم من القوم [1] .

ويقول الرازي في مختار الصحاح يعرف الحضارة في اللغة (... والحضر بفتحتين خلاف البدو والحضر السجل والحاضر ضد البادي والحضارة ضد البادية وهي المدن والقرى والريف والبادية ضدها ..)[2] .

الحضارة في الاصطلاح :

قال ابن خلدون (الحضارة في الاصطلاح هي حالة يستقيم بها الملك ويقوي فيها المقيم ويتجه الناس فيها الى انفاق الصناعات والتانق في سبيل العيش سواء كان ذلك في الماكل او الملبس او المسكن واشباع سائر الميول والشهوات في هذه الحالة تضعف العصبية ونهاية العمرات هي الحضارة والترف)[3] .

يقول عماد الدين (ان حضر في القران الكريم تعني شهد(اذا حضر احدكم الموت)[4]. وكذلك يقول جاء في القران الكريم (اذا حضر اولو القربى)[5]. وكذلك في القران الكريم (من شهد منكم الشهر فليصمه)[6]. وفي عصر النهضة الاوروبية برزت كلمة (Culture) على مدلوله [7] . الفني والاداري .

وفي جانب اخر برز مصطلح الحضارة اللفظ الانكليزي (Culture) في قائمة علم الاجتماع كما برز اللفظ الانكليزي (Civilization.) مقابل المدنية والحضارة

المبحث الاول

السلطة العليا للدولة الاسلامية والادارة

1. النبوة

النبوة في اللغة يقول الرازي (النبوة والنباوة وما ارتفع من الارض فان جعلت النبي

---

1) ابن منظور : لسان العرب ، 3/ 658.
2) الرازي : مختار الصحاح ، ص 141 .
3) ابن خلدون : المقدمة ، ص 145 ، الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الاحكام السلطانية ، ط1، مطبعة مصطفى الجلبي ، مصر ، 1960م، ص 5 .
4) خليل ، عماد الدين وفايز الربيع : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ط1 ، دار مكتبة الحامد ، عمان ، 2003 م ، ص 76 .
5) سورة البقرة : الاية 180 .
6) سورة البقرة : الاية 8 .
7) طاهر لبيب : ساسيلوجية الثقافة ، ط1 ، معهد البحوث العربية ، القاهرة ، 978 م، ص7 .

ماخوذا منه ، ي انه شرف على سائر الخلق ، فاصله غير الهمز وهو فصيله بمعنى مفعول)[1] .

ويقول الصابوني في ماهية النبوة (النبوة فصل الهي وهي ربانية ، يهبه الله لمن يشاء من عباده ويخص من يريد من خلقه ، وهي لا تدرك بالجد والتعب ، وتنال بكثرة الطاعة والعبادة ، بما هي بمحض الفضل الالهي)[2].

ويوجد فرق بين النبي والرسول فالنبي ، هو انسان من البشر اوحى الله تعالى اليه بشرع ، ولكنه لم يكلف بالتبليغ .

واما الرسول هو ، انسان من البشر اوحى الله اليه بشرع وامره بتبليغه ولهذا فان كل رسول نبي وليس كل نبي رسول [3].

والنبوءات لم تقتصر على منطقة معينة دون اخرى ، ولا على شعب معين دون اخر ، بل هي في كل بقاع الارض ، وفي كل الامم ، طالما ان البشرية ينتمون جميعهم الى اصل واحد وهو آدم (عليه السلام) قال تعالى (ولكل امة رسول منهم)[4]. والظاهر انه لا يوجد فرق بين الرسل ، فكلهم مرسل من الله سبحانه وتعالى ولهداية البشر وارشادهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى فهؤلاء المرسلون قد اهلهم الله تعلى وزكاهم قال تعالى (آمن الرسول بما انزال اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته ورسله ، لا نفرق بين احدٍ من رسله فقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)[5]. اما التفضيل في المراتب وحسب الاهمية من حيث المعاناة من قبل اخوانهم وما حصل بهم من المتاعب وصبروا فاحتسبوا قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) .

اما وظائف الرسل فهي ، دعوة الناس الى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ، وهي الوظيفة الاساسية من مهام الرسل ولذلك اصطدموا بالملحدين والمشتركين وبخاصة من اؤلئك الذين يعبدون الاصنام والاوثان والتالية لغير الله من البشر والشمس والقمر وغير ذلك قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)[6] . والعبادة في هذه الاية هي التوحيد والطاعة والامتثال لربوبية الله جل وعلا وهي غاية الخلق ولا يعلو عليها أي عمل اخر في العهود .

وكذلك من وظائف الأنبياء تبليغ اوامر الله تعالى الى البشر ن وذلك من دون خوف من الطغاة او الجبابرة قال تعالى (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احداً الا الله وكفى بالله حسيبا) وكذلك من وظائف الأنبياء هو هداية الناس الى طريق الخير وتجنب الشر

---

[1]) الرازي : مختار الصحاح ، ص145.
[2]) الصابوني ،محمد علي : النبوة ولانبياء ، ط1 ، دار القران ، بيروت ، دون تاريخ ، ص 8 .
[3]) شحاذة الناطور : النظم الاسلامية ، ص 25 .
[4]) سورة يونس : الاية 47 .
[5]) سورة البقرة : الاية 285 .
[6]) سورة الذاريات : الاية 56 .

وايضا تبليغ الحقائق التي لا يدركها البشر بعقله كمسؤولية الانسان امام الله .

ومن الصفات الاساسية للانبياء انهم بشر وليس فوقهم الا بالرسالة التي يؤدونها والموحى اليهم فيها والا فانهم كسواهم من البشر ياكلون ويشربون ويمشون في الاسواق قال تعال (وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق)[1].

وكذلك من صفات الانبياء الاساسية العصمة .وهي من الله تعالى حفظ لانبيائه ورسله بالوقوع في المعاصي والذنوب والمحرمات والمنكرات وهم في صفاتهم ان كرمهم الله بها .

وكذلك الصدق / وهي صفة ملازمة للرسل والانبياء لان النبي لا يمكن ان يبلغ الرسالة الالهية الا بالصدق والامانة وبذلك فان الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم كان يسمى بالصادق الامين قبل البعثة وشهد له اعدائه بذلك .

والامانة هي صفة اساسية للنبي والرسول قال تعالى (ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ، واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعد)[2] .

وبهذا تدل الحضارة الاسلامية في عمقها ان الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم كانت عبقريته تمثل خلاصة السفر الخالد لمن سبقه من الانبياء والرسل ، ولقد ذكر القران الكريم خمسة وعشرون رسولا بالاسم ذكر منهم ثمانية عشر في اية واحد والباقين في ايات متفرقة .

وكذلك من الحضارة الاسلامية ان نبوة الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم هي لكل زمان ومكان فان علم الله تعالى بما كان ويكون هو الغيب والمستقبل فهو لكل زمان من الازمنة والى قيام الساعة وحيث لا دين بعد الاسلام قال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)[3].

اما من ناحية المكان فان رسالة الاسلام هي لعامة البشر وفي كل مكان من العالم وليس محصورة في مكان واحد قال تعالى (قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا)[4] .

وبهذا فان النبوة هي من السمات الحضارية المهمة في عصر مالك الاشتر الذي ادرك الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وجاهد في سبيل الاسلام حتى الرمق الاخير من حياته .

2. الخلافة :

الخلافة في اللغة :هي مصدر (خلف) يقال خلفه كان خليفة ويبقى بعده الخليفة السلطان الاعظم والجمع خلائف واستخلف فلانا جعله مكانه والخليفة الذي يستخلف ممن

---

[1]) سورة الفرقان : الاية 7 .
[2]) سورة النساء : الاية 283 .
[3]) سورة المائدة : الاية 3 .
[4]) سورة الاعراف : الاية 158 .

قبله [1].

ويقول الرازي (خلف فلان فلانا) اذا كان خليفته .

يقال خلفه في قومه وقال تعالى (اخلفني في قومي) وخلفه جاء بعده والخليفة السلطان الاعظم [2] . اما في الاصطلاح الشرعي : فالخلاصة او الامامة ، هي النيابة عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في حراسة الدين وسياسة الدنيا به [3].

والخليفة هو رئيس الدولة الاسلامية ، والقائد الجيش واميرالمؤمنين ، والامام ، والمرجع الاول في القيادة الاسلامية ولقد عاصر مالك الاشتر الخلفاء الراشدين الاربعة رضي الله عنهم وله صحبة وماكر جليلة معهم وما مر في سيرته .

والخليفة هو الذي يحكم بالعدل ويوصي الامة الاسلامية بالسياسة الحكيمة ، واليه ترجع الامور ومنصب الخليفة واجب ، حيث ان الامة بحاجة الى امام يقودهم في السلم والحرب ، لا يمكن للامة ان تسير امورها بدون رئيس يشرف على امورها وينظم مطالبها ويفي واستها يقول ابن خلدون (ان منصب الامام واجب قد عرف وجوبه بالشرع واجماع الصحابة والتابعين ، لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة ابي بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه في امرهم وكذا عمر (رضى الله عنه) من بعد ذلك ولم يترك الناس فوضى في عصر من العصور واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب تنصيب الامام [4] .

والخليفة دليلها من القران الكريم (يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)[5] .واولى الامر امراء المسلمين من الخفاء ويشمل العلماء ايضا [6] . عند بعض العلماؤ ووجه الدلالة في هذه الاية الكريمة هو الامر بطاعة اولي الامر والامر بطاعتهم يجب وجودهم في اول الامر ومن ثم طاعتهم .

ولقد عرف ابن خلدون الخلافة بقوله (حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها)[7] .

ويسمى الامام خليفة وذلك لانه يخلف النبي صلى الله عليه واله وسلم في امته فيقال عنه خليفة بالاطلاق وبالخاص خليفة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واختلف في تسمية

---

[1]) ابن منظور : لسان العرب 82/9 ، ابن تيمية ، ابو العباس تقي الدين بن احمد بن عبدالعليم ، منهاج السنة ، ط1 ، المطبعة الكبرى الاميرية ، 1321 هـ ، ج1 ، ص 35 .

[2]) الرازي : مختار الصحاح ، ص 186 .

[3]) ابن خلدون : المقدمة ، ص 145 ، الماوردي ، الاحكام السلطانية، ص5 ، ابن الجوزي عبدالرحمن بن الجوزي : المصباح المضيء (ط1 ، مكتبة المتحف العراقي ، بغداد مخطوط رقم 1499 ، ص 9 ، الابحي ، عضد الدين عبدالرحمن ابن احمد : المواقف بشرح الجرجاني (ط1 ، مطبعة السعادة مصر ، 1907 ، ج 9 ، ص 345 .

[4]) ابن خلدون : المقدمة 519/2 / الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص 3 .

[5])سورة النساء : الاية 59 .

[6]) ابن كثير عماد الدين اسماعيل بن كثير : تفسير القران الكريم ، ط1 ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، دون تاريخ ، ج1 ، ص 567 ، الجصاص ، ابو بكر احمد بن علي : احكام القران (ط1 ، مطبعة الاوقاف الاسلامية ، القاهرة ، 1335 هـ) ، ج2 ، ص210 .

[7]) ابن خلدون : المقدمة ، ص 190 .

خليفة الله فاجازه بصلتهم اقتباسا من الخلافة العامة لبني ادم قال تعالى (اني جاعل في الارض خليفة)[1] . وقوله تعالى (جعلكم خلائق الارض)[2] .

ولقد عدد الشهرستاني واجبات الخليفة بقوله (لا بد لكافتهم من امام ينفذ احكامهم ويقيم حدودهم ويحفظ بيضتهم ويحرس حوزتهم ، ويقي جيوشهم ويقسم غنائمهم وصدقاتهم ويتخاصمون اليه في خصوماتهم ومناكحاتهم ، ويرعى فيهم امور الجمع والاعياد ، وينصف المظلوم ، وينتصف من الظالم ، وينصب الولاة والقضاة في كل ناحية ويبعث القراء والدعاة الى كل طرف [3].

اما شروط الخلافة فهي [4].

1. العدالة الجامعة لشروطها .
2. العلم المؤدي الى الاجتهاد في التوازل والاحكام .
3. سلامة الحواس في السمع والبصر واللسان ليصبح بها مباشرة ما يدرك بها .
4. سلامة الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض .
5. الراي المفضي الى سياسية الرعية وتبرير المصالح .
6. الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو ز
7. النسب وهو ان يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الاجماع عليه .
8. الاسلام فيجب ان يكون مسلما بقول تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)[5].
9. ان يكون رجلا لقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء)[6] .

اما طبيعة الخلافة في عصر مالك الاشتر وهي الخلافة الراشدة يقول عن ذلك ابو زيد شلبي في كتابه تاريخ الحضارة الاسلامية (كانت الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) ديمقراطية حقا ، فالخليفة لم يكن يعتبر نفسه الا واحدا من المسلمين يجلس معهم ويختلط بهم ويستطيع أي فرد منهم التحدث اليه في كل ما يريد ، وكانت حياته كحياة غيره من المسلمين في غاية البساطة ، يعيده عن ابهة الملك وحراسه وكان لا يقطع رايا دون استشارة كبار الصحابة .... [7] .

والخلافة كما يعبر عنها ناجي معروف وعبدالعزيز الدوري بانها شكل جمهوري ولاساس فيها الانتخابات ، وفيها ان الخليفة يحكم طول حياته وانتخابه محدود لا يشترك فيه

---

[1]) سورة البقرة : الاية 30 .
[2]) سورة الانعام : الاية 165 .
[3]) الشهرستاني ، عبدالكريم : نهاية الاحترام في علم الكلام ، حرره وبحجة الفرد جيوم ، ط1 ، دون مكان ، دون تاريخ ، ص 478 .
[4]) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص 6 .
[5]) سورة النساء : الاية 141 .
[6]) سورة النساء : الاية 24 .
[7]) الشلبي ، ابو زيد : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي (ط1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1383 هـ - 1964 م) ، ص 88 .

جميع المسلمين وتحديد سلطة الخليفة بالقران والسنة النبوية والسلطة القضائية بيد الخليفة [1] . والخلافة هي مؤسسة سياسية دينية وجدت للحفاظ على الدولة الاسلامية وحفظ الدين الاسلامي والقيام مهامهم ومسؤولية قيادة الامة الاسلامية .

امام الخلفاء الذين عاصرهم مالك الاشتر فهم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وله معهم صحبة ومواقف مهمة اولهم الخليفة ابو بكر الصديق (11-13 هـ/ 632 – 634 م) رضي الله عنه والثاني الفاروق الخليفة عمر بن الخطاب (13 – 23 هـ / 634 -644 م) رضي الله عنه والثالث الخليفة عثمان بن عفان (23 – 35 هـ / 644 – 656 م) رضى الله عنه والرابع الخليفة الامام علي بن ابي طالب (35 – 40 هـ / 656 – 661 م) عليه السلام

وهكذا فان الخلافة مؤسسة حضارية قامت لتنفيذ احكام القران والسنة النبوية لما فيه خير البشرية وسعادتها .

3. الوزارة :

الوزارة في اللغة : قال الرازي في مختار الصحاح الوزير الموازر كالاكليل والمؤاكل لانه يحمل عنه وزره أي ثقله والوزارة بالفتح لغة في الوزارة قد استوزر فلان فهو يوازر الامير ويتوزر له ، واتزر الرجل ركب الوزر وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) أي لا تحمل حاملة حمل اخرى [2] .

ويقول النويري ان معنى الوزارة هي المعاونة [3] ، ولقد تناول الماوردي الوزارة بالشرح والتوضيح حيث يقول (اسم الوزارة جاء على ثلاثة وجوه :احدها ماخوذ من الوزر وهو الثقل لانه يحمل عن الملك اثقاله والثاني انه ماخوذ من الوزر وهو الملجأ يلجأ الى رايه ومعونته والثالث انه ماخوذ من الازر وهو الظهر لان الملك يقوى بوزره كقوة البدن بالظهر ولاي هذه المعاني كان مشتقا فليس منها ما يوجب الاستبداد بالامر [4] .

وان كلمة الوزير هي كلمة عربية وقد جاء ذكرها في القران الكريم ولقد حاول بعض المستشرقين ارجاع كلمة الوزير الى الفارسية فلقد قارنوها مع كلمة (فيشر البهلوية) والتي تعني القاضي ولكن الشبه بالالفاظ لا يكفي وان فكرة الوزير تختلف عن القضاء ولقد استعملها المسلمون في عصر صدر الاسلام [5] قال تعالى (ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا) [6] ، وقال تعالى (واجعل وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه

---

[1]) ناجي معروف : تاريخ الحضارة العربية (ط1 ، شركة الصناعة المحدودة ، 1952 م) ، ص 18 .
[2]) الرازي : مختار الصحاح ، ص 718 .
[3]) النويري : نهاية الارب ، 98/2 ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص 236 .
[4]) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص 24 ، ينظر ، حسن ، علي حسن : الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس (ط1، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1980)، ص 93 .
[5]) ناجي معروف : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص 34-35 .
[6]) سورة الفرقان : الاية

في امري)[1] ، وقال تعالى (ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك)[2].

وقد كان الخليفة ابو بكر الصديق رضى الله عنه يستعين بالصحابة وبعمر ابن الخطاب رضى الله عنه وبصورة خاصة ، فعندما خرج مع اسامة بن زيد في الجيش يوصيه ويستعينه قال لاسامة ، ان رايت ان تعينني بعمر رضى الله عنه فافعل فاذن له به [3].

والوزارة في عصر مالك الاشتر (عصر صدر الاسلام) لم تطلق بهذه التسمية على اشخاص بمنصب وزير ، انما من كان يشغل هذا المنصب بالاستشارة مثل ابو بكر الصديق رضى الله عنه كان بمثابة ووزيرا للرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم دون ان تطلق هذه التسمية عليه ، وكذلك الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان وزيرا لابي بكر الصديق دونما ان يسمى وزيرا وكذلك علي وعثمان رضي الله عنهما للخليفة عمر رضي الله عنه .

وبذلك فان الوزارة كانت معروفة في زمن الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم وذلك كان يشاور اصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة ويخص ابا بكر الصديق رضي الله عنه حتى ان العرب الذين كانوا يعرفون الدول يسمون ابا بكر الصديق رضي الله عنه وزيره [4].

وبهذا المعنى والخصوص وما يمكن استنباطه ان ان تقرين مالك الاشتر للامام علي عليه السلام ومشاورته له واعتماده عليه حتى قال فيه كان لي مالك كما كنت لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وبث شكواه واسراره له كما ورد سابقا ، انه ساله عن اسباب مغادرة الناس عنه الى معاوية كان ذلك بمثابة الوزير له .

ولقد ذكر الامام علي عليه السلام الوزارة في كتاب العهد الذي وجهه الامام علي عليه السلام الى عامله على مصر مالك الاشتر يقول فيه (ان شر وزارتك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم للاثام ، فلا يكونن لك بكافة ، فانهم اعوان الائمة واخوان الظلمة وانت واحد منهم خير الخلف ممن له مثل ارائهم ونفاذهم ... [5] .

وبهذا يبين الامام علي عليه السلام بان من صلاحية الوالي تعيين وزرائه وكذلك يبين شروط الوزير ، والطريقة التي يجب اتباعها بين الوالي والوزير ، وان للوالي وزراء ، وهذه مهمة في الحضارة الاسلامية فبي عصر مالك الاشتر وان كان لم يتضح بشكل رسمي تسمية الوزير واستحداث هذا المنصب بهذه التسمية . انما ظهر الوزير بشكله الرسمي في عهد العباسيين لاول مرة عندما كان ابو سلمة اعزال وزير ال محمد .

4. الامارة والادارة :

---

[1]) سورة طه : الايتان 31 .
[2]) سورة الانشراح : الايتان 2-3 .
[3]) الطبري : تاريخ الطبري ، 226/3 .
[4]) شلبي ، ابو زيد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص 93 ، حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ، ص 91 .
[5]) عبده ، محمد : نهج البلاغة ، تحقيق ، فائق محمد خليل (ط1 ، مؤسسة الكتاب العربي ، بيروت ، دون تاريخ) ، ص 461 .

والامارة في اللغة ، قال الرازي (الامير ذو الامر امر يامر بالضم (امرة) بالكسر صار اميرا ... وامر ايضا يامر بضم الميم فيهما (امارة) بالكسر ايضا وامره تاميرا جعله اميرا وتامر عليهم وتسلط) [1] .

ان النظام الاداري في الدولة الاسلامية قد ارسى اساسه الرسول محمد صلى الله عليه والـه وسلم عندما كان يرسل الى القبائل العربية التي دخلت الاسلام من يعلمها احكام القران وامور الدين وتطور ذلك واخذ يرسل بعض العمال للنيابة عنه على المدن والقبائل .

وكانت وظيفة هؤلاء العمال تكون في الامامة في الصلاة وجمع الزكاة والخراج ولم تكن لهم صفة سياسية ، وكانوا ممن اشتهر بالتقوى والفقه في الدين ، وكان اول راتب خصصه الرسول صلى الله عليه والـه وسلم لعتاب بن اسيد الذي والاه مكه نائبا عنه فلقد خصص له راتبا درهما واحدا كل يوم فكان اول راتب وضع في الاسلام اما كبار الصحابة فكان نصيبهم من الغنائم اذا تولى احدهم نيابة عنه [2]. واستخلف الرسول صلى الله عليه والـه وسلم عتاب بن اسيد على مكة في غزوة حنين [3] ولقد ارسل الرسول محمد صلى الله عليه والـه وسلم الى المدن الرئيسية بعد سقوط مكة بيده وثم استطاع الجزيرة العربية العمال الى المدن المهمة ويسمى كل واحد منهم الامير [4].

ولقد اقر الخليفة ابو بكر الصديق رضى الله عنه عمال النبي صلى الله عليه وله وسلم على اعمالهم فجعل ابو عبيدة بن الجراح على المال ، واستدامر القضاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولعلي بن ابي طالب عليه السلام امر الفتوى في الحوادث والمشكلات وكان العمال يختارون القضاة ويقلدونهم في الاقطار المختلفة ان كانوا يتولونها ولقد قسمت البلاد في عهد الخليفة ابو بكر الصديق الى عدة ولايات وهي مكة المدينة والطائف صفاؤ حضر موت جولان زبيد فتح نجران جرش والبحرين [5] .

ويعتبر الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه المؤسس الحقيقي للادارة السياسية في الاسلام ولقد قسم البلدان المفتوحة الى ولايات متراصة [6] .

وصار على راس كل اقليم او مصر امير يتولى قيادة الجيش وامامة الناس في الصلاة نيابة عن الخليفة ، والامير لم يكن مسؤولا امام احد سوى امام الخليفة مباشرة وان الولاة في هذه المرحلة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانوا من القادة العسكريين الذين فتحوا تلك المناطق ومصروا الامصار امثال سعد بن ابي وقاص عيد بمقر الكوفة سنة 17 هـ

---

[1]) الرازي : مختار الصحاح ، ص 24 .
[2]) ابن هشام : السيرة النبوية ، 52/2 .
[3]) ابن تيمية ، شيخ الاسلام : السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، راجعه وعلق عليه ، محمد عبدالله السمان (ط1 ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دون تاريخ)، ص 23 .
[4]) سيد مير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص 67 .
[5]) الناظور ، شحاذة واخرون : النظم الاسلامية (ط1 ، دار الامل للنشر والتوزيع ، بغداد ، 1992 م) ، ص 82 ، سيد مير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص 67 .
[6]) المصدر نفسه ، ص 67 .

وعمرو بن العاص حين فتح مصر في سنة 21 هـ وكذلك ابو عبيدة بن الجراح ولاية الشام وعتبة بن غزوان البصرة سنة 14 هـ وبنى هؤلاء دارا تعرف بدار الامارة للسكن وادارة شؤون الاقليم .

ولا يسمح للوالي ترك مقر عمله ، الا بامر من الخليفة او استدعائه او موافاته في مواسم الحج والعمرة فيساال الخليفة رضي الله عنه عن الناس وادارة اعمالهم وحفظ اموالهم واعراضهم .

ويقول لبيد ابراهيم كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اول من وضع النظام الاداري للدولة العربية الاسلامية ونظم اداتها ، اما من حيث سير العمل الاداري واسلوبه ومؤسساته والقائمون عليه فلقد ظل كما كان عليه في كل من الامبراطورية الساسانية في العراق وفارس وولايات الامبراطورية البيزنطينية في الشام ومصر والمغرب مع احداث ما يتطلبه الصلاح والتغيير مما يتفق وعقائد المسلمين الدينية ويتماشى مع مصلحة الشعوب التي دانت لحكم العرب المسلمين [1]

ولقد قسم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الدولة الاسلامية اقسام ادارية كبيرة يسهل حكمها والاشراف على مواردها وتطويرها فجعل بلاد فارس وبعض الاراضي العربية أي كان الفرس يسيطرون عليها ثلاث ولايات هي ولاية الاحواز والبحرين وولاية سجستان وكرمان وطيرستان وولاية خراسان اما العراق فلقد قسمه الى قسمين ولاية الكوفة وولاية البصرة واما فلسطين قسم بذاته ، وقسم بلاد الشام الى ولاية دمشق وولاية حمص وافريقيا قسمها الى ثلاث ولايات مصر السفلى ومصر العليا وغربي مصر وليبيا [2] .

وكان حكام الولايات يسمون في اول الامر (عمالا) ثم استعملت فيما بعد كلمة (الوالي) ثم اطلقت تمسية (امير) وتطور هذا اللفظ على هذا النحو عامل فوالي فامير يدل على ان سلطة هؤلاء الحكام بدأت تتسع حتى اصبح سلطانهم مطلقاً . واستبدوا بكل السلطات [3] . فلفظة عامل تومىء الى سلطتة الواسصه العملية ، فهو يعمل كل ما يراه الافضل في كل مرق من مرافق الحياة دينياً ودنيوياً [4]

والوالي كان له نفوذ اوسع ، والاصير كانت له سلطة استبداديه ونفوذ اقوى [5] . واما المارري فلقد قسم الاماره على الاقاليم الى امارة عامه واماره خاصه ، فالعامه هي التي يباشر فيها امير الاقليم كل هذه الاختصاصات السابقه ، فاذا اقتصرت واجباته على بعضها كانت امارة

---

1) ابراهيم ، لبيد وفاروق عمر : عصر النبوة والخلافة الراشدة ،(ط1 ، مطبعة جامعة صلاح الدين ، 1987 م) ، ص 214 .
2) المرجع نفسه ، ص 214-215 .
3) ابراهيم : عصر النبوه والخلافة الراشده ص315 .
4) الصالحي ، صبحي : النظم الاسلامية نشأتها وتطورها ، (ط2 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، 1968م) ، ص309 .
5) المرجع السابق ، ص315 .

خاصة [1] وكانت الاماره في العهد الاول عامه ، فمثلاً كانت امارة عمرو بن العاص عل مصر عامه ، فلقد كان يؤم الناس في الصلاة ، ويقود الجيوش وبجبي الاموال ، ويحافظ على الامن ،) لم يلب ثان عين عاملاً لجبابة τويقضي في الحضومات ، غير ان الخليفة عمر بن الخطاب (الاموال واخر للقضاء فأصبحت سلطة الوالي فاصرة على اقامة الصلاة ، وقيادة الميذ والمحافظة على الامن [2]

) يختار الافضل ادارياً وذا الكفاءة في تعريف τ وكان الخليفة عمر بن الخطاب ( ) يشتمل فوماً ويدع τالامور كعامل اووال وبذلك يقول ابن الجوزي ((كان عمر بن الخطاب (افضل منهم ليصرهم بالعمل))[3] ويقول الصلابي ان هذه القاعدة التي وضعها عمر بن الخطاب) مازالت مبتعه حتى اليوم في ارقى دول العالم . ذلك بأن المتدين الورع الخلوق ، اذا لم تكن τ(له بصيره في شئون الحكم ، قد يكون عرضته لخديعة اصحاب الاهواء المضللين ، اما المحتك المجرب ، فانه يعرف من النضر السريعه معاني الالفاظ وماوراء معاني الالفاظ [4] وقال عمر) ((الا راني والله ما ارسل عمالي ليضربوا ايشاركم ولاليأخذوا اموالكم ولكن τبن الخطاب (ارسلهم ليعلموا دنيكم وسنفكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الي فوالذي نفسي بيده) مع عمرو بن العاص حين طلب من المتظلم النصراني ان τلاقصينه))[5] وقصه الخليفة عمر (يضرب ابنه وقال له : ((اية عمرو : متى استقبتم الناس ولقد ولدتهم اماتهم احراراً))[6] ونهج) نهج الخليفة عمر بن الخطاب الا ان الاداره τالخليفة عثمان (

ضعفت في النصف الثاني من عهده بسبب تأثرة بأقاربه من بني اميه ، مما ادى الى تذمر الرعيه في الولايات الاسلاميه فتاروا عليه واشعلوا نار الفتنه التي ادت الى مقتله [7] .) عن الولايات وعين τ) الى عزل عمال الخليفة عمر بن الخطاب (τولقد عمر الخليفة عثمان (اقاربه بدلاً فهم وقربهم . والواقع ان سياسة التغير ، اثارت جدلاً وردود فعل متباينه بينى) كان لا يعزل احداً الا عن شكاة τالصحابه وجهو المسلمين ، لكن الواضح ان الخليفة عثمان (او استعفاء من غير شكاة [8] وما قاله سيد مير علي ((ولسوء الحظ كان هناك في عهد عثمان) ذلك انه لم يكتف بعزل τ) انعكاس تام للاوجه الاساسية في سياسة سلفة العظيم عمر (τ( ) على الولايات نحسب بل انه عمر الى تعينات جديدة ارضاء τالعمال الاكفاء الذين ولاهم عمر (

---

1) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص95 .
2) المرجع السابق ، ص315 .
3) انى الجوزي ، أي الفرج عبد الرحمن علي : الخليفة العادل عمر بن الخطاب ، تحقيق المدار قسم الترجمه والتحقيق في دار الاسراء ، (ط1 ، دار الاسراء ، عمان ، 2004م) ، ص168 ، ابراهيم : عصر النبوة والخلافة الراشده ، ص361
4) الصلابي : سيرة امير المؤمنين عمر ، ص312.
5) الطبري : تاريخ الطبري ، 373/3 ، ابن قيم الجوزية ، شمس الدين ابي عبدالله محمد بن ابي بكر : اعلام الموقصن عن رب العالمين ، تحقيق محمد يحي الدين ، (ط2 ، دار الفكر بيروت ، 1997م) ، ج1 ، ص319 .
6) الحضري بيك ، محمد الخضري : تاريخ الامم الاسلامية ، (ط1 ، المكتبة التجارية ،1969م) ، ج2 ، ص12.
7) الناطور واخرون : النظر الاسلامية ، ص85 .
8) الطبري : تاريخ الطبري ، 283/3 – 284

لمطاليب اقاربه واخذ اقطاع هؤلاء الاراضي الاميرية التي كانت فلكاً للدولة ...))[1] وكان تحكيم) امير ان هما عمرو بن العاص الوجه البحري وعبد الله τمصر في بداية عهد الخليفة عثمان ( ) وشقيقة بالرضلعة . فاراد الاول τوفي ابي سرح على الصعيد وهو ابن عم الخليفة عثمان ( ) طلبه ، فأستصفاه عمرو ، τالتفرد بالسلطة فطلب من الخليفة عزل الثاني فرفض الخليفة ( ) في الجهاز υفاعفاه وامر سعد بن ابي سرح على كل مصر[2] ولقد اعاد النظر الامام علي (الاداري ، ولقد عزل فوراً جميع ولاة عثمان من مناصبهم ، ليهدئ النفوس من جهه وليضمن تحقيق التعاون مع ولاة يثق بهم من جهة اخرى ، بالرغم من نصيحة بعض مقربيه بالابقاء عليهم [3] .

ومن خلال هذا الموقف المتصلب صدر الامر بعزل الولاة واسبد الهم بفته هيريدة غير متورطة بالاحداث باستثناء ابي موسى الاشعري والي الكوفه الذي تقع له مالك الاشتر [4]) بادر الى عزل عمال عثمان υوما قاله حسن ابراهيم : منما ولي الخلافة علي بن ابي طالب ( ) ليضع حداً للتذمر وكان الاميرا او الوالي تخذ من المسجد مكاناً للاجتماعات فمنه تذاع τ(الاخبار العامة للمسلمين ومن على منبره تلقى الخطب والتوجهات والبيانات السياسية والدينيه والاجتماعيه [5] ومما قاله سيد مير علي ((ولقد كانت ادارة علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) فهمكة في الحرب الاهلية لدرجه لم تتمكن معها من اصلاح ماوي الادارة السابقة ولكن علياً) في كل مكان بسط عليه سلطنة τ) عزل معظم العمال الفاسدين واعاد العمل بسياسة عمر (υ( ) مالك الاشتر الجزيرة القرايته قبل وقعة صفين واعادة اليها υ...))[6] ولقد ولي الامام علي (بعدها ، ثم ولاه مصر فمات بالعلزم قبل ان يصل اليها كما يذكر خليفة بن خياط وقول البعض توفي في العريش كما مر سابقاً [7]

5. الحجابة :

الحجابه في اللغة قال الرازي ((الحجاب الستر وحجبه منعه عن الدخول وبابة نصر ومنه المحجب في الميرات ... وصاجب الامير جمعه حجاب ومواجب الشمس نواجها واصتجب الملك عن الناس))[8] ان الحاجب هو الشخص الذي يتم تعينه في باب السلطان او الملك او الامير لغرض السماح للناس بالدخول عليهم او ترتيب المواعيد وهو الواسطه بن الناس

---

1) سبومير : مختر تاريخ العرب ، ص66.
2) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخيارها ص118- 119 ، ، الكندي ، ابو عمر محمد بن يوسف : الولاة وكتاب القضاة ، (ط1 ، مطبعة الاباء اليسوعين ، بيروت ، 1908م) ، ص11.
3) طقوش ، محمد سهيل : التاريخ الاسلامي الوجير ، (ط1 ، دار التعاش ، بيروت ، 2002م) ، ص106 .
4) اليعقوي : تاريخ اليعقوي ، ج2 ص77 .
5) حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ، ص17 .
6) سيد مير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص67 .
7) خليفة : تاريخ خليفة ص174 و 184 .
8) الرازي : مختار الصحاح ، ص122.

والسلطان وتنظيم المواعيد في هذه الامور ((ويتولى الاذن للناس في الدخول على الخليفة او السلطان او الامير))[1] ولقد جاء في تاريخ الحضاره الاسلامية لابي زيد شلبي ((الحاجب هو الذي يتولى الاذن للناس بالدخول على السلطان ، وكان الخلفاء الراشدون لا يحجون احداً عن ابوابهم ، فالخليفة لا يعتبر نفسه الا واحداً من المسلمين وكان الفقير والغني والضعيف والقوى يجلسون مع الخلفاء ويكلمونهم في صوائجهم ويتحدثون اليهم في كل ما يريدون))[2] وبهذا يستنتج الباحث بأن الحجابه بمعنهومها اللغوي والاداري لم تكن موجوده في صدر الاسلام ،) ، فان ابوابهم كانت مشرعه ومفتوحه ψ) ، والخلفاء الراشدين (ρعصر الرسول محمد ( ) وخلفائة الراشدين من بعده ان يمثل امالهم دون أي ρللجميع ويستطيع من اراد لقاء الرسول (وسيط او تنظيم لقاء وان الجميع يستطيعون رفع شكواهم او تظلمهم دون أي احراج او من يمنهم ، وكذلك عند ولاة الامصار كما لا يوجد للخلفاء حرس او بوابين ، انما يجمعون بالناس في المساجد ويتحدثون اليهم وكان ذلك عصر مالك الاشتر منار البحث والذي كان من ضمن الولاة .

6. الجيش :

الجيش في اللغة قال الرازي ((الجيش واحد (الجيوش) وجيش فلان(تجيشاً) أي جمع) في مكة قبل الهجرة ρالجيوش واستجاشه طلب منه جيشاً))[3] لم يكن لدى الرسول الاعظم محمد (جيشاً ، اينما كان في دعوته السرية ثم العلنية بعد ذلك يعتمد على من اسلم من المستضعفين ، ثم كانت الهجرة الى المدينة المنورة ، فكان المسلمون جميعاً هم تحت اهمية الاستعداد تحت السلاح كل واحد فهم جندياً في خدمة مبادئ الاسلام . فكانت معركة بدر الكبرى (17 رمضان /3 مارس 624م) وكان عدد المسلمين (314)رجلاً ، (83) من المهاجرين و(61) من الاولى و(170) من الخزرج .) من المدينة الى ρوكان عدد من خرج من قريش بين التسعمائة والالف . وكان خروج الرسول (بدر ، للتعرض لقافلة قريش التي يقودها ابو سفيان في (9 رمضان /5 مارس 624 م) حسب تقويم محمد مختار باشا [4].

ولقد كانت معركة بدر الكبرى حدثاً مهماً في التحول الجوزي للمسلمين من الاستصعاف الى الهجوم ويروز القوة الالهيه والتي نصر الله فيها الرسول الاعظم محمد عليه الصلاة والسلام واعز المسلمين واذل الكافرين يقول اليعقوبي وكانت وقصة بدر يوم الجمعة لثلاث ليله بقين من

---

1) ابو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص100 .
2) الصالحي : النظم الاسلامية ، ص306 ، ابراهيم : النظم الاسلامية ، ص130 .

3) الرازي : مختار الصحاح ، ص118.
4) لبخفري : الدولة الاموية ، ص128 – 129 ، باشا ، محمد مختار : التواريخ الهجرية ، تحقيق محمد عمارة ، (ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، القاهرة 1980م) ، ج1 ، ص23 .

شهر رمضان بعد مقدمه (أي الرسول عليه الصلاة والسلام) بثمانية عشر شهراً وكان سببها ابا سفيان بن حرب قدم من الشام بعير لقريش تحمل تجارات واموال ، فخرج رسول الله (ρ) يعارضه وجاء الصريخ الى قريش يمكه بخيرهم الخير ...))[1].

وبذلك فان الجيش في عهد رسول الله (ρ) كان يتألف من المتطوعين من المسلمين في جميع غزاوته ومواقفه بعد ان نزلت الاية في الاذن بالقتال ((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ # الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)(الحج:39)(الحج:40).

هذا ولم يعزم الرسول محمد (ρ) اصحابه بالقتال ، انما كان يحرمنهم على ذلك ((وتدل وقائع سيرته الطاهره على عدم الزام أي نظر من اصابه بالتجنيد ولكنه كان بحض المؤمنين على القتال ويؤلمه تخلف القادرين ...))[2] وازدادت شوكت المسلمين وعددهم في عملية الاستنفار والتهيئة وصار ممكناً تهيئة جماعة تقوم على عاتقتها الاعتناء بأمر القتال ، وتستغل خبراتها وبراعتها فيه فاستنفر الرسول عليه الصلاة والسلام اشداء الجماعة لتكون على الاستعداد التام للحرب يوم التغير [3] قال تعالى : ((فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ)) (التوبة:122)[4]

وبعد انتقال الرسول محمد (ρ) الى الرفيق الاعلى ، حرص خليفة ابو بكر الصديق (τ) الاستعداد للنفير ، وحارب المرتدين ، وانفذ جيش اسامه بن زيد الى الروم ، وبذلك فانه قوي الجيش مما اعطى للامة الاسلامية مكانتها وللدولة هيبتها وكان (τ) ((يستنفر الراغبين ولا يكره المتخلفين ويقوم على مبدأ التطوع فلا يلزم ما لا يرغب مما دفعه الى الكتابه الى خالدين الوليد وعياض بن غنم حين بعثهما الى العراق (واذنا لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحا بمن كاده))[5] وما قاله سيد مير على ((وكان الجيش (في عصر صدر الاسلام) يتألف من المجندين اليوم والمتطوعين الذين كانوا في معظمهم يؤخذون من المدينة والطائف والمدن الاخرى وكانت مرتباتهم تدفع في بادي الامر من الاعشار ، ومن ثم من الاعشار والضرائب معاً وفي بادي الامر ايضاً كان الخلفية يعين القائد العام فقط . وكان على هذا ان يختار ضباطه وان يوم الناس في الصلاة يومياً بوصفة ممثلاً للخليفة ...))[6] وعن العفوي في الجيش يقوم مير علي ((... وكان جزاء الاخلال بالنظام والجبن في ساحة القتال ، التشهير وتمزيق العمامه على راس المذنب ، وهو عقاب كان يعتبر في

---

1) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوي ، ص29 – 30 .
2) سورة الحج : الاية 39
3) شحاذه الناظور : النظم الاسلامية ، ص208
4) الصالح : النظم الاسلامية ، ص487 ، ينظر ، الجنابي ، خالد جاسم : تنظيمات الجيش الصبري الاسلامي ، (ط1 ، وزارة الثقافة ، بغداد ، 1984م) ، ص9.
5) الطبري : تاريخ الطبري ، 3 /346 ، ينظر ، شحاذه الناطور : النظم الاسلامية ، ص209.
6) سيد مير : مختصر تاريخ العرب ، ص70 .

تلك الايام عاراً كبيراً على من ينزل به ولذا كان كامل المغعول))[1] .

) ، ادخل نظام التجنيد الالزامي الى جانب التطوع τ وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (وذلك لعدم كفاية المتطوعين اولاً ، ولكثرة الفتوحات الاسلامية في الشام والعراق ومصر ، والوقائع في البرموك والقادسية ، وغيرها واستشهاد الكثير من المقاتله والقاده والضباط في الجهاد عن) قد τ) هذا الجانب ((وبذلك يكون الخليفة عمر (τالاسلام ، ولقد ادرك الخليفة عمر بن الخطاب (اعطى في كتبة الى القواد والعمال صيغة الامر . بالالتزام موضع القاعدة الجديده في التجنيد الالزامي الى جانب التطوع لانه لم يكن يرضيه تطوع المتطوعين))[2] ولقد استمر تجنيد المقاتلين) بالسير على نفس الاسس التي سار عليها الخليفة عمر τفي عهد الخليفة عثمان (23 – 35 هـ) ( ) (35 – 40 هـ) اخذ نفس النمط في اعداد υ) [3] وفي عهد الامام علي بن ابي طالب (τبن الخطاب (الجيش والاعتماد على المتطوعين فضلاً عن التجنيد الالزامي ، وكان الجيش يتكون من زعماء القبائل وقادتها الذين ينضون تحت راباتهم قبائلهم ، المتطوعين وفيهم النخوه والالتفاف حول زعينهم وهذا ما يرز في وقعتي الجمل وصفين . وكان القائد مالك الاشتر من زعماء القبائل الذين التفت حوله قبيلته النخع وكذلك مذجح تحت لوانه في الجمل وطغي كما مرينا سابقاً . اما تأليف الجيش في عصر صدر الاسلام (عصر مالك الاشتر) كان يتألف من الفرسان والمشاة ، فكان سلاح الفرسان ، الدروع ، والرماح والسيوف او بالدروع . والاقواس ، والنشاب وكان المشاة يتألف منهم رماة السهام وهم الصفر الاهم وهم ينظمون في ثالاثة صفوف طويلة ويتقدمهم الرما حوى لصد هجمات الفرسان تم يتبعهم حاملوا السهام ويوضع الفرسان على الجناجي الايمن والايسر وتبدا المعركة بالمبارزة الفردية [4] .

ولقد تفقنن العرب المسلمون بالقتال وذلك لصبرهم ، وسرعتهم القصوى في الانتقال وصمودهم العجيب ، وهذه الصفات جعلت منهم قوة لا تقهر وكانت الجيوش العربية الاسلامية مزودة بالمؤوته الكاملة ، فكانوا يمتطون الجمال في زحفهم ، واما معسكراتهم فهي الخيام وسعف) ، امر ببناء معسكرات دائمة في العراق البصره والكوفه τالنخيل غير ان الخليفة عمر بن الخطاب (، والفسطاط في مصر والقيروان في افريقيا وغيرها . اما ملابس الفرسان في الدروع المضوعه من السلاسل ويعتمرون الخوذ الفولاذيه ، والتي كانت في الاغلب تزين بريش النور ، ويلبس المشاة قمصاناً ضيفة تطول الى ما تحت الركب ، وعند سيرهم الى المعركة يرتلون الايات القرآنية والتكبير مما يزيدون في العدو الرهبة والخوف[5] ويستخدم اللعرب المسلمون الطبول . ويحملون معهم فساءهم ، واولادهم مما يزيدهم اندفاعاً واستقراراً في الامصار التي يتم السكن فيها . اما السكر من

---

1) المرجع نفسه ، ص70.
2) الصالح : النظم الاسلامية ، ص487.
3) الناطور واخرون : النظم الاسلامية ، ص210.
4) مير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص71 ، معروف : تاريخ الحضاره العربية ، ص42 .
5) مير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص72 .

) الدواوين τشرب الخمر والنساء فهو ممنوع منعاً باتاً . ولقد استخدم الخليفة عمر بن الخطاب (التي يتم تسجيل الجنود فيها وسمي ديوان الجيش بديوان الجند وهو نظام لارزقاتهم ومعاتهم ومن السمات الرئيسية للجيش الاسلامي في مصر صدر الاسلام ، هو الايمان بأن الجهاد هو فرض على كل مسم يستطيع القيام به ومن قتل في سبيل الله فماواه الحبة قال تعالى ((وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران:169)[1] .

والشهادة هي الهدف الاسمى للمجاهدين الذين يسعون الى احدى الحسنين النصر او الشهادة قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ))(التوبة:111)[2] ولقد استخدم خالدن الوليد نظام الكراديس في وقعة اليرموك وهذا نظام جديد على الجيوش الاسلامية . واستخدموا الاعمرة المديرية والخناجر والقوس ، ولقد كان مالك الاشتر منار البحث يحمل عامود المدير واليف الذي يسمى (اللج) والصحيفة اليمانيه ويحمل الرمح والقوس . ولقد قال الامام علي) الى مالك الاشتر في كتاب العهد ((وليكن اكثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته ، υ(وافضل من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلون اهلهم حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك))[3] .

7. الشرطة :

بعد ان ازدهرت الحضاره في ظل الدولة العربية الاسلامية ، وتوسعت ونمت المدن والامصار ، فصار من الواجب فقط الامن وايجاد نظام يسير نمط الحياة ويوفر للسكان العيش) ρالرغيد والرفاهية ومن هذه النظم نظام الشرطة . لقد ظهرات بوادر هذا النظام في زمن الرسول (عند ما كان يعهد الى بعض الصحابه يحفظ الامن ولكن بشكل محدود وليس بهذا الاسم فيما بعد ،) وعلى شكل ليس كنظام الشرطة غير ان تسميتها τانما ظهرت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (العسس وواجيهم يشابه واجب الشرطة وهو الخفارات الليلة لمنع الفساد واللصوص والقبض على) ولم يتطور الى نظام الشرطة τالخياة [4] واستمر نظام العرس على عهد الخليفة عثمان بن عفان (وكان لهذا النظام قائد يسمى υ. ولقد ظهر نظام الشرطة كنظام متميز في عهد خلافة الامام علي ( ) الى فيس بن سعد ((... υصاحب الشرطة . ومما يؤيد ذلك قول الطبري تاريخة قول الامام علي (فكان قد قال لغيس بن سعد اتم معي على شرطي حتى نفرغ من امر الحكومة ثم اخرج الى اذربيجان) الى مالك بن الحارت الاشتر وهو υفكان قيس مقيماً على شرطتة فما انقضت الحكومة كتب علي (

---

1) سورة ال عمران : الاية 169 .
2) سورة التوبة : الاية 116 .
3) عبده : نهج البلاغة ، ص 613.
4) الطبري : تاريخ الطبري ، 295/3 .

يومئذ بنصيبين))[1] ولقد قال السيد مي علي في مختصر تاريخ العرب حول نظام الشرطة ((فهي) العس والحفز ، τ(الشرطة) في بادي الامر كان الناس يقومون بمهام الحراسه ، فأحدث عمر ( )) الذي شكل حرساً υغير ان الشرطة لم تؤسس بصورة نظامية الا في عهد علي ((الامام علي (بلدياً سماه الشرطة واطلق على رئيسها صاحب الشرطة)) واسم الشرطة مشتق من شرط ، أي وصنع علامة ، أي ان الشرطة هم الذين اشترطوا ، ووضعوا علامة ، خاصة تميزهم عن غيرهم .

8. الدواوين

الديوان كلمة فارسية معناها السجل الذي يكتب فيه ما يختصر بشؤون الاداره وصار يطلق على المكان الذي يعمل فيه الكتاب ويحفظ فيها على باب المجاز [2] ويقول اين خلدون : ان اسم الدواوين اسم الشياطين في الفارسية ، وسمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في منهم الامور ووقوفهم على الجلي والخفي فها ، وجمعهم لما شذ وتقرف[3] . ويطبق اين خلدون ((ان كسرى نظر يوماً الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على انفسهم كأنهم يحاسبون فقال (ديوانه) أي (مجانين) بلغة الفرس فسمي موصفهم بذلك [4] ان اول من دون الدواوين هو) ، وذلك لاسباب منها لتساع الدولة الاسلامية ، وكثرة الاموال ، τالخليفة عمر بن الخطاب (وحاجة الجيش الى سجل يضبط اسمائهم ومرتباتهم ، ولقد كان ما يؤتي من في العراق مثلا يوزع بن اهل المدينة المنورة ولا يبقى منه شيئاً [5] ولقد جاء ابو هرية باموال من البحريق) كم هي الاموال يا ابا هريره ؟ قال خمسمائة الف ، τكثيرة ، فقال له الخليفة عمر بن الخطاب (قال له ومك ماذا ؟ قال خمسمائة الف درهم ، حتى اعاد اللفظ خمس مرات ، فد ما الخليفة عمر) الناس ، وقال لهم : ايها الناس قد جائنا مال كثير فان اردتم نكيكم كيلاً وان τبن الخطاب ( ) كيفية توزيع الاموال فأشاروا عليه بتروين τشئتم نعدكم عداً [6] ولقد استشار الخليفة عمر (الدواوين ، ولقد تم تدوينها في سنة (15)هـ [7] كما قال الطبري وابن الاثير وابن خلدون . اما البلاذري في فتوح البلدان يقول تم تدوين الديوان في سنة (20)هـ وايده في ذلك ابن سعد في الطبقات والراجح انه في سنة (20)هـ لان في سنة (15)هـ لم يكتمل فتح العراق والشام ومصر بعد[8] وواستحدث الديوان في اول الامير ، تسجيل اسماء الجنود واعطياتهم وروايتهم ، تم

---

1) مير علي : مختصر تاريخ العرب ص69 – 70 ، ينظر ، الناظور : النظم الاسلامية ، ص105 .
2) النبهان ، محمد فاروق : عصر النبوة والخلافة الراشده ، (ط1 ، جامعة الكويت ، الكويت ، ، 1987م) ، ص260 ، ينظر خالد حسن : النظيمات الادارية في عهد عمر بن الخطاب ، رسالة ما جستير ، مقدمة الى جامعة سانت كلميتن ، 2006 م
3) ابن خلدون : المقدمة ، 613/2 .
4) المصدر نفسه ، 613/2 ، رضا محمد : الفاروق عمر ، (ط1 ، الطبعة المحمدية ، القاهرة ، 1963م) ، ص45 – 46
5) الطبري : تاريخ الطبري ، 277/2 ، ابن عبد ربه : العقد الغريد 69/2 .
6) البلاذري : فتوح البلذان ، ص439 ، خطاب : الفاروق ، ص183 – 185 ، الصلابي : سيرة امير المؤمنين عمر ، ص260 .
7) الطبري : تاريخ الطبري 278/3 ، اين الاثير : الكامل 329/3 ، ابن خلدون : العبر 950/2
8) البلاذري : فتوح البلدان ص435 ، ابن سعد : الطبقات 295/3 ، الصلابي : سيرة امير المؤمنين عمر ، ص442 – 443.

تطور فيما بعد الى عدة دووابن فها الجند ، والرسائل والخاتم الى غيرها من الدواوين[1] وكان يكتب الديوان في المدينة باللغة العربية وفي العراق باللغة الفارسية وفي مصر باللغة القبطية وفي الشام باللغة الرومانية ولقد عرب في عهد عبد الملك بن مروان [2] .

المبحث الثاني
الحياة الاقتصادية

اولاً : النظم المالية :

1) الزكاة :

الزكاة في اللغة قال الرازي : ((زكى ماله تزكية ادى عنه زكاته وزكى نفسه ايضا مدحها وقوله تعالى (وتزكيهم بها) قالوا : تطهرهم بها وزكاه ايضاً اخذ زكاته ، وتزكى تصدق ...)) [3] .

والزكاة والصدقة شيء واحد وهو من ازكى الشيء يزكيه اذا نماه واذا زكاه يعني يطهره ، والزكاة ضريبة التي تؤخذ من اغنياء المسلمين وتوزع على فقرائهم ، وسميت بذلك لانه اخراج شيء من المال والتصرف به يطهر صاحبه ويبعد عنه نظرة الحسد والحقد ويذهب عن صاحبه الشح والاثره [4] ، قال تعالى : ((خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم)) [5] .

وما قاله الماوردي : ان الزكاة تجب في الاموال المرصدة للنماء اما بنفسها او بالعمل فيها طهرة لاهلها ، والاموال المزكاة ضربان ، ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة ما لا يمكن اخفائها كالزرع والتجارة والمواشي ، والباطنة ما يمكن اخفائه من الذهب والفضة وعروض التجاره [6] .

والزكاة توضع على المال بمقدار ربع العشر (2.5 %) وهي زكاة النقد من الذهب والفضة ، وعلى الجاموس والبقر كل (30) عليها واحد بنت سنة فاذا بلغ العدد (60) كانت بمقدار واحدة بنت سنتين .

اما الخيل اذا اعتبرت من الة من الات الحرب فلا زكاة عليها وكل ذلك اذا كانت تاكل من الكلأ المباح فإذا علفها صاحبها صاحبها فلا زكاة عليها واذا دخلت في التجارة يدفع عنها زكاة

---

1) النيهان ، محمد فاروق : نظام المكم في الاسلام ، (ط1 ، جامعة الكويت ، الكويت ، 1987م) ،ص591
2) الصلابي : سيرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص262.
3 الرازي : مختار الصحاح ، ص 273 .
4 ابراهيم : عصر النبوية والخلافة الراشدة ، ص 398 .
5 سورة التوبة : الاية 102 .
6 الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص 185 ، ينظر حسن ، خالد : التنظيمات الادارية في عهد عمر بن الخطاب ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، ص 84 .

التجارة .

فيقول الموردي : ان الاموال المزكاة اربعة ، المواشي وهي البقر والابل والغنم ، وثمار الزروع ، وثمار الشجر والكروم والذهب والفضة [1] فضلاً عن اموال التجارة .

اما الركاز فهو كل مال وجد مدفوناً يكون لواجده ، وعليه دفع خمسه في مصارف الزكاة هذا ان وجد في ارض الحرب ، اما اذا كان في زمن السلم ففيه الزكاة [2] .

ولقد وضع الفقهاء مقادير الزكاة فضلاً عما سبق ذكره ، جعلوا على اموال التجارة (2.5) وعلى الذهب والفضه (200) درهماً للفضة (20) مثقالاً للذهب ومقدارها (2.5) اما الزكاة على الزروع والثمار فاختلفت باختلاف طريقة السقي ، فوضعوا على الزر وع التي تسقى سيحاً او بصورة طبيعية (10%) وعلى الزروع التي تسقى بالالة (5%) وليس على الخضر ولا على الاعلاف ولا على العشب زكاة [3] .

والزكاة او ظريبة اسلامية فرضت على الاغنياء والقادرين تؤخذ من الاغنياء او من يملك بمقدار استحقاقها وتعطى الى الذين لا يملك او يملك قليلاً ووجوه انفاقها حددت الاية الكريمة ((إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله ، عليم حكيم)) [4] .

2) الخراج :

الخراج في اللغة قال الرازي : ((... الخرج والخراج الأتاوة وجمع الخرج أخراج وجمع الخراج (أخرجه) كزمان وأزمنه وأخاريج ايضاً ...)) [5] .

والخراج ضريبة توضع على الارض التي صولح اهلها عند الفتح ، وبقيت في ايدي اصحابها ، تدفع كل عام مرة واحدة واذا كانت ارض الخراج لا يمكن زرعها في كل عام ، تراح في عام وتزرع في عام ، يراعى حالها في ابتداء وضع الخراج عليها [6] .

واما الصالحي فانه يقول عن الخراج يفرض على الارض التي صولح عليها المشركون مقداراً ايضاً من غلاتهم الزراعية او من اموالهم ، وهذا ما يسمى خراجاً ولفظة الخراج قرآنية بمعنى التخريج وهو اداء حق من الحقوق [7] .

ولقد ذكر الماوردي ثلاثة انواع من الارض لا يفرض عليها الخراج وانما يدفع عنها اصحابها عشر ثمارها وغلاتها وتسمى الارض العشرية وهذه الانواع هي :

---

[1] الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص 109- 110 .
[2] البخاري : صحيح البخاري ، 2 / 137 .
[3] ابو عبيد ، القاسم : كتاب الاموال ، تحقيق خليل الراس ، (ط1 ، القاهرة ، 1968 م) ، ينظر الشطاط ، علي حسين : المدخل الى تاريخ الحضارة الاسلامية ، (ط1 ، عمان ، دون تاريخ) ، ص 113 .
[4] سورة التوبة : الاية 60 .
[5] الرازي : مختار الصحاح ، ص 172 .
[6] الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص 131 .
[7] الصالحي : النظم الاسلامية نشأتها وتطورها ، ص 358 .

أ- الارض التي اسلم اهلها وهم عليها دون حرب ، فهذه كانت تترك لهم على ان يدفعوا عنها ضريبة العشر زكاة ولا يجوز بعد ذلك ان يوضع عليها خراج [1] .

ب- الارض التي ملكها المسلمون عنوه ، اذا قسمها الخلية على الفاتحين ، فهذه تعد ارض عشر ، ولا يجوز ان يوضع عليها خراج .

جـ -الارض التي كانت تؤخذ من المشركين عنوة ، وهذه تعد غنيمة تقسم بين الفاتحين ، فيملكونها ويدفعون عنها العشر من غلتها ، وحينئذ تكون ارض عشر عليها خراج [2] .

وكان الخراج : اما شيئاً مقدراً من المال او غلة كما وضع الخليفة عمر بن الخطاب رض رضي الله عنه في ارض السواد بالعراق ، واما حصة معينة مما خرج من الارض ويطلق على ذلك المعاملة او المزارعة كما عامل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) اهل خبير على نصف ما يخرج من الارض قليلاً كان او كثيراً [3] .

والاراضي الصالحية يوضع عليها خراج وهي ضمن الاراضي الخراجية والاراضي احياها المسلحون من اموات ارض الخراج وكذلك الارض الموات التي احياها اهلها فهذه الارض تكون خزاجية باي حال من الاحوال [4] .

وأما جباية الخراج فتكون على نوعين :

أ – نوع المقاسمة :

وهو ان يشرف الخلفاء بانفسهم على جباية الخراج ويحاسبون الولاة والجباة حساباً عسيراً وبلغ من شدة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يحصي اموال العمال قبل توليتهم فاذا انتهت ولايتهم يحصي اموالهم وما زاد يرد الى بيت المال [5] .

ب- نوع الالتزام

وهذا النوع او النظام يرجع الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث انه اقطع ناسا ًمن مزينه وجهينه ارضاً بقصد تعميرها فلم يعمروها وجاء اخرون فعمروها فاقدم المزينون والجهينون الى الخليفة عمر بن الخطاب رض رضي الله عنه فقال لهم : "من كانت له ارض ثم تركها ثلاث سنين فلم يعمرها وعمرها قوم اخرون فهم احق بها " [6] .

ولقد قام عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان بامر من الخليفة عمر بن الخطاب رض رضي الله عنه بمسح ارض السواد فبلغت (36.000.000) ستة وثلاثون الف الف جراباً ، ووضع على جريب العنب عشر دراهم وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وعلى جريب القصب

---

[1] الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص 131 .

[2] المصدر نفسه ، ص 462 .

[3]- حسن ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، (ط1 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهره ، 1959 م) ، ج1 ، ص462 .

[4]- مرار ، مناع خليفة : المزارعة والمسافات في الشريعة الاسلامية ، (ط1 ، دار الرسالة ، بغداد ، 1975) ، ص23 .

[5]-الصالحي : النظم الاسلامية ، ص360 – 361 .

[6]- الصلابي : سيرة امير المؤمنين عمر ، ص256 .

ستة دراهم ، وعلى جريب الحنطة اربع دراهم وعلى جريب الشعير درهمين[1] .

ولقد طبقت هذه الطريقة بارض مصر التي تولاها عمرو بن العاص ولكن وحدة القياس الفدان ، ولم يذكر اسم الذي مسح الارض ولم يذكر من قام بمسح ارض الشام[2] .

ولقد تم تولية عثمان بن حنيف من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رض رضي الله عنه على مساحة ارض السواد فادت جباية سواد الكوفة قبل ان يموت الخليفة عمر بن الخطاب رض رضي الله عنه بعام مئة الف الف درهم ، وكان وزن الدرهم يومئذٍ وزن المثقال[3] .

3) الجزية :

الجزية في اللغة ، قال الرازي : ((... الجزية جزاء بما صنع بجزيه ...والجزيه ما يؤخذ من اهل الذمة والجمع الجزي مثل لحية ولحى)) [4] .

وما قاله ابن منظور ((الجزية هي الجزاء أي المكافأة او القضاء او خراج الارض او ما يؤخذ من الذمي)) [5] .

واما الماوردي يعرفها بقوله ((اما الجزية فهي موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء)) [6] .

والجزية مبلغ بسيط يدفعه الذمي مقابل انتفاعه بالمرافق العامة وخدمات الدولة كالقضاء والشرطة والجسور ومشاريع الري والمدارس والمستشفيات والحماية [7] .

ويقول الصلابي : الجزية هي الضريبة التي توضع على الرؤوس من دخل ذمة المسلمين من اهل الكتاب ، وقيل هي الخراج المحمول على رؤوس الكفار إذلالاً لهم [8] لقوله تعالى ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وباليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)) [9].

وتسقط الجزية باسلام الشخص الذي كانت عليه ، وهي عكس الخراج حيث لا يسقط باسلام صاحب الملك او المالك وانما يثبت الخراج بالاجتهاد ولقد فرضت الجزية على اهل الكتاب كما فرضت الزكاة على المسلمين حتى يتكافيء الفريقان وهما رعية لدولة واحدة في المسؤولية كما تتكافيء في الحقوق .

ولا تؤخذ الجزية من الذمي بدخوله الاسلام او بعجزه او لفقره او عجز المسلمين عن

1- المصدر نفسه ، ص252 .
2- المصدر نفسه ، ص 252.
3- الخضري : الدولة الاموية ، 2 / 193 .
4 الرازي : مختار الصحاح ، ص 103 .
5 ابن منظور : لسان العرب ، ج 18 مادة جزئي.
6 الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص 136 .
7 ابو خليل : شوقي : الحضارة العربية الاسلامية ، (ط1 ، كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، 1987 م) ، ص 198 .
8 الصلابي : سيرة امير المؤمنين عمر ، ص 242 .
9 سورة التوبة : اية 29 .

حمايته او التحقاه باهل دار الحرب [1].

ولقد قسم ابو حنيفة الجزية الى ثلاثة اقسام :

أ- اغنياء يؤخذ منهم ثمانية واربعون درهماً .

ب- متوسطون يؤخذ منهم اربعة وعشرون درهماً .

جـ- فقراء يكسبون ويؤخذ منهم اثنا عشر درهماً [2].

وهذه المبالغ تؤخذ منهم في كل سنة مرة واحدة [3].

ولقد اوصى صاحب الشرع وقادة الاسلام . بالرفق والانصاف في جبايتها من اهل الكتاب ، وصيانة اموالهم وارواحهم من عبث الجباة والولاة ويقضي الدستور الاسلامي بجبايتها ((ان لا يضرب احداً من اهل الذمة في استيفائهم للجزية ولا يقاموا في الشمس ولا غيرها ، ولا يجعل عليهم في ابدانهم شيء من المكاره ، ولكن يرفق بهم ويحبسون حتى يؤدوا ما عليهم [4].

اما الذين تجب عليهم الجزية من اهل الذمة هم : [5]

أ- الرجال الاحرار العقلاء والاصحاء والقادرين على الدفع .

ب- من اغنياء المترهبين في الاديرة والصوامع .

اما الذين قد تم اعفائهم من الجزية

أ- لا تؤخذ الجزية من المساكين الذين يتصدق عليهم .

ب- من ليس له القدرة على العمل .

جـ - لا تؤخذ الجزية من الاعمى او المقعد او المجنون وغيرهم من ذوي العاهات .

ء – لا تؤخذ الجزية من الرهبان في الاديرة والصوامع من غير الاغنياء .

وبذلك فان الجزية وضعت على رقاب من يستطيع الجهاد واعفي منها الاشخاص الغير قادرين على ذلك وهي وضعت مقابل حماية اهل الذمة ليكونوا في أمن .

وتؤخذ الجزية من اليهود والنصارى وهو اجماع لا خلاف فيه ومن لهم شبه كتاب كالمجوس [6].

4) الغنيمة :

الغنيمة في اللغة يقول الرازي ((... الغنيمة بمعنى وقد غنم بالكسر غُنْماً ، وغنمه تغنيماً ، نقله ، واغتنمه وتغنمه عده غنيمة))[7].

والغنيمة : هي كل ما اصابه المسلحون من اهل الشرك بالقتال وتشمل اربعة اقسام :

---

[1] اليوزبكي ، توفيق : تاريخ اهل الذمة في العراق ، (ط1 ، مطبعة دار العلوم ، الرياض ، 1983 م) ، ص 64 .

[2] حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، 1 / 471 .

[3] ابو يوسف ، القاضي يعقوب بن ابراهيم الانصاري شطاط : الخراج ، (ط1 ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، 1302 هـ) ، ص 122

[4] المصدر نفسه ، ص 123؛ المصدر السابق 1 / 471 .

[5] الصالحي : النظم الاسلامية ونشأتها ، ص 294 .

[6] الصلابي : سيرة امير المؤمنين عمر ، ص 244 .

[7] الرازي : مختار الصحاح ، ص 482 .

أ- الاسرى : هم ايصال المقاتلون من الكفار الذين يقعون في الاسر .

ب- السبي : هم النساء والاطفال الذين يقعون في الاسر في ايدي المسلحين فلا يجوز قتالهم انما يقسمون من جملة الغنائم .

جـ- الارض : التي تؤخذ بالحرب بالحرب عنوة ، يخرج عنها اهلا لانها غنيمة كالاموال .

ع- الاموال المنقولة : وهي التي يمكن نقلها كالاموال والمواشي وغير ذلك فتقسم بين بين المقاتلين وكذلك الاسلاب والاسلحة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها حسبما يرى [1] .

وقال تعالى في تقسيم الغنيمة ((واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وإبن السبيل)) [2] .

اما الاخماس المتبقية الاربعة فتكون ملكاً للغانمين [3]. ولقد زادت الغنائم زيادة كبيرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لاتساع المناطق المفتوحة لما كانت تتمتع به من ازدهار حضاري واقتصادي كبير ، وكان القادة الذين يخرجون للحرب بكامل ابهتهم وملابسهم فيقع سلبهم للمسلمين . ولقد بلغ احياناً (15000) درهم و (30.000) درهم ولقد فتحت مدناً عظيمة مثل المدائن وجلولاء وهمدان والري وغيرها فحاز المسلمون اموالاً كثيرة . [4]

5) الفيء :

الفيء في اللغة قال الرازي : ((الفيء الخراج والغنيمة يقال (أفاء) الله علينا مال الكفار بالمد يفيء (افاءه) والفيء ايضاً ما بعد الزوال من الظل سمي فيئاً لرجوعه من جانب الى جانب ...))[5] .

والفيء مأخوذ من يفيء اذا رجع الى الشيء وهو في الاصطلاح المال الذي اصابه المسلحون عفواً دون قتال ودون ايجاف بخيل ولا ركاب [6] . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم الفيء الى خمسة اقساماً متساوية عملاً بقوله تعالى : ((ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)) [7] .

اما اربعة الاخماس الفيء المتبقية فكانت تقسم في عصر صدر الاسلام بين الجند لشراء الاسلحة الحربية الى ان دون الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدواوين فعرضت مقادير ارزاق الجند ومرتباتهم [8] .

---

[1] الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص 204 .
[2] سورة الانفال : الاية 41 .
[3] ابن تيمية : شيخ الاسلام : السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، (ط 1 ، مكتبة المثنى ، دون تاريخ) ص 22 .
[4] خالد حسن : التنظيمات الادارية ، ص 92 .
[5] الرازي : الصحاح ص 516 .
[6] الصالحي : النظم الاسلامية نشأتها ، ص 368 .
[7] سورة الحشر : الاية 7 .
[8] الصالحي : النظم الاسلامية ، ص 368 .

6) العشور :

العشر في اللغة قال الرازي : ((العشر جزء من العشرة وكذا العشير يوزن الشعير وحجة (اعشراء) كنصيب وانصاب ..)) (1) .

ظهر نظام العشور في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث اتسعت الدولة الاسلامية ، وصارت مترامية الاطراف ، واخذ التجار يدخلون الى ارض الاسلام ، وصار التبادل التجاري ضرورة تمليها المصلحة العامة فرأى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يفرض تلك الضريبة على الوافدين الى بلاد الاسلام من التجار (2) .

والعشور ضريبة تؤخذ على بضائع التجار ، فيؤخذ العشر من بضائع الغير مسلمين اذا قدموا بها من دار الحرب الى دار السلام (3) .

والارض العشرية : هي الارض التي تخضع لضريبة العشر أي يؤخذ الى بيت المال 10 % من محصولها الزراعي وهذه الضريبة هي زكاة ما يخرج من هذا النوع من الاراضي وهو يشمل الاراضي التالية :

أ – الاراضي الواقعة في بلاد العرب فان الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون لم يؤخذوا خراجاً من بلاد العرب .

ب- الاراضي التي فتحت عنوه على ايدي المجاهدين الفاتحين وقسمت بينهم على اساس الملكية الفردية .

جـ - الاراضي التي اسلم عليها اصحابها جماعات وافراداً .

ولقد جاءت فكرت ضريبة العشور عندما كتب ابو موسى الاشعري الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بان تجارا من المسلمين ياتون دار الحرب أي البلاد الغير مسلحة اهلها والذين ليس بينهم وبين المسلمين عهداً فيأخذون منهم العشر .

فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، خذ انت منهم كما ياخذون من تجار المسلمين وخذ من اهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين درهماً من كل اربعين درهماً ، ولا تاخذ منهم فيما دون المائتين شيئاً فاذا بلغت مائتين فيها خمسة دراهم (4) .

وان اهل منبج قوم من اهل الحرب ، وراء البحر ، كتبوا الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، دعنا ندخل الى ارضك تجاراً وتعشرنا فشاور عمر رضي الله عنه اصحاب رسول صلى الله عليه وسلم في ذلك فاشاروا به ، فكانوا اول من عشر من اهل الحرب (5) .

وقد نص الشرع الاسلامي على اخذ العشر من سلع تجار الغير مسلمين التي يقدمون

---

1 الرازي : مختار الصحاح ، ص 434 .

2 الصلابي : سيرة امير المؤمنين عمر ، ص 256

3 المصدر نفسه ، ص 268 .

4 الفيحان ، عبد الله ابراهيم : الادارة في الاسلام الفكر والتطبيق ، (ط1 ، دار الشروق ، جده ، 1986 م) ، ص 290 .

5 الفيحان : الادارة في الاسلام ، ص 281 .

بها من دار الحرب الى دار الاسلام اذا شرط ذلك عليهم ، ولقد اتفق الامام الشافعي بان للامام ان يزيد في العشر ، وان ينقص منه الى نصف العشر وان يرفع ذلك عنهم اذا راى في ذلك مصلحة او يزيد اخذ العشر على مرة من كل قادم في التجارة في السنة الواحدة ، ولو تكرر قدومه كانت هذه الضريبة لا تؤخذ من التاجر الا اذا انتقل من بلاد الى بلاد اخرى .

ولقد اتبع المسلمون الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تعشير اموال التجارة التي ترد من خارج البلاد الاسلامية الى بلاد المسلمين ، قال انس بن سيرين : ارادوا ان يستعملوني على عشور الابله فاتيت فلقيني انس بن مالك فقال : ما يمنعك ؟ فقلت العشور اخبث ما عمل عليه الانسان ، قال : فقال لي لا تفعل عمر صنعه فجعل على اهل الاسلام ربع العشر ، وعلى اهل الذمة نصف العشر وعلى المركين ممن ليس له ذمة الشرك [1].

ثانياً – الزراعة :

الزراعة في اللغة قال الرازي (زرع : الزروع واحد (الزروع) وموضعه (مزرعة) و(مزروع) والزرع ايضاً طرح البذر والزرع ايضاً الانبات يقال زرعة الله أي انبته ومنه قوله تعالى (أنتم تزرعونه ام نحن الزارعون) [2] .

وللزراعة اهمية كبرى ورئيسية في الدوله العربية الاسلامية ، حيث ان المنتوجات الزراعية هي المصدر الاساسي للموارد الغذائية والتي يعتمدها الناس في حياتهم اليومية ، كما ان الصناعة تعتمد على الموارد الاولية من المنتوجات الزراعية مثل الكتان والقطن وهي المنسوجات التي يستخدمها الانسان للملابس والافراشه ، وكذلك الاخشاب التي هي ضرورية للبناء والوقود وضع الاثاث المنزلية ، والحصران التي تضع من القصب ومن سعف النخيل وتستخدم تسقيف المنازل والفرش وتستخرج الادوية والعطور من المنتوجات الزراعية .

ولقد اخذت الزراعة اهتماماً كبيراً من المسلمين منذ قيام الدولة الاسلامية فلقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم واله وسلم الى العناية بالزراعة والمزروعات [3] حيث قال : ((من كانت له ارض فليزرعها ، فان لم يستطع ان يزرعها وعجز عنها فليمنحها اخاه المسلم ولا يؤمله اياها)) [4] .

ولقد اعتنت الدولة الاسلامية في عصر صدر الاسلام (عصر مالك الاشتر) مثار البحث عناية كبيره في الري فلقد جاء في النظم الاسلامية للناطور ((عملت الدولة الاسلامية على بناء السدود وشق الترع والقنوات كما عملت على سد الصدوع في الانهار ، واستخدمت الالات البدائية لري السواد بشكل خاص رياً اصطناعياً الى جانب الاستفادة من مياه القنوات كري طبيعي

---

[1] الخضري : الدولة الاموية ، ص 295 .
[2] الرازي : مختار الصحاح ، ص 270 .
[3] الناطور واخرون : النظم الاسلامية ، ص 147 .
[4] تهذيب ابن القيم : سنن ابن داود ، ج 5 ، ص 6 – 7 .

بالاضافة الى (فضلا عن) رفع مستوى المياه لتوزيعها بسهولة الى القنوات الفرعية بما انشأته من سدود اصطلحوا على تسميتها بالنواظم))[1] .

والزراعة هي الحرفة الرئيسية التي يمتهنها العدد الاكبر من سكان البلاد الاسلامية ، وهي المصدر الرئيسي في معيشتهم وحياتهم ، وان تقد الزراعة وازدهارها ونموها هي من مسؤولية الدولة ، التي تعتني تقديم المعونات للفلاحين والمزارعين وتشجيعهم على مواصلة الزراعة لانها الشريان المهم الذي يغذي المواطنين ويسد حاجاتهم وكذلك توفير الاعلاف للحيوانات .

وكان اعتماد الدولة الرئيسي في ذلك العصر على ما تجنيه من ضرائب الخراج وان ديوان الخراج هو المسؤول عن جباية الضرائب وتنظيمها والاشراف عليها واستحصالها من الفلاحين وهو اهم دواوين الدولة [2] .

ولقد بلغت عناية الدولة العربية الاسلامية في عصر صدر الاسلام بالزراعة والفلاحة انها لم تتعرض للفلاحين بشيء من الضرر ((ولقد اوصى خالد بن الوليد بان لا يؤخذ من الفلاحين أي شيء من المال والغى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضريبة النخل والكرم والارطاب لكل شيء من الارض عوناً للفلاحين في ارض السواد ، كما راعى في ذلك ما تتحمله وضم ا عمر رضي الله عنه كثيراً من الاراضي التي حيز عنها اهلها في الشام والعراق وبقيت دون ما يملكها الى بيت المال ...)) [3] ويضيف ابو يوسف ((... ثم اخذ يقطعها لمن يتعهدها بالزراعة والغراسة فسميت بالقطائع ...)) وذكر ابو يوسف في هذا المجال ان القطائع من ارض العراق كل ما كانت لكسرى ومرازبته واهل بيته ما لم يكن في يد احد [4] .

ولقد تنوعت مصادر المياه في الدولة الاسلامية فقلة الامطار في بعض المناطق جعل الاعتماد الاول للزراعة على الامطار والينابيع وان المناطق الصحراوية لاسيما في شبه الجزيرة العربية ، تعتمد على المياه الجوفيه والابار والتي يختلف عمقها وكمياتها . وقد كانت بعض مياه الينابيع غزيرة لدرجة تكفي لزراعة اراضي واسعة كما الحال في الواحات .

بيد ان مياه الانهار الدائمة هي الوسيلة الرئيسية والمهمة في الاقاليم الغنية في العراق ومصر والشام ، ففي العراق تعتمد الزراعة على نهري دجلة والفرات بصورة رئيسية ، واللذين يجريان في القسم الشمالي منه في ارض مرتفعة الضفاف فلا يستفاد منهما في الزراعة الا عند شواطئها غير انهما في وسط العراق يسيران في ارض منبسطة قليلة الانحدار فيستفاد من مياههما للارواء . وتتشعب من نهر الفرات عدة فروع تروي الاراضي التي في منطقة الكوفة .

وتتفرع من نهر دجلة ترع وانهار كثيرة في المنطقة الجنوبية من العراق فتسقي تلك

---

[1] الناطور : النظم الاسلامية ، ص 148 .
[2] لجنة وزارة التربية العراقية : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص 22 .
[3] الناطور : النظم الاسلامية ، ص 148 .
[4] ابو يوسف : الخراج ، ص 38 ؛ المرجع السابق ، ص 148 .

الاراضي ، وتعتمد منطقة البصرة على الترع الكثيرة التي تاخذ مياهها من شط العرب [1] .

ولرخاوة التربة وانبساط الاراضي في جنوب العراق فلقد اهتمت الدولة الاسلامية بانشاء السدود لدرء خطر الفيضانات . ولقد حاولت الدولة بالاهتمام بكري الانهار وتنظيفها من الارمال التي تترسب فتعرقل جريانها .

وفي اواخر العهد الساساني ساءت احوال الري وكسرت السدود بسبب الفيضانات ودمرت الترع وغرقت كثير من الاراضي الزراعية ، غير ان فتح العراق على ايدي المسلمين ، قاموا باصلاح السدود ، ووفروا ماء الشرب لاهل البصرة وعمروا الاراضي الواقعة على ضفاف شط العرب وحفروا عدداً من الانهار [2] .

اما في مصر فان نهر النيل العظيم يخترقها من الجنوب الى الشمال فيروي الاراضي التي حوله على شكل شريط ضيق تحف به الصحاري من جانبيه غير ان مصبه خصب وهو ضيق لا يتجاوز عرضه بضعه كيلو مترات ، غير انه يتسع عند مصبه في دلتا واسعة ترويها ترع كثيرة تستمد مياهها من نهر النيل [3] .

اما في الشام فان نهر الفرات يخترق الجزء الشمالي الشرقي منها ويدخل العراق ، وهو يسقي الاراضي الواقعة بينه وبين نهر دجلة ، وكذلك الاردن ومنها الانهار الحولية والعيون التي يزرع حولها الفلاحون محاصيلهم الزراعية كالزيتون والبرتقال والتفاح الذي يشتهر به لبنان والشام وغوطة دمشق المشهورة .

واهم المزروعات في بلاد ما بين النهرين (العراق) والتي اطلق عليها ارض السواد لكثرة ما فيها من المزروعات ، النخيل في منطقة شط العرب ووسط العراق والمشهورة بكثرة انواعها ، منها الخستاوي ، والخضراوي والسابر ، والاسطة عمران والابراهيمي والسكري والزهدي والحمراوي والبريم والمكتوم والتبرزلي وانواع عديدة اخرى . ويزرع الرمان والكروم والمشمش والخوخ في منطقة الكوفة وديالى ، وتشتهر الاخيرة بهذه الاشجار من الفاكهة الجيدة .

اما المحاصيل الزراعية فاهمها الحنطة والشعير والذي يزرع في السهل الرسوبي من العراق بكميات كبيرة ، وكذلك في المنطقة الشمالية والذي يعتمد على مياه الامطار ، ويزرع الارز في المنطقة الوسطى من العراق وبخاصة في منطقة الفرات الاوسط وفي الاهوار لغزارة المياه والمناخ الحار ، وكذلك القطن والكتان والذرة ، ويزرع الزيتون في سنجار وقصب السكر في البصرة . وكذلك الخضراوات مثل البطيخ والخيار واشتهرت مناطق العراق بزراعة القرنفل والياسمين والجوري والورد والبنفسج [4] .

وفي المدينة المنورة اشتهرت زراعة النخيل ، فكانت فيها انواعاً متميزة من التمور

---

[1] لجنة في وزارة التربية : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص **94** .

[2] المصدر نفسه ، ص **94** .

[3] رشيد ، عبد الوهاب حميد : حضارة وادي الرافدين (ميتروبوثاميا) ، (ط **1** ، دار الثقافة والنشر ، بغداد ، **2004** م) ، ص **24** .

4 الناطور : النظم الاسلامية ، ص **148** .

الجيدة . اما في وادي النيل اهم مزروعاتهم الحنطة والشعير وكذلك القطن في دلتا النيل .

ويقول باقر طه : بالرغم من التشابه بين حضارة وادي النيل ووادي الرافدين الا ان وادي الرافدين اكثر مشاكل واصعب تنظيماً بحيث لا يستطيع المرء المتبع لتاريخ هذه الحضارة الا ان يقدر ما بذله سكان العراق القدماء من جهود جبارة للسيطرة على نهرين من اشد انهار الدنيا عنفاً [1] .

وما قال عبد الوهاب حول حضارة وادي الرافدين ((تعد ارض الرافدين ارضاً مفتوحة على الخارج بالمقارنة مع وادي النيل المقفل تقريباً .

لذلك تعرض وادي الرافدين الى هجرة الاقوام الكثيرة والغزوات العنيفة واختلاط السكان وما استتبع ذلك من عنف وتدمير وتطور وتبدل التكوين الاجتماعي والسياسي وظهور ذلك في سير حضارته)) [2] .

ويقول المستشرق (لوبنهاين) ((اننا نعرف بان كافة مدن ما بين النهرين الكبيرة والصغيرة قد دمرت لمرات عديدة بواسطة الحروب)) [3] .

وحول تنوع الشعوب والمزروعات والحيوانات للدولة الاسلامية يقول حسن باشا :

((ان الاطار الجغرافي الذي نمت فيه .

ففي العراق : ((ينبع نهري دجله والفرات من هضبة الاناضول وبعد ان يجرى دجله في تركيا (الاناضول) والفرات في تركيا وسوريا (الاناضول والشام) يدخلان العراق ويسيران في اتجاه نحو الجنوب الشرقي ثم يقتربان من بعضهما في منطقة بغداد (المدائن) ثم يصبان في مجرى شط العرب الذي يصب في الخليج))(4) فالانهار في العراق نهر الفرات ونهر دجله وله خمسة واحد الزاب الخابور والزاب الاعلى والزاب الاسفل والعظيم وديالى . وفي بلاد خراسان نهر اترك شرق خراسان ونهر مرو تقع عليه مدينة مرو ونهر قزبل تقع عليه مدينة قزوين وزنجان شمال ايران الحالي ويصب في الجر الاسود (5) . اما انهار المغرب العربي فأهمها نهر سبو ونهر ام الربيعن والملويه . وهي عبارة عن شبكة من الانهار ، واهم المزروعات الحنطة والشعير وتزرع الفواكة الرمان والتبن والزيتون وفيها من الاخشاب التي تقع فيها السفن على المحيط الاطلسي (6) . وفي مصر النيل العظيم الذي يجرى من الجنوب الى الشمال حتى الدلتا ويصب في البحر الابيض المتوسط ، وتنقسم الزراعه في مصر الى ثلاث مواسم زراعية ، الموسم الشتوي والموسم الصيفي والموسم النيلي وتعتمد الاولى على مياه الفيضان واما الموسم الشتوي يعتمد على ما تقل فيه مياه

---

1 طه ، باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الوجيز في حضارة وادي الرافدين ، (ط 2 ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 م) ، ص 24 .

2 عبد الوهاب : حضارة وادي الرافدين ، ص 25 .

3 اوبنهايم ، لبر : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي منيف عبد الرزاق ، .(ط1 ، وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، بغداد ، 1981 م) ، ص 32 .

4) الجوهرى : جغرافية العالم الاسلامي ، ص113

5) المصدر نفسه ، ص184

6) المصدر نفسه ، ص504

النيل ويزرع فيه .

الى اهم مصادر المياه في الدولـة الاسلامية عصر صدر الاسلام (عصر مالك الاشتر) والتي كانت مصدر رئيساً من مصادر الحضاره الاسلاميه : شبه الجزيرة العربيه : تعتبر منطقه تجدو الحجاز فقيره نسبياً من حيث الموارد المائية فهي منطقة حدباء في معظم اجزائها وتعتمد على الواحات والاوديه وتتوزع الواحات على ثلاث مناطق هي جبل شمر التي تتمتع بكمية من المطر اكثر من غيرها وهي المنطقة الشمالية . اما المنطقة الوسطى فهي وادي الرمه وفيه بقرب الماذ من السطح ومنطقة الهفون ويزرع في هذه المناطق البلح بأنواعه والفواكه والخضروات والعنب والحبوب كالقمح والشعير والذره بكميات قليله . اما الثروة الحيوانية فقاصره على الابل والماعز التي تمر الشمان بالالبان واللحوم والعرب (1) اما في اليمن فهو يعتبر من اغنى المناطق الزراعية وبذلك سمي اليمن السعيد وكان يعتمد في الري على مياه الامطار التي تحتجزها السدود اهمها سد (مأرب) ولقد ذكر في الكتب السماويه وكانت تزهز بالحياة والحضاره في العصور القديمه وفيها حضارة مملكة بلقيس التي ما تزال اثارها في مدينة (مأرب) وفيها من اما صيل الزراعية الذره والفواكه كالقمح والشعير والنخيل والقطن والبن(2).

والانهار هي المعين الذي لاينضب ومصدر الحياة ولقد ذكرها الهه تعالى في كتابه القرآن الكريم ((أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى)) (محمد:15) (3) ان تكرار اسم الانهار ومواقعها وما تحويه في الجنة لهو الترغيب فيها والتذكير بأنها اصل الحياة والانتهال منها هو الديمومه والحياة الخالده المثلى في الاخرة . وان الله اعطى للشجرة قدسية عظيمة حيث ضرب بها الامثال للشجرة الطيبة واخرى للخبيثه قال تعالى ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ # تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ#وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ))(ابراهيم:24)(ابراهيم:25)(ابراهيم:26)(4) وكان الاهتمام بالزراعه واضحاً من خلال استخدام الدورات الزراعيه ومراق التسميد بالسماء الذي كانوا يتخذونه من فضلات الحيوانات وبقايا الرماد(5) ومصادر المياة كثيرة ومتنوعه في الدولة الاسلامية ، وحسب طبيعه الارض وتضاريها من الجيال والسهول والصحراء وسوف يتعرض الباحث للحضارة الاسلامية واثره في تشكيلها ومن الملاحظ ان هذا الاطار الجغرافي كان يشمل رقصة متصلة من الارض تمتد بصفة اساسية من الهند شرقاً الى المحيط الاطلس غرباً وان هذه الرقصه من الارض ذات تضاريس

1) الجوهري ، يسرى : جغرافية العالم الاسلامي ، (ط1 ، عمان ، دون تاريخ) ، ص36
2) المرجع نفسه ، ص45
3) سورة محمد : الاية 15
4) سورة ابراهيم : الاية 24
5) الناقور : التنظيم الاسلامية ، ص148 ، معروف : موجز تاريخ الحضارة الاسلاميه ، ص67

واجواء فمختلفه مما يؤدي الى تنوع شعوبها وحيواناتها ونباتها وفتجاتها كما انها على درجه كبيره من الخصب والشراء ...))(1) .

ويضيف الباشا حول تنوع المناخ مما يؤدي الى تنوع المنتجات الزراعية بالقول ((... وئتمير (الدولة الاسلامية) يصفه عامة باعتدال مناخها وقد هبأ ذلك كله للحضاره الاسلاميه التي ترعرعت في هذه الاقاليم ان تنمو في بيئته غنيه خصبه مكتيفيه بذاتها مما زودها بطابع الثقة والاصاله .))(2) تبضح من ذلك ان كثيرة الموارد البشرية وتنوعها واختلاف المناخ ووفرة المياة ادت الى تنوع المحاصيل الزراعية ، والاشجار والنيات والكلام ضارت الدولة الاسلامية حترامية الاطراف ولديها اكتفاء ذاتي . ان الحضارة العربية الاسلامية قامت على حضارات قديمة الحضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل ، وما اثر ذلك في فنون الزراعة واستخدام الموارد المائية وتنظيم السدود وكيفية زراعة المحاصيل الزراعية والفواكه والخضر وان في اراضيها اعظم انهار العالم دجله والفرات والنيل .

ثالثاً :التجارة

التجارة في اللغة قال الرا زي : ((تجر من باب نصر وكذلك اتجر اتجاراً وجمع التاجر تجرٌ كصاحبه وصحب وتجار يكسر التاء وتجار بالفم والتشديد))(3) .

لقد مارس اهل مكة التجارة قبل الاسلام ويقومون بنقل السلع والمتاجره بين اليمن والشام ، بصورة خاصة مما اكسبهم الخيره وتمرساً في المدر التجاره ومصرفهم التامه بالطرق إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ #التجارية بين مكة وهذه الاقاليم . ولقد جاء قوله تعالى : ((لِإِيلافِ قُرَيْشٍ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ # فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ#وَالصَّيْفِ خَوْفٍ))(قريش:1)(قريش:2)(قريش:3)(قريش:4) (4) مما يبني اشتغال قريش بالتجاره وتفوقهم فيها ، فهم يتجهون في الصيف صوب الشمال نحو الشام يحملون بضائعهم من الاغنام والعوف والجمال ويأتون بالمتوجات المريرية والعسل والزيتون وما اليها وذلك في فصل الصيف تم انهم يتجهون نحو اليمن في فصل الشتاء حاملين بضاعهم ، وبمليون المتوجات اليمنيه المشهوره في ذلك الوقت ، وعند تأسيس الدولة الاسلاميه اخذت التجارة كزدهر وازدادت اهمية العراق والحجاز بصورة خاصه.

بعد ان قصب السكر والقطن . اما الموسم النيلي فيزرع فيه عندما يأخذ نهر النيل بالتصاعد (5) . واما نهر جيجون فهو يقع في اقصى الدولة الاسلاميه وما بعده يسمى بلاد ما وراء النهر وهو نهر عظيم وحاجز ما تي مهم بن الدولة الاسلامية في ذالك العصر وماليها

---

1) الباشا ، حسن : دراسات في تاريخ الحضاره الاسلامية ، (ط1 ، القاهرة ، 1988م) ، ص8

2) المصدر نفسه ، ص12.

3) الرازي : مختار الصاح ، ص75.

4) سورة قريش : الاية 1-6.

5) المصدر السابق ص219.

وتقع عليه مدينة بخاري . اما الموارد البشرية فهي متوفرة في الاقاليم الاسلامية سواء اكان في البلاد المفتوحه حديثاً وسكنها العرب او الخليط من السكان الاصلين والعرب فأختلط الفرس بالعرب في العراق وفارس وكونوا حضارة السلامية فتزاوجه. وكذلك في المغرب العرب اختلط البربر مع العرب فيقول ما ركوك ويسكن المغرب البربر على ثقافتهم فيما عدا القبائل التي تسكن طنجه والتي عرفت العربيه بحكم موقفها على الممر الذي ربط بن العرب واسبانيا واوربا (1)

وبهذا فإن النقود من الدرهم والدينار كانت معروفة في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) بدليل ورودها في القرآن الكر يم ولم تكن في الحجاز آنذاك دوراً لسك مثل هذه النقود ، إنما كانت ترد من بلاد الروم الدنانير ، أما في بلاد فارس فترد الدراهم ومن اليمن أيضاً 2

وكان ذلك طبيعيا حيث أن التجار من قريش كانوا في رحلاتهم التجارية اتجاه الشمال والجنوب كانوا يتعاملون بهذه النقود ويجلبونها معهم ، وإلا كيف يبيعون بضائعهم أو يشترى البضاعة من هذه الأقاليم .

ومما قال البلاذري في فتوح البلدان ((وكان العرب يتعاملون بهذه النقود وزنا لا عدداً . كانوا يسمون غير المسكوك منها تبراً لتميزه عن العملة المتداولة))3.

ومما قال البلاذري أيضاً ((كانت لقريش أوزاناً في الجاهلية ، فدخل الإسلام فأثرت على ما كان عليه : كانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهماً وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً فكل عشرة من أوزان الدرهم تساوي سبعة من أوزان الدنانير وكان لهم الأوقية وتزن أربعين درهما فلما جاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) أقرهم على ذلك 4

وتم توضيح ذلك من قبل أبو عبيد حيث يقول : ((المكيال مكيال المدينة والميزان ميزان مكة))5

ومما قاله أبن خلدون في تداول الدينار والدرهم في عصر صدر الإسلام بقوله : ((أعلم إن الإجماع منعقد منذ صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين إن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل (دنانير) من الذهب والأوقية منه أربعون درهما وهو على هذا سبعة أعشار الدينار ، ووزن المثقال عن الذهب اثنان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة أعشاره خمسون حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع))6 .

ويذكر الماوردي إن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هو الذي حدد مقدار الدرهم الشرعي وإن ما فعله عبدالملك بن مروان إنما جاء مبنياً على ما صنعه الخليفة عمر رضي

---

1 (Mardock Gp – Afrieeito people aue thcir coiroc history londou 1050 pill

2) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص 164.

3) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 471

4) المصدر نفسه ، ص 472 .

5) أبو عبيد : الأموال ، ص 520.

6) أبن خلدون : المقدمة ، ص220.

الله عنه 1.

حيث إن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب الدراهم على نقش الكسروية وأشكالها ولم يحاول ضرب سكة جديدة إلا أنه أضاف لها نقش بعض العبارات الإسلامية ولقد عثر علماء الآثار على نقود عديدة من العصور تبين من وزنها ذلك 2.

وعلى ذلك يكون مقدار الحبة 0,09 غرام بتقسيم 72 حبة على وزن المثقال 4.2-72= 0,09 ، وذلك لأن المثقال 72 حبة من حبات الشعير ، وما دام المثقال 20 قيراطاً فمقدار القيراط إذن يساوي 0,212 غرام أي (4,2-20= 0,212) وبما أن نسبة المثقال محدودة وهي 10:7 فيمكن

استخراج وزن الدرهم بدقة

$$\frac{7 \times 4,2}{10} = 2,97$$ غرام . وهذا الدرهم الذي وزنه سبعة

ولما كان الدرهم يساوي 6 دونق فإن الدونق = 2,97 -6=0,49 من الغرام (أي الفضة)ولما كان الرانق قيراطي، فإن القيراط = 2/0,49 =0,247 من الغرام (أي قيراط العملة الفضية) والقيراط = طسومان فالطسوج = 0,247=2=0,1327 من الغرام وبما أن الطسوج جتين ساوت الحبة 0،06 من الغرام والحبة = فلسين والفلس = 0،03 من الغرام

وكانت النقود تحدد أحيانا بالقنطار ويساوي 4 آلاف دينار

رابعا :الصناعة ووحدات القياس والاوزان والمكايل :

1. الصناعة :

الصناعة في اللغة : قال الرازي (... الصناعة بالكسر حرفة الصانع وعمله الصناعة واصطنع عنده صنيعة واصطنعه لنفسه فهو صنيعته اذااصطنعه وخرجه ..)[3] .

لقد اكد الاسلام على اهمية العمل وهو ركيزة اساسية من مبادئ الحياة فشرف المرء عمله سواء كان عمر عضليا او فكريا قال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) [4] .

والسنة النبوية الشريفة قال الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)(ما كسب الرجل كسبا اطيب من عمل يده)[5].

ولقد جعل القران الكريم العمل درجات وصنف الاجر على قدر ما يقدمه المرء من جهد ، واشاد الاسلام بالعمل اليدوي حتى اعتبره نعمة كبيرة يجب الحفاظ عليها وديمومتها قال تعالى

1) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص147.
2) الناطور : النظم الإسلامية ، ص 164.
3) الرازي : مختار الصحاح ، ص 370 .
4) سورة التوبة : الاية 105 .
5) ابن ماجة ، ابو عبدالله محمد ابن يزيد القريشي : سن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد ، (ط1 ، مطبعة عسيى الحلبي ، دمشق ، دون تاريخ) ، ج2 ، ص 724 .

(لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون)[1]. وقال تعالى ايضا (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) [2]. وجعل النهار للكسب والعمل والليل للراحة والاستجمام قال تعالى (وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا) [3].

وبما ان الاسلام شجع العمل واعتبره واجبا من الواجبات الحياتية حيث انه حركة متواصلة ويدخل ضمن نطاق العبادة فكل عمل من صناعة وحرفة يدوية بسيطة كانت او تقنية تدخل في مجال العبادة فليس العبادة اداء الشعائر الدينية الظاهرية والقلبية فحسب انما خدمة الفرد والمجتمع هي من ضروب العبادة .

فالصناعة عمل مهم في اقامة الحياة فلها يستطيع الانسان ان يسير حياته اليومية بدون المنتوجات الصناعية ، ولا يمكن الاستغناء عن الملابس التي يرتديها لتقيه زمهرير البرد او اشعة الشمس وتستر نفسه وتظهر شخصيته وكذلك لا يمكنه تجهيز طعامه بدون ادوات الطبخ او الفرش او التدفئة والامور الحياتية الاخرى فكيف به والصناعيات الثقيلة بمقياس عصر صدر الاسلام انذاك .

وبذلك فلقد اقترن بالايمان فكل عمل هو من ضمن العبادات وهو لا بد ان يرتكز على الايمان حتى يكون عملا صالحا لخدمة الجميع قال تعالى (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهيدهم ربهم بايمانهم) [4] .

وقد وضع الله تعالى جزاء لمن يعمل ويجاهد ويفيد الاخرين قال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خير يره) [5] وقال تعالى (ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) [6] .

ولقد كانت الصناعات في عصر صدر الاسلام والذي عاش محور البحث مالك الاشتر ينصب على اهتمام المسلمين فيها على صناعة الاسلحة والالات الحربية والعسكرية من السيوف والرماح والدروع والخناجر لاستخدامها في الفتوحات الاسلامية فضلا عن الصناعات المدنية الاخرى .

وما قاله الناطور في هذا الصدد (والدلالة على انتشار هذه الصناعة الحربية ان الله لصناعة الدروع السابغات التي] النبي داود عليه السلام [تعالى يضيف للمسلمين خبرة داود سردها تقديرا كانه لا يريد من اشارته بها وتمهله في عرضا الا ان يشيرهم الى ابداع نظائرها وابتكار غيرها ايضا ان استطاعوا الى ذلك سبيلا [7]. في قوله تعالى (ولقد اتينا داود منا فضلا ياجبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني

---

1) سورة ياسين : الاية **35** .
2) سورة الجعمة : الاية **10** .
3) سور النبأ ، الايتان **10** و **11** .
4) سورة يونس : الاية **9*** .
5) سورة الزلزلة ، الاية **7** .
6) سورة النحل : الاية **97** ز
7) الناطور واخرون : النظم الاسلامية ، ص **133** .

بما تعملون بصير)[1] . وقوله تعالة (وعلمناه صنعة دبوس لكم لتحصنكم من باسكم) [2].

وتعلم المسلمون في عصر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) صناعة المنجنيق وهو الة ترمى بها الحجارة على الاعداء فكان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) اول من رمى في الاسلام بالمنجنيق وكان ذلك في حصار الطائف [3].

وصنع المسلمون في عهد الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الصنبور من الخشب المغطى بالجلد يختبأ فيها الجنود لتيتقوا النبال الموجهة من العدو كما كانوا يقربونها من الحصون ويحاولون احداث الثقوب وتقديحها [4]. ويقول الناطور ايضا (ولعل اختلاط العرب الوفرس والروم كان له اثر في تحسين وتطوير الاسلحة وكان الاستعداد للتفنن في الصناعة الحربية هو الذي اتاح لهم ان يكون لهم مركزا مرموقا ومشعل للحضارة)[5].

هذا ولقد عرف السلمون فضلا عن صناعة الاسلحة والمعدات الحربية التي كانت تقتضيها ضرورة الحروب في الفتوحات الاسلامية قاموا بالتصنيع المدني والذي هو من الامور الحيوية لادامة الحياة واسعادهم فقد صنعوا الازياء والحلى واثاث المنازل فيقول الناطور (في القران ايات واشارات واضحة الى اتخاذ العرب اثاثا من اصواف الانعام واوبارها والى اعتنائهم بالاسرة والنمارق والبسط والاكواب والاباريق والموائد) [6].

ولقد يستشف من الاية الكريمة ان العرب قد عرفوا صناعة الزجاج ان اهل الجنة يستعملونها وهي من وسائل النعيم قال تعالى (قوارير من فضة قدروها تقديرا)[7].

ويقول الناطور (ونستنتج من الاية القرانية (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى)[8] . ان النساء العربيات استعملن الزينة وانواع التجميل وكانت النساء يصنعن لانفسهن ثوبا ذا شقوق كما كن يلبسن الجلابيب والخمور ويتخذن الخلاخيل في ارجلهن زينة لهن) [9].

ولقد اشتهر اهل الكوفة في صناعة المواد الغذائية ومنها الحلويات والتي تعلموها من الفرس وكما يقول عبدالرزاق اسود في معرض كلامه عن الامام النعمان ابي حنيفة ابن ثابت بالامام] أي ابي حنيفة [وهو صغير] وهو ابو النعمان ابو الثابت [(... التقى ابوه ثابت أي جد ابي حنيفة [علي ابن ابي طالب (عليه السلام) فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته اما جده في عيد] وهو نوع من الحلويات[كمية من الفالوذج] عليه السلام [اهدى للامام علي]

---

1) سورة السبأ : الايتان 10 و 11 .
2) سورة الانبياء : الاية 8 .
3) ابن هشام : السيرة النبوية ، 126/4 .
4) المصدر نفسه ، نفس المكان ، ينظر ، الناطور : النظم الاسلامية ، ص 154.
5) الناطور : النظم الاسلامية ، ص 154 -155 .
6) المصدر نفسه ، ص 155 .ينظر الى السور القرانية : سور الكهف ، الاية 31 ، سورة الزخرف ، الاية 71 ، سورة الرحمن ، الاية 4 .
7) سورة الانسان : الاية 16 .
8) سورة المائدة : الاية 112 .
9) الناطور : النظم الاسلامية ، ص 155 ، امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص75 .

النوروز)[1] .

يستشف من ذلك ان التفنن في الصناعات الغذائية كان قد بلغ ماده في ذلك العصر وهو في خلافة الامام علي (عليه السلام) بحيث ان المجتمع تاثر بالحضارة الساسانية من الماكل وصنع الحلويات والتي هي من وسائل الترف ومتطلبات المائدة اما هدية ثابت جد النعمان من هذا النوع من الحلويات فلا يمكن رد الهدية وان كان الامام (عليه السلام) لا ياكلها فهو معروف بالتقشف والزهد.

ولقد اشتهرت بعض الاقاليم في الدولة العربية الاسلامية بمنسوجاتها خاصة فقد عرفت اليمن منذ عهود ما قبل الاسلام بالبرود والمطارف (وهي اردية من الخز أي الحرير) ، وعمان بالمنسوجات الصحارية ، واشتهرت مصر بالمنسوجات الكتانية والشام بالمنسوجات الحريرية والقطنية وارمينيا بالبسط والسجاد والفرش والثياب الصوفية [2].

واما خراسان فتعد مركزا لافضل واحسن المنسوجات القطنية وكانت منسوجاتها تصدر الى كثير من اقاليم الدولة الاسلامية .

ويستنتج من ذلك ان الدين الاسلامي قد شجع على العمل ومن ضمنه الصناعة لانها ديمومة للحياة واستمراريتها وتطويرها فكل صناعة تبدأ بالات يدوية بسيطة ثم تطور حسب الحاجة لانها ام الاختراج واعتبر الاسلام ان العمل من العبادة وليس العبادة اظهار الشعائر الدينية فحسب رغم اهميتها وهي في المقدمة غير ان العمل المثمر الصالح هو جزء مهم من العبادة لا يمكن الاستغناء عنه لانه يمثل التطور الحضاري للامة وتقدمها وازدهارها ومستقبل اجيالها .

2. وحدات الاطوال والمكايل والاوزان والنقود

أ. وحدات الاطوال :

لقد استخدم العرب السلمون وحدات الاطوال وذلك لغرض قياس الاراضي حيث انهم اتفقوا على وحدات معينة حتى لا يكون في مقاييسهم بذلك اختلاف ولقد جاء في الحديث الشريف (منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مديها ودينارها وعدتم من حيث بداتم)[3] .

ويقول الناطور (... واختلف المستشرقون في فهم هذا الحديث لدرجة ان فيلهاوزن اعتقد ان المقصود في هذا الحديث ان كل اقليم سيتشبث بمقاييسه ونقوده وان من العسير توحيد العملة في الدولة الاسلامية وان المسلمين سيعودون الى الانقسام الذي فيه كل اقليم

---

1) اسود ، عبدالرزاق محمد : المدخل الى الاديان والمذاهب ، (ط1 ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 1981 م) ،ج3،ص110 .
2) المقريزي ، تقي الدين بن احمد : خطط المقريزي ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ) ج1 ، ص 7 .
3) ابن القيم : احكام اهل الذمة ، ص112 ، ابو يوسف : الخراج ، ص 71 -72 .

ينفصل عن الاقاليم الاخرى)[1].

ويقول صبحي الصالح في تعليقه على هذا الحديث (وفي تفسير المنع وجهان الاول انهم سيسلبون ويسقط ما وظف عليهم فصاروا مانعين باسلامهم والثاني انهم يرجعون عن الطاعة والاول احسن فهذا الحديث نبوءة بان اهالي البلاد المذكورة سيمنعون ايداء الخراج اما بالاسلام او بالخروج عن الطاعة)[2] .

ولقد تم مسح السواد في العراق في عهد الخليفة عم بن الخطاب (رضى الله عنه) بوحدة المساحة (الجريب) والتي كانت تحدد على اساسها الاملاك والضرائب ، ويقول الناطور (ويكفي ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لما امر بمسح السواد ، انما اقام المساحة على اساس وحدة الجريب ، فقد اتفق المؤرخون على ان مساحة السواد بلغت حينئذ ستة ملايين جريب ، ثم استمر الناس يستخدمون بعد عمر (رضى الله عنه) الجريب وحدة للمساحات وتقدير المساحات)[3].

وبهذا تكون وحدة القياس الجريب كوحدة قياسية تم الاتفاق على مقدارها وتنظيم القياسات على طولها .

ويقول الماوردي حول وحدة قياس الجريب (والخراج حق معلوم على مساحة معلومة ، فاعتبر بالعلم بها ثلاث مقادير تنفى الجهالة عنها : احدها مقدار الجريب بالذراع المسموح والثاني الدرهم الماخوذ والثالث مقدار الكيل المستوفي به)[4].

اما تعريف وحدة المقياس الجريب فلقد عرفها الماوردي بقوله (فاما الجريب فهو عشر قصبات في عضر قصبات)[5]. ثم يضيف (القصبة ستة اذرع فيكون الجريب ثلاثة الاف وستمائة ذراع مكسرة 3600).

يوضح الماوردي الاذرع التي كانت تستخدم في الجريب وهي القاضية واليوسفية والسود ثم الهاشمية الصغرى وهي البلالية ثم الهاشمية الكبري وهي الزيادية ثم العمرانية ثم الميزانية [6].

والذراع العمرانية هي الذراع التي تم مسح ارض السواد بها في عهد الخليفة عمر بن الحطاب (رضى الله عنه) وهي ذراعه ، وهي ذراع قبضة ابهام قائمة والاذرع الباقية لعهود ما بعد العصر الراشدي [7].

اما القلقشندي فانه يوصف الذراع بقوله (وذراع اليد ست قبضات بقبضة انسان متعدل

---

1) الناطور : النظم الاسلامية ، 156 .
2) صبحي الصالح : النظم الاسلالامية ، ص 410
3) الناطور : النظم الاسلامية ، ص 161 .
4) الماودري : الاحكام السلطانية ، ص 146 .
5) المصدر نفسه ، ص 146-147 .
6) المصدر نفسه ، ص 146 .
7) الناطور : النظم الاسلامية ، ص 162 .

كل قبضة اربع اصابع بالخنصر والبنصر والوسطى والسبابة فتكن مساوية لـ (24) اصبعا ، اما الهاشمية فتساوي (24+8 = 32) اصبعا لانهم نصبوا على ان الهاشمية تساوي ذراعا وثلثا بذراع اليد)[1].

وفي وحدات القياس القدم وهو ثلث الذراع القديم أي (30.8 س) وان الذراع الهاشمي هو ذراع مصري عتيق وثلث او هو قدمان بالمصري فصار معروفا ان الذراع الاصلي (24) اصبعا ، وبما ان الذراع الهاشمي هو القياس وما دام الجريب عشر قصبا في عشر قصبات والقصبة ستة اذرع فيكون الجريب ثلاثة الاف وستمائة ذراع ويساوي (1366.614) متر تقريبا .

وما دام الذراع المقصود 61.6 سم فالقصبة 61.6 × 6 = 369.6 سم او 3.96 م وهذه هي القصبة الهاشمية 3.696 م .

اذن فعشر قصبات = 36.96 × 10 = 36.96 م كانت النتائج 1366.0416 م2 وهذه هي مساحة الجريب .

ب. الاوزان والمكايل والنقود :

كان الناس في عصر صدر الاسلام يعرفون الدرهم والدينار ، وكانوا يتعاملون بهما وكذلك بالذهب والفضة مثال ورد ذكر الدرهم والدينار في القران الكريم قال تعالى (ويشترون بثمن بخس دراهم معدودة) [2] .وقال تعالى في اية اخرى (ومن اهل الكتاب من تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما)[3].

وكذلك ذكر في القران الكريم الذهب والفضة بقوله تعالى (فلو لا القى عليه اسورة من ذهب) [4] .

وجاء في القران على ذكر الفضة(وحلو اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا)5

وبهذا فإن النقود من الدرهم والدينار كانت معروفة في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) بدليل ورودها في القرآن الكر يم ولم تكن في الحجاز آنذاك دوراً لسك مثل هذه النقود ، إنما كانت ترد من بلاد الروم الدنانير ، أما في بلاد فارس فترد الدراهم ومن اليمن أيضاً 6

وكان ذلك طبيعيا حيث أن التجار من قريش كانوا في رحلاتهم التجارية اتجاه الشمال والجنوب كانوا يتعاملون بهذه النقود ويجلبونها معهم ، وإلا كيف يبيعون بضائعهم أو يشترى البضاعة من هذه الأقاليم .

---

1) القلقشندي : صبح الاعشى ، 446/3 .
2) يوسف يوسف : الاية 20 .
3) سورة ال عمران : الاية 75 .
4) سورة الزخرف : الاية ، 53 .
5) سورة النساء : الاية 21 .
6) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص 164.

ومما قال البلاذري في فتوح البلدان ((وكان العرب يتعاملون بهذه النقود وزنا لا عدداً . كانوا يسمون غير المسكوك منها تبراً لتميزه عن العملة المتداولة))[1].

ومما قال البلاذري أيضاً ((كانت لقريش أوزاناً في الجاهلية ، فدخل الإسلام فأثرت على ما كان عليه : كانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهماً وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً فكل عشرة من أوزان الدرهم تساوي سبعة من أوزان الدنانير وكان لهم الأوقية وتزن أربعين درهما فلما جاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) أقرهم على ذلك [2]

وتم توضيح ذلك من قبل أبو عبيد حيث يقول : ((المكيال مكيال المدينة والميزان ميزان مكة))[3]

ومما قاله أبن خلدون في تداول الدينار والدرهم في عصر صدر الإسلام بقوله : ((أعلم إن الإجماع منعقد منذ صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين إن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل (دنانير) من الذهب والأوقية منه أربعون درهما وهو على هذا سبعة أعشار الدينار ، ووزن المثقال عن الذهب اثنان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة أعشاره خمسون حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع))[4] .

ويذكر الماوردي إن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هو الذي حدد مقدار الدرهم الشرعي وإن ما فعله عبدالملك بن مروان إنما جاء مبنياً على ما صنعه الخليفة عمر رضي الله عنه [5].

حيث إن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب الدراهم على نقش الكسروية وأشكالها ولم يحاول ضرب سكة جديدة إلا أنه أضاف لها نقش بعض العبارات الإسلامية ولقد عثر علماء الآثار على نقود عديدة من العصور تبين من وزنها ذلك [6].

وعلى ذلك يكون مقدار الحبة 0,09 غرام بتقسيم 72 حبة على وزن المثقال 4.2-72= 0,09 ، وذلك لأن المثقال 72 حبة من حبات الشعير ، وما دام المثقال 20 قيراطاً فمقدار القيراط إذن يساوي 0,212 غرام أي (4,2-20= 0,212) وبما أن نسبة المثقال محدودة وهي 10:7 فيمكن استخراج وزن الدرهم بدقة

$$\frac{7 \times 4,2}{10} = 2,97$$

غرام . وهذا الدرهم الذي وزنه سبعة

ولما كان الدرهم يساوي 6 وانق فإن الرونق = 2,97 -6=0,49 من الغرام (أي الفضة)ولما كان الرانق قيراطي، فإن القيراط = 2/0,49 =0,247 من الغرام (أي قيراط

1) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 471
2) المصدر نفسه ، ص 472 .
3) أبو عبيد الأحوال ، ص 520.
4) أبن خلدون المقدمة ، ص220.
5) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص147.
6) الناطور : النظم الإسلامية ، ص 164

العملـة الفضـية) والقيـراط = طسومـان فالطسـوج = 0,247=2=0,1327 مـن الغـرام وبمـا أن الطسـوج جتـين سـاوت الحبـة 0،06 مـن الغـرام والحبـة = فلسـين والفلـس = 0،03 مـن الغـرام وكانت النقود تحدد أحيانا بالقنطار ويساوي 4 آلاف دينار

خامساً : بناء وتعمير الأمصار

المصر ، بالكسر الحاجز بين الشيئين ، الماصر والحد بين الأرضين .

وجاء في لسان العرب : اشترى فلان الدار بمصورها أي بحدودها والمصر الحد بين شيء وقيل المصر الحد في الأرض خاصة عن الجوهري : مصر هي المدينة المعروفة تذكر وتؤنث عن راين السراج: والمصر وأحد الأمصار ، والمصر الكوره والجمع امصار ومصروا الموضوع جعلوه مصراً وتمصر المكان صار مصراً ومصر مدينة بعينها سميت بذلك لتمصرها ، وقال الليث: المصر في كلام العرب ثم كوره تقام فيها الحدود ويقسم فيها الشيء والصدقات ، وكان عمر (رضي الله عنه) مصر الأمصار منها البصرة والكوفة [1]

ويقول الطبري : بعث عمر بن الخطاب رض الله عنه عتبة بن غزوان فقال له أنطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم . يعني المساحة بين أرض العرب وأرض العدو يعتبر حاجزاً بينهم ويتضح في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتبها لسعد بن أبي وقاص : ليس بيني وبينك فيه بحر ولا جسر بعد الفتوحات الإسلامية اتسعت رقعة الأراضي التي استولى عليها المسلمون ، والتي امتدت من الأبله إلى جلولاء وزمن المسلمون باتجاهين من الأحواز ونهاوند من الجهة الشرقية مما تطلبت الأوضاع الجديدة للدولة اتخاذ مراكز جديدة تقيم فيها حاميات عسكرية لحماية حدود الدولة وضمان اسباب الأمن [2].

ولقد دخلت تحت سيطرة العرب المسلمين أقاليم شاسعة وبنوا معسكرات ويبدو إن هذه المعسكرات التي أوجدتها الجيوش الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت طلائع المدن العربية الإسلامية في العراق وغيره من المناطق . حيث أسس العرب المسلمين في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ستة أمصار ثلاثة منها في العراق وهي البصرة والكوفة والموصل . وأصبحت هذه الأمصار قواعد عسكرية [3].

أهم وظائف الأمصار

إيواء المجاهدين وعوائلهم وأن تكون دار هجرة .

مراكز إدارية للمناطق التي تم فتحها .

---

1) ابن منطور : لسان العرب ، 405/3 .

2) لجنة ، لجنة من المتخصصين في التاريخ : العراق في التاريخ ، (ط ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1403 هـ 1983) ، ص 329 .

3) الموسوي : مصطفى عباس : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية ، (ط1، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1982م) ، ص61 .

حلقة وصل بين المدينة المنورة والمناطق المفتوحة كإرسال النجدات والأوامر العسكرية.

نجدة المناطق الأخرى من التعرض للأخطار .

اتخاذها مراكز تموينية للجيوش التي تحارب الخليفة عمر رضي الله عنه ((يكفون ثغورهم ويمدون أهل الأمصار))[1]

اتخاذها خطا متنوعا يؤمن انسحابهم في حال تعرضهم للخطر يحتمون بها [2].

1. البصرة

البصرة في اللغة جاء في القاموس المحيط : البصرة : الأرض الغليظة وحجارة رخوة فيها بياض ويقول الرازي البصرة حجارة رخوة إلى البياض وسميت البصرة والطبري يقول : البصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشن والدينوري يقول : هي إذ ذاك حجارة سود وحصى وبذلك سميت البصرة [3].

ولقد كتب عتبة بن غزوان إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب منه الموافقة على بناء موضع للجيش بما يسمى اليوم بالموضع الخلفي حسب خطط الجيوش الحديثة فيقول البلاذري ((كنقب عتبة بن غزوان إلى الخليفة عمر رضي الله عنه إنه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا فيه إذا انصرفوا عن غزوهم فأجابه عمر رضي الله عنه ((أجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريباً من الماء والرعي))[4] .

والظاهر إن القائد عتبة بن غزوان قد وجد المكان المناسب فكتب للخليفة عمر رضي الله عنه ((إني وجدت أضاً كثيرة القصب في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء)) [5]

ويقول الدينوري : فسار عتبة بن غزوان حتى اتى مكان البصرة اليوم ولم تكن هناك يومئذ إلا الخريبة وكانت منازل خربة وبها مسالح لكسرى تمنع العرب من العبث في تلك المنطقة فنشر بها عتبة بن غزوان بأصحاب في الأخبية والقباب ثم سار حتى نزل موضع البصرة[6] .

ولقد تمت بناية البصرة فكانت البداية بسيطة حيث استعمل فيها الخيام والقباب بقول الدينوي ((قزلها (أي البصرة) عتبة ابن غزوان باصحابه في الاخبية والقباب))[7]

وبعد ذلك تم استخدام القصب في البناء وذلك لكثرة القصب في تلك المنطقة لجودة الاهوار كما في جاء في كتاب عتبة بن غزوان الى الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ((اني

---

1) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص 124 .
2) الطبري : تاريخ الطبري ، 3 ، 160 .
3) الموسوي : العوامل التاريخية ص 63.
4) بكنسون : بكنس : دخل في كتابه ، كتكنس ، وهي متترة في الشجرة ، الفيروزابادي : معجم القاموس المحيط ، ص 150 .
5) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 341 .
6) المصر نفسه ص341 .
7 الدينوري : الاخبار الطوال , ص 117

وجدت ارضا كثيرة القصبة في طرف البرق الى اريف ودكونها منافع ماء فيها قصباء))[1]فبدوا ببناء المساكن والمساجد والديوان بالقصب ((فبنوا مساكن بالقصب وبني عتبة مسجدا من القصب وبني دار الامارة دون حالمسجد في الرحبة يقال لها اليوم رحبة بني هاشم وكانت تسمى الرهناء وفيها المسجد والديوان فكانوا اذا غزو تزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو فاذا ارجعوا اعادوا بناءه))[2]

وبعد البناء القصب وصار هناك استقرار وتثبت في السكن تمت لمباشرة ببناء اللبن والطين والخشب حيث يقول الجاحظ ((لما بني عتبة بن غزوان واصحابه بالبصرة بناء اللبن كتب اليهم عمر (رضي الله عنه): قد كنت اكره لكم ذلك فاذا فعلتم ما فعلتم فعرضوا الحيطان وارفعوا السمك وقاربوا بين الخشب))[3]

وفي ولاية ابي موسى الاشعري سنة (17ه/638م) حدث تغيرا في هيكلية البصرة حيث شرع ابو موسى الاشعري بتغير هيكل المنشات الدينية والادارية فبني المسجد ودار الامارة بالبن والطين وسقفها بالخشب وزاد في المسجد [1]وبدا ابو موسى يعرف الخطط لمن هناك من العرب كما امره الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ((وان يعرف الخطط امن هناك من العرب ويجعل كل قبيلة في محلة وان يامر الناس بالبناء وان يبني لهم مسجدا جامعا))[2]

ويقول المسوي ان اول من غرس النخل في البصرة ابو بكره [3]وان اول من ولد فيها هو عبد الرحمن بن ابي بكره [4]

والواقع ان النخيل كان مغروس في المنطقة الا ان موقع البصرة الجديد ثم غرس او نخلة فيه من فبل ابو بكره ثم استمر الغرس وهو دليل ان نقل الفسائل من شط العرب والمنطقة حول البصرة .

وخططت البصرة الى خمس خطط

حملة اهل العالية وهي في قلب المدينة بين المربد والجامع واغلبهم من قريش محلة بني تميم المقرين وتقع في الجنوب الشرقي من المدينة محلة الازد في الشمال الغربي من المدينة وهم القبائل اليمنية من عسير وعمان محلة بكر بن وائل في القسم الاوسط في شمال شرقي البصرة ومنهم جماعة ربيعة وسدوس وذهل محلة بني عبد القيس على الطرف الشمالي الشرقي من البصرة هذا ولقد جعلوا عرض شارع البصرة[1] الاعظم ستون ذراعا وجعلوا ماسواه من الشوارع

---

1 البلاذري : فتوح البلدان , ص**341**
2 المصدر نفسه , ص**341-342**
3 الجاحظ : البيان والتبيان , **2**, **354**
1 البلاذري : فتوح البلدان , ص**342**
2 الدينوي : الاخبار الطوال , ص**118**
3 الموسوي : العوامل التاريخية , ص**73**
4 البلاذري : فتوح البلدان ص**342**
1 مصطفى , شاكر : المدن في الاسلام حتى العصر العثماني , (ط**2** , دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر , **1408** ه -**1988**, ح**1**, **350**

عشرون ذراعا , وجعلوا عرض كل زقاق سبعة اذرع وجعلوا وسط كل خطة رمية فسيحة لمربط خيلهم وحفر الابلة لتزويد البصرة بالماء الملو ,وبد ابناء الاسواق وذلك في ستة سبع عشرة في ولاية ابي موسى الاشعري [2]

2. الكوفة :

الكوفة في اللغة : الكوفة بالضم الرملة الحمراء المستديرة او ثم تخالطها حصباء ومدينة العراق الكبرى وقبة الاسلام ودار هجرة المسلمين معصرها سعد بن ابي وقاص وكان منزل نوح عليه السلام وبني مسجدها سميت لاستدانها واجتماع الناس .. او سميت كوفة من الكيف القطع لان ابرويز اقطعه لبهراماو من قولهم كوفان بالضم وبالفتح [3]**.**

قال الرازي في مختار الصحاح ((الكوفة الرملة الحمراء وبها سميت الكوفة))[1]

وقاالطبري((كل حصباء وسهلة مختلطين))[2] **وابن الاثير يقول ((كل رمل وحصباء مختلطين فهي كوفة))**[3] **واما ابن كثير يقول ((فمرا على ارض الكوفة وهي حصباء في رملة حمراء))**[4] **وفي راي الدينوري : ((كل رملة يخالطها حصى تسمى كوفة))**[5]

واورد ابن جبير عن الكوفة بقوله ((الكوفة هي مدينة عتيقة البناء قد استولى الخراب على اكثرها فالغامر منها اكثر من العامر ..... وبناء هذه المدينة بالاجر خاصة ولاسور لها والجامع العتيق اخرها مما يلي شرق البلد ولاعمارة تقل بها من جهة الشرق وهو جامع بني في الجانب القبلي منه خمسة ابلطة ... وبهذا الجامع اثار كريمة .... فيها بيت بازاد المحراب في يمين المستقبل للقبلة يقال : انه كان مصلى ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ونضيف ان ابن جبير قائلا ((وعلى مقربة منه (مصلى ابراهيم الخليل) مما يلي الجانب الايمن من القبلة محراب امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفي ذلك الموضع ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن محجم بالسيف وفي عزب المدينة بمقدار فرسخ منها المشهد الشهير الشان المنسوب لعلي ابن ابي طالب ....))[1]**وماقاله القلقشندي ((الكوفة بضم الكاف وسكون الواو ثم فاء وماء وهي مدينة اسلامية بنيت في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقعة في الاقليم الثالث ما الاقاليم السبعة))**[2]**.**

ولم تكن الكوفة معروفة بهذا الاسم قبل تعميرها انما كان موضعها ارضا خالية من السكان على الضفة الغربية للفرات الاوسط شرقي المدينة الحيرة وكان بينها وبين النهر سان من الرمل

---

[2] المقربري : الخطط 329/1
[3] الفيروز ابادي : معجم القاموس المحيط , ص1155- 1156
[1] الرازي : مختار الصحاح ص583
[2] الطبري : تاريخ الطبري 146/133/3
[1] ابن الاثير : الكامل في التاريخ , ص336
[2] ابن كثير : البداية والنهاية , ص336/7
[3] الدينوري : الاخبار الطول ص124
[4] ابن جبير , ابي الحسن محمد بن احمد بن جبر الكناني : رحلة ابن جبير (ط1, دار حياد , بيروت , 1379ه-1959م), ص187 وما بعدها
[5] القلقشندي : صبح الاعشى (ط1, المطبعة الاميرية , القاهرة ,1915م),ص335

يقترب عموديا من الفرات يسمى الملطات ... وفي هذا السهل الخصيب المحصور بين الفرات شرقا والبادية الواسطة , المطلة على مشارف الشام غربا بنيت هذه المدنية التي اتخذت اسم الكوفة عند تمصيرها [3]

وان اسباب تمصير الكوفة هو من الضروي ان يتخذ الجيش الاسلامي المحارب نقطة ارتكاز له يستريح عندها من عناء الطريق ومتاعب الحرب معسكرا ثابتا قريبا من ميدان القتال [4]

ويقول الديوري ((واقام سعد في معسكره بالقادسية الى ان اثاره كتاب عمر يامره ان يضع لمن معه من العرب دار هجره))[1] **ويبدا ان سعدا نزل في مناطق مختلفة فسار الى الانبار ليجعلها دار هجره فكرهها لكثرة الذباب ثم ارتحل الى كوفية عمر فلم يعجبه موضعها فاقبل حتى نزل موضع الكوفة اليوم))**[2]

وعلى مايظهر ان عدم استقرار سعد والمسلمين في هذه المواقع هو عدم الاتفاق مع توجيهات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه كتب الى سعد ((ان ابعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتاد منزلا بريا بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا بر))[3]

وما رواه ابن الاثير ((ان سعدا ارسل وفدا الى عمر (رضي الله عنه) بهذه الفتوح ... فلما راهم همر سالهم عن تغير الوانهم وحالهم فقالوا : وخومة البلاد غيرتنا فامرهم ان يرتادوا منزلا ينزله الناس))[4]

وما قاله ابن ضابط حول اسباب تعمير الكوفة ((رجع المسلمون فنزلوا المدائن فكرهوها فسئلوا ذلك الى عمر : ابصر بالمدائن الابل ؟ قالوا : لا ان فيها بعوضا . قال : ان العرب لا تبصر ببلاد لاتبصر فيها الابل فارتادوا))[5]

ويضيف بن ضابط بالقول ((عن حجن قال : فخرجنا ونحن نريد الحيرة فلقينا رجل من اهل الحيرة وهو يريد ان يصرفنا عنها فقال : ادلكم على بلدة ارتفعت عن البعوضة ةتطاطات عن البقعة وطفقت في البرية وخالطت الريف فدلنا على الكوفة فاختلط الناس فنزلوا))[1]

ولقد وافق الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وارضاه بموضع الكوفة وباركها بقول الموسوي ((عمر رضي الله عنه)) بذكائه المعهود اهمية العامل الجغرافي في اختيار البيئة التي تضع لنزول العرب المجاهدين الذين كان يحرص عليهم ان يبقوا محتفظين بنشاطهم وحيوتهم وقوتهم الى خرجوا بها من العمران كما انه ادرك ايضا بثاقب فكرة انه لا تصلح الابيئة جغرافية

---

[6] الموسوي : العوامل التاريخية , ص**82**
[7] المرجع نفسه , ص **73**
[8] الدينوري :الاخبار الطول , ص**124**
[2] المصدر نفسه ص **124**
[3] الدينوري : الاخبار الطول , ص**124**, ابن الاثير : الكامل , **336/3**
[4] المصدر نفسه **336/3**, الخفري : تايخ الدولة الاسلامية **200/1**
[5] ابن خياط : تاريخ ابن ضابط **129/1**
[1] ان خياط : تاريخ ابن ضابط , **129/1**

تشبه البيئة التي خرجوا منها))[2]

واما تعمير الكوفة كان سنة (17ه/638م) فلقد ذكر ابن الاثير لا فارتحل سعد من المدائن حتى غزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة))[3]

ولقد وافق بذلك الطبري [4]وايدهما وايدهما ابن خلدون [5] وسبق هؤلاء ابن ضباط [6]

ولقد بنيت الكوفة على مراحل شانها كالبصرة فاول مانزل المسلمون الى الكوفة نشروا خيامهم واقبيتهم . ووجد سعد بن ابي وقاص ان حياة الخيام لاتلائم المجتمع الجديد الذي القوه ففكروا في بناء بيوتهم من القصب كي تكون اكثر ملائمة وواقية من حياة الخيام [1]ولقد كتب سعد الى الخليفة عمر رضي اله عنه اني نزلت الكوفة منزلا فيما بين الحيرة والفرات بريا وبحريا [2] فكتب اليه الخليفة رضي الله عنه ((ان العسكر استر لحريكم واذكى لكم وما احب ان اخالفكم فابتنوا بالقصب))[3] ولقد نشب حريق كبير في الكوفة التهم القصب مما جعل المسلمون يفكرون ببناء اللبن والطين فكتب سعد الى الخليفة عمر رضي الله عنه بخبر الحريق ويستاذنه بالبناء بالبن والطين فكتب اليه موافقا بذلك على ابن الاثير بموافقة ابن خلدون ((افعلوا ذلك ولايزيدن احدكم على ثلاث ابيان ولاتطاولا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة))[4]

فكان المسلمون اول بناء وضع في المسجد وامر سعد رجلا راميا شديد الرمي فرمى من المسجد الى اربع جهات فحيث سقط مهمة بني الناس منازلهم [5]

واستفاد سعد من البيانات الكروية وبني طلة في مقدسة مسجد الكوفة على اساطين رخام من بناء الاكاسرة في الحيرة وجعلوا على الصحن خندقا لئلا يقحمه احد بنيان [1]وبني لنفسه القصر والمسجد [2]

وبعث سعد الى الامراء والقبائل فقدموا عليه فانزلهم الكوفة [3]وكان على تنزيل الكوفة ابو هياج بن مالك .. وقدر المناهج اربعين ذراعا ومابين ذلك عشرين ذراعا , والازقة سبعة اذرع والقطائع ستين ذراعا [4]

تخطيط الكوفة : وزع سعد بن ابي وقاص الكوفة على القبائل كما يلي :

---

[2] الموسوي : العوامل التاريخية , ص84

[3] ابن الاثير : الكامل 337/2

[1] الطبري : تاريخ الطبري : 147/3.

[2] ابن خلدون : 960/2.

[3] ابن خياط : تاريخ ابن ضابط , 129/1.

[4] الموسوي : العوامل التاريخية , ص87.

[5] ابن الاثير : الكامل 337/2.

[6] ابن خلدون : العبر , 960/2 .

[7] ابن الاثير : الكامل , 337/2, ابن خلدون : العبر 960/2 .

[8] المصدر السابق 337/2.

[9] ابن ضابط : تاريخ ابن ضابط 133/1, ابن الاثير : الكمل 337/2

0[1] الدينوري : الاخبار الطول , ص124 .

1[1] ابن الكثير : البداية والنهاية 86/7.

2[1] ابن الاثير : الكامل , 337/2 المصدر السابق 86/7.

1- جنوب المسجد (قبلة الصحن) نزلت كل من قبائل بني اسد والنخع وكنده والازد [5] وهذا يؤيد نزول قبيلة النخع والتي زعيمها مالك الاشتر محور البحث

2- شرق المسجد : نزل كل من الانصار ومزينة وتميم ومحارب واسد ومحارب [6]

3- غرب المسجد : قبائل بجالة وجبلة وجديلة واخلاط وجهينة اخلاط [7]

4- شمال المسجد : قبائل سليم وثقيف وهمدان وبجيلة وتميم اللات وتغلب وقد توزعت هذه القبائل على الشوارع والطرق التي تفرعت عن المسجد [1]

ولقد تم التقسيم بعد ذلك على اساس الاعشار حيث تم التعديل بموافقة الخليفة عمر رضي الله عنه [2]

اما بالنسبة الى عدد سكان الكوفة عند مقبرها كافة الف مقاتل على ماذهب عليه البطري ((فاختلطت الكوفة حين اختلطت على مائة الف مقاتل))[3]

3. الفسطاط

اختلف المؤرخون حول تسمية الفسطاط وتفسيره بقول ابن كثير : وانما سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة الى فسطاط عمر بن العاص وذلك انه نصب خيمته وهي الفسطاط موضع مصرا اليوم وبني الناس حوله [4]

واما الحموي فيقول نقلا عن صاحب العين : الفسطاط ضرب من الابنية ... والفسطاط ايضا مجتمع اهل الكورة حوالي مسجد جماعتهم وكل مدينة فسطاط ومنه قيل لمدينة مصر التي بناها عمر بن العاص الفسطاط [5].

المبحث الثالث
الجانب الفكري والقضائي والاجتماعي

اولا :الجانب الفكري

أ- العلوم الدينية

1- القران الكريم:

3[1] الطبري : تاريخ الطبري 149/3 .
[1] المصدر نفسه , نفس المكان
[2] المصدر نفسه , نفس المكان
[3] الطبري : تاريخ الطبري , 149/3
[4] المصدر نفسه نفس المكان , ابن عبد ربه : العقد الفريد , 7/3
[5] المصدر السابق 152/3, ابن الاثير : الكامل 357/2
[6] ابن كثير : البداية 114/7
[7] ياقوت الحمدي : مخيم البلدان 263/4 الفيروز معجم القاموس المحيط

القران في اللغة :قال الرازي : ((....قرا الكتاب (قراءة) وقرءأنا بالضم وقرا الشيء وقرا الشيء قرءاناً بالضم أيضا جمعه وضمه ومنه سمي القران لانه يجمع السور ويضمها وقوله تعالى (ان علينا جمعه وقرأنه)اي قرأته))[1]

ويقول الشوكاني : القران في اللغة :مصدربمعنى القراءة غلب في العرف العام على المجموع المعين من كلام الله سبحانه وتعالى ,المقروء بالسنة العباد وهو في هذا المعنى اشهر من لفظ الكتاب واظهر0 ولذا جعل تفسيرا له فهذا تعريف الكتاب باعتبار اللغة ,وهو التعريف اللفظي الذي يكون بمرادف اشهر [2]

وفي الاصطلاح : هو الكلام المنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف والمنقول الينا نقلا متواترا[3]

ويقول الشوكاني قالوا في القران : هو كلام الله العربي الثابت في اللوح المحفوظ للانزال .واعترض عليه :بان الاحاديث القدسية والقراءات الشاذة بل وجميع الاشياء ثابتة في اللوح المحفوظ لقوله تعالى : ((ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين))[4]

ويضيف الشوكاني قائلا ((واجيب بمنع كونها اثبتت في اللوح للانزال ,والاولى ان يقال :هو كلام الله المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم)المتلو المتواتر وهذا لايرد عليه ماورد على سائر الحدود فتدبر))[5]

ويباشر الشوكاني بكلامه عن اعجاز القران الكريم بقوله ((والمراد بالاعجاز :ارتقاؤه في البلاغة الى حد خارج عن طريق البشر ,ولهذا عجزوا عن معارضته عند تحديهم ...))[6]

وعن اعجاز القران الكريم يتحدث الباقلاني في كتابه اعجاز القران بالقول ((ذكر اصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة اوجه من الاعجاز: احدهما يتضمن الاخبار عن الغيوب وذلك مما لايقدر عليه البشر ولاسبيل لهم عليه ومن ذلك ما وعد الله به نبيه عليه السلام انه سيظهر دينه على الاديان بقوله عز وجل (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[7]

ويذكر الباقلاني الوجه الثاني لاعجاز القران بقوله ((انه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اميا لايكتب ولايحسن ان يقرا كذلك كان معروفا من حاله انه لم

---

[1]) الرازي :مختار الصحاح ,ص526.

2) الشوكاني ,محمد بن علي محمد :ارشاد الفحول الى تحقيق الحق في علم الاصول ,تحقيق ,احمد عزو عناية ,(ط3,دار الكتاب العربي ,بيروت ,2003م)ج2 ,ص85.

3) المصدرنفسه ,نفس المكان.

4) المصدرنفسه / 86/1.

5) المصدر السابق /86/1.

6) المصدر نفسه /86/1.

7) سورة التوبة :الاية 33 .

يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وابنائهم وسيرهم ثم اتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الامور ومهمات السير من حين خلق الله ادم عليه السلام ...))[1]

ثم يورد الباقلاني الوجه الثالث للاعجاز بقوله : ((انه بديع النظم ,عجيب التاليف ,متناه في البلاغة الى الحد يُعلم عجز الخلق عنه))[2]

ولقد عرف علماء الاصول القران بانه ((كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس))[3]

والقران : ((هو النصوص الالهية للدعوة الاسلامية التي نزلت من السماء عن طريق الوحي على محمد بن عبد الله عليه السلام تنبئه اولا بانه النبي المنتظر ورسول الله الى الناس ويكلفه ثانيا ان يبلغ دعوة الله الى الناس ,والقران يستخدم بمعنى الاسم على جميع النصوص التي يشتمل عليها المصحف اما حين كان الوحي ينزل من السماء فقد كانت كلمة القران تطلق على الدفعات التي تنزل من السماء اي على بعض القران وفي ذلك تشير الايات : ((فاذا قرأناه فأتبع قرأنه)[4].

وللقران الكريم اسماء اخرى ,مثل الفرقان والذكر ,وقد نزل باللغة العربية لغة النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى ((وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين ,على قلبك لتكون من المنذرين ,بلسان عربي مبين)) [5]

((فبالقران الكريم والاسلام العظيم امتدت الشخصية العربية عبر الزمان والمكان وتغلغلت بين الشعوب والامم ,واصبح العرب قادة الركب وبناة الحضارة العالمية وأساتذة للانسانية))[6]

هذا ما قاله زيد الكيلاني وزميلاه في اهمية القران الكريم في اظهار الشخصية العربية الاسلامية والاعجاز في القران : قال الرازي ((عجز (العجُز) بضم الجيم مؤخر الشيء يذكر ويؤنث وهو للرجل وللمرأة جميعا وجمعه (أعجاز)[7]

والاعجاز هو اثبات العجز وهو اسم مقصور على فعل الشيء وهو ضد القدرة واذا ثبت الاعجاز ظهرت قدرة المعجز ,والمراد بالاعجاز هذا اظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم دعوى الرسالة باظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القران وعجز الاجيال بعدهم وقد تحدى النبي صلى الله عليه وسلم العرب بالقران الكريم على ثلاث مراحل

---

1) الباقلاني :اعجاز القران / ص 34
2) المصدر نفسه , ص35.
3) موسوعة الحضارة الاسلامية ,مجلد 2 ,ص133.
4) سورة النساء :الاية 59.
5) خليل والربيع ,عماد الدين وفايز الربيع : تاريخ الحضاة الاسلامية , (ط1 ,دار الحامد , عمان ,2003م),ص121.
6) ابراهيم ,زيد الكيلاني واخرون : دراسات في الفكر العربي الاسلامي ,(ط5, دار الفكر ,بيروت ,1995م),ص32-33.
7) الرازي :مختار الصحاح ,ص413 .

هي :

التحدي بالقران الكريم كله قال تعالى ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ,ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا))[1]

التحدي بعشر سور منه قال تعالى ((أم يقولون افترائه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فأدعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين .))[2]

التحدي بسورة واحدة منه قال تعالى ((وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين .))[3]

اما جوانب الاعجاز فهو جانب الاعجاز البياني واللغوي اولا , والاعجاز العلمي ثانيا ,والاعجاز التشريعي ثالثا , ورابعا الاعجاز الغيبي [4]

ويقول عماد الدين ((وبغض النظر عن الطريقة التي تم جمع القران بها ومتى وكيف مما يمكن ان تشير اليه اشارات عابرة يقيينا كمسلمين حقيقة واحدة هي ان هذا القران الذي نقرأه ونتعبد به هو نفس القران الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ...))[5]

فالقران الكريم هو كلمات الله ولادخل للبشر فيها قال تعالى ((تنزيل من حكيم حميد))[6] **وقال تعالى((تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين))**[7]

((وللقران اسلوبه الخاص,فهو نثر فني رائع ولم يجر على مالفته العرب في نثرها المرسل وسجعها بل نرى ان اياته تارة تكون سجعا , وطورا تكون موازنة وازدواجية واحيانا لاتكون هذا وذاك))[8]

هذا ماورده ناجي معروف في معرض كلامه عن اعجاز القران الكريم ويقول ايضا ((وتظهر روعة اسلوب القران الكريم من تأثر الايات على من حول الرسول وتوضيحها بشكل مفهوم وقوي لاراء لم تكن مألوفة لدى العرب))[9]

وترجع نزول السور القرانية الى فترتين , الفترة المكية قبل سنة 622م والفترة المدنية من خريف 622م الى صيف سنة 632م –وقد اختلف وضع المسلمين في الفترتين ففي الفترة الاولى كانوا اقلية مضطهدة ومستضعفين وفي الثانية توسع

---

1) سورة الاسراء :الاية 88.
2) سورة هود :الاية 13.
3) سورة البقرة :الاية 23 .
4) محمد ، ابو يحيى واخرون :الثقافة الاسلامية ,(ط1,الشارقة, عمان ,دون تاريخ),ص67.
5) خليل :تاريخ الحضارة الاسلامية ,ص122.
6) سورة فصلت :الاية 42.
7) سورة السجدة :الاية 2
8) معروف :موجز تاريخ الحضارة الاسلامية ,ص200
9) المرجع نفسه ,ص201.

نفوذهم تدريجيا حتى صاروا سادة المدينة ثم اعظم قوة في الجزيرة العربية .

وتبلغ عدد سور القرأن الكريم (114) سورة , وعدد الايات (6236) اية ,وعدد الكلمات (76440) كلمة .

وان اطول سورة في القران الكريم هي سورة البقرة وایاتها (286)نزلت في المدينة وهي اول سورة مدنية . واقصر سورة في القران الكريم هي سورة الكوثر واياتها ثلاث نزلت في مكة بعد سورت (والعاديات)

وان اول سورة نزلت من القران الكريم هي ((أقرا باسم ربك الذي خلق ,خلق الانسان من علق ,اقرا وربك الاكرم)[1]

وان اطول اية في القران الكريم هي : ((يايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فأكتبوه)). واقصر اية في القران الكريم هي ((طه)) سورة طه مكية نزلت بعد سورة مريم [2]

وان اول اية نزلت في القتل هي :((ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا))[3]

وواكثر اية تفويضا في القران الكريم هي ((ومن يتق الله يجعل له مخرجا)) في سورة الطلاق [4]

وتوجد اية في القران الكريم تجمع كل الحروف الهجائية هي: ((محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم)[5]

اما اطول كلمة في القران الكريم لفظا وكتابة هي ((فأسقيناكموه)[6] **,واول كلمة نزلت في القران الكريم هي (اقرأ) في اول سورة العلق** [7]

اما انصاف القران وفلقد نصف بالسور هو اخر الحديد والمجادلة في النصف الثاني ونصفه بالايات هو : ((فألقى موسى عصاه فأذا هي تلقف ما يأكلون))[8] **والاية ((فألقى السحرة ساجدين))**[9]

ويقول يونس السامرائي[10] **ولقد نصف القران الكريم بالكلمات هو (الجلود) في قوله تعالى ((يصهر به ما في بطونهم والجلود))**[11] **وقوله تعالى : ((حديد)) في قوله ((وله مقامع**

---

1) سـورة القلم: 68
2) سورة البقرة :الاية 282 .
3) سورة الاسراء :الاية 330.
4) سورة الطلاق :الاية 2.
5) سورة الفتح :الاية 29.
6) سورة الحجر :الاية 22
7) سورة العلق : الاية 5 .
8) سورة الشعراء :45.
9) سورة الشعراء :46.
10) السامرائي ,يونس الشيخ إبراهيم :الكرام البررة في اخبار العشرة المبشرة ,(ط1,مكتبة الشرق الجديد ,بغداد ,1988م) ,ص91.
11) سورة الحج :الاية 20 .

من حديد))[1] ,ونصفه بالحرف هو (النون)في الاية ((لقد جئت شيئا نكرا))[2] وهي في النصف الثاني .

ومحتويات القران متنوعة ,منها قسم يتصل بالعقائد ويؤكد على التوحيد ومنها تعاليم اخلاقيه ,ووعظ وارشاد ,وفي القران تشريع ,وفيه اجوبة لاسئلة وجهها المسلمون او المشركون ,وفيه قصص عن الانبياء الماضين وامثلة للنصح والتحذير والوعد والوعيد [3]

ولقد كان للرسول صلى الله عليه وسلم كتاب لكتابة ما يمليه عليه الوحي في مكة والمدينة ,وكان يكتب على المواد المتوفرة مثل (العسب) وهو جريد النخيل والنحاف وهي الحجارة الرقيقة والرقاع ,ولم يجمع القران في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛انما تفيد الروايات انه جمع في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه عندما عهد الى زيد بن ثابت وهو من كتاب الوحي ولقد جمعه في سور مكتوبة على الاحجار وعلى قطع من الجلد ,وعلى عسب النخيل وكذلك من صدور الرجال اي في ذاكرتهم ومن اوراق متفرقة ,واتم نسخته ,واعطاها لابي بكر رضي الله عنه فخلفها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي تركها بدوره عند ابنته حفصة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم [4] .

وهناك رواية لابن سعد ان القران جمع في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتوفي قبل ان يجمعه [5] والرواية الثانية للطبري تقول ((قال زيد اوتي ابو بكر فكتبته في قطع الاديم وكسر الاكتاف والعسب ,فلما هلك ابو بكر (رضي الله عنه) وكان عمر (رضي الله عنه)كتب ذلك في سنة واحدة))[6]

والظاهر ان القران تم جمعه بصورة نهائية والاتفاق عليه في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه وذلك لاختلاف اللهجات والمناقشات لايات في القران وشكل الخليفة عثمان رضي الله عنه لجنة ,ترجع في حالة الخلاف الى لهجة قريش ولقد عملت اللجنة اربع نسخ بقيت واحدة في المدينة وارسلت نسخة الى كل من الكوفة وبصرة ودمشق وكذلك الى مكة ومحلات اخرى في رواية ثانية. [7]

2-علم الحديث :

---

1) سورة الحج :الاية 21.
2) سورة الكهف :الاية 74.
3) معروف :موجز تاريخ الحضارة الاسلامية ,ص198.
4) معروف :موجز تاريخ الحضارة الاسلامية ,ص204-205.
5) ابن سعد :الطبقات ,212/1.
6) الطبري :تاريخ الطبري 20/1.
7) معروف :موجز تاريخ الحضارة الاسلامية ,ص205.

الحــديث فــي اللغــة : قـــال الــرازي : ((الحــديث الخبــر قليلـــه وكثيــره وجمعـــه (احاديث)على غير القياس :قال الفراء نرى ان واحد الاحاديث (احدوثة)بضم الهمزة والدال ثم جعلوه جمعا للحديث ...))[1]

والحديث هنا هو ليس على العموم , انما هو مختص باقوال وافعال وتقرير الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ففي اللغة ((الحديث نقيض القديم وهو غير مراد هنا كما هو واضح وكذلك من معانيه في اللغة : الكلام كما قال تعالى ((فليأتوا بحديث مثله , ان كانوا صادقين))[2] وجمعه احاديث وهو [3] المراد هنا تغليبا للقول على بقية انواع الحديث من فعل وتقرير وصفة))

والحديث في الاصطلاح :ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خلقية بضمها سواء ما كان قبل البقية او بعدها [4]

والســـنة النبويـــة هـــي مرادفـــه للحـــديث وتعريفهـــا فـــي اللغـــة :قـــال الـــرازي ((السنة : السيرة))[5]

وجاء في لسان العرب ((السنة هي الطريقة او السيرة حسنة كانت ام قبيحة ولكن كلمة السنة اذا اطلقت يراد بها السنة الحسنة .

والسنة في اصطلاح المحدثين ,مرادفه للحديث ,وانما سمي بها لان قوله وفعله وتقريره وصفاته الخلقية متبقية عند المسلمين .

وتقريراته التي تثبت الاحكام وتعززها .

وعلى هذا التعريف فالحديث الذي لايثبت حكما من الاحكام الخمسة ليس بسنة عند الاصوليين والسنة عند الاصوليين ليست الاتشريعية فلا يلتفت الى اقوال من ادعى ان السنة تنقسم الى تشريعية وغير تشريعية وهو يقصد سنة الاصوليين .[6]

والسنة تطلق احيانا على العمل الجاري منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الى اخر عصر الصحابة على خلاف ما جاء في الحديث يقولون ((نقل في الحديث كذا ,والسنة على خلافه)) اي ان العمل على خلاف الحديث [7]

ومــا قالــه معروف ((تعنـي كلمـة حـديث فـي الاصـل (الخبـر)او (الروايـة الشـفوية)فـي موضوع ديني او دنيوي ثم اتخذت معنى خاص في الاسلام فصارت تعني اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وتعني كلمة (سنة)العادة او طريقة التصرف الاعتيادي في النواحي الاجتماعية

1) الرازي :مختار الصحاح ,ص125
2) سورة الطور :الاية 34.
3) الخير ايادي , محمد ابو الليث : علوم الحديث اصيلها واصلها ,(ط1 , مؤوسسة الرسالة , بيروت , 1426هـ-2005م),ص13
4) ابن تيمية : مجموع الفتاوي ,10/18-11.
5) الرازي :مختار الصحاح ص317.
6) الخير ايادي :علوم الحديث ,ص27.
7) المرجع نفسه ، نفس المكان .

والدينية والقانونية ,وكانت معروفة عند العرب الجاهلين وتعني العادة المتبعة))[1]
ويقول معروف في معرض كلامه الحديث والسنة ((والحديث يشير للقول والسنة تشير للعمل ,وقد تكون مشمولة بحديث كما يقول احمد بن حنبل)) [2]

والسنة القول والفعل والتقرير :

ومثال القول في السنة ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((انما الاعمال بالنيات))[3]
والمثال بالفعل قول عائشة ام المؤمنين في صيام الرسول صلى الله عليه وسلم ((كان يصوم حتى نقول :لايفطر ,ويفطر حتى نقول لايفطر))[4]
وفي التقرير حديث ابن عمر قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((لايصلين احد العصر الافي بني قريظة)) فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لانصلي حتى نأتيها ,وقال بعضهم بل نصلي ،لم يرد هنا ذلك فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يضيف واحدا منهم [5] فهذا هو التقرير او الاقرار يعني :ان يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بشيء او يحدث امامه فلا ينكره صلى الله عليه وسلم .

لم يدون الحديث تدوينا شاملا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي صدر الاسلام غير ان المسلمين كانوا يتناقلون الاحاديث المتفرقة عن طريق الرواية الشفهية .وان عدم تدوين الحديث لمدة (23) سنة من بدء الوحي الى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ,وان الصحابة والتابعين اخذوا يعتمدون على الذاكرة والنقل مما حدا ببعض الناس يضعوا بعض الاحاديث فسمي بالحديث الموضوع .وذلك لخلافات سياسية وفقهية وعنصرية [6]
ولقد لعب الزنادقة والملاحدة دورهم في وضع الحديث لافساد الدين يذكر حماد بن زيد ان الزنادقة وضعت اربعة الاف حديث.[7]

واسناد الحديث هو سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما يعرف بالسند ,واما نص الحديث فهو المتن ,ولقد تم تصنيف بحسب السند وصحته الى اصناف منها المتواتر والاحاد ,والمتواتر ما رواه جماعة موثوقون لا يتواطئون على الكذب عن جماعة مثلهم الى الرسول صلى الله عليه واله وسلم وهذه الاحاديث تفيد تفيد العلم .اما اتلاحاديث غير المتواترة فتسمى أحادا وهي لاتفيد العلم عند الفقهاء ,انما يجوز العمل بها عند ترجيح صدقها .

وفي الاصابة للعسقلاني ان مالك الاشتر روى الحديث عن عمر وخالد بن الوليد وابي

---

1) معروف : موجز تاريخ الحضارة الاسلامية ,ص209.
2) المصدر نفسه ,نفس المكان .
3) اخرجه مسلم 48/6 .
4) البخاري :الصحيح 38/3 ؛مسلم :صحيح مسلم ,160/3.
5) البخاري :في صلاة الخوف 15/2 ؛مسلم في المنازي 162/5.
6) لجنة وزارة التربية :تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ,ص152.
7) معروف :موجز تاريخ الحضارة الاسلامية ,ص213.

ذر وعلي رضي الله عنه [1] ، وعن ابن سعد ان مالك الاشتر روى الحديث عن خالد بن الوليد [2] وانواع الحديث المسند هو ما اتصل اسناده من رواته الى منتهاه ويسمى هذا النوع من الحديث ايضا المتصل او الموصول .والحديث المرسل وهو الذي سقط عن سنده الصحابي فرواه التابعين عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة والحديث المنقطع وهو الذي سقط من سنده اسم الراوي فيه من التابعين ,والحديث المعضل وهو الذي سقط من سندة اسما او اثنين اواكثرمن الرواة [3]

يستنتج من ذلك ان الحديث لم يدون في عصر صدر الاسلام عصر مالك الاشتر محور البحث ؛انما دون فيما بعد ,حيث دون في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ,ومن الكتب التي الفت فيه الموطأ للامام مالك بن انس (ت 179هـ /795م)

ومن اشهر الكتب صحيح البخاري (ت 256هـ / 869 م) وصحيح مسلم (ت 216م /892 م) وسنن ابن ماجة (ت 273هـ /886م) وجامع الترمذي (ت 279 هـ /892 م) وسنن النسائي (ت 303هـ /915م)وتسمى هذه الكتب الصحاح الستة واعظمها صحيحا البخاري ومسلم والكتب الاربعة السنن 1

3-علم التفسير :

والتفسير هو بيان معاني القران الكريم وتوضيحها ,وكشف واستجلاء ما غمض منها ,وان القران نزل بلغة عربية مبينة ,فيقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين فيفهمونه ,ولكن فهمهم له على درجات متفاوتة ,وذلك يخضع لاستعدادهم اللغوي والفكري وثقافتهم العامة .

وبذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشرح لهم الايات التي يلتبس عليهم اشكالها ,ويوضح لهم الغامض منها ,طالما ان الايات نزلت بشكل تدريجي من الاحكام والمحرمات وحسب ما يتطلبه العقل انذاك والقران الكريم يحتوي على احكام فقهية وعقائدية لايكفي منهم اللغة العربية وحدها لادراك هذه الامور ,ولهذا كان الناس في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بحاجة الى من يفسر لهم الفاظ القران الكريم واشارته ,والرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي كان يفسر لهم ذلك .

ولما انتقل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكثرة الفتوحات الاسلامية ودخل كثير من الاقوام غير العربية الى الاسلام صارت الحاجة ملحة الى تعليم وتفسير القران الكريم وتفصيل اياته .

ولقد برز من المفسرين في عصر صدر الاسلام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

---

1) العسقلاني :الاصابة ,ص482.
2) ابن سعد : الطبقات ,332/8.
3) لجنة وزارة التربية :تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ,ص153.

وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم وغيرهم ولقد اخذ قسما من التابعين من هؤلاء الصحابة ولقد الفوا في ذلك الكتب .

ولقد سمي ها النوع منة التفسير بالتفسير المأثور لانه ما اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم او بالتفسير المنقول اي ما نقل عنهم [1]

وما قاله عماد الدين ((حيث فسر الرسول صلى الله عليه وسلم من القران الكريم ما كان غيبيا او مجملا او عاما او مطلقا واعتنى الصحابة بتفسير القران واشتهر منهم عبدالله بن العباس ,وعلي بن ابي طالب وأبي ابن كعب وعبد الله بن مسعود ثم كان عصر التابعين الذين توزعوا في الامصار الجديدة بالاضافة الى (فضلا عن) مكة والمدينة .))[2]

ب- الكتب والرسائل :

من الكتب المهمة في عصر صدر الاسلام الكتاب الذي كتبه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري عامله الى البصرة ويعتبر وثيقة مهمة واساسية في الامور القضائية والادارية وقد تم تدوينه في الجانب القضائي من البحث .

وكتاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب الى عامله على مصر مالك الاشتر عندما ولاه عليها والمسمى بكتاب العهد ورد هذا الكتب في المصادر الاساسية الاولية والمراجع الحديثة وهو نموذج متقدم في الحضارة العربية الاسلامية ويدل العديد من مبادى واساسيات ومفاهيم واعمال الحكم والادارة : ولاهمية هذا الكتاب ولكونه يخص محور البحث مالك الاشتر ,حيث انه موجه اليه اثر الباحث ان يورده بالكامل لاهميته :

((بسم الله الرحمن الرحيم :هذا ما امر به عبد الله علي امير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر في عهده اليه ,حين ولاه مصر جباية خراجها , وجهاد عدوها واستصلاح اهلها , وعمارة بلادها .

أمره بتقوى الله ,وايثار طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننته . التي لا يسعد احد الا بأتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله بقلبه ويده ولسانه ,فأنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه وامره ان يكسر من نفسه عند الشهوات ,ويدعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم ربي ...))[3]

لقد ايد امير المؤمنين علي عليه السلام كتابه هذا الموجه الى مالك الاشتر الامير على مصر بمقدمه وهي الامر الموجه الى عامله الاشتر ويعتبر ديباجة العهد حيث حدد فيها الامور المهمة من مالية حيث جمع الخراج لانه يخص خزينة المسلمين والاموال العامة ,

---

1) لجنة وزارة التربية :تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ,ص154.

2) لجنة في وزارة التربية : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ؛ص149.

3) ابن ابي الحديد :نهج البلاغة 122/3.

والجهاد في سبيل الله للحفاظ على الدولة الاسلامية وهيبتها .واستصلاح المجتمع لان يحتاج الى التوعية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر, واوصى عامله بالاعمار لانه يمثل الحضارة الاسلامية .ويامره بتقوى الله في سره وعلانيته وجهاده بيده ولسانه وقلبه وكذلك ان ينتصر على نفسه قبل الانتصار على عدوه.

((ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون في امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم , وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله على ألسن عباده,فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح ,فأملك هوال وشح بنفسك عما لايحل لك فان الشح بالنفس الانصاف فيها فيما احببت او كرهت))[1]

ويشير الامام علي(عليه السلام) الى مالك الاشتر بانه قد وجهه الى بلاد مصر وهي قد مرت عليها حضارات ودول قديمة ,مما اولدت فيها مفاهيم سادت ثم بادت ومرت على هذا الشعب من امور سواء كان فيها من الظلم والعدل وعليك يامالك ان تنظر الى نفسك وافرض انك من احد افراد الرعية , ثم انظر الى الوالي وحب لنفسك من الحاكم فيما لو كنت مواطنا من عامة الناس ,ويؤكد الامام على النفس ومحاربة اهواءها –ويستمر في كتابه الى مالك الاشتر

((واشعر قلبك الرحمة للرعية ,والمحبة لهم , واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم ضعاف , اما اخلك في الدين واما نظير لك في الخلق,يفرط لهم الزلل وتعرض لهم العلل,ويؤتى على ايديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم وولي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم))[2]

ان النظرة الانسانية واضحة في المفاهيم الاسلامية التي تتجلىفي افكارخليفة المسلمين وقائدهم الامام علي بن ابي طالب ,فالواضح انه يامر الوالي على مصر مالك الاشتر بالمساوة بين الناس وعدم التفرقة ,فهم صنفان .اما اخ في الدين الاسلامي فله حقوق وعليه واجبات ,او نظير في الانسانية فهو له حقوق المواطنة ورعاية ولي الامر .ثم يواصل في كتابه هذا :

((ولا تنصبن لحرب الله فأنه لا يدي لك بنعمته ولا غني بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ,ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت بها مندوحة ولا تقولن مؤمر امرك فأطاع فان ذلك ادغال .

واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك اجهه او مخيله فأنظر الى عظم ملك الله فوقك

---

1) المصدر السابق :122/3 ؛ينظر القلقشندي :صبح الاعشى 304/9.
2) المصدر نفسه ، نفس المكان.

,وقدرته على ما لاتقدر عليه من نفسك يطامن اليك من طعامك ويكف عنك من غربك ,ويضيء اليك بما عزب اليك من عقلك .))

والمراد بحرب الله هو مخالفة شريعته بالظلم والجور ,والانفراد بالسلطة وعدم المشاورة ,فان الامير الظالم سوف ينتقم منه الله تعالى ان اجلا او عاجلا وليس للحاكم يد في دفع نقمة الله في حالة التمادي في الظلم .وان قدرة الله هي فوق قدرة العبد مهما تجبر وتكبر وطغى . وكلما دعت المرء قدرة الحاكم على الطغيان يجب ان يتذكر قدرة الله عليه ((إياك(يا مالك) ومسامات الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال .))[1]

ويحذر الامام علي عليه السلام مالك الاشتر من التعالي وهو السمو والافتخار والتعالي لانها من صفات الله تعالى لايشرك معه فيها احد .

((أنصف الله ,وانصف الناس من نفسك ,ومن خاصة اهلك ,ومن لك فيه هوى عن رعيتك ,فانك الاتفعل تظلم ,ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع او يتوب ,وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله , وتعجيل نعمته من اقامة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد ...))[2]

ويؤكد عليه السلام على العدالة الاجتماعية وعدم اطاعة النفس في الهوى والتمييز بين الرعية ,حتى ان كانوا اهل الوالي ,ثم انه يتذمر من الظلم فانه مدعاة للفرقة وازالة النصحة وان دعوة المظلوم مستجابة وهو يشير الى قوله تعالى : (0ومن يظلم منكم نذقه عابا كبيرا))[3] وفي قوله ((وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين , وما للظالمين من حميم او شفيع يطاع))[4]

ويستمر الامام علي كرم الله وجهه في كتابه الى الامام مالك :

((وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق ,واعمها في العدل ,واجمعها لرضى الرعية ,فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة ,وان سخط الخاصة يفتقر مع رضا العامة ,وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرضاء ,واقل معونة له في البلاء ,واكره للانصاف واسال بالالحاف ,واقل شكرا عند الاعطاء ,وابطا عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة ,وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صفوك لهم وميلك معهم .))[5]

---

1) عبده : الشيخ محمد :نهج البلاغة (ط1,مؤسسة التاريخ العربي ,بيروت ,دون تاريخ), 459/4 .
2) عبده: نهج البلاغة ، 460/4.
3) سورة الفرقان :الاية 19.
4) سورة غافر :الاية 18 .
5) ابن ابي الحديد :شرح نهج البلاغة 123/3.

ويؤكد كرم الله ,على ارضاء عامة الناس لانهم ان رضوا عليه يرضى عنه الله وان سخطوا عليه فلا ينفعه رضى الخاصة .

((وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم عندك ,أطلبهم لمصائب الناس فان في الناس عيوبا الوالي احق من سترها ,فلا تكشفن عما عاب عنك منها , فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت ,يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك , اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر ,وتغلب عن كل ما لا يصح لك ,ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش ,وان تشبه بالناصحين .))[1]

والامام علي كرم الله وجهه يستقبح عمل الوشاة والنمامين لانهم يخربون العقول ويسعون في النفاق يفرقون الجماعة ,فانه جرثومة ضارة تنخر في جسم المجتمع فهو يوصي عامله با لايقرب المتملقين والساعين في اظهار عيوب الاخرين ,لان الوالي هو احق بستر العيوب , وان الغيبة هي من الامراض الاجتماعية الفتاكة وهي فتنة , والفتنة اشد من القتل قال تعالى ((ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه ...))[2]

((ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ,ولا جبانا يضعفك عن الامور ,يزيف لك الشره بالجو ,فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى ,يجمعها سوء الظن بالله .ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم الاثام فلا يكون لك بطانة , فانهم اعوان الاثمة واخوان الظلمة وانت واحد منهم خير الخلف ,ممن له مثل ارائهم ونفاهم ,وليس عليه مثل اصارهم واوزارهم ,ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ,ولا اثما على اثمه اؤلئك اخف عليك مؤونة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل لغيرك الفا ...))[3]

ولقدد عدد عليه السلام الصفات السيئة التي يجب على الوالي تجنب اصحابها لان مشورتهم , انحراف عن الصواب وان الجبن ضد الشجاعة فلذالك فانه يهبط العزائم ويكثر الهزائم اما البخيل فانه يمنع الخير ويوصي بعدم ارضاء الرعية بالارزاق والحريص هو اشد في منع الكريم من بذل الاموال واما الوزراء التي ورد لفظها هنا تعني الاعوان والمستشارين وان كانت غير مستعملة في عصر صدر الاسلام ولا يوجد لها سوى مثابة الوزير .

((فأتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك , ثم ليكن اثرهم عندك اقولهم يمر الحق لك , وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله ثم رضهم على ان لا يطروك ,ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ...))[4].

---

1) عبده :نهج البلاغة ,460/4.
2) سورة الحجرات :الاية 12.
3) ابن ابي الحديد :شرح نهج البلاغة ,125/3.
4) المصدر نفسه :نفس المكان .

ثم يواصل كرم الله وجهه في كتابه هذا العهد :

((.. ولا يكون المحسن والمسئ , عندك بمنزلة سواء , فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان ,وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة والزم كلا منهم ما الزم نفسه , واعلم انه ليس شئ يادعى الى حسن ظن داع برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات عليهم , وترك استكراهه اياهم على ماليس قبلهم , فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا , وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ...))[1]

ان مساوارة المحسن بالمسئ ضياع للقيم والمعيار التي وضعتعها الشريعة الاسلامية فلا يستوي الطيب والخبيث والبرئ والمجرم , والا تضيع المقياس وتختل القيم , وحسن الظن بالرعية هو من واجبات الوالي العادل وسوء الظن بالرعية يؤدي الى الظلم والاجحاف .

((...ولا تنقصن سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصحت عليها الرعية , ولا تحدثن سنة تضر بشئ من ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقصت منها , واكثر مدارسة العلماء , ومناقشة الحكماء في تثبيت ماصلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك ....))[2]

ويؤكد عليه السلام على السنة المسنة وهي الطريقة المثلى والتي سنها من هو قبله في الاسلام وعلى راسهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم , فيتوجب الاهتداء بهذه السنن الحسنة , فان نقضها أي العمل بخلافها هو ان يتحمل انقضها الوزر بينما ياخذ من سنها الاجر , ويؤكد على مجالسة العلماء فان الله تعالى كرمهم وفضلهم بعلمهم فمجالستهم , وهو اصلاح للحكم والبلاد .

((واعلم (يامالك) ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الابىعض ولاغنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة , ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق , ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسامحة الناس , ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة , وكلا قد سمي الله سهمه , ووضع على حده فريضته في كتابه او سنة نبيه صلى الله عليه وسلم , عهدا منه عندنا محفوظا ..))[3]

واخذ الامام علي كرم الله وجهه بعدد طبقات الشعب من اصحاب المهن والمصالح واهل الذمة الذين يدفعون الجزية والمسلمين الذين يدفعون الخراج وان هذه الطبقات يكمل بعضها الاخر . ويأتي دور التوجيه بالجنود بقوله :

((فالجنود باذن الله حصون الرعية وزيف الولاة , وعز الدين , وسبل الامن وليس تقوم

---

[1]) ابن ابي الحديد : نهج البلاغة : 126/3.

[2]) عبده : نهج البلاغة 413/4

3) احمد : ضحى الاسلام , (ط مطبعة عماد الدين , القاهرة , 1956) , ص 202 , ابن ابي الحديد : شرح البلاغة , 126/3.

الرعية الابهم , ثم لا قوام للجنود الابما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقومون في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون وراء حاجاتهم , ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من اللقضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع , ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعواملها , ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من حرافتهم , ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم ما يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين بحق رفدهم ومعونتهم ....))[1]

ويؤكد الامام علي عليه السلام في عهده هذه لمالك الاشتر بتوصيته بالجيش لانه عماد الدولة وسور الوطن والذي يحميه في يوم المحن , وان الجندي ليس له رزق سوى منت خزينة الدولة , وان القضاة والعمال والكتاب ليس لهم ايضا سوى الرواتب وعليه فما يشمل الجيش يشملهم . ثم يوصي بذوي الصناعات والتجار من الاسواق ويزداد الرفاه للشعب . ولاينسى ان يضمن وصيته هذه بالطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمساكين فليس لهم سوى رعاية الدولة والولاة .

((... وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج الوالي من حقيقة ما الزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق , والصبر عليه فيما خف عليه او ثقل فول من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك وانقاذهم وافضلهم حلما من يبطئ عن الغضب , ويستريح الى العذر , ويراف بالضعفاء وينبو على الاقوياء , وممن لايثيره العنف ولابقصد به الضعف .....))[2] . وهكذا اتيان الامام علي عليه السلام يضع يده على الداء ليصف الدواء حيث ان هناك واجبات على الوالي لله تعالى ولرسوله ولالي الامر فلا بد ان يؤديها ويحترمها وماذلك الابمخافة الله والتزام الصبر ومعرفة الحق وان توليه الوظائف المهمة في الدولة يجب وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وان يرتبط بالوالي مباشرة فلاعذر للوالي في عدم معرفة الموظف الظالم في ظلمه .

((.... ثم الصق بذوي الاحساب , واهل البيوتات الصالحة , والسوابق المسنة ثم اهل النجدة , والشجاعة , والسخاء , والسماحة , فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد امورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن من نفسك شئ قويتهم به ولاتحقرن لطفا تعاهدم به وان قل , فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولاتدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه))[3]

---

1) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة , 127/3 , القلقشندي : صبح الاعشى , 306/9.

2) المصدر نفسه : نفس المكان , المصدر السابق , نفس المكان .

3) عبده : نهج البلاغة , 464/4-465 .

وهنا يؤكد عليه السلام على النبتة الطيبة من الناس , فتولية الردئ هو ان يتحكم برقاب الناس ويجعل منهم عبيدا له لان تربيته فيها نقص وعليه فان من تربى تربية حسنة فضلا عن ايمانه سوف يسوس الناس بالحق والعدل

((.. وليكن اثر رؤوس حينذاك عندك من واساهم في معونته , وافضل عليهم من جدته بما يسعهم , ويسع من وراءهم من مخلوق اهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو , فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ,وان افضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وانه لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدورهم ولا تضع نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم , وقلة استثقال دولتهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في امالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتقدير ما ابلى ذوو البلاء منهم , فان كثرة الذكر لحسن افعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل انشاء الله .....))[1]

ثم ان الامام علي عليه السلام يامر عامله مالك الاشتر بانقاذ قادة الجيش والضباط من ذوي الكفاءة والجدارة والرحمة ةالعطف على الجنود او هو يثاقب تفكيره يرى بان القائد المحنك هو الذي يكسب جنوده , مما يجعلهم ينفذون اوامره ويتفانون في الذود على المبادئ عن طيب خاطر سواء كان ذلك بحضوره او غيابه وان عبارة (فافسح في امالهم) وهو منحهم فرصة الامل الذي هو عناية الانسان فلولاه لما فعل أي شئ نحو التقدم في الحياة , ثم مدحهم لان الثناء من الاعلى الى الادنى يعطي شحنة قوية الى الما دون وهو بخلاف مدح الادنى للاعلى بما فيه من تملق احيانا

((ثم اعرف لكل امرئ فيهم ما ايلى ولا تضيفن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تظلم من بلائه ماكان صغيرا , ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلاءه ما كان عظيما , واورد الى الله ورسوله مايضلعك من الخطوب , ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله تعالى لقوم احب ارشادهم (ياايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) [2] والى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة))[3] .

((ثم اختر للحكم بين الناس افضل وعيك في نفسك ممن لا تضيق به الامور , ولاتمحكه الخصوم ولايتمادى في الزلة ولا يحصر من الفئ الى الحق اذا عرفه , ولا تشرف نفسه على جمع , ولايكتفي باذى منهم دون منهم دون اقصاه , وانهم في الشبهات واخذهم بالحجج و بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور , واصرمهم عند اتضحاح الحكم , ممن لا يزدهيه اطراءه ولا يستميله اغراء , واولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل عنه

---

[1]) المرجع نفسه , نفس المكان

[2]) سورة النساء .

[3]) المربع السابق , نفس المكان.

, وتقل معه حاجته الى الناس , واعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ليامن بذلك اغتيال الرجال له عندك , فانظر في ذلك نظرا بليغا , فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار , يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ....))

والامام عليه السلام يوجه عامله مالك الاشتر باختيار الافضل من الرعية للحكم ثم انه يحدد وصفات من يتبع عليه الاختيار بانه لايسرف في العقوبة ويتجاوز حدود التعزيز , ولا تأخذه العاطفة في خصم على اخر ثم انه يتصف بالامانة حتى لا يتجاوز على اموال الدولة وعلى الوالي ان يزيد رواتب هؤلاء الموظفين حتى يكون لديهم اكتفاء ذاتي مما يسد حاجتهم ويجب اختيار العبور المكافح المستقر على نفسه وكبحها .

((ثم انظر في امور عمالك فاستقم اختيار , ولا تولهم محاباة واثره , فانهما جماع شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اغراضا , واقل في المطامع اشرافا , وابلغ في عوكاقب الامور نظرا , ثم اسبغ عليهم الارزاق , فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امرك او ثموا امانتك ....))[1].

ويقول كرم الله وجهه في عهده هذا المالك الاشتر ان يختبر الموظفين ويجربهم وكانه يقول لمالك ان ارسالك الى هذه الولاية الخطيرة لم يكن اعتباطا , انما من خلال تجربة كبيرة وتمحيص , وان مالكا قد وضع في معمل التجارب فخرج منها جميعا منتصرا , واخيرا نفي الامتحان العسير فنجح بها بدرجة الامتياز وهذا نال ثقة ولي الامر الذي كلفه بهذه المهمة الخطيرة , ثم يقول الامام عليه في توصية هذه ان يختار الوالي مالك من اهل الاسر المعروفة والقدم في الاسلام من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

((ثم تفقد اعملهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم , فان شاهدك في السر لامورهم حدودة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان , فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في يده واخذه بما اصاب من عمله ثم نصبته في مقام المذلة ووستمه بالخيانة وقدرته عار التهمة ....))[2].

ويؤكد كرم الله وجهه في عهده لمالك على الامانة والرفق بالرعية فلقد اخذت منه مساحة ذهنية كبيرة , فان اهتمامه بالرعية وتوفير العدالة جعله يوصي عماله بذلك ومنهم عامله مالك , وهو لايريد من عامله ان ياخذ اعوانه بالشكوك او بالنفاق عليهم , انما بالرقابة والشهود حتى لا يظلمهم ان اقام عليهم الحد

((وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم

---

[1]) المرجع السابق , نفس المكان .

[2]) المرجع نفسه , نفس المكان.

ولاصلاح لمن سواهم الابهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لايدرك الا بالعمارة وفي طلب الخراج بغير عمارة اضرب البلاد .. واهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او بالة او راحالة ارضي اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خفت عنهم بما ترجوا ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شئ خففت به المؤونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيف ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتنجيك باستقامة العدل فيهم معتمدا فضل قومهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم . والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به .....))[1]

ويعطي الامام علي عليه السلام اهمية قصوى للخراج فانه المادة التي تقوم عليها عصب الحياة , فالنهر الفارغ من الماء لايكون سوى واد جاف لايسقي زرعا ولايديم حياة .

فالناس ينظرون الى روايتهم حتى يسيروا احوالهم والا فالانحراف وارد بدون الارزاق .

ويذكر العمران حيث لايقوم الا بالتعاون بين اهل الارض والدولة حيث تمد الدولة الفلاحين والمزارعين بالمساعدات التي لا يستطيعون القيام بها ثم يكون التعاون المستمر حيث يقول عبد السلام :

((فان العمران محتمل ماحملته وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ...))[2]

((ثم انظ في حال كتابك فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لاتبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ , ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكانيات عمالك عليك واصدار جوابها على الصواب عنك وفيما ياخذلك ويعطي منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك , ولايعجز عن اطلاق ما عقد عليك , ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لايكن اختيارك وإياهم على فراستك واستنامك , وحسن الظن فان من الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ....))[3]

ويبدي عليه السلام رايه في الكتاب لانهم موضع الاسرار , حيث لايمكن للوالي او الحاكم ان يستغني عن الكتابة فيستوجب اختيارهم من ذوي الصدق والامانة والكتمان , ويفضل من له هذه الصفات على القريب الذي يفتقر بها .

((وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شئ ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ,

---

[1]) عبده : نهج البلاغة , ص 468 , ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة 128/30.

2 المصدر نفسه : نفس المكان .

3) المصدر نفسه : نفس المكان , عبده : نهج البلاغة , 468/4.

, فاعمد لاحسنهم كان في العامة اثرا , واعرضهم بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصحك لله , ولمن وليت امره واجعل كل امر من امورك راسا منهم , لا يقهره كبيرها , ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك ما عيب فتغابيت عنه الزمته .....))[1]

والاختيار هنا هو زيادة الثقة والتجربة فالامانة والنصيحة بدون التجربة تبقى نظرية بحاجة الى التطبيق العملي فالعمل على ارض الواقع شئ والنظرية شى اخر , ولهذا فان كل مجموعة يجب ان يراسها من ذوي الاخلاص الاكفاء ومن ذوي التجربة الواقعية .

((ثم استوحي بالتجار وذوي الصناعات , واوحي خيرا , المقيم منهم والمضطرب بماله , والمترفق ببدنه , فانهم مواد المنافع واسباب المرافق , وجلابها من المباعد والمطارح , في برك وبحرك , وسهلك , وجبلك وحيث لايلتئم الناس لموصفها ولايجترئون عليها فانهم سهم لا تخاف بائقته , وصلح لاتخشى نمائله , وتفقد امورهم بحفرتك وفي حواشي بلادك , واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مفرة للعامة , وعجيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وسلم منع منه , وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لاتجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ....))[2].

ثم يضيف عليه السلام حول البيع والشراء بالقول

((فمن قارف حكره بعد نهيك اياه , فنكل به وعاقبه في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين , واهل اليؤس والزمنى , فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما استحفظك منت حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام من كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه , فلا يشغلك عنهم بطر فانك لا تقدر بتضيعك التامه لاحكامك الكثير المهم فلا تخشى همك عنهم ولاتصعر خدك لهم وتفقد امور من لايصل اليك منهم ممن تقحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل بالاعذار الى الله يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية اجرح الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تادية حقه اليه ....))[3]

وياخذ عليه السلام بتكرار اوامره في هذا العهد لعامله مالك الاشتر بالتوصية بالفقراء والمساكين وهم الطبقة السفلى من المجتمع وان يشملهم برعاية الدولة ويفرد لهم قسما من اموال الفئ فانهم يحتاجون الى الاهتمام وبخاصة البؤساء وذوي العاهات واصحاب الامراض المزمنة وهي اصلاحات تكاد ان تكون معاصرة للوقت الحاضر فيها اربح الحضارة والصبر

---

1) المرجع نفسه , نفس المكان .
2) المصدر نفسه , نفس المكان .
3) المصدر نفسه , نفس المكان.

وتنبض الحياة في كل زمان ومكان , والاحرى بالدول الاسلامية في الوقت الحاضر ان تاخذ من هذه الوصية ورقة عمل ونبراسا تستضيئ به وتشمل مقويها بالرعاية والاهتمام .

((وتعهد اهل اليتيم وذوي الرقة في السن ممن لاحيلة له , ولاينصب للمسالة نفسه , وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم ....))[1] .

والتوصية باليتيم وتيار السن والارملة من قوله عليه السلام اهل اليتيم وهذه العائلة التي تفقد معيلها , فليس لها سوى الله ورعاية الدولة فالواجب يقتضي رعايتها والانفاق عليها من الميزانية العامة وهذا حق سواء اكان معيل العائلة استشهد في الحروب او توفي , واليتيم له اهمية مقوى في الدعم والانفاق حتى لاتاخذه ايدي السوء فتحوله الى بؤرة الفساد والانحراف قال تعالى :((يسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير , وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح)) .

((واجعل لذوي الحاجات منك قسما , تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع , فاني سمعت رسول الله صلى اللع عليه وسلم واله يقول في غير موطن (لن تقدس امة لايؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع) .

ثم احتمل الخرق منهم والسعي , عنهم الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكتاف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ما ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار ثم امور من امورك لابد لك من مباشرتها منها : اجابة عما لك يعيا عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك تحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم مافيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صحت فيها النية وسحت فيها الرعية ....))[2] .

ومن اوليات العدالة في الحكم الاسلامي لقاء الحاكم بالرعية وخاصته منهمالضعفاء والمساكين حتى يرفعوا شكواهم وتظلمهم وان الامام علي عليه السلام يمثل الحكم الاسلامي باجلى صورة فهو يوعز الى عاملة مالك الاشتر ان يفردا يوما للعامة وان يفسح لهم عرض مطالبهم بحرية تامة دونما او جل من حرسي او شرطي او حاجب , ثم يامره بان يكون الاتصال بينه وبين موظفيه بشكل مباشر حتى يطلع على دقائق الامور وتفاصيلها , وللزمن عنده اهمية كبيرة فيقول كرم الله وجهه لاتؤجل عمل اليوم الى غد فلكل يوم عمله ويتوجب انجازه في توقيته .

((وليكن في خاصة ما تخلص به لله اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من

---

[1]) سورة البقرة : الاية 220.

2) ابن ابي الحديد : نهج البلاغة 230/3 , نهج البلاغة 4/ 472 .

بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله في ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص . بالغا من بدنك ما بلغ واذا اقمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيقا فان في الناس من به العلة وله الحاجة ولقد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم واله حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم فقال : (صل بهم كصلاة اضعفهم وكف بالمؤمنين رحيما ..) .

ويعهد الامام علي كرم الله وجهه الى عامله مالك الاشتر بالمحافظة على مواقيت الصلاة فانها لله تعالى والمحافظة عليها مع مراعاتها هو القدوة لمن دونه من الرعية ثم ان لامام الجماعة عليه ان يراعي المصلين فمنهم المريض الذي به علة لا يستطيع اطالة السجود والركوع ومنهم من له حاجة وهو الذي يحتاج الى قضاء حاجته ولذلك فصلاة الامام تكون كصلاة اضعف المصلين رحمة بهم .

((واما بعد فلا تطولن احتجابك عن رغبتك فان احتجحاب الولاة عن الرعية سقية من الضيق وقلة علم باالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالبالطل وانما الولي بشر لايعرف ماتوارى عنه الناس به من الامور وليس على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد الرجلين : اما امرء سخت نفسك بالبذل بالحق فقيم احتجابك من واجب حق تعطيه او افعل كريم تسديه او او مبتل بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسالتك اذا ايسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس مما مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة ....))[1].

ويقدم الامام علي كرم الله وجهه اوامره السديدة الى عامله بعدم الاحتجاب عن الرعية انما معايشتهم في اولاهم واخراهم ثم يتساءل عليه السلام عن ماهية الاحتجاب عن الناس اهو عدم الاستجابة لهم بالبذل والعطاء ؟ ام الياس من عدم تلبية حاجاتهم او عدم اعطاء حق فعلى الوالي ان يفتح الابواب مشرعة حتى ينصف المظلوم ويقتص من الظالم .

((ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئناء وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال , ولاتقطعن لاجد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك في اعتناء منك عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤونة على غيرهم فيكون مهنئا ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والاخرة))[2].

والوالي هو من البشر اقرباء واعوان واصدقاء غير انه في الحكم المسؤولية يجب ان ينظر اليهم كنظرة غيرهم من الرعايا فما يعطيه لهؤلاء هو استحقاق لهم اتي ياخذونها كسائر الاخرين اما الامتيازات على حساب الشعب فهذا عيب في الوالي وتعدي على حقوق الشعب ولذلك يوجه الامام علي عليه السلام نصيحته بذلك وهي نصيحة خاصة لكل ولاته وعامة لكل

[1]) ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة 130/3

[2]) المرجع نفسه , نفس المكان .

من يتحمل المسؤولية والى الوقت الحاضر يجب الاستفادة منها وتقديسها .

((والزم الحق من الزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما عليك منه فان مغنية ذلك محمودة))[1].

والحق ثقيل على المنفقين والمنافقين فؤلاء يلتزمون الباطل في سرهم وعلانيتهم ويحاولون خلط الامور في بعضها ويظهرون الباطل والعكس ومثل هكذا شلة من الناس يجب على الوالي مجانبتهم والتزام جانب الحق دائما والبصر مرلا يتجرعه الاحرا وعليه فالالتزام به هو طريق الحق .

((وان ظننت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرك واعمل ظنونهم باصحارك فان في ذلك رياضة منك لنفسك ورفق برعيتك واعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق ..))[2].

والصراحة والموجهة ما قمة العدالة فان ارضاء الناس غاية لاترتجى وعليه فالظهور اليهم ومواجهتهم بالحقائق غاية لاتسمو عليها اكثر الغايات وذلك (رياضة) وهي كلمة بليغة غاية البلاغة لان الرياضة كاختصاص يستخدم في ترويض النفس وكان الامام علي كرم الله وجهه قد سبق الازمنة اللاحقة بالحضارة وادراك المفاهيم التي حصلت فيما بعد والفق بالرعية من اعظم سمات الامير والحاكم .

((ولاتدفعن صلحا دعاك اليه عدوك ولله فيه رضي فان في الصلح دعه لجنودك وراحة من همومك وامنا لبلادك ولكن الحذر قل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتفعل فخذ بالحزم وانهم في ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة او البسته منك ذمة , فحط عهدك بالوفاء واردع بالامانة واجعل نفسك جنة دون ماعطيت فانه ليس من فرائض الله شئ الناس اشد عليهاجتماعا مع تفرق اهوائهم وتششت ارائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون بينهم دون المسلمين لما استويلوا من عواقب العذر فلا تعذرن بذمتكولاتحسبن بعهدك ولاتختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا افضاء بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى ويستفيضون الى جواره ....))[3].

والناس عند عهودهم , فنقض العهود غدرا , وعدم وفاء للكلمة , وعرض الصلح من قبل العدو يجب مقابلتهم بالهدنة لان ذلك راحة للجند واعادة للتنظيم طالما ان يكون الصلح جاء من واقع التكافىء وليس فيه خدعة او كسب وقت ولذلك فان كرم الله وجهه يحذر من هكذا صلح ويبارك الصلح الاخر.

((فلا راد غال ولا مدالة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تقولن على

---

[1]) المرجع نفسه نفس المكان .

[2]) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة 230/3 .

[3]) عبده : نهج البلاغة 474/4 .

الحق قول بعد التاكيد والتوثق ولا يدعونك ضيق امر لزمنك فيه عهد الله الى طلب انفاضه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجوا انفراجه وفضل عاقبته خير من عذر تخاف تبعته وان تحيط بك من الله فيه طلبة فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك ...)).1

((اياك والدماء , وسفكها بغير حلها , فان ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها , والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ,فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن ,وان ابتليت بخطا وافرط عليك سوطك اوسيفك او يدك بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك على ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم ....)) .2

واياك هنا هو للتحذير من عمل معين وتاتي للاشارة , فالتحذير من سفك الدماء الحرام هو من واجبات ولي الامر الذي يرتكب القتل العمد , ولا يقدم على القصاص الا بالحق والثاني والمحاكمة العادلة , اما الخطا فليس له مبرر الا في عدم التفقه والاناة والصبر , ومع ذلك فان العدالة تاخذ مجراها باعطاء ولي المقتول الدية .

((واياك والاعجاب بنفسك , والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق مايكون من احسان المحسنين ..)) . 3

وهذا

المتفوق على الاخرين والافضل منهم بينما الفضل بالتقوى و الاخلاق والعمل الصالح وليس بالجمال والمال .

((واياك والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك ا وان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك , فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الناس , قال تعالى : (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون))).4

وهذا التحذير الثالث باياك يا مالك ان تعطي الاحسان ثم تمن عليهم بانك احسنت اليهم لان هذه الاموال هي اموالهم وليس اموال ولي الامر او نائبة الوالي وان القول يجب ان يعقبه الفعل المقبول.

((واياك والعجلة بالامور قبل اوانها اوالتسقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا كثرت او الوهن عنها اذا استوضحت وضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه .

وهذا التحذير الرابع وهو عدم الاستعجال في اتخاذ القرارات وبخاصة منها الصعبة والتي تخص الامة وتعرضها للخطر اهمها الحرب لان في ذلك سفك الدماء والدمار وقطع النسل

---

[1])المرجع نفسه , نفس المكان

[2]) المرجع نفسه , نفس المكان

[3]) المرجع نفسه , نفس المكان

[4])سورة الصف , الاية 3

والحرث , ثم عدم الاصرار على الخطا عندما يقع والقرار الخطا لان الاعتراف بالخطا فضيلة .

((واياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة , والتغابي عما يفي به مما وضع للعيون فانه ماخوذ منك لغيرك عما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتقص منك للمظلوم املك حمية انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب سانك واحترس من كل ذلك يكف البادرة ...))[1]

وهذا التحذير الخامس وهو تحذير ان تخص نفسك بشيء زيادة عن الناس وذلك يجب مساواة الاخرين في الحقوق والواجبات ليس انك ايها الوالي سوى واحدا منهم قد وضعت في موضع المسؤولية لغرض القيادة وليس التمييز والتغابي هو التغافل وما يعني به مبني للمجهول اي يهتم به . [2] ((وتاخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك ....)).[3] والغضب هو من الشيطان وعليه فيتوجب تاخير اتخاذ القرارات في حالة الغضب حتى تهدا وتسكن .

((والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم او فريضة في كتاب الله فنقتدي بما شاهدته مما عملنا به فيها , وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها ...)).[4]

واستقراء الاحكام من الكتاب والسنة وعند عدمه فبالاجتهاد وذلك لان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة في السيرة من قول او فعل او تقدير وبذلك فان ولي الامر يعذر بالانذار ولا حجة بعد ذلك.

((وان اسال الله يسعه رحمته , ويعظم قدره على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد , وجميل الثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة , وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة وانا اليه راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه واله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا والسلام)).[5]

وهذه دعوة صادقة يرفعها الامام علي عليه السلام الى صاحبه مالك الاثر في ختام هذا العهد المهم , بالتوفيق له في عمله الجديد واقامة العدل وان يختم الله له بالسعادة والشهادة بل ويضاعف له الثواب وزيادة في الكرامة , ولربما استجاب الله لدعائه فوفق عامله هذا مالك بالشهادة وهي في بوابة مصر او دخلها في العرش . وعتبر هذا العهد من الوثاق المهمة ذات البلاغة والفقه والاصالة فهي وثيقة قضائية ,ادارية , اقتصادية , اجتماعية جامعة يلقيها على

---

[1]) ابن ابي الحديد , شرح نحج البلاغة 3/230
[2]) عبده , نهج البلاغة 4/476
[3]) المرجع نفسه , نفس المكان
[4]) المرجع نفسه , نفس المكان
[5]) المرجع نفسه , 4/407

متلقي يستوعبها وينفذ ما فيها.

ولقد ذكر هذا العهد ابن ابي الحديد (ت 655 هـ) في كتاب شرح نهجج البلاغة التي جمعها الشريف الرضي منها خطب ورسائل وحكم الامام علي كرم الله وجهه , وكذلك صاحب تحف العقول (ت 332 هـ) والقلقشندي (ت 821 هـ) في كتابه صبح الاعشى والفكيكي في كتابه الراعي والرعية وعماد الدين في تاريخ الحضارة الاسلامية واحمد في ضحى الاسلام وغيرهم الكثير من المصادر والمراجع. ولاعيرة للتشكيك فية لانه قد ورد في المصادرالتاريخية الاساسية , وليس مبرر انه لم يذكر في هذا المصدر او ذاك لان التراث لم يجمع في مصدر واحد وانما تناثر في جملة مصادر وان البحث العلمي هو الذي يتصدى لها ويتناولها بكل موضوعية ه حيادية

ثانيا : الجانب القضائي والحسبة والمظالم

1 – القضاء :

القضاء في اللغه : قال الرازي : ((القضاء الحكم والجمع (الاقضية) والقضية مثله والجمع (القضايا) وقضى بمعنى يقضي بالكسر قضاء اي حكم ومنه قوله تعالى ؛ (وقضى ربكم الا تعبدوا الا اياه).

والقضاء في الاصطلاح : هو فصل الحكم بين الناس قال تعالى : (ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم).1

وقال ابن خلدون ((القضاء منصب الفعل في الناسفي الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع الا انه بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة .2

وكان للقضاء نواة عند العرب قبل الاسلام , ولما جاء الاسلام تولى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم الفصل فيس الخصومات , ولقد تبين من الحلف الذي عقده بين المهاجرين والانصار واليهود وغيرهم من المشركين. ولقد جاء هذا الحلف كما ورد في الصحيفة من حدث او شجار يخاف فساده فان مرده الى الله تعالى والى الرسول (ص) .

ولقد اعتنى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بتنظيم القضاء في الدولة , وقد صار لزاما على المسلمين جميعا الرجوع اليه والتسليم بحكمه قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)).3

واصبح رجوع المسلمين في منازعاتهم وشجاراتهم الى الرسول صلى الله عليه واله وسلم من اولويات الايمان ممما اوجد عليه الصلاة والسلام فكرة القانونعن طريق التشريع الاسلامي اليهم وصار جزءً من حضارة الاسلام والتراث الفكري والتشريعي.

---

[1])سورة الشورى / الاية 14
[2])ابن خلدون / المقدمة , ص 220
[3])سورة النساء , الاية 65

ولقد ارسل الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم علياً عليه السلام قاضيا في اليمن وكذلك معاذبن جبل وجماعة من الصحابة.

غير انه لم يعرف بعد الفصل الاساسي بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية فكان الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم حاكما سياسيا ودينيا كما للشريعة مبلغا وللحرس قائدا وللحكم بين الناس قاضيا.1

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بالقران الكريم وبما ينزل عليه الوحي , فان لم يجد في كتاب الله اجتهد برايه كما ارتضاه اكثر الاصولين واتفقوا على انه صلى الله عليه وسلم لا يقر على خطا , مما اقرهه واجتهد عليه كان حجة , وكان يحكم بالظاهر والله يتولى السراء.2

ويقول الناطور ((ولقد اشتهر بالفتية من الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة مائة وواحد وثلاثون رجلا وامرأة نبغ منهم سبعة هم : عمر بن الخطاب , وعلي بن ابي طالب , والسيدة عائشة , وعبد الله بن مسعود , وزيد بن حارثة , وعبد الله بن عمر , وعبد الله بن عباس (رضي الله عنهم))).3

ولما ولي ابو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة اسند لعمر رضي الله عنه مهمة القضاء من غير ان يلقبه بالقاضي , حيث يقال ان عمر قال لابي بكر ((انا اكفيك القضاء))4 فمكث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عامين كاملينن لا ياتيه خصمان لما عرف الناس عنه من الشدة والحزم.5

ولما تولى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه , عين قضاة في المصار من الصحابة المووفين بشدة الايمان وعرفوا عادات مصر الذي نزلوا فيه ونوع معيشتهم ومصالحهم الاقتصادية والجتماعية وكان هؤلاء يفتون في قضايا تراعي اذا وجدت مثلها .

ولقد عين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابو الدرداء في المدينة وقيس بن ابي العاص في مصر وشريح بن الحرث في الكوفة وابا موسى الاشعري في البصرة.6

وكتب الخليفة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري كتابا في الاحكام والذي اتخذه جهود من المسلمين اساسا لنظمهم القضائية ودستورا للمرافعة7 وقد جاء في هذا الكتاب ((...ان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا اولي اليك , فانه لا ينفع تكلم بحق لانقاذ له , وآسي بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك , حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك ,البينة على من ادعى , واليمين على من انكر , والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا اصل حراما او حرم حلالا , ولا يمنعك قضاء قضيته امس , فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع

---

[1])الناطور : النظم الاسلامية , صحيفة 108
[2]) الناطور : النظم الاسلامية , صحيفة 108
[3])المصدر نفسه, نفس المكان ,حسن ابراهيم :النظم الاسلامية , ص27 , صبحي صالح : النظم الاسلامية ص319
[4])البطري : تاريخ البطري 426/3
[5])حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ص27
[6])الناطور : النظم الاسلامية ص110
[7])ابن خلدون :المقدمة , ص220-221 , صبحي الصالح : النظم الاسلامية , ص322

الى الحق , فان الحق قديم لا يبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ...)) ثم يستمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه الى ابي موسى الاشعري ((.... الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا ستنة , ثم اعرف الامثال والاشياء , وقس الامور بنظائرها واجعل لمن ادعى حقا غائبا او بينة , امدا ينتهي اليه ,فان احضر بينته اخذت له بحقه , وولا استحلت القضاء عليه , فان ذلك انفى للشك واجلى للعمى وابلغ في الغدر المسلمون عدول في الشهادة بعضهم على بعض الامجلودا في حد او مجريا عليه شهادة زور او ظنينا في نسب او ولاء ....))1.

وقال الناطور ((ومن اهم الكتب في الادارة والقضاء العهد الذي كتبه الامام علي للاشتر الخفي عامله في مصر ولو صح هذا العهد لكان من احسن ما كتب في العالم))2 وفي موضع الكتب والرسائل سوف يذكر الباحث في هذا البحث لانه يخص محور البحث.

وكان القضاء في زمن الخلفاء الراشدين مستقلا ويعين القاضي من قبل الخليفة مباشرة واحيانا من قبل الوالي , اذا كانت ولايته هامة تشمل الصلاة والخراج والحرب والقضاء ففي هذه الحالة يقر الخليفة التعين 3.

وكان العرب قبل الاسلام يعتمدون على مصادر في احكامهم المختلفة وهي :4

أ. الاعراف والتقاليد المستمدة في تجارتهم

ب. الاحتكام الى العرافين والكهان

ج. الاحتكام بالقرعة

ان النظر في المظالم ورد حقوق المظلومين وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم في صغره مجلسا من هذا النوع تحالف فيه القريشيون على نصرة من الظالم وهو ما يسمى بحلف الفضول5.

وجد عند العرب قديما ما يسمى بالحكومة وهي لا تفي جهاز الحكم كما هو معروف حاليا , وانما بمثابة مجلس قضائي لتقدير الضرر والتعويض عنه.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اتاه الخصمان يحرك على ركبتيه وقال : اللهم اعني عليهما فان كل واحد منهما يردني عن ديني , وقال : ما اياي اذا اختصم الي رجلان لايهما كان الحق6.

وقد رشح الامام علي عليه السلام مالك الاشتر قاضيا وحكما 7عن اهل العراق في وقعة حطين , وهو دليل على علم مالك الاشتر باحكام القران والسنة النبوية والاجتهاد , وهو ثقة

---

[1])الجاحظ : البيان والتبيان , 23/2 , الماوردي : الاحكام السلطانية ,ص 71-72

[2])الناظور : النظم الاسلامية ,ص111

[3])المصدر نفسه , ص112

[4])الشطاط , علي حسين : المدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية , (ط 1 , دون نشر , عمان , دون تاريخ) , ص175-176

[5])ينظر ابن هشام , اليرة النبوية , 2/ 50

[6])ابن سعد , الطبقات , 208/1-209

[7]) ابن عبد ربه , العقد الفريد ,4/145

لديـه , لان هـذا المنصـب مـن الخطـورة بحيـث يفصـل بـين طرفـي النـزاع ويقـرر مصـير الامـة الاسلاميـة , ويقول سيدير علي ((كان يتولى القضاء قضاة مدنيون يعينـهم الخليفـة وكـان هـؤلاء مستقلين عن الامراء , وكان عمر اول خليفة في الاسلام عين المرتبات للقضـاة وجعل مناصبهم مستقلة عم مناصب الموظفين التنفيذيين واطلقا عليهم اسم الحكام ...)).[1]

ويقـول البـدوي ((بعـد ان كثـرت الفتوحـات واتسـعت رفعـة الدولـة الاسـلامية وزادت الحاجة الى تعين عمال تبعا لتعدد العمـال شرع امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنـه في اعطاء الولاة والقضاة والعمال ارزاقا ولو كانوا في سعة من الرزق ورغد من العيش مـادام العمل لم يتعين عليهم)).[2]

يقـول المـاوردي فـي شـروط القاضـي : لا يجـوز ان يقلـد القضـاء الا مـن تكاملـت فيـه شروطه التي يصح معها تقليده وينفذ بها حكمه وهي :

أ. ان يكون رجلا ويجمع صفتين الذكورية والبلوغ

ب. العقل : فلا يولي القضاء الصبي او المجنون.

ج. الحرية : لان نقص العبد عن ولاية نفسه يمنع انعقاد ولايته على غيره.

د. الاسلام : لكونـه شرطا في جواز الشهادة قـال تعـالى ((ولـن يجعـل الله للكـافرين علـى المـؤمنين سبيلا)).[3]

هـ. السلامة في السمع والبصر ليصح بهما اثبات الحقوق ويفرق بين الطالب والمطلوب ويميز المعروف من المنكر لتميز له الحق من الباطب ويعرف المحق من المبطل.[4]

وكـان القضـاة يجلسـون فـي منـازلهم ويفصـلون بـين النـاس ويحكمـون فـي الاقضـية دون الخروج من ديارهم . ثم اتخذوا المسجد مكانا للتقاضي .

ويقول البوزيكي ((ان مصادر التشريع الاسلامي لدى القضاة تعتمد على القران الكريم والسنة النبوية والاجماع والقياس عند اهل السنة)).[5]

2 – المظالم :

المظـالم فـي اللغـة يقـول ابـن منظـور : ((المظـالم جمـع ظلامـة ومظلمـة , واصـل الظلـم الجور ومجاوزة الحد , والضلامة ما تظلمه وهي المظلمة اسم مايأخذ منك)).[6]

ويقـول المـاوردي فـي النظـر فـي المظـالم ((قـود المتظـالمين الـى التناصـف , وزجـر المتنـازعين عن التجاحد بـالهيبة , فكان من شروط النـاظر فيهـا ان يكـون جليل القدر, نـافذ الامـر,

---

[1])مير علي , مختصر تاريخ العرب ,ص69
[2])البدوي , اسماعيل ابراهيم , نظام القضاء الاسلامي , ط1 , جامعة الكويت , الكويت .1989م,ص294
[3])سورة النساء, الاية 141
[4])الماوردي : الاحكام السلطانية , ص133,البدوي ,نظام القضاء الاسلامي,ص247
[5])البوزيكي ,توفيق : دراسات في النظم العربية الاسلامية,ط1,جامعة الموصل,الموصل,1975,ص183
[6])ابن منظور: لسان العرب 373/12-379

عظيم الهيئة , ظاهر العفة , قليل الطمع , كثير الورع , لانه يحتاج في نظره الى سطوة الحماة وثبت القضاء فيحتاج الى الجمع بين صفات الفريقين وان يكون بجلالة القادر الآمر في الجهتين)).1

اما ابن خلدون فقد عرف المظالم بقوله ((هي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء , ويحتاج الى علو يد , وعظيم رهبه لقمع الظالم من الخصمين وتزجير المعتدي)).2

وجاء من النظم الاسلامية للناظور واخرون ((والنظر في المظالم خطة قديمة كانت قريش في الجاهلية حين كثر فيهم الزعماء وانتشرت فيهم الرياسة وشاهدوا من التغالب والتجاذب مالم يكفهم عنه سلطان قاهر عقدوا حلقا بعد حرف الفجار في دار عبد الله بن الجدعان التميمي على رد المظالم وانصاف المظلوم من الظالم....)).3

والظاهر ان الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم قد حضر هذا الملف واعجبه ثم انه اشار به واعتبره نموجا في رد تامظالم , ومن الانظمة المهمة في عصر ماقبل الاسلام والتي يمكن اعتمادها وتطويرها . ويقول الناظور ايضا انه لانجد في عصرنا في الوقت الحاضر اقرب الى ولاية المظالم من مجلس الدولة او المحاكم العليا التي تنشئها الدولة في ظرف معين 4.

واما اختصاصات المظالم فانها تفوق اختصاصات القضاء في امور كثيرة ولقد نظر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المظالم في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام ورجل من الانصار .5

ولقد شهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) حلف الفضول المشار اليه سابقا وذلك قبل البعثة واقره بعدها بقوله (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجيت) .6

ويظهر ان اول من نظر في رد المظالم هو الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وذلك عندما ارسل علي بن ابي طالب كرم الله وجه لدفع دية القتلى الذين قتلهم خالد بن الوليد خطا من قبيلة بني حذيفة .7

ويبدو ان الخلفاء الراشدين لم ينتدب احدهم لرد المظالم الا في عهد الامام علي كرم الله وجه ومع انه لم يجلس للمظالم الا انه يفرد لسماع الشكاوي وقتا معينا او نظاما خاصا وما قاله

---

[1])الماوردي : الاحكام السلطانية,ص64
[2])ابن خلدون : المقدمة,ص222
[3])الناطور : النظم الاسلامية,ص132,ينظر ابن هشام ,السيرة النبوية , 1/133-134
[4]) الناطور: النظم الاسلامية,ص132
[5])المرجع نفسه, نفس المكان
[6])ابن هشام : السيرة النبوية1/134
[7]) المرجع نفسه, نفس المكان

الناطور في هذا الصدد (اذا جاء متظلم انصفه وانما احتاج الى النظر بنفسه في ظلامات الرعية , حين تاخرت امامته واخطلت الناس فيها ومالو الى الجو ومن امثلة المظالم التي نظرها علي كرم الله وجه حادثة المراتين في الولد , كل منهما تدعيه فدعا بسكين يشقه نصفين , فقالت احداهما من هول المنظر : انه ابني فكانت امه حقا).[1]

والحقيقة ان الامام علي كرم الله وجه اراد تبيان الحق وليس قصده اجراء العمل هذا , انما هو اظهار لو من الامومة عند الام الحقيقية وعدم اظهاراها فكان موقفا فيما رد هذه المظلمة .

وماقاله الماوردي (ولم ينتدب الى المظالم من الخلفاء الراشدين الا القليل النادر لان الناس في ذلك الوقت كانو في الصدر الاول من الاسلام لذا كانو الى التناصف الى الحق او يزجره الوعظ عن الظلم وانما كانت المنازعات تجري بينهم في امور مشتبه ومنها حكم القضاء فاقتصر الخلفاء السلف على فصل التشاجر بينهم بالحكم) .[2]

ولعل الماوردي قد اشار الى لفظة (الا القليل النادر) هو في عهد الامام علي كرم الله وجه حيث نظر في المظالم .

3- الحسبة

الحسبة في اللغة يقول ابن منظور (الحسبة مصدر احتسابك الامر على الله وهي اسم من الاحتساب وهو ادخار الاجر والثواب عند الله).[3]

والحسبة هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد مارسها الخلفاء الراشدون في عصر صدر الاسلام يباشرونها بانفسهم , لعموم صلاحها وجزيل ثوابها وهي امر بالمعروف , اذا ظهر تركه ونهي عن المكر اذا ظهر فعلة واصلاح بين الناس , والمحتسب من نصبه الامام او نائبه في احوال الرعية والكشف عن امورهم ومصالحهم .[4]

والحسبة من توابع القضاء وهي وظيفة يتم تعيين صاحبها من قبل القائم بامر المسلمين وذلك لمن يراه اهلا لها وان كان على غيره فهي من فروض الكفاية والحسبة هي وسيطا بين القضاء العام والمظالم ' فوظيفة القاضي قص المنازعات المتعلقة بالعقود والمعاملات بوجه عام , ووظيفة المحتسب النظر فيما يتعلق بالنظام العام , وفي الجنايات احيانا , واما صاحب المظالم فمن اهم مايقوم به الفصل فيما استعصى من الاحكام على القاضي والمحتسب , وفي بعض الاحيان كان القضاء والحسبة يقوم بما رجل واحد مع مابين العملين من اختلاف فعمل القاضي مبني على التحقيق والانات في الحكم اما عمل المحتسب فمبني على

---

[1])الناطور : النظم الاسلامية,ص132
[2])الماوردي : الاحكام السلطانية,ص65
[3])ابن منظور : اللسان العرب,315-314/1
[4])ابن الاخوة,محمد بن محمد بن احمد : القربة في احكام الحصبة,ط1 , دار الحداثة,بيروت,1990م,ص29

الشدة والسرعة في الفعل 1

والرسول (صلى الله عليه وسلم) هو اول من باشر بامر الحسبة لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات على الرسل والائمة فلقد باشرها عليه الصلاة والسلام بنفسه وقلدها غيره واتبعها من بعدها الخلفاء ثم صارت نظاما من انظمة الحكم في الاسلام .

ولقد روي ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) مر على من طعام فادخل يده فيها فنالت اصابعه بللا فقال (ياصاحب الطعام ماهذا ؟ فقال : اصابته السماء يارسول الله قال: افلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ثم قال (من غش فليس منا).2

وروي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه ولي سعيد بن العاص على اسواق مكه .3

ويرى البعض ان الخليفة عمر بن خطاب رض اول من ادخل نظام الحسبة بصورة دائمة حين استعمل عبدالله بن مسعود على الحسبة في المدينة , ويستخدم الدرة في معاقبة المخالفين 4

وقد روي ان الخليفة عمر بن خطاب رض انه رؤي مرة يضرب جملا ويقول له ((حملت جملك مالايطيق)) كما انه رض احرق بيع رويشد الثقفي لانه كان يبيع الخمر وقال له (انتف ويسق وليس برويشد).5

كما اشرك النساء في هذه الوظيفة فقد ولي الشفاء على سوق المدينه وتولت السيدة سمراء بنت نهيك الاسدية في هذا المنصب6 وكانت تمر بالاسواق فتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتظرب الناس بسوتها وكان الامام علي عليه السلام يمر في الاسواق وينهى عن الغش في الكيل والميزان ويوصي اصحاب السلع باخذ الحق واعطاء الحق7.

ومن شروط المحتسب ان يكون مسلما , حرا , بالغا , عاقلا , عدلا و قادرا8.

وكذلك من شروط المحتسب ماقاله ابن بسام (ان يكون المحتسب فقيها عارفا باحكام الشريعة الاسلامية ليعلم مايامر به وينه عنه وان لا يكون قوله مخالفا لعمله فقد قال تعالى في ذم علماء بني اسرائيل (اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم).9

ومن واجبات المحتسب واجبات دينية واقتصادية واجتماعية واسعة منها منع المجاهرة

---

[1]) الماوردي : الاحكام السلطانية,ص268,صبحي : النظم الاسلامية ص228-229

[2])ابن ماجة : سنن ابن ماجة,749/2,رقم2224,سنن الدارمي248/2

[3])شلبي : تاريخ الحضارة الاسلامية,ص130

[4])القلقشندي : صبحي الاعشى ,432/5

[5])الجوزية ,ابن القيم : الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ,حققه محمد محي الدين عبد الحميد, ط1 , دون نشر,القاهرة 1961,م,ص247-258

[6])شلبي : تاريخ الحضارة الاسلاميةص131

[7])لجنة وزارة التربية : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية,ص69.

[8])الماوردي : الاحكام السلطانية,ص268

[9])سورة البقرة: الاية 44

بشرب الخمر , وعقد المعاملات التجارية المبنية على الربة ومنع القسوة على الصبيان في الكتائب ومراقبة الاسواق والغش والمكاييل , ومنع الحمالين واهل السقى من الاكثار في الحمل وغيرها .1 ويقول ابن خلدون ايضا (لايتوقف حكمه _ اي المحتسب _ على تنازع او استدعاء بل له النظر والحكم في مايصل الى علمه من تلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوي بل في مايتعلق في الغش والتدليس في المعايش وغيرها في المكاييل والموازين وله ايضا حمل المماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولانقاذ حكم)2 .

الخاتمـــــه والاستنتاجات

ان التاريخ العربي الأسلامي يمتاز بتراجم جم من الرجال العظام الذين ثبتوا دعائم الحضارة الأسلامية ، وارسوا افكاراً نبره وتجاوبوا مع الأمم الأخرى وحاوروا حضارتها واخذوا ما ينمي حضارتهم مما يصلح منه فنهضوا بحضارة واعدة على مرور الزمن وتعاقب الاجيال دون الألتفات الى العرق او اللون او الجنس .

وفي هذه الدراسة الأكاديمية يتناول الباحث سيرة احد رجال الأسلام وهو مالك بن

[1])ابن خلدون : المقدمة,ص225,حسن ابراهيم ,النظم الاسلامية,ص298,شلبي,تاريخ الحضارة الاسلامية,ص132

[2]) ابن خلدون : المقدمة,ص225

الحارث الأشتر ، كسياسي بارز ، وشجاع لا شهد له العدو وقبل الصديق بذلك وشاعراً فحلاً وخطيباً بليغاً دخل التاريخ الاسلامي بكل عنفوان فكان جبلاً فندا وصخراً صلداً كما وصفه الامام علي كرم الله وجهه

ويتضح من سيره مالك الأشتر انه ولد في بيشة من ارض اليمن ومن قبيله (النخع) التي تسمى بجدها (النخع) والذي اسمه الحقيقي (جسر) وسمي بالنخع لأنتخاعه عن قومه أي ابعد عنهم من الحجاز الى اليمن لثأر او ظروف اخرى .

ولقد اشترك في حروب الرده كما يقوم اسامه بن منقذ في لباب الاداب وفقئت عينه بسيف ابي مسيكمه المرتد الذي على ما يبدو لا يصبر على الخمره التي حرمها الاسلام ومن اجلها ارتد فحق عليه سيف مالك ليرسله الى نار جهنم .

وينقل الباحث القارئ الى ربوع الشام حيث يتوجه الأشتر متأبطاً كتاب الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه الى خالد بن الوليد والذي يشيد به ويقول له لا يهمك امرك فلقد يكفيك عمرو بن معد يكرب ومالك الأشتر بشهادة كان يحتاجها الأشتر .

وقبل ذلك يشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأيمان عند دفنه وجماعته معه لأبي ذر الغفاري ويأمره الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على فرقه عسكرية في فتوح الشام مما يظهر مالك القيادة المحنكة والبطوله بعد اشتراكه في وقعه اليرموك التي على ما يبدو قد صافحت عينه فيه السيف لمرة ثانية .

والظاهر ان الاشتر لم يكل او يمل من الجهاد طالما يمتطي صهوه جواده الذي عندما يركبه تخطان ابهامه الأرض على رأي صاحب كتاب المحبر فيتوجه نحو العراق ويشترك في وقعه القادسية ويضع على اديم ارضها بصماته .

ويسكن الأشتر مع من سكن في الكوفه بعد تمصيرها وقبيله النخع بعد ان اختط سعد بن ابي وقاص فيها الخطط وكانت خطه قبيلته شرق المسجد ، وتشاء ان يكون مالك الأشتر زعيماً لا يقهر ورائداً من رواد هذا المصر الذي صار فيما بعد عاصمة الدوله الأسلاميه .

ويذهب عهد الخليفه الفاروق رضي الله عنه ليأتي عهد الخليفه عثمان رضي الله عنه فيلزم الأشتر الحياد في اول الأمر لا بل اراد قمع الفتنه في الكوفه ، غير ان الاقدار سارت بغير ماكان يتوقع فتفشفى الفساد الاداري وظهر ولاة همم دنياهم فتصدى مالك بقوة وعزيمة لتلك الأمور .

وتبرز الفتنه بقتل الخليفه عثمان رضي الله عنه او تسمية المصادر الاوليه التاريخيه للقتله واحداً بعد الاخر غير ان البعض اصر بدافع عن الامور السياسية او الفكرية او الاجتماعية على اتهام مالك الاشتر بالضلوع بالفتنه ولقد اثبت الباحث عكس ذلك .

ويندفع مالك الأشتر بكل قواه من اجل الدفاع عن شرعية الخلافة الاسلامية التي اجمع

المسلمون عليها في خلافه الامام علي كرم الله وجهه فيشهد معه مشاهده كلها في الجمل وصفين والنهروان .

وبعد هذا السفر الطويل الذي يدعو الباحث الشباب الى قراءته والحكم عليه من خلال سيره هذا الرجل ، فالعظيم من الرجال لا يظهر صيته الا عند الاختلاف عليه .

ويشرب مالك الأشتر العسل المسموم فيلفظ انفاسه الاخيره وكأنه الجبل الذي لا تؤثر فيه شدة الرياح او الامطار او التعرية سوى الغيوم التي تحجبه الى حين . ويختم الباحث هذه الدراسة بالاستنتاجات التاليه :

1- ان قبيله النخع تنتسب الى جدها (النخع) الذي اسمه الجسر ولقد انتخع عن قومه أي ابعد عنهم لأمورثأريه وذهب من الحجاز الى اليمن ولقد برهن الباحث على ان النخع ينتسب الى اياد وليس الى مذحج .

2- ان مالكاً الأشتر كان قد ادرك الجاهلة والأسلام وهو مخضرم واسلام على حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه .

3- يظهر من سياق البحث ان هناك علاقة ودية وحميمة بين مالك والامام علي كرم الله وجهه عندما كان والياً على اليمن في عهد محمد صلى الله عليه وسلم ويستقرء الباحث ذلك من خلال نزول مالك في دار الامام علي اهله عند هجرته من اليمن الى المدينه كما اورد ذلك الوافدي .

4- لمالك الأشتر صحبه مع الخليفة ابي بكر الصديق وان كانت قصيرة ولكنه اخبره فيها عند قتله لابي مسيكمه المرتد في حروب الردة وشهد له بالكفائه عندما ارسله الى فتوح الشام .

5- اشترك مالك الأشتر في فتوحات الشام ومعركه اليرموك على وجه الخصوص ولقد صافحت عينه السيف لمره اخرى بعد مصافحتها له بسيف ابي مسيكمه وفقئها في سبيل الجهاد من اجل الاسلام وله في هذه المعركة مآثر مسطره مر ذكرها في سياق البحث .

6- كانت لمالك الاشتر وقعات في فتوحات الشام اثارت اعجاب المعاصرين له من شهد له خالد بن الوليد بأنه يعد بألف فارس وهي شهادة الشجاع للشجاع .

7- اما في القادسية فكان غناء مالك تردهُ بساتينهاويتموج مع ماء الفرات كالسيل الجارف ، وله فيها صولات .

8- ويسكن مالك الأشتر الكوفة بعد تمصيرها ويكون زعيمها المطلق ويتصدى لأغراض الولاة بالأمر المعروف والنهي عن المنكر ويتعرض للنفي من بلد الى آخر .

9- ويحضر مالك الأشتر المؤتمر الاسلامي الكبير المدينه المنورة سنه (35هـ) وما كان يتصور ان الامور تصل الى كارثه قتل الخليفه عثمان رضي الله عنه والذي قابله الأشتر بكل احترام وتبجيل وعرض عليه مطالب الناس ، وعند عدم الوصول الى نتيجه اعتدل الناس ، وعندما اشتد الحصار اراد الأشتر اخراج الخليفة على بغله السيدة ام حبيبه زوجه الرسول محمد صلى

الله عليه وسلم ولكن منعه الناس.

10- ومع ذلك وظهور قائمة قتله الخليفه عثمان رضي الله عنه في المصادر الأساسية الا ان البعض اتهموه بالأشتراك بها .

11- وظهر دور مالك الأشتر بكل قوة في خلافة الامام علي عليه السلام حيث انه اول من بايعه على قول اهل الكوفة وغيرهم .

12- اشترك مالك الأشتر في وقعه الجمل وله مواقف مهمة فيه ومنها مبارزته لعبد الله بن الزبير.

13- ثم اتخاذ الكوفة عاصمه الدولة الاسلاميه وبمباركة مالك الأشتر الذي هو زعيم اهل الكوفة ولربما بمشوره منه .

14- ثم تعيين مالك الأشتر والٍ على الموصل ونصيبين وله اعمالاً مهمة بها .

15- اشترك مالك الأشتر في وقعه صفين سنه (37هـ) بكل قوة واندفاع وهذه المعركة الحاسمة التي اشتد اوارها وكان الأشتر البطل الحقيقي لجيش اهل العراق وكاد ان يحسم المعركة لولا رفع المصاحف وانقسام اهل العراق .

16- ثم ترشيح مالك الأشتر حكماً وقاضياً بين اهل العراق واهل الشام من قبل الامام علي عليه السلام غير ان بعضاً من اهل العراق والذي صاروا خوارج فيما بعد رفضوا ذلك .

17- عودة مالك الأشتر الى ولايته في الموصل ونصيبين بعد وقعه النهروان .

18- استدعائه من قبل الامام علي عليه السلام وارساله والٍ على مصر بعد انقلاب الوضع على واليها محمد بن ابي بكر الصديق .

19- وفاة مالك الأشتر والاختلاف في موضعها وشأنها فمن قال في القلزم (السويس حالياً) ومن قال في العريش على مشارق القاهرة الحالية وقبره هناك في المرج ظاهراً .

المصادر والمراجع

اولا : المصادر

1- القران الكريم

ابن الاثير (عز الدين ابو الحسن بن محمد) ت 630 هـ /1232 م

1. الكامل في التاريخ (ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1398هـ /1978م).

2. اسد الغابة (ط1 ، دار الشعب ، بيروت ، 1970 م) .

الازدي (محمد بن عبد الله البصري) ت231هـ /845 م .

3. تاريخ فتوح الشام ، تحقيق :عبد المنعم عامر(ط1، مؤسسة سجل العرب،القاهرة، 1969م) .

الازدي (ابي بكر محمد ابن الحسن بن دريد) ت 321 هـ .

4. الاشتقاق (ط2 ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1979 م) .

احمد (ابو عبدالله بن حنبل)ت 241 هـ .

5. المسند ، تحقيق عبدالقادر (ط1 ، دون نشر ، القاهرة ، 1394 هـ) .

الايجي (عضد الدين عبدالرحمن بن احمد) ت 756 هـ

6. المواقف بشرح الجرجاني (ط1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1907 م)

ابن بكار (ابو عبد الله الزبير) ت256هـ /869 م

7. الاخبار الموفقيات ، تحقيق سامي مكي العاني (ط1،احياء التراث الاسلامي ، بغداد ، 1972 م).

البلاذري (ابو الحسن احمد بن يحيى) ت 379 هـ / 989 م

8.فتوح البلدان تحقيق رضوان محمد رضوان (ط1 ، دار السعادة ، مصر 1959م)

9. انساب الاشراف تحقيق محمد عبد الله (ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1959 م)

البخاري (الامام ابو عبد الله محمد) ت (256هـ / 869 م .

10. صحيح البخاري (ط1 ، المكتبة العصرية ، لبنان ، 1417 م)

البكري (عبد الله عبد العزيز) ت 457 هـ /1064 م.

11. معجم مار ستنجم (ط1 ،دون نشر ، لبنان ، دون تاريخ)

البصري (محمد بن زكريا بن دينار)

12. وقعة الجمل ، تحقيق محمد حسين ال ياسين (ط1 ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1970

الباقلاني (ابي بكر محمد بن الخطيب) ت 403 هـ .

13. الاعجاز في القران ، تحقيق السيد احمد خضر(ط1 ، دار المعارف ، بغداد ، دون تاريخ)

البغدادي (محمد بن حبيب) ت 859 هـ .

14. المنمق (ط1 ، دار الكتب ، دون مكان ، 1985 م).

الترمذي (ابو عيسى محمد بن عيسى) ت 279 هـ / 891 م

15. سنن الترمذي ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، (ط1 ، الحلبي ، مصر ، 1937 م) .

ابن تغري (ابو المحاسن جمال الدين يوسف) ت 874 هـ .

16. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (ط2،المؤسسة المصرية ، القاهرة ، 1963م).

ابن تيمية (شيخ الاسلام ابن تيمة) ت 728 هـ .

17. السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، تحقيق محمد عبد الله (ط1 ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دون تاريخ).

ابن الجوزي (شمس الدين ابو مظفر يوسف) ت 654هـ /1256 م

18. تذكرة الخواص (ط1 ، الشريف الرضي ، قم ، 1418 م) .

19.الخليفة العادل عمر بن الخطاب (ط1 ، الحلبي ، مصر ، دون تاريخ) .

الجاحظ (ابو عثمان بن بحر) ت 255 ه / 896 م

20. البيان والتبين ، تحقيق ، فوزي عطوي (ط1 ، دار الصعب ، بيروت ، دون تاريخ) .

الجوزية (ابن القيم) ت 751 هـ.

21. الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، حقه محمد محي الدين (ط1 ، دون نشر ، القاهرة ، 1961 م) .

الجصاص (ابو بكر احمد بن علي) ت 370 هـ.

22. احكام القران (ط1 ، مطبعة الاوقاف الاسلامية ، القاهرة ، دون تاريخ).

ابن ابي الحديد (عبد الحميد بن هبة الله بن محمد) ت 655 /1255م

23. نهج البلاغة (ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ) .

ابن حبيب (ابي جعفر محمد بن عمرو) ت 859

24. المحبر ، راوية ابن سعيد (ط1 ، المكتبة التجارية ، بيروت ، دون نشر) .

ابن حجر (احمد المكي) ت 974 ه

25 . الصواعق المحرقة (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون تاريخ) .

ابن حجر (احمد بن علي العسقلاني) ت 852 ه

26.تبصير المنتبه بتحرير السنة ، تحقيق البيجاي (ط1 ، الدار المصرية ، مصر ، 1386 ه)

الحاكم (ابو عبد الله بن عبد الله الابو ردي) ت 405هـ .

27. المستدرك (ط1 ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، دون تاريخ) .

ابن حزم (ابي محمد علي بن احمد بن سعيد) ت 456 هـ .

28. جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1962 م) .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت 808 هـ / 1405 م

29. العبر وديوان المسند والخبر ايام العجم والعرب والبربر (ط1 ، دار الكتب اللبنانية ، بيروت ، 1966م).

30. المقدمة (ط 1 ، لجنة البيان العربي ، 1958 م) .

ابن خياط (خليفة بن خياط بن ابي هبيرة) ت 240 هـ / 854 م

31. تاريخ خليفة ، تحقيق ، ضياء اكرم العمري (ط1 ، المجمع العلمي العراقي ، النجف الاشرف ، 1386 هـ / 1967 م) .

ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد) ت 681 هـ .

32. وفيات الاعيان وانباء الزمان ، تحقيق احسان عباس (ط1 ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ) .

الدينوري (ابو محمد عبد الله بن سلم بن قتية) ت 289 هـ /901 م

33. عيون الاخبار ، (ط1 ، المؤسسة العربية ، القاهرة ، 1983 م) .

34. الامامة والسياسة ، (ط1 ، الحلبي ، مصر ، 1356 هـ /1937 م).

35. المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، (ط1 ، طهران ، 1415 هـ).

الديار بكري (حسين بن محمد الحسن) ت

36. تاريخ الخميس (ط1 ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ) .

الدينوري (احمد ابن داود ابو حنيفة) ت 272 هـ .

37. الاخبار الطوال ، (ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، دون تاريخ).

الذهبي (الحافظ شمس الدين بن احمد) ت 748 هـ / 1347 م) .

38. سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارنوط (ط 11، دون نشر، بيروت ،2001 م)

39. دول الاسلام ، تحقيق : عبدالله ابراهيم الانصاري ،(ط1 ، التراث الاسلامي ، قطر ،1974م).

40. ميزان الاعتدال : تحقيق ، علي محمد معوض ، وعادل احمد ،(ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1971 م).

الرازي (محمد ابي بكر قادر) ت 666 هـ / 1245 م

41. مختار الصحاح ، (ط1 ، دار الكتاب العربي ، 1401 هـ – 1981 م)

الزمخشري (محمود بن عمر بن محمد) ت 538 هـ .
42. اساس البلاغة ، (ط1 ، الاسكندرية ، دون تاريخ).
إبن سعد (محمد بن سعيد بن منيع) ت 230 هـ / 844 م
43. الطبقات الكبرى ، تحقيق ، علي محمد عمر ، (ط1 ،. مكتبة الخانجي ، 2001 م) .
السيوطي (جلال الدين السيوطي) ت 911 هـ / 1510 م)
44. تاريخ الخلفاء:تحقيق محمد محي الدين(ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1969 م)
الاصفهاني (ابو الفرج علي بن الحسين) ت 356 ه / 966 م .
45. الاغاني (ط1 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 م) .
الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير) ت 310 هـ / 923 م
46. تاريخ الطبري ، تاريخ الامم والملوك : (ط1 ، الاميرة ، لبنان ، 2005 م) .
ابن طباطبا (محمد بن علي) ت 709 هـ .
47. الدولة الاسلامية ، (ط1 ، دار صادر ،بيروت ، 1960) .
ابن عبد ربه (شهاب الدين احمد الاندلسي) ت/327 هـ / 938 م) .
48. العقد الفريد (ط1 ، دار هلال ، بيروت ، 1990 م) .
ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) ت 276 هـ .
49.كتاب فتوح مصر ، تحقيق عبد االمنعم عامر(ط1،لجنة البيان العربي ،القاهرة ، 1961م)
ابو عبيد (القاسم) ت 224 هـ
50. كتاب الاوائل ، تحقيق خليل الهراس (ط1 ، دون نشر القاهرة ، 1968م).
ابن عساكر (ابو القاسم علي الدمشقي) ت 571 هـ .
51. تاريخ دمشق (ط1 ، روضة الشام ، دمشق ، 1328 م) .
العسقلاني 0 احمد بن علي بن حجر) ت 825 هـ .
52. الاصابة (ط1 ، دار احياء التراث ، بيروت ، دون نشر) .
53. لسان الميزان (ط1 ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 1971 م) .
54. تهذيب التهذيب (ط1 ، دار احياء التراث ، بيروت ، 1993).
ابن كثير (عماد الدين ابو الغدا الحافظ الدمشقي) ت 774 هـ / 1372 م
55. البداية والنهاية ، تحقيق محمد بيومي واخرون ، (ط1 مكتبة الايمان ، المنصورة ، دون تاريخ).
56. تفسير القران ،(ط1 ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1959 م) .
الكوفي (ابو محمد احمد بن اغنم) 314 ه / 926 م)
57. كتاب الفتوح (ط1 دار المعارف الهند ، 1968 م) .

مسلم (ابن الحجاج القشيري) ت 361 هـ / 971 م

58. صحيح مسلم (ط1 ، مكتبة محمد علي ، مصر ، دون تاريخ) .

المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي) ت 346 ه / 976 م

59. مروج الذهب ومعاون الجوهر ، تحقيق : محمد محمد الدين (ط5 ، بيروت 1387هـ / 1967م) .

60. التنبه والاشراف ، تحقيق لجنة التراث (ط1 ، مكتبة الهلال ، لبنان ، 1981 م) .

المنقري (نصر بن مزاحم) ت 212 هـ / 827 م

61. وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام احمد هارون ، (ط1 ، المؤسسة العربية الحديثة ، 1982 م).

ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي) ت 711 هـ / 1242 م

62. لسان العرب (ط1 2 ، دار صادر ، بيروت ، 1990 م) .

الماوردي (محمد بن الحسين) ت 458 هـ / 1066 م)

63. الاحكام السلطانية : حققه محمد حامد (ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م).

ابن ماجة (محمد ناصر الدين) ت 275 هـ

64. صحيح سنن ابن ماجة (ط1 ، دون نشرة ، الرياض ، 1407 هـ) .

المفيد (ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان) ت 413 هـ .

65. الجمل ،تحقيق السيد علي ميرشريف،(ط2، الاعلام الاسلامي ، طهران ، 1414هـ).

المرزباني (ابي عبد الله محمد بن عمران بن موسى) ت 374 هـ .

66. معجم الشعراء ، تحقيق عبد الباري احمد (ط1 ، دار احياء الكتاب ، العربي ، لبنان ، 1960 م) .

المبرد (ابو العباس محمد بن زيد) ت285 ه / 898 م

67. الكامل:تحقيق محمد ابو الفضل والسيد شحاذة ، (ط1 ، دار النهضة ، مصر ، بدون تاريخ)

ابن منقذ (اسامة) ت 584 هـ .

68. لباب الاداب، تحقيق احمد محمد شاكر(ط1، منشورات ، مكتبة السنة ، القاهرة ، 1977 م) .

المحب الطبري (ابي جععفر احمد) ت

69. الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة (ط1 ، دار المنار ، القاهرة ، 2001 م).

المقريزي (تفي الدين احمد) 845 هـ .

70. الخطط المقريزية (ط1 ، مكتبة العرفان ، بيروت ، دون تاريخ) .

المقري (شهاب الدين ابو العباس احمد)

71. نفح الطيب (ط1 ، دار ضياء ، القاهرة ، 2001 م).

مالك (عبد الله مالك بن انس) ت 179 هـ .

72. الموطأ (ط1 ، المكتبة العلمية ، بيروت ، دون تاريخ) .

الغزالي (ابو حامة محمد بن محمد) ت 505 هـ .

73 . احياء علوم الدين (ط1 ، الندوة ، بيروت ، دون تاريخ)

ابن الكلبي (هشام بن محمد ابن السائب) ت 204 هت.

74. كتاب الاصنام . تحقيق احمد زكي (ط1 ، الدار القومية ، القاهرة ، 1343 هـ) .

الكندي (محمد بن يوسف) ، 350 هـ

75. ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، (ط1 ، دار صياد ، بيروت ، 1959 م) .

الكناني (شهاب الدين) ت 852 هـ .

76. الاصابة في تمييز الصحابة (المكتبة التجارية ، القاهرة ، 1358 هـ) .

النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) ت732 هـ / 1332 م

77. نهاية الارب تحقيق محمد فتح الله (ط1 ، الهيئة المصرية ، مصر ، 1975 م) .

النميري (ابي عمر يوسف بن عبد الله) ت 463 هـ .

78. الاستيعاب (ط1 ، دار التراث ، مصر 1328 هـ) .

ابن هشام (ابو محمد عبد الله الحميري) ت 213 هـ / 828 م

79. السيرة النبوية ، تحقيق : همام عبد الرحمن ومحمد عبد الله ، (ط3 ، مكتبة المنار الاردن ، 1988 م).

القلقشندي : (ابو العباس احمد بن علي) 821 هـ .

80. صبح الاعشى في صناعة الانشا (ط1 ، دار الباز ، مكة المكرمة ، 1987م) .

81. نهاية الارب في معرفة انساب العرب (ط 1 ، الشركة العربية للطباعة ، القاهرة ، 1959 م.

الواقدي (ابو عبد الله محمد بن عمر) ت 207 م

82. فتوح الشام (ط1 ، دار الجبل ، بيروت ، دون تاريخ).

الثقفي (ابي اسحق ابراهيم بن محمد بن سعيد) ت 283 هـ .

83. الغارات حققه الخطيب عبد الزهرة الحسيني (ط1 ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، طهران . 1410 هـ) .

الفيروز ابادي (محي الدين محمد يعقوب) ت 817 هـ.

84. القاموس المحيط (ط1 ، المطبعة الحسنية المصرية ، القاهرة ، 1343 هـ).

الشبلنجي (سيد) ت 700 هـ .

85. نور الابصار ، تحقيق عباس عبد السلام (ط1 ، مكتبة الالتزام ، القاهرة ، دون تاريخ.

الشوكاني (محمد بن علي بن محمد) ت 1250 هـ

86. ارشاد الفحول ، تحقيق احمد عزو (ط1 ، الكتاب العربي ، بيروت 2003 م) .
الشهرستاني (عبد الكريم) ت 548 هـ / 1153 م.
87. نهاية الاقدام في الكلام (ط1 ، دون نشر ومكان وتاريخ) .
اليعقوبي (احمد بن اسحق بن جعفر) ت 282 هـ / 895 م)
88. تاريخ اليعقوبي تحقيق : خليل منصور (ط1 ، دار الكتب العلمية ، 1419 هـ / 1999م) .
ياقوت (شهاب الدين ابي عبد الله الحموي الرومي) ت 626 هـ / 1229 م
89. معجم البلدان (دار صادر ، بيروت ، 1995 م) .
ابو يوسف (يعقوب ابن ابراهيم) ت 182 هـ / 798 م .
90. كتاب الخراج (ط3 ، المكتبة السلطانية ، القاهرة ، 1983 م).
ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر) ت 749 هـ.
91. تاريخ ابن الوردي (ط2 ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، 1969 م) .
الاسيوطي (جلال الدين عبدالرحمن الشافعي) ت
93. كتاب لباب الاداب (ط1 ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ).

ثانيا : المراجع

93. الباشا ، حسن : دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية (ط1 و القاهرة ، 1998 م)
94- شحاذة الناطور واخرون : النظم الاسلامية (ط2 ، دار الامل ، عمان ، 1992)
95- الجوهري ، يسرى : جغرافية العالم الاسلامي (ط1 ، عمان ، دون تاريخ)
96- خليل، عماد الدين : تاريخ الحضارة الاسلامية (ط1 ، دار حامد ، عمان ، 2003 م)
97- طاهر، لبيب : ساسيكولوجية الثقافة (ط1 ، معهد البحوث العربية ، القاهرة ، 1978م)
98- الصابوني ، محمد علي : البنوة والانبياء (ط1 ، دار القران ، بيروت ، دون تاريخ)
99- الشبلي (ابو زيد) : تاريخ الحضارة الاسلامية (ط1، مكتبة وهبي القاهرة ، 1383 ه)
100- ناجي معروف : تاريخ الحضارة الاسلامي (ط1،الشركة الصناعية المحدودة ، 1952م)
101- عبده ، محمد : نهج البلاغة ، تحقيق ، فائق محمد خليل (ط1 ، مؤسسة الكتاب العربي ، بيروت ، دون تاريخ)
102 – طه ، باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، (ط1 ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 م)
103- علي سيد مير : مختصر تاريخ العرب ، تعريف عفيف بعلبكي (ط1 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، 1961 م)

104- رشيد عبد الوهاب حميد : حضارة وادي الرافدين (ميترو بوتاميا) ، (ط1 ، دار الثقافة والنشر ، بغداد ، 2004 م)

105- عبد الفتاح عبد الموجود : المجموعة الكاملة للامام علي بن ابي طالب ، (ط2 ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، دون تاريخ)

106- الشطاط ، علي حسين : المدخل الى تاريخ الحضارة الاسلامية (ط1 ، دون نشر ، عمان ، دون تاريخ)

107- البدوي : اسماعيل ابراهيم : النظام القضائي الاسلامي ، (ط1 ، جامعة الكويت ، الكويت ، 1989 م)

108 – اليوزبكي ، توفيق : دراسات في النظم العربية الاسلامية ، (ط1 ، جامعة الموصل ،الموصل ، 1975 م)

109 – ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن احمد : معالم القربة في احكام الحسبة (ط1 ، دار الحداثة ، بيروت ، 1990م)

110 – ابن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسبة (ط1 ، بيروت ، دون تاريخ)

111- لجنة : لجنة من المتخصصين في التاريخ : العراق في التاريخ (ط1 ، دار الحرية ، بغداد ، 1983 م)

112 – الموسوي ، مصطفى عباس : العوامل التاريخية لنشاة وتطور المدن العربية ، (ط1 ، دار الرشيد ، بغداد ، 1982)

113 – امين ، احمد : ضحى الاسلام و (ط1 ، مطبعة عماد الدين ، القاهرة ، 1956م)

114 – الفيحان ، عبد الله ابراهيم : الادارة في الاسلام (ط1، دار الشروق، جده ، 1986 م)

115 – شاكر محمود : التاريخ الاسلامي (ط3 المكتب الاسلامي ، بيروت ، 1991 م)

116 – العسكري : مرتضى السيد : عبد الله بن سبا واساطير اخرى (ط1 ، دار ، الزهراء ، بيروت ، 1983 م)

117- الصلابي ، علي محمد : سيرة امير المؤمنين علي (ط4 ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1968م (

118- كحالة ، عمر رضا : مختصر تاريخ الدولة الاسلامية (ط2 ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، 1958 م)

119 - الربيعي . نزار كريم جواد : الوثائق العربية في ارشيفات اوربا (ط1 ، كلية الرجاء ، بغداد ، 1430 – 2009 م)

120- السامرائي ، يونس ابراهيم : الكرام البرره في اخبار العشرة المبشرة ، (ط1 ، مكتبة الشرق الجديدة ، بغداد ، دون تاريخ)

121 – الخضري ، محمد : الدولة الاموية (ط1 ، المكتبة التوقيعية ، القاهرة و دون تاريخ)

122 – حسين طه : الفتنة الكبرى ، (ط1 ، دار المعارف ، مصر ، 1953 م)

123- شحاذة ، نزيه : من التاريخ الاسلامي (ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1998 م)

ابو نصر ، عمر : معاوية بن ابي سفيان (ط1 ، المكتبة الاهلية ، 1962 م.

124 – قلعجي ، قدري : ابو ذر الغفاري اول ثائر في الاسلام (ط1 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، 1948 م)

125 – عوده ، عبدالقادر : التشريع الجانئي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي (ط14 ، مؤسسة اسامة ، بيروت ، 1422 ه)

126 – فروخ عمر : تاريخ عصر صدر الاسلام والدولة الاموية (ط2، دار العلم للملاين ، بيروت ، 1972 م)

127- السهيلي ، ابو القاسم عبد الرحمن : لاروض الانف في تفسير السيرة النبوية (ط1 ، مكتبة الازهر ، القاهرة ، دون تاريخ)

128- النبهان ، محمد فاروق : عصر النبوة والخلافة الراشدة (ط1 ، جامعة الكويت ، الكويت ، 1987 م)

129- خطاب محمود شيت : الفاروق القائد (ط4 ، بيروت ، 1971 م)

130- علي ، محمد كرد علي : خطط الشام (ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1970 م).

131- الريس ، محمد ضياء الدين : الخراج والنظم المالية (ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ).

132- اسود ، عبدالرزاق : المدخل الى الاديان والمذاهب(ط1،الدار العربية،بيروت ،1981 م)

133- مصطفى شاكر : المدن في الاسلام (ط2 ، دار الطلاس ، بيروت ، 1988 م).

134- فيصل شكري : المجتمعات الاسلامية (ط 1 / مطابع دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1950 م).

135- محمد مختار باشا : التواريخ الهجرية بالسنين الفرنجية (ط1 ، المؤسسة العربية ، مصر ، 1980م)

136-عمر ، عمر ابو النصر : الجيش العربي في صدر الاسلام (ط1 ، مكتبة ابو النصر ، بيروت ،1969م)

137- عون ، عبدالرؤوف: الفن الحربي في الاسلام (ط1 ، دار المعارف ، مصر ،1960 م)

138-رضا ، محمد : النظم الاسلامية (ط1 ، المطبعة التجارية ، مصر ، 1963 م).

139- سويد ، المقدم سويد : معارك خالد بن الوليد(ط2 ، المؤسسة العربية ، بيروت ، 1975 م) .

140- السويدي ، شهاب الدين ابن العباس : سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب (ط1، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ) .

141- حسن ، ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي (ط7 ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1964 م).

142- سالم ، السيد عبدالعزيز : التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية (ط1، دار النهضة ، بدون تاريخ) .

143-الجميلي، رشيد : تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدولة الاسلامية (ط1، لبنان،1972م) .

144. نورالدين عمر : منهج النقذ في العلوم الحديث (ط1 ،دار الفكر المعاصر،بيروت ، 1997 م).

145. نخبة ، نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق (ط1، دون نشر، بغداد ، 1985م).

146. محمد ، محمد ابو يحيى : الثقافة الاسلامية (ط1، جامعة العلاقات الدولية، عمان، دون تاريخ).

147. العسكري، مرتضى : الاسطورة السبئية (ط11،كلية اصول الدين، قم، 1424هـ).

148. الخير ابادي ، محمد ابو الليث (ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2005 م).

149. الخماسي ، فتحي بن الطيب : الفقه الجنائي الاسلامي (ط1، فتية الدر ، بيروت ، 2004 م).

150. الصالح ، صبحي : علوم الحديث (ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1999م).

ثالثا : الرسائل والبحوث :

151 – خالد : التنظيمات الادارية في عهد عمر بن الخطاب ، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة سانت كلمينش غير منشورة .

152 – سهيل : نجاح عبيد حسون : ابراهيم بن الاشتر ، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة سانت كلمينش غير منشورة .

رابعا : الكتب الاجنبية المعربة

153 – فلهوزن ب : المستشرق الالماني : تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلامي الى نهاية الدولة الاموية ، ترجمة عبد الهادي ابو زيد (ط1 ، التاليف والنشر ، القاهرة ،1918م)

154 – السير جلوب : امبراطورية العرب ، تعريب خيري حماد (ط1 ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، دون نشر)

155- أ.ب مفرج : اعرف نفسك والاخرين (ط1 ، مكتبة البستان ، الاشرفية ، دون تاريخ)

156 – امباور ، مستشرق : معجم الانساب ، تعريب زكي محمد حسن (ط1 ، جامعة فؤاد الاول ، القاهرة ، 1951م)

157- اوبنهـام و. ليـر : بـلاد مـابين النهـرين ، ترجمـة سـعدي منيـف عبـد الـرزاق (ط1، وزارة الثقافة والاعلام الوطنية ، بغداد ، 1981)

خامسا : الكتب الاجنبية الغير معربة :

158-mardock،gp –africaito people and tk cir coiros history ، London ، 1050، p.iii.

